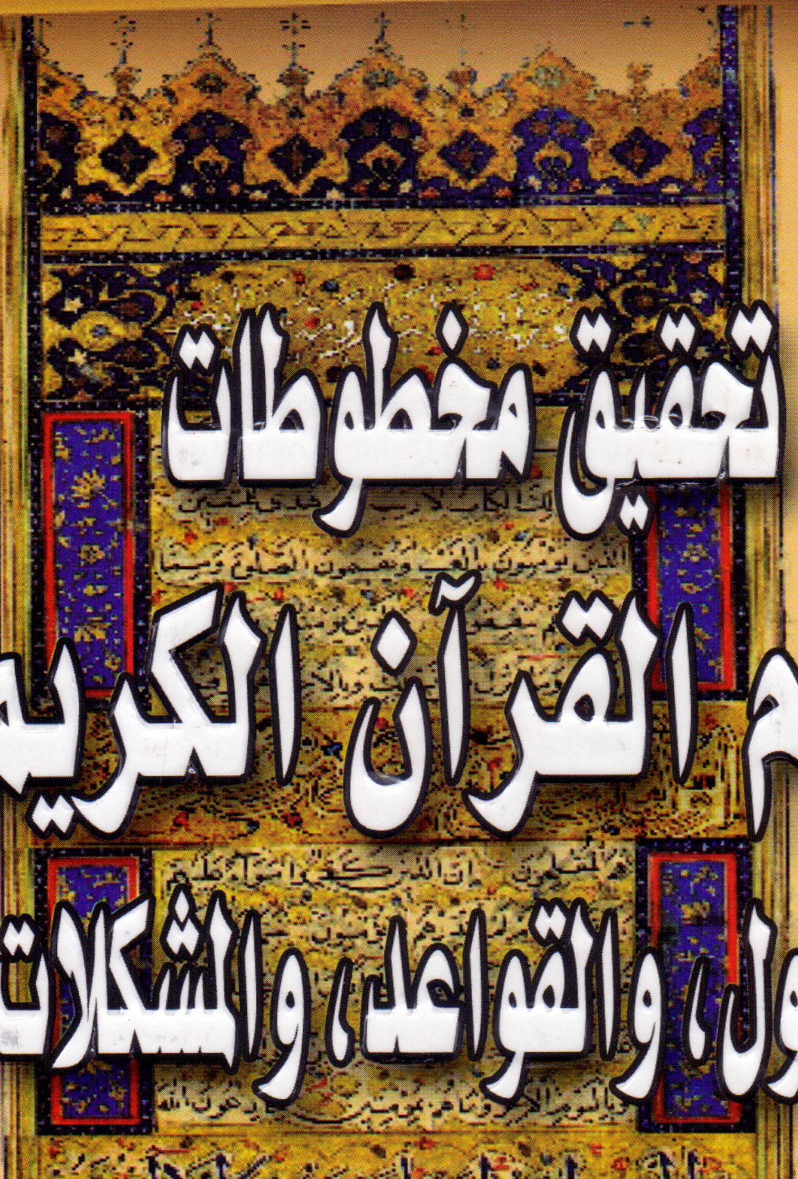
سلسلة الدورات التدريبية

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

مركز دراسات المخطوطات الإسلامية

تحقيق مخطوطات علوم القرآن الكريم

الأصول، والقواعد، والمشكلات



تحقيق مخطوطات

علوم القرآن الكريم

الأصول، والقواعد، والمشكلات

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

مركز دراسات المخطوطات الإسلامية

22A Old Court Place

London W8 4PL, UK

Tel: + 44 (0) 203 130 1530

Fax: + 44 (0) 207 937 2540

Email: info@al-furqan.com

Url: www.al-furqan.com

الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م

ردمك: ISBN: 1-905122-72-1

Printed by Al-Madani Printers, Cairo, Egypt, almadanipress@hotmail.com ٢٠١٦/١٤٦٣٧ رقم الإيداع:

سلسلة الدورات التدريبية

تحقيق مخطوطات
علوم القرآن الكريم
الأصول، والقواعد، والمشكلات

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
مركز دراسات المخطوطات الإسلامية

فهرس المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله ربّ العالمين، وتحياته الطيبات المباركات على رسوله وخليله محمد الأمين، خاتم النبيّين وسيّد المرسلين صلوات الله عليه وسلامه، والتحية والإكرام لأهل بيته الطّاهرين الطيبين الكرام، ورضي الله عن صحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،

فيسرّني اليوم أن أقدّم للباحثين المهتمين بالتراث الإسلامي المخطوط فعاليات الدورة التدريبية العاشرة في مجال التحقيق، تحت عنوان «**تحقيق مخطوطات علوم القرآن الكريم: الأصول، والقواعد، والمشكلات**»، التي نظّمها مركز دراسات المخطوطات الإسلامية التابع لمؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي، بالتعاون مع دار الحديث الحسنية بالرباط، وذلك من ٢٩ فبراير إلى ٥ مارس ٢٠١٦م، برحاب مؤسسة دار الحديث الحسنية بالرباط.

وحضر الدروة ثلة من العلماء المتخصصين في الموضوع، كما شارك فيها أكثر من مئة مستفيد من طبة الماستر والدكتوراه في دراسات علوم القرآن الكريم.

تناولت المحاضرات ومناقشاتُها العميقة النوعية مختلفَ جوانب التحقيق، وقد تمحورت حول:

- تحقيق المخطوط في علوم القرآن بين ثقافة المحقق واختلاف المجالات وتعدد الاحتمالات
- تحقيق المتن القرائي: إلمامات في مرجعية التأصيل وسياقات التأويل
- مطارحات وأنظار في سبيل قيم لتحقيق مخطوطات علوم القرآن وما إليها
- المصاحف المخطوطة: جوانب العناية بها، والموقف من دراستها
- مخطوطات الرواية المشرقية في رسم المصحف: تعريف بها، وبيان أهميتها
- في تحقيق النسبة: تفسير الطبراني المزعوم نموذجا
- المخطوطات المجهولة المؤلفين: أهميتها، وكيفية التعامل معها: مخطوطات علوم القرآن نموذجا

- التعامل مع النصوص الحديثية عند تحقيق مخطوطات التفسير وعلوم القرآن
- مناهج تحقيق الروايات الإسرائيلية في كتب التفسير
- مناهج تحقيق المخطوطات بين المستشرقين والعرب
- التكشيف الموضوعي لكتب التفسير: الرؤية والمنهج والمقصد

وأخيرا، يطيب لي أن أتقدم بأجزل عبارات الشكر والثناء وأخلص عبارت التنويه والتقدير إلى مدير مؤسسة دار الحديث الحسنية، الأستاذ الدكتور أحمد الخمليشي، ونائبه العلمي الدكتور عبد الحميد عشاق، وكل المسؤولين والأساتذة والطلبة والعاملين بها، الذين استضافونا في بيتهم العامر، دار الحديث الحسنية، كما نشكر أساتذتنا الأعزاء الذين تجشموا عناء السفر وقدّموا ما يستطيعون من جهد وعلم ومعرفة وتجربة لنفع هذا الجيل المنشود.

وفي الختام لا أنسى أن أشكر كل من ساهم في إعداد هذه الدورة المباركة وفي تنظيمها وإنجاحها من قريب أو بعيد.

بارك الله في مساعيكم، وسدّد خطاكم إلى مافيه الخير، وهدانا وإياكم إلى صراط مستقيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أحمد زكي يماني

رئيس

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

المَصَاحِفُ المَخْطُوطَةُ
جَوَانِبُ العِنَايَةِ بِهَا، وَالمَوْقِفُ مِنْ دِرَاسَتِهَا

غانم قدوري حمد[1]

مقدمة

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصحابتهِ أجمعينَ، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، أَمَّا بَعْدُ

فإنَّ الحديث عن المخطوطات العربية لا يكاد ينقضي، بل هو يتجدد بتجدد اكتشاف مخطوط جديد، أو ظهور فهرس لمخطوطاتِ مكتبةٍ جديدةٍ، أو افتتاح مركز أو موقع جديد يُعْنَى بالمخطوطات العربية، ويتنوع ذلك الحديث من إلقاء محاضرة، أو كتابة مقال علمي، أو تقديم بحث في مؤتمر علمي، أو تأليف كتاب للتعريف بمخطوطات علم معين، أو ذكر مخطوطات بلد ما، أو بيان قواعد تحقيق المخطوطات ونشرها.

ويرجع ذلك النشاط المتعدد والمتنوع إلى أهمية المخطوطات في حياتنا المعاصرة من جوانب متعددة، فمن الجانب الديني حفظت لنا المخطوطات العربية أصول الدين الإسلامي من القرآن الكريم والسنة النبوية، والعلوم الشرعية من تفسير، وفقه، وحديث، وعقيدة، وغيرها، ومن الجانب الأدبي واللغوي جمعت المخطوطات العربية تراث الأمة الأدبي واللغوي، ومن الجانب التاريخي تحكي المخطوطات العربية تاريخ الأمة في فتراتها

---

(١) أستاذ محاضر في مادة علوم القرآن الكريم بجامعة تكريت

المتعاقبة، وفي الجانب العلمي والحضاري تعرض المخطوطات وثائق مهمة عن التقدم العلمي والحضاري الذي حَقَّقَهُ علماء الأمة في مختلف العلوم، وأسهم ذلك في بناء الحضارة المعاصرة، فالمخطوطات تحكي نشاط الأجيال التي سبقتنا في سعيها للتقدم وبناء الحضارة، وتحقيق حياة أفضل للناس.

ومع كثرة ما طُبِعَ من المخطوطات العربية، ومع ضخامة المكتبة العربية اليوم، فلا تزال الحاجة قائمة إلى جهود مضاعفة لإخراج ما بقي من كنوز المخطوطات العربية، ولا يمكن القول إنَّ في ما حُقِّقَ غُنْيَةً عمَّا لم يُحَقَّقْ، فمن بين آلاف المخطوطات التي لم تُحَقَّقْ ما هو جدير بالدراسة والنشر، ولكل كتاب مخطوط قيمته العلمية والتاريخية، ولا تتحقق الفائدة منه إلا بإخراجه من محبسه في رفوف المكتبات ووصول نسخه المطبوعة إلى أيدي الدارسين والباحثين.

وهناك كثيرٌ من كتب الحضارة العربية الإسلامية فُقِدَتْ مخطوطاتها لا سيما تلك التي تعود إلى القرون الهجرية الأولى، لكنْ ما بقي منها كثيرٌ جداً، يُقَدَّرُ بالملايين، وما طبع منها لا يتجاوز ١٠ في المئة[1]، بحسب تقدير بعض الباحثين، ومن ثم فليس غريباً أن تُعْقَدَ المؤتمرات الخاصة بالمخطوطات العربية، وتُقَام الندوات والدورات حولها.

---

(١) ينظر: أيمن فؤاد سيد: **الكتاب العربي المخطوط** ٥٠٩/٢، وذكر الأستاذ كوركيس عواد أن عدد المخطوطات العربية في العالم لا يقل عن أربعة ملايين (ينظر: **أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم** ص٥)، وذكر الدكتور يوسف المرعشلي أن عدد المخطوطات الإسلامية تقدر بنحو عشرة ملايين مخطوط، ويُقَدِّرُ عدد عناوين الكتب بدون تكرار بنحو نصف مليون عنوان في شتى الموضوعات (ينظر **تحقيق المخطوطات** ص٥)

وقد تَلَقَّيْتُ دعوة كريمة من **مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ومؤسسة دار الحديث الحَسَنِيَّة**، للمشاركة في الدورة التدريبية الخاصة بمخطوطات علوم القرآن الكريم، التي ستقام في ٢٩ فبراير إلى ٥ مارس ٢٠١٦م، في الرباط، بإلقاء محاضرات حول موضوع الدورة، وقد اقترحتُ على اللجنة المنظمة للدورة الحديث عن ثلاثة موضوعات، فَلَقِيَ ذلك موافقة اللجنة واستحسانها، والموضوعات هي:

١ - المصاحف المخطوطة: جوانب العناية بها، والموقف من دراستها.

٢ - كتب الرواية المشرقية في علم رسم المصحف: تعريف بها، وبيان أهميتها.

٣ - المخطوطات المجهولة المؤلفين، أهميتها، وكيفية التعامل معها (مخطوطات علم التجويد أنموذجاً).

وقد اجتهدت في كتابة هذه الموضوعات من خلال ما تيسر لي من مصادر، ومن خلال تجربتي في البحث والتحقيق في علوم القرآن التي امتدت لأربعة عقود، وقد جمعتُ في كتابتها الجانب النظري والتاريخي إلى الجانب العملي والتطبيقي، حتى يدرك المشارك في الدورة فائدة العكوف على مخطوطات المصحف الشريف، والنظر فيها، بما يُغْنِي موضوعات علوم القرآن الكريم المتعلقة بالمصحف التي سَطَّرَهَا العلماء في كتبهم، وبما يَفْتَحُ آفاقاً جديدة للبحث في موضوع رسم المصحف من خلال مخطوطات كتب الرواية المشرقية للرسم، أو يسعى بالمشاركين للوقوف على مخطوطات لكتب طالما تمنى الدارسون الوقوف عليها والكشف عنها، من خلال تتبع المخطوطات المجهولة المؤلف أو العنوان.

وأحسب أن الموضوعات التي اخترتها لتكون مداراً للحديث في هذه الدورة لم يُسَلَّطْ عليها الضوء كثيراً، ولم تَحْظَ بالاهتمام الكافي من المشتغلين بعلوم القرآن الكريم بحثاً وتحقيقاً، وكنت قد لَمَسْتُ أهميتها وفائدة البحث فيها من خلال ما حَقَّقْتُ من كتب، وما كَتَبْتُ من بحوث، وأرجو الله تعالى أن أتمكن من نقل تجربتي تلك إلى

إخواني المشاركين في الدورة، عسى أن يُحَرِّكَ ذلك في نفوسهم الرغبة في خدمة هذه الجوانب المتعلقة بالمصحف الشريف وعلوم القرآن الكريم.

ويسرني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى مؤسسة دار الحديث الحسنية في المملكة المغربية، ومؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، في المملكة المتحدة، لإتاحتهم هذه الفرصة لي للمشاركة في هذه الدورة، والحديث إلى نخبة من المهتمين بالتراث العربي الإسلامي بعامة، وبعلوم القرآن بخاصة، والاستماع إلى وجهات نظرهم في الموضوعات التي تضمنتها هذه الدورة، وفقهم الله تعالى لكل خير، وجعل ذلك في ميزان حسناتهم أفراداً ومؤسسات.

والله تعالى ولي التوفيق والهادي إلى سواء السبيل.

أربيل – العراق

١٤٣٦/١١/١٠هـ

الموافق ٢٠١٥/٨/٢٥م

الحمدُ للهِ، وسلامٌ على عبادِهِ الذين ٱصْطَفَى، أمَّا بَعْدُ،

فإنَّ مكتبات العالم تعتز بامتلاكها مصاحف مخطوطة، وتَذْكُرُهَا في صدر فهارس مخطوطاتها أو تُفْرِدُهَا بنشرات خاصة، وليس ذلك بغريب ولا بكثير، فالقرآن الكريم كلام الله رب العالمين، ومنار الهداية للبشرية ومصدر التشريع لدى المسلمين، ويَعْرِفُ منزلته تلك أهلُ الديانات الأخرى أيضاً، ويحرصون على عدم المساس بها، بغض النظر عن موقفهم منه.

ويبلغ عدد المصاحف المخطوطة في مكتبات العام اليوم الآلاف، لكن كثيراً من الباحثين في علوم القرآن لا يستوقفهم ذلك العدد الكبير منها، ولا يحظى باهتمامهم، وقد يتبادر إلى ذهن بعضهم أن تلك المصاحف فَقَدَتْ وظيفتها بعد أن دخل المصحف عصر الطباعة، وصارت آلاف النسخ المطبوعة طباعةً أنيقةً تَحْجِبُ تلك النسخَ المخطوطة، فلم يَعُدْ أَحَدٌ يَقْرَأُ بها، فَوُضِعَتْ على رفوف المكتبات وفي خزائنها، وقد يَتَصَوَّرُ بعض الدارسين أن تلك المصاحف فَقَدَتْ قيمتها التاريخية والعلمية أيضاً بعد دخول المصحف عصر الطباعة، شَأْنُهَا في ذلك شَأْنُ مخطوطاتِ الكتب التي طُبِعَتْ ولم يَعُدْ أحدٌ يَرْجعُ إليها.

وإذا كانت المصاحف المخطوطة قد فَقَدَتْ وَظِيفَتَهَا، فلم يَعُدْ أحدٌ يستعملها في القراءة، فإنها في الواقع لم تفقد قيمتها التاريخية والعلمية والفنية، فمن الناحية التاريخية تحكي تلك المصاحف قصة الحِفْظِ المُوَثَّقِ للمصحف منذ عصر الصحابة إلى زماننا هذا، ومن الناحية العلمية تُبَيِّنُ تلك المصاحف جوانب مهمة من علوم القرآن التي خَدَمَتِ المصحفَ والقراءةَ فيه، ويتجلَّى من خلال تلك المصاحف تطور عدد من علوم القرآن، مثل علم النقط والشكل، وعلم عدد آي القرآن وأجزائه وأحزابه، وعلم الوقف والابتداء، وعلم القراءات، كما تكشف تلك المصاحف ما بذله كُتَّابُ المصاحف من جهد في تحسين الخط العربي، وما بذله الفنانون من جهد في تزيين

المصحف بأجمل اللوحات الفنية الخاصة بأطر الصفحات وفواتح السور وحاويات أعداد الآيات والأجزاء والأحزاب ومواضع السجدات ونحوها[١].

وإذا كانت المصاحف المخطوطة بهذه القيمة، وتحتل تلك المنزلة، فلا بُدَّ أن تحظى من العناية من المهتمين بعلوم القرآن ما يتناسب وتلك المنزلة، ومن الرعاية ما يحفظها من التلف، وييسر وصول الباحثين إليها واطلاعهم عليها، شأنها في ذلك شأن مخطوطات علوم القرآن وغيرها من مخطوطات التراث العربي الإسلامي، غير أَنَّ المصاحف المخطوطة تمتاز عن غيرها من مخطوطات العلوم الأخرى بأن نوع الخط، وطريقة الرسم والضبط، ومذهب التجزئة والعد، لها أهمية خاصة في كل مصحف مخطوط، ولا يُغْنِي مصحف مخطوط عن آخر، ولا يُغْنِي المصحف المطبوع عما عداه من المصاحف المخطوطة، كما يُغني الكتابُ المحقق تحقيقاً جيداً عن جميع مخطوطات ذلك الكتاب مهما كان عددها، وتباين تاريخ نسخها، ما دامت تتضمن النص ذاته.

والهدف من كتابة هذا البحث الوقوف عند الجوانب التي ينبغي على دارس المصحف المخطوط العناية بها، وفي مقدمتها: الخط والرسم والضبط، والقراءات، والتجزئة وعَدُّ الآي، وعلامات الوقف، والزخارف الفنية، سواء في ذلك من يتصدى لنشر المصحف مُصَوَّراً، ويكتب عنه دراسة[٢]، أو من يقوم بدراسة خاصة بمصحف

---

(١) سبق لي كتابة بحث عن «المصاحف المخطوطة: تعريف بها، وبيان قيمتها التاريخية والعلمية والفنية»، منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي في جدة، العدد الثاني عشر ١٤٣٢هـ/٢٠١١م (ص ١٣ – ٧٨).

(٢) كما فعل الدكتور طيار آلتي قولاج، الذي نشر عدداً من المصاحف القديمة المخطوطة، منها: مصحف متحف الآثار التركية والإسلامية بإستانبول (٢٠٠٧م)، ومصحف متحف طوب قابي سراي بإستانبول (٢٠٠٧م)، ومصحف القاهرة (مصحف جامع الحسين) (٢٠٠٩م)، ومصحف صنعاء (٢٠١١م)، واستغرقت الدراسة في المصحف الأخير ٢١٦ صحيفة، وجاءت في خمسة فصول عن الكتابة العربية، والمصاحف الأولى، والرسم المصحفي، وتعريف بالمصاحف المنسوبة إلى عثمان بن عفان ﷺ، والمصاحف المنسوبة إلى علي بن أبي طالب ﷺ، وتعريف لمصحف صنعاء.

مُعَيَّن من غير أن ينشر نص المصحف كاملا[١]، وهناك أعمال أخرى[٢] يمكن الإفادة منها والبناء عليها[٣].

وسوف يعالج البحث الموضوعات المذكورة من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: دراسة الخط، والرسم، والضبط في المصاحف المخطوطة.

المبحث الثاني: دراسة القراءات القرآنية في المصاحف المخطوطة.

المبحث الثالث: دراسة فواتح السور، والعدد، وعلامات الوقف في المصاحف المخطوطة.

المبحث الرابع: دراسة الزخارف الفنية في المصاحف المخطوطة.

المبحث الخامس: موقف الباحثين من دراسة المصاحف المخطوطة.

---

(١) مثل كتاب: دراسة فنية لمصحف مبكر يعود للقرن الثالث الهجري، دراسة وتحقيق عبد الله بن محمد بن عبد الله المنيف، الرياض ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، وجاء في أربعة فصول، الأول: تدوين المصاحف المبكرة، والثاني: أساليب صناعة المصحف، والثالث: الخصائص الفنية لخطوط المصحف، والرابع: الدراسة التحليلية المقارنة.

(٢) للمستشرقين اعتناء بدراسة المصاحف القديمة، ولا يتيسر لي الحديث المفصل عن جهودهم في هذا الصدد، وأكتفي بالإشارة إلى آخر ما صدر من أعمالهم، وهو كتاب:

Qur'ans of the Umayyads, By Farançois Déroche, BRILL LEIDEN 2013.

وكتب الدكتور عبد الرزاق إسماعيل هرماس في التعريف بهذا الكتاب ما نصه: «صدر عن مكتبة جاك بريل في ليدن بهولندا -المتخصصة في نشر أبحاث المستشرقين- كتاب جديد عن (مخطوطات مصاحف العصر الأموي) للمستعرب الفرنسي فرانسوا ديروش باللغة الانجليزية، وتبعا للتعريف المرفق بالكتاب فالبحث يهتم بـ«التأريخ لتطور خط كتابة القرآن في زمن الأمويين، ما بين ٦٦٠م الى ٧٥٠م أي: ابتداء من ٤٠هـ». ينظر:

http://vb. tafsir. net/tafsir38150

(٣) مثل البحث الذي كتبته: مصحف المُخَلِّصِيّ المخطوط سنة ٣٥٣هـ: دراسة وصفية تحليلية، **مجلة معهد الإمام الشاطبي**، العدد السادس عشر ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م (ص ١١-٧٦).

وقد كثرت في الآونة الأخيرة النسخ الإلكترونية للمصاحف المخطوطة، من عصور مختلفة، في مواقع الإنترنت، ولا يتسع البحث لتتبع تلك الموضوعات في جميع المصاحف المخطوطة التي يمكن الاطلاع عليها والقراءة فيها، ومن ثم فإنني سوف أكتفي بمصاحف معينة تمثل مراحل متميزة في الخط، والرسم، والضبط، والعد، والتجزئة، يمكن من خلالها دراسة تلك الموضوعات وتتبع مراحل تطورها.

والله تعالى ولي التوفيق.

* *

المبحث الأول: دراسة الخط، والرسم، والضبط في المصاحف المخطوطة

يرتبط ظهور المصحف بعصر تَنْزِيل القرآن الكريم، فلم يتأخر تدوين القرآن عن زمن التنزيل، لكن الصورة الكاملة للمصحف لم تكتمل إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ، إذ إنَّ كتابة القرآن الكريم مرت بمراحل ثلاث، تكفلت بالحديث المفصل عنها كتب علوم القرآن، أكتفي هنا بالإشارة إليها، وهي:

الأولى: كتابته مُفَرَّقاً في الرقاع في زمن النبي ﷺ.

الثانية: جمعه في الصُّحُفِ في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

الثالثة: نَسْخُ الصُّحُفِ في المصاحف وتوزيعها على الأمصار الإسلامية في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فتوحدت المصاحف التي بأيدي المسلمين، وهي ترجع إلى ما كُتِبَ بين يدي النبي ﷺ، وصار رسم الكلمات في المصاحف العثمانية موضع عناية العلماء، وتَعَلَّقَ به علم رسم المصحف، وضبطه.

وكان عدد المصاحف التي نُسِخَتْ في زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه محدوداً، لكن عدد المصاحف التي بأيدي المسلمين كان يتضاعف كلما تقدَّم الزمن،

وما بَقِيَ من مصاحف العصور السابقة المخطوطة يُقَدَّرُ اليوم بالآلاف[١]، وكل مصحف مخطوط منها يحكي جهود خطَّاط عظيم، يسانده علماء متخصصون بعلوم القرآن، وفنانون مبدعون يسهمون في إخراج المصحف في أبهى حلة.

وأحاول في هذا المبحث الوقوف عند أهم الجوانب التي يجب على دارس المصحف المخطوط الوقوف عندها، وهي: الخط، والرسم، والضبط. والخط يُعْنَى بوصف شكل الحروف، والرسم يُعْنَى بوصف طريقة كتابة الكلمة، والضبط يُعْنَى بالعلامات الكتابية.

المطلب الأول: دراسة الخط في المصاحف المخطوطة

صار مصطلح (الخط) يدل على شكل الحروف، بينما يدل مصطلح (الرسم) على طريقة كتابة الكلمات في المصحف، ومصطلح الضبط على العلامات في الكتابة.

وتتميز الكتابة العربية بتنوع أشكال الخطوط فيها، وقد أخذ كل نوع اسماً يدل عليه، وتعددت تلك الأنواع، وانقرض بعضها، ولا يزال بعضها مستعملاً، وتُشَكِّلُ المصاحف المخطوطة معرضاً حافلاً بأنواع الخطوط العربية، وعلى الرغم من أن الخط العربي صار فناً خاصاً يُعْنَى به الخطاطون ومؤرخو الخطوط، ولا يحظى بكثير من اهتمام الباحثين في علوم القرآن، إلا أن من تمام القول في وصف المصاحف المخطوطة الحديث عن نوع الخط الذي كُتِبَتْ به، بل إن نوع الخط يشير في أحيان كثيرة إلى العصر الذي كُتِبَ فيه المصحف.

---

(١) أصدر المجْمَع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بعمَّان فهرساً خاصاً بالمصاحف المخطوطة، استغرق أكثر من (٤٠٠) صحيفة، وذُكِرَ فيه: (٢٨٤٦) مصحفاً مخطوطاً تاماً معروفَ تاريخ النسخ بالتصريح أو بالقرائن، في فترة تمتد من القرن الهجري الأول إلى القرن الرابع عشر، و(١٣٦٠) مصحفاً تاماً غيرَ معروف التاريخ، و(١٧٥١) مصحفاً غير تام معروف التاريخ، و(٢٣٧٧) مصحفاً غير تام وغير معروف التاريخ (ينظر: **المصاحف المخطوطة ومخطوطات رسم المصحف** ص٩-٤٣٢)، ومن وراء هذا العدد الكبير من المصاحف مصاحف أخرى كثيرة لم يتح تسجيلها في فهارس المخطوطات.

ولعل أقدم صورة تَجَلَّى فيها الحرف العربي وتَمَيَّزَ عن غيره من الكتابات ترجع إلى ما قبل الإسلام بقرنين أو أكثر، وكان الخط العربي محدود الاستعمال قبل الإسلام، وليس لدينا منه إلا نماذج قليلة، ونال الخط بعد الإسلام عناية كبيرة، فتنوعت أشكاله، وتعددت أغراضه، ولا يتسع البحث لتتبع كل ما يتعلق بهذا الموضوع، ويكفي أن أشير إلى ما يتصل بأنواع الخطوط المستعملة في المصاحف، ليكون الدارس على معرفة بها.

وقد تحدَّث ابن النديم عن الخطوط العربية القديمة فقال: «أول الخطوط العربية: الخط المكي، وبعده المدني، ثم البصري، ثم الكوفي، فأما المكي والمدني ففي ألفاته تعويج إلى يَمْنَةِ اليد وأعلى الأصابع، وفي شكله انضجاع يسير، وهذا مثاله: بسم الله الرحمن الرحيم»[١]. وذكر ابن النديم خطوط المصاحف المستعملة في عصره (وهو سنة ٣٧٧هـ) فقال: «خطوط المصاحف: المكي، [خطوط] المدنيين: التِّمّ[٢]، والمثلَّث، والمدوَّر. الكوفي، البصري، المشق، التجاويد...»[٣]، ثم تحدَّث عن أشهر خطاطي المصاحف في القرون الثلاثة الهجرية الأولى[٤].

وليس من هدف البحث هنا الحديث عن أنواع الخطوط العربية وخصائص كل نوع، وإنما القصد تنبيه الدارس للمصاحف المخطوطة إلى ملاحظة نوع الخط وخصائصه، فإن ذلك جزء من وصف المصحف، إلى جانب أنه يُسْتَدَلُّ به على العصر

---

(١) الفهرست ص١٥.

(٢) رُسِمَتِ الكلمة في طبعة الفهرست (ص١٥): النيم، لكن الدكتور أيمن فؤاد السيد محقق الكتاب أثبتها في كتابه الكتاب العربي المخطوط (٤٩/١) هكذا: التم، وقال: أما التم فيبدو أنه جَمَعَ بين النوعين (المثلث والمدور)

(٣) الفهرست ص١٦

(٤) الفهرست ص١٥-١٦.

الذي كُتِبَ فيه، ويمكن ترتيب أنواع الخطوط العربية المستعلمة في كتابة المصاحف بحسب تاريخ ظهورها، على وجه التقريب على النحو الآتي:

١) الخط المكي والخط المدني اللذان أُطلق عليهما الخط الحجازي[١]، وأهم ما يتميز به الخط الحجازي ما ذكره ابن النديم من ميل ألفاته نحو جهة اليمين، وكذلك بعض الحروف الأخرى مثل حرف اللام (ينظر صورة رقم ١ و٢ في الملحق).

٢) الخط الكوفي ذي الخطوط المستقيمة، والزوايا القائمة (ينظر صورة رقم ٤ في الملحق)، وظهرت ملامح تَطَوُّرِ الخط الحجازي المائل نحو الخط الكوفي في بعض المصاحف، مثل مصحف توبنجن (صورة رقم ٣).

وتَطَوَّرَ الخط الكوفي في بلاد الأندلس والمغرب العربي، وتميز بملامح جديدة وصار يعرف بالخط المغربي (تنظر: الصورة رقم ٩ في الملحق).

٣) الخطوط اللينة: شهد القرن الرابع الهجري تطور الخط العربي من الخط الكوفي، إلى الخطوط اللينة، على يد ابن مقلة (أبي علي محمد بن علي بن الحسن بن مُقْلَةَ البغدادي المتوفى سنة ٣٢٨هـ)[٢]، فانتقل الخط على يديه نقلة متميزة، فتحولت الأقلام من الخط الكوفي ذي الخطوط المستقيمة والزوايا القائمة المعروف بالخط الكوفي، إلى الخطوط اللينة، ثم جاء ابن البواب (علي بن هلال البغدادي المتوفى سنة ٤١٣هـ) فأكمل ما بدأه ابن مقلة وهَذَّبَ طريقته في الخط[٣].

وهناك مصاحف تبدو فيها ملامح ذلك التطور، مثل مصحف الخَلِّصِيِّ المكتوب سنة ٣٥٣هـ الذي كُتِبَ بخط كوفي متطور (صورة رقم ٦)، ثم تنوَّعت الخطوط اللينة وتعددت أسماؤها، مثل الريحاني، والثلث، والنسخ، وغيرها، ويُعَدُّ

---

(١) ينظر: أيمن فؤاد سيد: الكتاب العربي المخطوط ٤٩/١.

(٢) تنظر ترجمته: هلال ناجي: ابن مقلة خطاطاً وأديباً وإنساناً ص٢٨، وما بعدها.

(٣) ينظر: هلال ناجي: ابن البواب عبقري الخط العربي ص٣٠.

مصحف ابن البواب المكتوب سنة ٣٩١هـ من أقدم نماذج هذا النوع من الخطوط (تنظر: الصورة رقم ٧ في الملحق).

المطلب الثاني: دراسة الرسم في المصاحف المخطوطة

كَتَبَ الصحابة ﷺ القرآن الكريم بين يدي النبي ﷺ في الرقاع التي جُمِعَتْ في الصُّحُفِ في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ، ونُسِخَتِ الصُّحُفُ في المصاحف في خلافة عثمان بن عفان ﷺ، وحافظ المسلمون على رسم الكلمات في المصحف كما كَتَبَهَا الصحابة ﷺ، وفي رسمها ما لا يتطابق مع نطقها، من حذف أو زيادة أو بدل أو فصل أو وصل، وبعد أن ظهرت العلوم عند العرب نظر علماء اللغة العربية في الكتابة، وأعادوا صياغة قواعدها وفق قاعدة عامة هي أن اللفظ يُرْسَمُ بحروف هجائه، مبدوءاً به وموقوفاً عليه.

وصار الرسم بعد ذلك على قسمين: قِيَاسِيّ واصْطِلاحِيّ، فالقياسيُّ ما طابق فيه الخطُّ اللَّفظَ، والاصطلاحي ما خالفه بزيادة أو حذف أو بدل أو وصل أو فصل، وهو خط المصحف، ويُعْرَفُ بالرسم العثماني، وأكثره موافق لقوانين الكتابة القياسية، لكن جاءت أشياء خارجة عن ذلك يلزم اتباعها(١).

وصَنَّفَ علماء الرسم ما وَقَعَ في رَسْمِ المصحف من ظواهر، لا يتطابق رسمها مع نطقها، على خمسة فصول، قال ابن وثيق الأندلسي: «اعلم -وَفَّقَكَ اللهُ- أن رسم المصحف يفتقر أَوَّلاً إلى معرفة خمسة فصول، عليها مداره:

الأول: ما وقع فيه من الحذف.

الثاني: ما وقع فيه من الزيادة.

---

(١) ينظر: ابن السراج: **كتاب الخط** ص١٠٤ و١١٠، وابن درستويه: **كتاب الكُتَّاب** ص١٦، وابن الجزري: **النشر** ١٢٨/٢.

الثالث: ما وقع فيه من قلب حرف إلى حرف.

الرابع: أحكام الهمزات.

الخامس: ما وقع فيه من القطع والوصل»[١].

ويجب على مَن يتصدى لدراسة مصحف مخطوط أن ينظر في رسمه، لمعرفة مقدار التزام الخطاط بالرسم العثماني القديم فيه، والوقوف على الظواهر الكتابية التي يتميز بها المصحف، ويغلب على مصاحف القرون الأولى مراعاة خصائص الرسم العثماني في كتابتها (تنظر: صورة رقم ١ – ٥)، وهناك من المصاحف التي لم يلتزم كاتبوها بخصائص الرسم العثماني، ولدينا نماذج من تلك المصاحف ترجع إلى القرن الرابع الهجري وما بعده (تنظر: صورة رقم ٦ – ٧)، ويغلب على مصاحف القرون المتأخرة عدم مراعاة خصائص الرسم، لكن لا تخلو القرون المتأخرة من مصاحف التزم الخطاطون فيها بخصائص الرسم العثماني، مثل مصحف إشبيلية (سنة ٦٢٤هـ)، ومصحف الحلبي (سنة ٧٩٠هـ) (تنظر صورة رقم ٨ و١٠).

وقد أَوْجَبَ العلماء وأفتى الفقهاء بوجوب الالتزام بالرسم العثماني في كتابة المصاحف، قال الداني: «وسُئِلَ مالكٌ رحمه الله هل يُكْتَبُ المصحفُ على ما أَحْدَثَهُ الناسُ من الهِجَاءِ؟، فقال: لا إلا على الكِتْبَةِ الأولى...»، قال الداني: «ولا مُخَالِفَ له في ذلك من علماء الأُمَّة»[٢].

وقال البيهقي: «مَن كتب مصحفاً فينبغي أن يُحافِظَ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يُغَيِّرَ مما كتبوه شيئاً، فإنهم كانوا أكثرَ

---

(١) الجامع ص٣١ – ٣٢.

(٢) المقنع ص١٢٤، وينظر: المحكم ص١١.

علماً، وأصدقَ قلباً ولساناً، وأعظمَ أمانة مِنَّا، فلا ينبغي أن نَظُنَّ بأنفسنا استدراكاً عليهم»[١].

ويبدو أن المُخَلِّصِيَّ الذي كتب مصحفه سنة ٣٥٣هـ، وابن البواب الذي كتب مصحفه سنة ٣٩١هـ، لم يلتزما بالرسم العثماني التزاماً تاماً في كتابة المصحف، خاصة إثبات الألفات المحذوفات، من غير مراعاة لكل ما نص عليه علماء الرسم في ذلك، ولعلهما يتابعان في ذلك بعض فتاوى علماء العراق في زمانهما، في جواز كتابة المصحف بالرسم القياسي، فقد نقل الداني عن أبي الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي (ت٣٣٦هـ) أنه قال: «وكان بعضُ الكُتَّابِ لا يُغَيِّرُ رَسْمَ المُصْحَفِ الأَوَّلِ»[٢]، ويعني قوله هذا أن هناك مَنْ كانَ يُغَيِّرُ رَسْمَ المصحف، ويَكْتُبُ بحسب ما قرره علماء العربية من قواعد الهجاء (الإملاء)، ويؤكد ذلك ما قاله القاضي أبو الطيب الباقلاني (ت٤٠٤هـ): «وفي الجملة فإنَّ كُلَّ مَنِ ادَّعَى أنه يَجِبُ على الناس رَسْمٌ مخصوص وَجَبَ عليه أن يُقِيمَ الحجة على دعواه، وأنَّى له بذلك»[٣].

ولعل الخطاطين الذين كتبوا المصاحف ونَحَوا في كتابتهم منحى علماء العربية في مطابقة المرسوم للمنطوق، من أمثال المُخَلِّصِي الطبري وابن البواب البغدادي، قد استندوا إلى ما فهموه من كلام هؤلاء الفقهاء من جواز كتابة القرآن بالرسم القياسي الذي ضَبَطَ قواعدَهُ علماءُ العربية، ويجد المتتبع للمصاحف المخطوطة في بلدان المشرق الإسلامي أمثلة أخرى لمصاحف لم يلتزم خطاطوها بكل خصائص الرسم العثماني، على عكس مصاحف المغاربة والأندلسيين الذين كانت لهم معرفة تامة بالرسم العثماني والعناية بمؤلفاته.

---

(١) شعب الإيمان ٢١٩/٤، والسيوطي: الإتقان ٢٢٠٠/٦.

(٢) المحكم ص٢٢.

(٣) الانتصار ٥٤٩/٢.

وهناك ملاحظة ينبغي أن يتنبه لها من يتصدى لدراسة المصاحف المخطوطة القديمة، وهي أنه سيجد اختلافاً في رسم عدد من الكلمات في تلك المصاحف، وسيجد أن رسم بعض الكلمات لا يتطابق مع رسمها في مصحف المدينة، وعليه ألّا يسارع بالقول بوجود خطأ في رسمها، فإن ذلك يرجع في معظمه إلى أن المصاحف العثمانية الأولى تَنَوَّعَ فيها رسم عدد من الكلمات، وانعكس ذلك التنوع على رسمها في المصاحف التي نُقِلَتْ منها.

المطلب الثالث: دراسة الضبط في المصاحف المخطوطة

كانت الكتّابة في المصاحف العثمانية مجردة من علامات الحركات، ومن نِقاط الإعجام، ومن العلامات الأخرى الدالة على الهمزة والمدة والتشديد والسكون، لأن تلك العلامات لم تكن قد اسْتُعْمِلَتْ في الكتّابة العربية في تلك الحقبة (تنظر: الصورة رقم١ و٢ و٣).

ومَرَّ استعمال العلامات الكتّابية في المصحف وغيره بمرحلتين:

المرحلة الأولى: النَّقْطُ الْمُدَوَّرُ، الذي اخترعه أبو الأسود الدؤلي (ت٦٩هـ) حين قال لكاتبه: «خُذِ الْمُصْحَفَ وصبغاً يخالف لون المداد، فإذا فتحتُ شفتيَّ فانْقُطْ واحدةً فوق الحرف، وإذا ضَمَمْتُهُمَا فاجعلِ النقطةَ إلى جانب الحرف، وإذا كسرتُهما فاجعلِ النقطةَ في أسفله، فإن أتبعتُ شيئاً من هذه الحركات غُنَّةً فانقط نقطتين»(١).

وقام بعض تلامذة أبي الأسود الدؤلي باستعمال النِّقاط بلون مداد الكتّابة لتمييز الحروف المتشابهة في الصورة، والتي تُسَمَّى بنقاط الإعجام، تمييزاً لها عن نقاط

---

(١) ابن الأنباري: **إيضاح الوقف والابتداء** ٢٤١/١، وينظر: ابن النديم: **الفهرست** ص١٠٥، والداني: **المحكم** ص٦ – ٧.

الإعراب التي اخترعها أبو الأسود، ويُنْسَبُ هذا العمل إلى نصر بن عاصم الليثي (ت٩٠هـ)[١]. (تنظر: الصورة رقم ٣و٥).

المرحلة الثانية: الشَّكْلُ المستطيل، وهو استعمال الحركات من فتحة وضمة وكسرة، بدلاً من نقاط الإعراب، ونَقَلَ الداني عن محمد بن يزيد المبرد أنه قال: «الشَّكْلُ الذي في الكُتُبِ مِن عَمَلِ الخليل، وهو مأخوذ من صُوَرِ الحروف، فالضمة واو صغيرةُ الصورة في أعلى الحرف، لئلا تلتبس بالواو المكتوبة، والكسرة ياء تحت الحرف، والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف»[٢].

وذكر الداني أيضاً أن الخليل بن أحمد جَعَلَ علاماتٍ للهمزة والتشديد والرَّوم والإشمام[٣]، فجعل على الحرف المشدَّد ثلاث سِنَّاتٍ (ـّ)، وأخذه من أول شديد، فإذا كان خفيفاً جعل عليه رأس خاء (خ)، وأخذه من أول خفيف[٤]. (تنظر: الصورة رقم ٦ – ١٠).

ويغلب على المصاحف المكتوبة في القرون الثلاثة الهجرية الأولى استعمال نِقاطِ الإعراب الحُمْرِ التي اخترعها أبو الأسود الدؤلي (تنظر: الصورة رقم ٥)، التي اختفت من الاستعمال في المصاحف المكتوبة بعد القرن الثالث وحلت مكانها علامات الخليل (تنظر: الصورة: رقم ٦، و٧ وما بعدهما).

وعلى من يتصدى لدراسة المصاحف المخطوطة أن يتنبه لأمرين:

---

(١) ينظر: حمزة الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف ص٢٧، والعسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص١٣.

(٢) المحكم ص٧.

(٣) ينظر: المحكم ص٦.

(٤) ينظر: المحكم ص٧.

الأول: قد يجد بعض المصاحف اجتمع فيها المذهبان في الضبط: نقاط أبي الأسود الدؤلي، وعلامات الخليل، مثل مصحف جامعة توبنجن (تنظر: الصورة رقم ٣)، وتفسير ذلك أن المصحف ضبط أولاً بالنقاط الحمراء، ثم مرت مدة من الزمان لم يعد الناس يعرفون تلك الطريقة، فقام بعض القراء أو الكُتَّاب بضبط المصحف بعلامات الخليل، لتسهيل القراءة فيه على أهل عصره.

الثاني: أن المصاحف المخطوطة التي ضُبِطَتْ بطريقة أبي الأسود الدؤلي أو بطريقة الخليل، قد لا تتطابق العلامات المستعملة فيها، فتختلف الألوان المستعلمة للدلالة على الحركات والهمزات وغيرها فيها، بين الحمرة والصفرة والخضرة واللازورد، وكذلك تختلف العلامات المستعملة في المصاحف وتتنوع، فنجد للسكون أو التشديد أكثر من علامة، وكذلك قد تختلف نقاط الإعجام من مصحف لآخر، مثل الفاء والقاف.

وذلك التنوع ناتج عن كون علامات الضبط من اختراع التابعين وتابعيهم، ومن ثم فإن الأجيال اللاحقة لم تجد حرجاً في الخروج عليها عند الضرورة، فتركوا نِقَاطَ أبي الأسود واستعملوا علامات الخليل حين وجدوا أنها أوضح للقارئ منها، وكذلك استعملوا بعض العلامات التي قد تخالف ما وضعه الخليل، ولم يجدوا حرجاً في ذلك، بخلاف ظواهر الرسم العثماني الذي خَطَّهُ الصحابة، وصارت متابعته كالسُّنَّةَ يجب المحافظة عليها، وترك الخروج عنها.

المبحث الثاني: دراسة القراءات القرآنية في المصاحف المخطوطة

المطلب الأول: موجز تاريخ القراءات القرآنية

يُعْنَى علم القراءات بوجوه النطق لألفاظ القرآن الكريم المروية عن أئمة القراءة من الصحابة رضي الله عنهم التي تَرَتَّبَتْ على رخصة الأحرف السبعة، وقد تَرَكَ المسلمون بعد نَسْخ المصاحف العثمانية كُلَّ قراءة تخالف رسم المصحف، وقرؤوا بما يحتمله رسمها

من القراءات المروية عن الصحابة، وقد بَيَّنَ مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) ذلك في قوله: «إن الصحابة ﷺ كان قد تعارف بينهم من عهد النبي ﷺ تَرْكُ الإنكار على مَن خالفتْ قراءَتُهُ قراءةَ الآخر، لقول النبي ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»... فكان كل واحد منهم يقرأ كما عُلِّمَ، وإن خالف قراءة صاحبه، لقوله ﷺ: «اقرؤوا كما عُلِّمْتُمْ»... فكانوا يقرؤون بما تَعَلَّمُوا، ولا يُنْكِرُ أحدٌ على أحدٍ قراءَتَهُ، وكان النبي ﷺ قد وَجَّهَ بعضهم إلى البلدان لِيُعَلِّمُوا الناسَ القرآنَ والدينَ، ولمَّا مات النبي ﷺ خرج جماعة من الصحابة في أيام أبي بكر وعمر إلى ما افْتُتِحَ من الأمصار، لِيُعَلِّمُوا الناسَ القرآنَ والدينَ، فَعَلَّمَ كل واحد منهم أهلَ مِصْرِهِ على ما كان يقرأ على عهد النبي ﷺ، فاختلفت قراءة أهل الأمصار على نحو ما اختلفت قراءة الصحابة الذين عَلَّمُوهم، فلما كَتَبَ عثمان المصاحف وَوَجَّهَهَا إلى الأمصار، وحَمَلَهُم على ما فيها، وأَمَرَهُم بترك ما خالفها، قرأ أهل كل مِصْرٍ مُصْحَفَهُم الذي وُجِّهَ إليهم على ما كانوا يقرؤون قبل وصول المصحف إليهم، مِمَّا يوافق خط المصحف الذي وُجِّهَ إليهم، وتركوا من قراءتهم التي كانوا عليها مما يخالف خط المصحف، فاختلفت قراءة أهل الأمصار لذلك بما لا يُخَالِفُ الخط، وسَقَطَ من قراءتهم كلهم ما يخالف الخط، ونَقَلَ ذلك الآخِرُ عن الأول في كل مصر»[1].

واشتهرت سبعُ قراءاتٍ للقرآنِ الكريمِ، هي قراءة نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأُلْحِقَتْ بها ثلاث قراءات أخرى، هي قراءة أبي جعفر، ويعقوب، وخلف، وكانت المصاحف -خاصة في العصور المتأخرة- تُضْبَطُ بإحدى هذه القراءات.

---

(١) الإبانة ص٢٧-٢٩.

ويرجع ظهور القراءات السبع وتميزها إلى أوائل القرن الرابع، بعد أن اختار ابن مجاهد البغدادي المتوفى سنة ٣٢٤هـ سبع قراءات مشهورة وضَمَّنَهَا كتابه «**السبعة في القراءات**»، وجمع ما عداها من قراءات في كتاب آخر سماه «**شواذ السبعة**»، ومن ثَمَّ قيل: إنَّ ابن مجاهد أَوَّلُ مَن سَبَّعَ السبعة[١]. وكانت القراءات المشهورة المقروء بها قبله كثيرة العدد، وهي تمثل اختيارات القراء الذين عاشوا في القرنين الثاني والثالث، والاختيارُ لغةً: طَلَبُ خَيْرِ الأَمْرَيْنِ[٢]، وفي الاصطلاح أن يأخذَ القارئ بوجه من وجوه القراءة المروية في كل حرف من حروف القرآن المختلَف في قراءتها، ويلتزمَ به في تلاوته، ويُعَلِّمَهُ تلامذته، فَيُسَمَّى مجموع ما أَخَذَ به من تلك الوجوه اختياراً، مثل اختيار أبي عبيد، واختيار خلف بن هشام، واختيار أبي حاتم، وغير ذلك مما اشتهر من اختيارات القراء.

والقراءات السبع والعشر هي في أصلها اختيارات للقراء، لكنها اشتهرت باسم (القراءة) لتقدم أصحابها، وعلو إسنادهم فيها، فقد عاشوا في القرن الثاني الهجري، وأخذوا عن التابعين وتابعيهم، بخلاف من جاء بعدهم من علماء القراءة، الذين أخذوا عن القراء السبعة ، وعمن أَخَذَ عنهم أو جاء بعدهم، وكانت تلك الاختيارات تستند إلى أركان القراءة الثلاثة: صحة السند، وموافقة الرسم، وموافقة العربية[٣].

قال مكي ابن أبي طالب: «إن الرواة عن الأئمة من القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيراً في العدد، كثيراً في الاختلاف، فأراد الناس في العصر الرابع أن

---

(١) ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ١/١٣٩.

(٢) ينظر: ابن منظور: لسان العرب ٤/٢٦٥ (خير).

(٣) ينظر: ابن الجزري: النشر ١/٩.

يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف على ما يَسْهُلُ حفظه وتنضبط به القراءة... وأول من اقتصر على هؤلاء [السبعة] أبو بكر بن مجاهد»[١].

المطلب الثاني: القراءات القرآنية في المصاحف المخطوطة

إنَّ المصاحف المخطوطة يمكن أن تُقَدِّمَ لنا تاريخاً موثقاً للقراءات التي قرأ بها المسلمون في عصورهم المتعاقبة وبلدانهم المختلفة، ولا تزال الدراسات محدودة في هذا المجال، وإذا كانت خارطة توزيع القراءات القرآنية اليوم تشير إلى انتشار قراءة عاصم من رواية حفص في بلدان المشرق الإسلامي، وإلى انتشار قراءة نافع من رواية ورش في بلدان المغرب، فإن توزيع القراءات السبع أو العشر لم يكن كذلك كما يتضح من النظر في المصاحف المخطوطة.

وعلى مَن يتصدى لدراسة المصاحف المخطوطة أن يُحَدِّدَ القراءة التي ضُبِطَ بها المصحف، ويحتاج ذلك إلى تتبع الكلمات المختلف فيها بين القراء في ذلك المصحف، والنظر في القراءة التي تتطابق مع ما موجود في المصحف، في جميع الكلمات المختلف فيها، ويمكن أن يجد الدارس إحدى الحالات الثلاث الآتية:

١) عدم وضوح القراءة التي ضُبِطَ بها المصحف، وصعوبة تحديدها، ونصادف ذلك في المصاحف القديمة التي ترجع إلى القرون الثلاثة الهجرية الأولى، قبل قيام ابن مجاهد بتسبيع السبعة، وهي على نوعين:

الأول: مصاحف مجردة من العلامات الكتابية (تنظر: الصورة رقم ١ و٢ و٤)، ويكون تحديد القراءة في هذه الحالة أكثر صعوبة، لعدم وجود ما يدل على وجوه القراءات فيها، ويمكن أن يبحث الدارس في الحروف التي اختلفت فيها مصاحف الأمصار الخمسة، ثم نسبة ذلك المصحف إلى واحد منها.

---

(١) الإبانة ص٤٧-٤٨.

الثاني: مصاحف مضبوطة بحركات أبي الأسود الدؤلي ذات النقاط الحمر (تنظر: الصورة رقم ٣ و٥)[(١)]، أو بحركات الخليل، وهي تعود إلى حقبة متقدمة، مثل مصحف المُخَلِّصِيّ المكتوب سنة (٣٥٣هـ) (تنظر: الصورة رقم ٦)[(٢)]، وقد يكون البحث عن القراءة في هذا النوع من المصاحف أيسر من النوع الأول، لكنه لا يوصل في الغالب إلى نتيجة محددة، لعدم وجود مقياس محدد يساعد الدارس في تعيين القراءة، لأن عدد القراءات المقروء بها في تلك الحقبة كثير جداً، وغير محصور في السبعة أو العشر، وهي غير مدونة بشكل كامل في كتب القراءات، كما نجد ذلك في القراءات السبع والعشر، وكان ذلك في عصر الاختيار في القراءة الذي امتد إلى زمن ابن مجاهد.

(٢) مصاحف مضبوطة بقراءة واحدة من القراءات السبع أو العشر، وذلك في المصاحف التي تعود إلى ما بعد عصر ابن مجاهد خاصة، مثل مصحف ابن البواب المكتوب سنة ٣٩١هـ، وهو مضبوط بقراءة أبي عمرو ابن العلاء (تنظر: الصورة رقم ٧).

(٣) مصاحف مضبوطة بقراءة واحدة، وذُكِرَ في حواشي المصحف قراءات أخرى، مثل مصحف الحلبي المكتوب سنة ٧٩٠هـ، فقد نص كاتبه في خاتمته أنه ضبطه على ما يوافق قراءة أبي عمرو ابن العلاء، وكَتَبَ في حواشيه ما بَقِيَ من قراءات القراء السبعة، مستخدماً رموز الإمام الشاطبي. (تنظر: الصورة رقم ١٠).

ولا يزال موضوع تحديد القراءات التي ضُبِطَتْ بها المصاحف المخطوطة غير مطروق، وهناك فائدة كبيرة من تحديد تلك القراءات، ومعرفة تاريخ كتابة المصحف وزمانه، وهي بيان مدى انتشار كل قراءة من القراءات المشهورة، وفي ذلك تصحيح

---

(١) ينظر: طيار آلتي قولاج: **مصحف صنعاء** (الدراسة) ص١١٤-١١٥، و١٢٩.

(٢) ينظر: غانم قدوري الحمد: **مصحف المُخَلِّصِيّ** ص٤٤-٤٩.

لبعض وجهات النظر المخطوءة عن انتشار القراءات، مثل القول: إن الدولة العثمانية فرضت على المسلمين القراءة برواية حفص عن عاصم، وهي مقولة غير صحيحة، ولدينا من الوثائق التاريخية ما يُفَنِّدُهَا(١).

المبحث الثالث: دراسة فواتح السور، والعدد، وعلامات الوقف في المصاحف المخطوطة

كانت المصاحف العثمانية مُجَرَّدَةً من كل علامة أو زيادة على نص القرآن الكريم(٢)، وحَرَصَ الصَّدْرُ الأَوَّلُ من علماء القرآن من الصحابة وكبار التابعين على بقاء المصاحف مُجَرَّدَةً كما كانت، وأشهر الآثار المنقولة في هذا الصدد ما رُوِيَ عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: «جَرِّدُوا القرآنَ، ولا تَخْلِطُوا به ما ليس منه»، وفي رواية «ولا تَلْبِسُوا بِهِ ما ليس منه»(٣).

ثم خَفَّتِ الكراهةُ، بَعْدَ الصَّدْرِ الأَوَّلِ، وارتفعتِ الخشيةُ، واستقرَّ الأمرُ على جواز ذلك والترخص فيه، قال أبو عمرو الداني: «والناسُ في جميع أمصار المسلمين مِن لَدُنِ التابعين إلى وقتنا هذا على التَّرَخُّصِ في ذلك في الأُمَّهَاتِ وغيرِها، ولا يَرَوْنَ بأساً بِرَسْمِ فواتحِ السورِ وعَدَدِ آيِهَا، ورَسْمِ الخُمُوسِ والعُشُورِ في مواضعها، والخطأُ مُرْتَفِعٌ عن إجماعِهم»(٤).

---

(١) قال أبو حيان في البحر المحيط (٢٢/١): ««قرأتُ القرآن برواية ورش، وهي الرواية التي ننشأ عليها ببلادنا ونتعلمها أولًا في المكتب». وقال في موضع آخر (٢٣/١): «وذلك في قراءة عاصم، وهي القراءة التي ينشأ عليها أهل العراق».

وقال محمد بن محمود السمرقندي (عاش في القرن الثامن) في كتابه المبسوط في القراءات (المقدمة): «ورمزتُ أسماء القراء على طريق الشاطبية، وجعلتُ قراءة عاصم أصلاً بأحد راوييه، لشهرتها، وكتبتها بالسواد وأعربتها به، وأعربت من خالفه بالحمرة ورمزته بها».

(٢) ينظر: الداني: المحكم ص٢، والبيان في عدّ آي القرآن ص١٣٠.

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٣٩٢، وابن أبي داود في كتاب المصاحف ٥١٤/٢–٥١٥، والداني في المحكم ص١٠.

(٤) المقنع ص٣٠٧– ٣٠٨، وينظر: المحكم ص٢–٣، والنووي: التبيان ص١٧٣.

ومما يجب على مَن يتصدى لدراسة المصاحف المخطوطة أن يقف عند العلامات المستعملة في المصحف للدلالة على رؤوس الآيات، والأحزاب والأجزاء، وعلامات الوقوف، ورسم فواتح السور، ولا يتسع المجال في هذا البحث لتتبع تفاصيل هذه الموضوعات في المصاحف المخطوطة، وسوف أكتفي بالإشارة إلى أهم معالم كل موضوع منها.

المطلب الأول: فواتح السور في المصاحف المخطوطة

كانت المصاحف العثمانية الأولى خالية من فواتح السور، ويَفْصِلُ بين السورة والتي تليها فراغ مقدار سطر في الكتابة، كما يظهر ذلك في عدد من المصاحف القديمة (تنظر: الصورة رقم ١ و٢).

ولعل أول ما رُسِمَ بين السورتين في المصحف خط على طول السطر أو خطين، فقد أخرج ابن الضريس في كتابه «فضائل القرآن» عن الحسن البصري أنه كان يقول: «اُكْتُبُوا في أَوَّلِ الإمامِ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ واجْعَلُوا بينَ كُلِّ سورتين خَطّاً»[1].

ونَقَلَ الداني عن عبد الله بن عبد الحكم أن الإمام مالك بن أنس (ت١٧٩هـ): «سُئِلَ عن المصاحفِ يُكْتَبُ فيها خواتم السور، في كُلِّ سورةٍ ما فيها مِن آية؟ فقال: إني أَكْرَهُ ذلك في أُمَّهاتِ المصاحفِ أَنْ يُكْتَبَ فيها شَيْءٌ أو يُشْكَلَ، فأَمَّا ما يَتَعَلَّمُ فيه الغلمانُ مِن المصاحفِ فلا أرى بذلك بأساً.

---

(١) فضائل القرآن ص٤٢.

ثم قال عبد الله بن الحكم: وأخرج إلينا مالكٌ مصحفاً لِجَدِّهِ مُحَلّىً بالفضة، كَتَبَهُ إذْ كَتَبَ عثمانُ المصاحفَ، فرأينا خَوَاتِمَهُ مِن حِبْرٍ، على عَمَلِ السلسلة في طَولِ السطر»[١].

وكَرِهَ عدد من علماء التابعين رسم فواتح السور في المصاحف[٢]، ومع ما أبداه هؤلاء العلماء من الكراهة لرسم فواتح السور، فإنَّ رسم الفواتح في المصاحف استمر وأخذ أشكالاً جديدة فيها كثير من الصنعة والتفنن، على نحو ما نجد ذلك في المصاحف القديمة. ولم يكن الداني مبالغاً حين قال: «والناس في جميع أمصار المسلمين... لا يرون بأساً برسم فواتح السور وعدد آيها...»[٣].

ويمكن أن نميز أربع مراحل لتطور رسم فواتح السور في المصاحف، وهي[٤]:

المرحلة الأولى: مرحلة المصاحف المجردة التي يُتْرَكُ فيها فراغٌ قَدْرَ سَطْرٍ بين السورتين، ولا يُكْتَبُ فيه شَيْءٌ، وهي الصورة التي كانت عليها المصاحف العثمانية الأولى.

المرحلة الثانية: مرحلة الفصل بين السورتين بخط على طول السطر أو خطين يشكلان مستطيلاً ضيقاً بعرض الصفحة، وقد يرسم في داخله خط متعرج فيصير كالسلسلة.

المرحلة الثالثة: مرحلة الشريط المزخرف، وليس في داخله كتابة.

---

(١) **المحكم** ص١٧، والبيان في عدِّ آي القرآن ص١٣٠.

(٢) ينظر: أبو عبيد: **فضائل القرآن** ص٣٩٤، وابن أبي داود: كتاب **المصاحف** ٢/٥١١ – ٥١٤، والداني: **المحكم** ص١٦، والبيان في عد آي القرآن ص١٣١.

(٣) **المقنع** ص٣٠٨

(٤) ينظر: رسم فواتح السور ورؤوس الآي والأجزاء في المصحف الشريف (بحث)، **مجلة والبحوث والدراسات القرآنية**، العدد العاشر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة (ص٥٧ – ١٠٤).

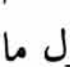
المرحلة الرابعة: مرحلة الشريط المزخرف الذي يكتب بداخله اسم السورة وعدد آياتها، ومكان نزولها أحياناً، وقد تكون الكتابة مجردة من الإطار المزخرف.

المطلب الثاني: علم العدد في المصاحف المخطوطة

عِلْمُ العدد أحد علوم القرآن الكريم، وهو يُعْنَى بإحصاء سور القرآن، وآياته، وكلماته، وحروفه، وتقسيمه على أجزاء أو أحزاب، وأُلِّفَتْ في هذا العلم عشرات الكتب، وخَصَّهُ المؤلفون في علوم القرآن بأبواب وفصول[1].

أولاً: عدد الآيات

لم تكن في المصاحف العثمانية الأُولى علامات تدل على رؤوس الآيات، وأول ما اَسْتُعْمِلَ في المصاحف للدلالة عليها النقاط الثلاث عند رأس الآية[2]، ثم رُسِمَتْ دائرةٌ عند رأس الآية، مزخرفةً أو غيرُ مزخرفة، من غير رقم في داخلها، وظهرت علامات للخموس والعشور، ولم يوضع رقم للآية إلا في العصور المتأخرة.

ومما يجب على من يتصدى لدراسة المصاحف القديمة المخطوطة أن يتنبه إلى علامات الخموس والعشور، التي اسْتُعْمِلَ لها الحروف بحساب الجُمَّل، كما يظهر ذلك جلياً في مصحف ابن البواب (تنظر الصورة رقم ٧) الذي التزم بوضع ثلاث نقاط عند رأس كل آية هكذا ، فإذا بلغت خمساً رسم شبه دائرة مذهبة في داخلها حرف (هـ)، دلالة على عدد الخَمس في حساب الجُمَّل هكذا ، فإذا بلغت الآيات عشراً وضع في داخل الدائرة حرف (ي) الذي يدل على العشرة في حساب الجُمَّل هكذا  ، فإذا انقضت خمس آيات أخرى وَضَعَ علامة الخَمس، فإذا مرَّت

---

(١) تنظر أسماء تلك المؤلفات: الداني: **البيان في عدِّ آي القرآن** (الدراسة) ص٤-٧.

(٢) **فضائل القرآن** ص٣٩٥، وينظر: ابن أبي داود: **كتاب المصاحف** ٥٢٩/٢، والداني: **المحكم** ص١٦-١٧، **والبيان في عدِّ آي القرآن** ص١٣١.

خَمْسٌ أُخرى وَضَعَ في داخل الدائرة حرف (ك) الذي يدل في حساب الجُمَّل على عدد العشرين، وهكذا يستمر وضع العلامات إلى آخر السورة.

والتزم ابن البواب أيضاً بوضع دائرة مزخرفة في حاشية الصحيفة مقابل السطر الذي فيه الدائرة التي تدل على العشور، وكَتَبَ فيها العقود، فمقابل حرف الياء (عشر)، ومقابل الكاف (عشرون)، ثم (ثلاثون)، و(أربعون) وهكذا إلى آخر السورة، هكذا:





وعلى دارس المصاحف المخطوطة أن يكون على علم باختلاف أهل العدد في عد آيات السور، فهناك ستة مذاهب في عد آيات القرآن ذكرها الداني بقوله: «إن الأعداد التي يتداولها الناس بالنقل ويَعُدُّونَ بها في الآفاق قديماً وحديثاً ستة: عدد أهل المدينة الأول، والأخير، وعدد أهل مكة، وعدد أهل الكوفة، وعدد أهل البصرة، وعدد أهل الشام»[1]، وقد يجد الدارس أثر ذلك في المصاحف التي ينظر فيها.

وذلك الاختلاف في عدد آيات السور اختلاف شكلي لا يؤثر على نص القرآن، فآيات سورة الإخلاص مثلاً أربع في عدد المَدَنِيَّيْنِ والكوفي والبصري: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾، وخمس آيات في العددين المكي والشامي، وذلك على هذا النحو: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ (٣) وَلَمْ يُولَدْ (٤) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٥)﴾ والنص واحد في كلا العددين، كما ترى.

ثانياً: الأجزاء والأحزاب

---

(١) البيان ص٦٧.

كان مما اعتنى به علماء القرآن من التابعين إحصاء كلمات القرآن وحروفه وتقسيمه على أجزاء وأحزاب، ويُروَى أن الحجَّاج بن يوسف الثقفي جمع الحفَّاظ والقراء في البصرة، وكان بينهم الحسن البصري، وأبو العالية الرياحي، ونصر بن عاصم الليثي، وعاصم الجحدري، ومالك بن دينار، وطلب منهم أن يَعُدُّوا كلمات القرآن وحروفه، ففعلوا[١].

وكان في كل مصر من الأمصار الخمسة: مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام علماء يُرجع إليهم في عَدِّ آي القرآن وفي تجزئته وتحزيبه[٢]، وظهر من خلال ذلك عِلْمُ العَدَدِ القرآني، وكُتِبَتْ فيه مؤلفات كثيرة[٣].

وعَرَضَ الداني في كتابه «البيان في عدِّ آي القرآن» أجزاء القرآن الكريم، وعَيَّنَ مواضعها من جزءين إلى سبعة وعشرين جزءاً، وذكر أجزاء ثلاثين، وستين، وأجزاء مئة وعشرين[٤]، وبدأت تظهر في المصاحف القديمة إشارات في حواشي المصحف تدل على الأجزاء والأحزاب، كما في مصحف ابن البواب.

والذي اشتهر في تجزئة المصحف هو تجزئته إلى ثلاثين جزءاً، وهو المعمول به في المصاحف التي تُطْبَعُ اليوم، مع تقسيم كل جزء إلى حزبين، فيكون عدد الأحزاب ستين، وتقسيم كل حزب إلى أربعة أرباع، فيكون مجموع الأرباع مئتين

---

(١) ينظر: ابن أبي داود: كتاب المصاحف ٤٦٧/١، والداني: البيان في عد آي القرآن ص٧٤، والسخاوي: جمال القراء ص٢١٥، والزركشي: البرهان ٢٤٩/١–٢٥٠.

(٢) ينظر: الداني: البيان في عدِّ آي القرآن ص٦٧–٧٠.

(٣) ينظر: ابن النديم: الفهرست ص٩٥–٩٦، والداني: البيان في عد آي القرآن (الدراسة) ص٤–٧.

(٤) ينظر: البيان في عدِّ آي القرآن ص٣٠٢–٣٢٠.

وأربعين[١]، لكن المصاحف المخطوطة تعرض أمثلة متعددة للتجزئة والتحزيب، حري بدارس تلك المصاحف أن يتنبه لها.

المطلب الثالث: علامات الوقوف في المصاحف المخطوطة

علم الوقف والابتداء أحد علوم القرآن الكريم، وهو يُعْنَى ببيان مواضع الوقوف في القرآن في أثناء القراءة، ولهذا العلم مؤلفات معروفة، وكان أكثر الأوائل من المؤلفين في هذا العلم يقسمون الوقف على أربعة أقسام: الوقف التام، والكافي، والحسن، والقبيح[٢].

وسلك محمد بن طيفور السجاوندي (ت٥٦٠هـ) مسلكاً آخر في تقسيم الوقوف يعتمد على حكم الوقف من وجوب أو جواز، وجعله خمس مراتب هي: لازم، ومُطْلَق، وجائز، ومُجَوَّز لوجه، ومُرَخَّص ضرورة[٣]، ويمكن إضافة نوع سادس وهو ما لا يجوز الوقف عليه[٤]، واختار لتلك الأقسام رموزاً، وهي: م، ط، ج، ز، ص[٥]، ولغير الجائز (لا).

ولم تظهر علامات الوقف في المصاحف التي ترجع إلى القرون الأولى، فلم تظهر في مصحف جامع الحسين في القاهرة، ولا في مصحف متحف طوب قابي سرايي، وكذلك لم يستعملها المخلصي في مصحفه الذي كتبه سنة ٣٥٣هـ، وابن البواب في مصحفه الذي كتبه في بغداد سنة ٣٩١هـ (تنظر: الصور ١ – ١٠).

---

(١) كتبتُ بحثاً بعنوان «تحزيب القرآن في المصادر والمصاحف» درستُ فيه تجزئة القرآن في أشهر المصاحف المطبوعة، ووازنت ذلك بما ورد في المصادر، وهو منشور في العدد الخامس عشر من مجلة الأحمدية، دبي ١٤٢٤هـ (ص٢٥٣-٢٨٢)، وأعيد نشره في كتاب «أبحاث في علوم القرآن» ص١٢٨ – ١٦٠.

(٢) ينظر: الداني: المكتفى ص١٠٦، والتحديد ص١٧٤، وابن الجزري: النشر ٢٢٦/١.

(٣) ينظر: كتاب الوقف والابتداء ص١٠٤.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص١١٣.

(٥) ينظر: المصدر نفسه، ص١٢٤.

ويصعب تحديد أول من أدخل علامات الوقوف في المصاحف، ويظهر أن تقسيم السجاوندي هو الذي اشتهر في العصور المتأخرة وأُخِذَ به في المصاحف، بإثبات الرموز التي اختارها، وهذا موضوع واسع يحتاج الدارس له النظر في كثير من المصاحف المخطوطة حتى يقول فيه قولاً موثقاً، وهو ما لا يتسع له هذا البحث، وحسبي أني نبهت الدارس إليه.

المبحث الرابع: دراسة الزخارف الفنية في المصاحف المخطوطة

اتفق العلماء على تعظيم المصاحف، واستحباب تحسين كتابتها وتبيينها وإيضاحها(١)، واختلفوا في جواز تزيينها بالذهب والفضة، فذهب كثير منهم إلى جواز ذلك لِمَا فيه من تعظيم المصاحف وزيادة إكرامها(٢). وذكر ابن النديم أن عمر بن عبد العزيز ﵀ رأى ما كتبه خالد بن أبي الهياج من القرآن في قبلة مسجد النبي ﷺ بالذهب، من أول سورة والشمس وضحاها إلى آخر القرآن، فقال له عمر: أُريدُ أن تَكْتُبَ لي مصحفاً على هذا المثال، فكَتَبَ له مصحفاً تَنَوَّقَ فيه، فأقبل عمر يُقَلِّبُهُ ويستحسنه، واستكثر ثَمَنَهُ فَرَدَّهُ إليه!(٣).

ويبدو أن تحريم تصوير ذوات الروح عموماً في الإسلام، سدّاً للذرائع والطرق التي تفضي إلى الوقوع في المحرمات(٤)، جعلت الفنانين المسلمين يتجهون إلى إبراز قدراتهم الفنية في رسم لوحات فنية في المجالات الأخرى، والله سبحانه وتعالى جميل يحب الجمال(٥)، وفي النفس البشرية أثر من ذلك، فهي تعشق

---

(١) ينظر: ابن أبي داود: **كتاب المصاحف** ٥٠٥/٢، والنووي: **التبيان** ص١٧٣.
(٢) ينظر: ابن أبي داود: **كتاب المصاحف** ٥٤٢/٢-٥٤٨، والسيوطي: **الإتقان** ٢٢٥٧/٦.
(٣) **الفهرست** ١٥/١ - ١٦.
(٤) ينظر: محمد بن أحمد علي واصل: **أحكام التصوير في الفقه الإسلامي** ص٦٦٩-٦٧٠.
(٥) ينظر: **صحيح مسلم** ص٦٣ (رقم الحديث١٤٧).

واللطائف والألوان، وتستروح للمنظر المتناسب، والشيء المقدر الموزون(١)، فكان الخط العربي مورداً لإشباع النفس الإيمانية بالمعاني الفنية وضبط أدائها بمقاييس الجمال، وكانت الزخرفة مورداً آخر للجمال في رحاب الحضارة الإسلامية، وتَحَقَّقَ مقدار كبير من التأثير الفني في النفوس من خلال جعل الزخرفة خلفية وإطاراً لخط عربي رفيع المستوى تبدعه أنامل أستاذ متقن لفن الخط(٢).

وقد تحقق ذلك الجمع بين الزخرفة الرائعة والخط الجميل في المصاحف منذ وقت مبكر من تاريخ الإسلام، كما لاحظنا في المصحف الذي كتبه خالد بن أبي الهياج لعمر بن عبد العزيز، فليس هناك أجمل ولا أكمل من أن يُكْتَبَ كلام رب العالمين في المصاحف بأبهى صورةٍ مُحَاطاً بأجمل زينة، ولا يزال هذا الجانب في المصاحف بحاجة إلى دراسات مستفيضة لإبراز ينابيع الجمال الكامنة فيه، ولا يتسع المقام لاستيعاب كل ما يتعلق بذلك في هذا البحث، فهو يحتاج إلى مساحة أوسع، وإلى معرفة أدق بفنون الخط والزخرفة.

وتقدمت الإشارة إلى أهم أنواع الخطوط المستعملة في كتابة المصاحف، ولا يتسع المقام للحديث عن الجانب الفني لتلك الخطوط، إذ إن دراسة خطوط المصاحف في نُسَخِهَا المتعددة، الممتدة عبر الزمان والمكان، تحتاج إلى عناية المتخصصين بفنون الخط العربي، وإلى الوقت الذي يسمح بالنظر في كل نسخة من آلاف المصاحف المخطوطة المحفوظة في مكتبات العالم، ودراسة خطوطها وما يتميز به كل مصحف، لعل الدارسين يتمكنون من خلال ذلك من كتابة تاريخ كامل أو شبه كامل لهذا الجانب الفني من المصاحف المخطوطة.

---

(١) ينظر: محمد أحمد الراشد، آفاق الجمال ص٥.

(٢) ينظر المصدر السابق، ص١٢-١٣.

أما الزخارف المستعملة في تزيين المصاحف فإن الخطاطين استعملوا الأشكال الهندسية والنباتية والألوان في تزيين المصاحف، ويظهر ذلك في لوحات فنية بديعة في أول المصحف وخاتمته، وفي فواتح السور، وأُطُرِ الصفحات، وحاويات علامات رؤوس الآيات والأجزاء والأحزاب ونحوها.

وكانت المصاحف الأولى تقتصر على نص القرآن الكريم، وكانت الكتابة مجردة من العلامات والزيادات التي حصلت في المصاحف في العصور اللاحقة، وكان هناك مَن كره تلك الزيادات من الصحابة والتابعين، لكن الضرورة العملية أوجبت إثبات علامات الحركات ونقاط الإعجام، حتى لا يقع قارئ القرآن في اللحن وهو يقرأ القرآن، وكذلك الرغبة في تيسير القراءة على القارئ أدت إلى إثبات علامات رؤوس الآي والأجزاء ونحوها، ثم إن الشعور بتعظيم القرآن وإكرامه جعل الخطاطين يُجَوِّدُونَ خطوطهم، ويُزَيِّنُونَ المصاحف بتلك اللوحات الفنية البديعة التي تبعث في النفس الشعور بجلال القرآن الكريم، إلى جانب ما تُشِيعُهُ معاني الآيات من رغبة ورهبة، وطمأنينة وإخبات.

وتُقَدِّمُ المصاحف المخطوطة ألواناً من اللوحات الفنية الجميلة، وهي تزداد روعة ودقة وتعقيداً كلما تقدمنا في الزمن، فتكاد مصاحف الجيل الثاني تخلو من تلك الزخارف، سوى ما لاحظناه في مصحف جامع الحسين في القاهرة من شريط مزخرف في فواتح السور، وتزداد مظاهر الزخرفة وتتنوع في مصحف طوب قـابي سرايي، سواء في فواتح السور أو في علامات رؤوس الآيات، وهذه إحدى

فواتح السور فيه، وهي أول سورة فاطر:



وكان ابن البواب أكثر عناية بتزيين مصحفه، سواء من ناحية جمالية الخط، أم من ناحية زخرفة الفواصل وعلامات رؤوس الآيات، ونحوها، إلى جانب اللوحات التي وضعها في أول المصحف، وفي خاتمته. ولم يكن كاتب مصحف إشبيلية أقل عناية بتزيين مصحفه باللوحات المزخرفة في أوله وفي خاتمته.

واستثمر كاتبا المصحفين الزخرفة النباتية والأشكال الهندسية في تزيين فواتح السور، كما يظهر ذلك في الصورتين الآتيتين:



من مصحف ابن البواب



من مصحف إشبيلية

وزاد الخطاطون المتأخرون من عنايتهم بالزخرفة في المصاحف التي يخطونها، لا سيما في فاتحة الكتاب وأول سورة البقرة، وفي خاتمة المصحف، وحظيت أغلفة المصاحف بعناية المزخرفين لتكون بصورة تناسب منزلة ما تضمه ما بين الدفتين من آيات الكتاب الكريم.

المبحث الخامس: موقف الباحثين من دراسة المصاحف المخطوطة

كانت كتابة المصاحف في المجتمعات الإسلامية مستمرة منذ إرسال المصاحف العثمانية إلى الأمصار، حتى زماننا الحاضر، وإن كانت قد خَفَّتْ بعد عصر الطباعة، وكان الخطاط قبل عصر الطباعة يعمل بكل طاقته لإنجاز أكبر عدد من المصاحف المخطوطة، لكنه صار بعد عصر الطباعة يعتني بالمصاحف التي يكتبها، ويكتفي بأقل عدد منها، لأن المصحف الذي يكتبه سَيُقَدَّمُ إلى المطبعة لإنتاج آلاف أو ملايين النسخ منه.

وكانت كتابة المصاحف في العصور السابقة تهدف إلى تحقيق أمرين:

الأول: تعويض النسخ التي تتعرض للتلف من المصاحف، نتيجة قِدَمِهَا ودوام استعمالها، والاستجابة أيضاً للطلب المتزايد لنسخ جديدة من المصاحف.

الثاني: توفير مصاحف تناسب حاجة الناس، زماناً ومكاناً، فتقاليد الكتابة، وعلامات الضبط تغيرت عبر العصور، وكذلك فإن ما يناسب بلداً معيناً من المصاحف قد لا يناسب البلد الآخر، فأهل المغربّ والأندلس كانوا يقرؤون برواية ورش عن نافع، وأهل المشرق يقرؤون برواية حفص عن عاصم، في العصور المتأخرة، ومصاحف هؤلاء لا تناسب مصاحف أولئك، كما أن شكل الخط في المشرق يختلف عن خط أهل المغرب.

وأخرجت تلك الحركة المستمرة لنَسْخ المصاحف مئاتٍ بل آلافاً من المصاحف من الاستعمال، ولم يعد أحد يقرأ بها، وَوُضِعَتْ في الخزائن ورفوف المكتبات، وازدادت تلك النسخ المحالة على التقاعد بعد عصر الطباعة، ولم تحظ بالعناية التي تستحقها، على ما يبدو، وإن كانت تحظى بالتقديس والتبجيل والاحترام.

ونشطت حركة العناية بالمخطوطات العربية في القرنين الماضيين، وكانت المصاحف قد حظيت بتلك العناية، لكن العناية بها انحصرت في حفظها وفهرستها، ولم تحظ بما حظيت به مخطوطات الكتب من الدراسة والتحقيق، إلى عهد قريب، وكانت عناية المستشرقين بدراسة المصاحف المخطوطة أكبر من عناية الباحثين المسلمين، وقد ظهر من بينهم في العقود الأخيرة من أخذ على عاتقه دراسة بعض تلك المصاحف، ونشرها، لكن ما تحتاجه من جهود أكبر بكثير مما هو متحقق في الواقع، وهناك جدل حول فائدة مثل تلك الدراسة، وما يترتب عليها.

وقد ظهرت موجة من النقاش في الأشهر الأخيرة على مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها -بعد الإعلان عن الكشف عن قِدَم صحائف من المصحف في مكتبة جامعة برمنگهام في بريطانيا- حول دراسة المصاحف المخطوطة، ووَضَعَ بعض الباحثين شروطاً لتلك الدراسة، وشَكَّكَ آخرون في فائدتها، وحَذَّرَ بعضهم من مخاطرها، وأظهر ذلك النقاش تبايناً في وجهات النظر، وكشف عن ضعف هذا النوع من الدراسات عندنا.

أعلنت جامعة برمنجهام على موقعها الرسمي بتاريخ ٢٢ تموز ٢٠١٥ عن نتائج الفحص الكربوني المشع (C 14) لواحدة من المخطوطات القرآنية القديمة التي تحتفظ بها مكتبة الجامعة في قسم الشرق الأوسط ضمن أرشيف القس الكلداني ألفونس منجانا (١٨٧٨-١٩٣٧) وهي عبارة عن ورقتين (أربع صفحات) مصنوعة من الرق ومكتوبة بالحبر، تحتوي على أجزاء من سورة الكهف ومريم وطه. وتشكل المخطوطة جزءاً من مجموعة ألفونس منجانا لمخطوطات الشرق الأوسط التي تحتفظ بها مكتبة كادبوري للبحوث تحت كاتلوج (Islamic Arabic 1572a).

وأرجع الفحص الكربوني المشع الذي أُجْرِيَ في جامعة أكسفورد هذه المخطوطة إلى عصر صدر الإسلام، بنسبة دقة تصل إلى ٩٥٪. ويعني ذلك أن الرق الذي كتبت عليه هذه الآيات الكريمة صنع في تلك الفترة، وهناك احتمال كبير أن تكون الكتابة عليه لم تتأخر كثيراً عن تاريخ صنعه.

ولسنا بصدد وصف تلك الصفحات وتحليل مضمونها، ومناقشة ما يتعلق بتأريخ كتابتها، لضيق البحث عن استيعاب ذلك، لكني أقف عند النقاش الذي أُثِيرَ حول قبول نتائج الدراسة المتعلقة حولها، ونتائج التحليل الكربوني لها، أو عدم قبوله، ولدينا وجهتا نظر لاثنين من المتخصصين بالدراسات القرآنية في هذا العصر، وهذا ملخص ما ذهبا إليه:

الأُولَى: جاءت على لسان الدكتور أيمن رشدي سويد، رئيس المجلس العلمي في الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، في تسجيل صوتي، يعلق فيه على خبر الكشف عن تاريخ صحائف جامعة برمنگهام، وذكر في كلمته أن منهج الغربيين في التوثيق يعتمد على القدم فقط، وأن منهج المسلمين يعتمد على النظر في المكتوب من ناحيتين، الأولى: مَن كَتَبَ ذلك المكتوب؟ والثانية: مِن أين كَتَبَ؟ فلا بد أن يكون الكاتب معروفاً بالأمانة والتدين، ولا بد أن يعتمد الكاتب على أصل ينقل منه.

وحذَّر من المسارعة في قبول ما يصدر عن المستشرقين من دراسات تتعلق بالمصاحف القديمة، خاصة إذا جاءت مخالفة لِمَا عند المسلمين من نص القرآن الكريم، وقد يستغلون تلك المخالفات لزعزعة عقيدة المسلمين، والطعن في قواعد الإسلام وثوابت الدين.

الثانية: جاءت في مقالة للدكتور مساعد الطيار الأستاذ في جامعة الملك سعود في الرياض، بعنوان «مقالة في المصاحف المخطوطة» نشرها على موقعه، وفي موقع

ملتقى أهل التفسير، وهو لا يتفق مع ما ذهب إليه الدكتور أيمن، واقْتَرَحَ ضوابط للمصاحف المعتبرة بقوله:

«ليس كل مصحف مخطوط متقدم له فائدة علمية معتبرة، وإن كان يوجد له فوائد فنية يعتبرها أهل الاختصاص بالآثار، وإذا كان ذلك كذلك، فلا بدَّ من مواضعة على المصاحف التي تعتبر في الدراسة، والتي تكون العناية بها أول، وأَقْتَرِحُ ما يأتي:

١) أن يغلب على الظن تقدمه، وبالأخص أن يكون من القرن الأول، ومرجع هذا الباحثون العارفون بنوع المواد المستخدمة في المصحف من الورق والرق والمداد، وكذا نوع الخط الذي قد يشاركهم فيه بعض الذين لهم عناية بتمييز ذلك من المتخصصين بالرسم العثماني.

٢) أن يكون كاتبه ممن عُرِف بالعلم بالرسم والضبط وعلوم الأداء، أو أن يقرأه ويطلع عليه عالم بها.

٣) أن يظهر بعد دراسته وعرضه على كتب الرسم والضبط صحته فيهما».

وقد أثارت كلمة الدكتور أيمن، ومقالة الدكتور مساعد كثيراً من التعليقات المؤيدة والمعارضة، وكلها تأتي في سياق الحرص على صيانة القرآن الكريم من العبث من خلال بعض الدعاوى غير العلمية تتعلق بالصحائف القديمة من القرآن، وهذا موضوع يستحق أن يدرس في بحث مستقل، لكني أردت من خلال ما ذكرته التأكيد على أهمية الموضوع وخطورته.

وألخص وجهة نظري في الموضوع بالقول: إن جميع المصاحف المخطوطة، الكاملة والناقصة، القديمة جداً والمتأخرة، تستحق أن تدرس، للوقوف على طريقة

رسمها، وعلامات ضبطها، وتحديد القراءة التي ضبطت بها، والمذهب المعتمد في عد آيها وتجزئتها وعلامات الوقوف فيها، ونوع خطها، وأشكال زخارفها وتزيينها، مع الاعتراف بوجود تباين في أهميتها من تلك النواحي.

ولا تكفي الجهود الفردية في إيفاء تلك الدراسة حقها، ومن ثم فإن وجود مراكز بحثية متخصصة بالمصاحف المخطوطة، ووجود باحثين متخصصين بدراستها، أمران ضروريان للعناية بالمصاحف المخطوطة، ودراستها، واستخلاص نتائج تلك الدراسة للمساعدة في تدوين تاريخ مسيرة المصحف خلال القرون المتتابعة، وعلاقة ذلك بعلوم القرآن الكريم التي تخدم المصحف الشريف.

إنَّ مِمَّا يُثيرُ الأَسى أن تظل دراسة المصاحف المخطوطة والعناية بها حكراً على مراكز البحث الغربية[1]، وعلى أيدي المستشرقين، وأن يظل أهل القرآن بعيدين عن هذا الميدان، ويشكك بعضهم في جدواه، باعتباره أن رواده من المستشرقين الذين إن تحققت فيهم الأمانة العلمية فإنهم يظلون ينظرون إلى القرآن الكريم باعتباره عملاً بشرياً، فتزيغ لذلك نظرتهم إليه، وتختل لديهم معالجة بعض الجوانب المتعلقة بتاريخ القرآن الكريم وعلومه.

---

(١) هناك مشروع بحثي كبير لدراسة المصاحف يحمل اسم: (كوربوس كورانيكوم) Corpus Coranicum في أكاديمية برلين - براندنبورغ للعلوم الإنسانية، بدأ سنة ٢٠٠٧، وقد يستمر إلى سنة ٢٠٢٥، ويهدف بزعم القائمين عليه إخرج طبعة نقدية للقرآن، من خلال جمع روايات القراءات من الكتب، وموازنتها بما في المصاحف المخطوطة القديمة، واستعمال وسائل تقنية حديثة في تحديد زمن كتابتها، ويشترك فيه عدد كبير من المستشرقين من جامعات ومؤسسات متعددة.

وهذه صحيفة من الأوراق المحفوظة في جامعة برمنگهام:



خاتمة

إن الحديث عن المصاحف المخطوطة أوسع من أن يحاط به في بحث محدود الصفحات، أو أن يَجْمَعَ أطرافه مجلد بمئات الصفحات، إنه عالم رحيب غاب عنه الباحثون، وغفل عنه الدارسون، وحاولت في هذا البحث أن ألفت إليه الأنظار، وأُنَبِّهَ على الجوانب التي يمكن للدارسين أن يقفوا عندها وهم يدرسون المصاحف المخطوطة.

إن آلاف النسخ المخطوطة من المصاحف التي تحتفظ بها مكتبات العالم بحاجة إلى من يعتني بها، وييسر اطلاع الباحثين عليها، ودراستها من ناحية: الخط، والرسم، والضبط، وتحديد القراءة التي كُتِبَتْ بها، وطريقة عد آياتها، وتحزيبها وتجزئتها، وعلامات الوقف فيها، واستجلاء ما فيها من مظاهر الجمال في خطوطها ولوحاتها الزخرفية.

إن ما تحقق من بحوث في هذه المجالات لا يزال محدوداً، وأكثر ما تحقق كان على أيدي المستشرقين، وقد يوجد من الباحثين من لا يزال يشكك في جدوى مثل تلك الدراسات، وحاولت في هذا البحث بيان أهمية الموضوع، والحديث عن جوانب العناية التي تنتظرها المصاحف المخطوطة.

وآمل أن يكون ما قدمته في هذا البحث مفيداً في لفت أنظار المهتمين بالتراث العربي المخطوط بعامة، وكتب علوم القرآن بخاصة، إلى حاجة المصاحف المخطوطة إلى من يعتني بها، ويقوم بدراستها وتحقيقها(١).

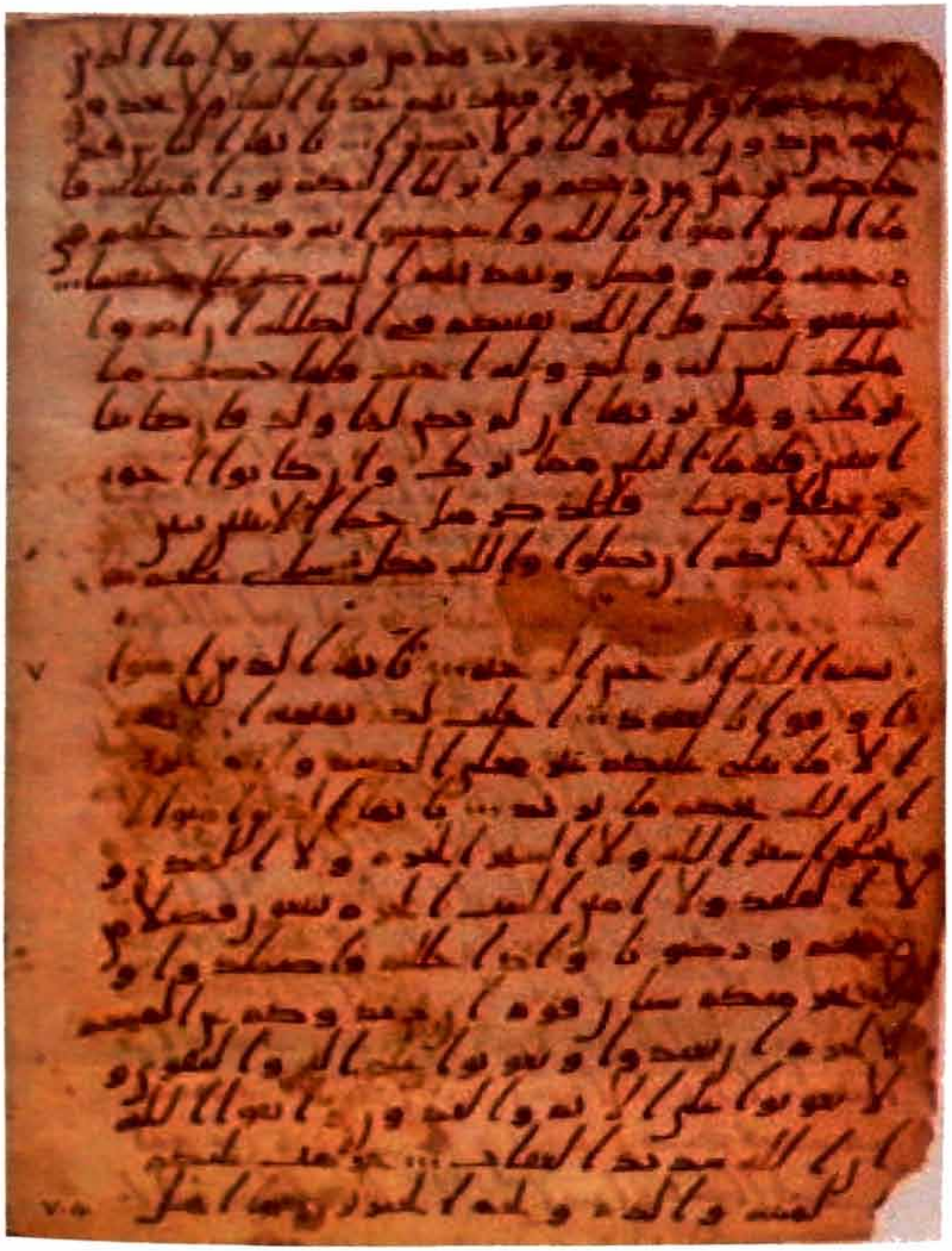
---

(١) إذا كان مصطلح (التحقيق) يصدق على جهود الدارسين في خدمة مخطوطات الكتب وإعدادها للطباعة، فإنه قد لا يكون مناسباً للتعبير عن جوانب العناية بالمصاحف القديمة، لأن نص القرآن محفوظ لا يحتاج إلى جهود الدارسين لإثبات صحته، ومن ثم فإن استعمال كلمة (التحقيق) في دراسة المصاحف المخطوطة وإعدادها للطباعة هو أقرب إلى المجاز منه إلى الحقيقة.

ولا شك في أهمية الجهود الفردية في هذا المجال، لكن سعة الميدان وضخامة العمل تقتضي تضافر الجهود وتعاون المؤسسات التي تهتم بالقرآن الكريم وبالمصاحف المخطوطة، وقد يشجع تأسيس مركز للمصاحف المخطوطة يعتني بجمع مخطوطاتها أو صور منها، وييسر اطلاع الباحثين عليها، ويرعى البحوث المتعلقة بها، على تنشيط الدراسات المتعلقة بالمصاحف المخطوطة.

هذا ما تيسر لي في بحث الموضوع، والله تعالى ولي التوفيق.

ملحق
بالنماذج المصورة من المصاحف المخطوطة



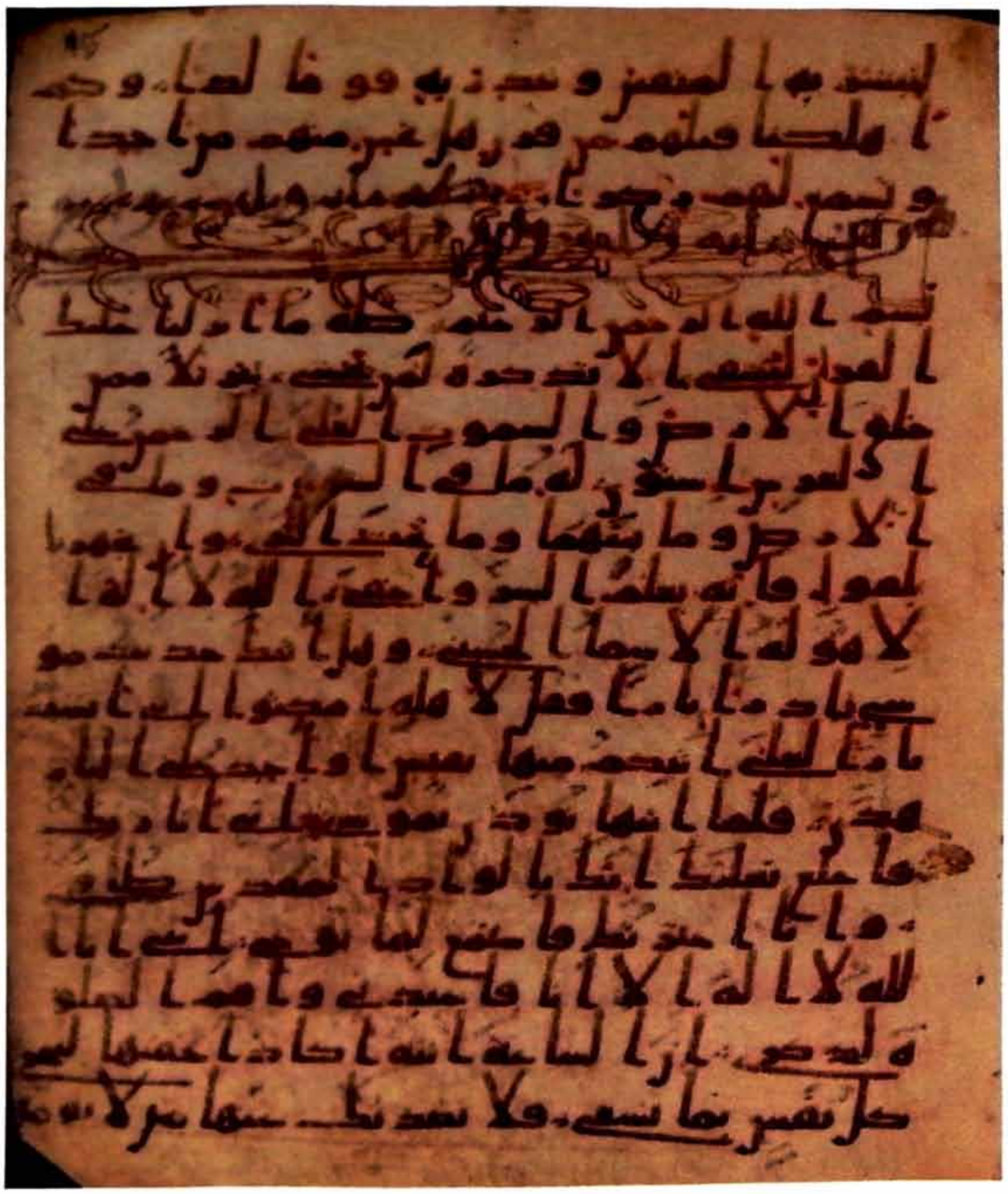
صورة رقم ١
صفحة من مصحف باريس (آخر سورة النساء وأول سورة المائدة)
(المكتبة الوطنية في باريس - رقم ٣٢٨ Arab)



صورة رقم ٢

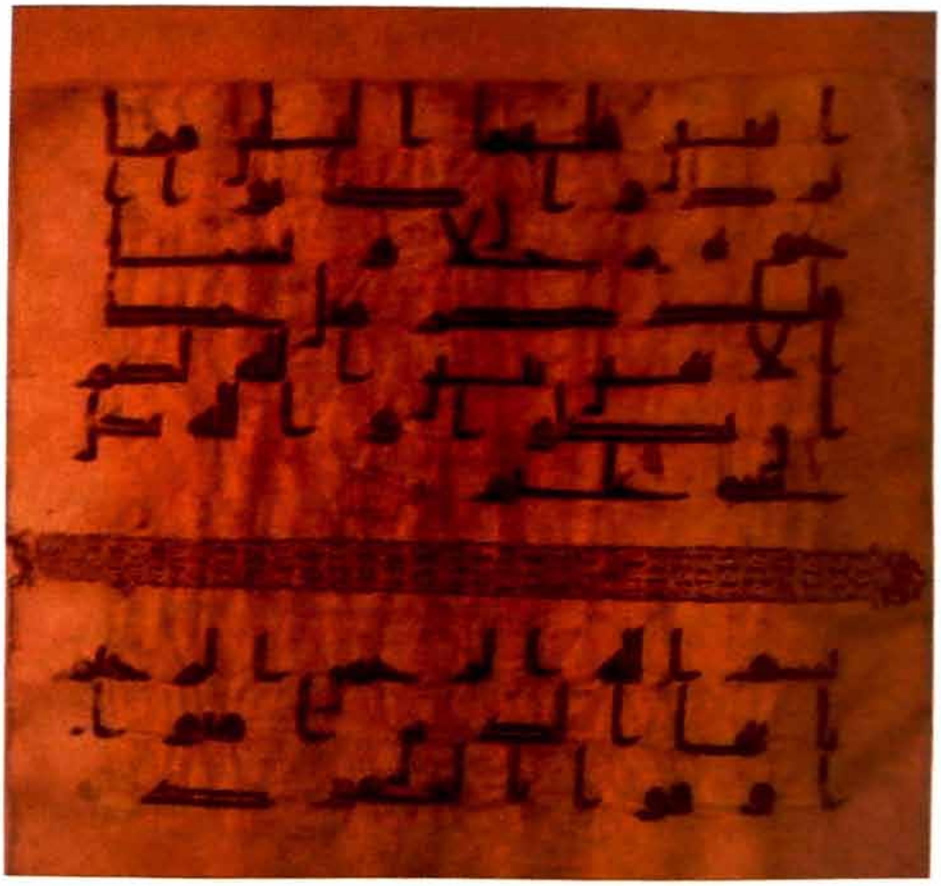
صورة من مصاحف صنعاء (آخر التوبة وأول الأنفال)

(منقولة من: المخطوطات القرآنية في صنعاء، رسالة ماجستير، إعداد رزان غسان حمدون جامعة صنعاء ٢٠٠٤م = ١٤٢٥هـ)



صورة رقم ٣

صفحة من مصحف جامعة توبنجن في ألمانيا (الرقم Ma Vl 165)
(آخر سورة مريم وأول سورة طه)



صورة رقم ٤

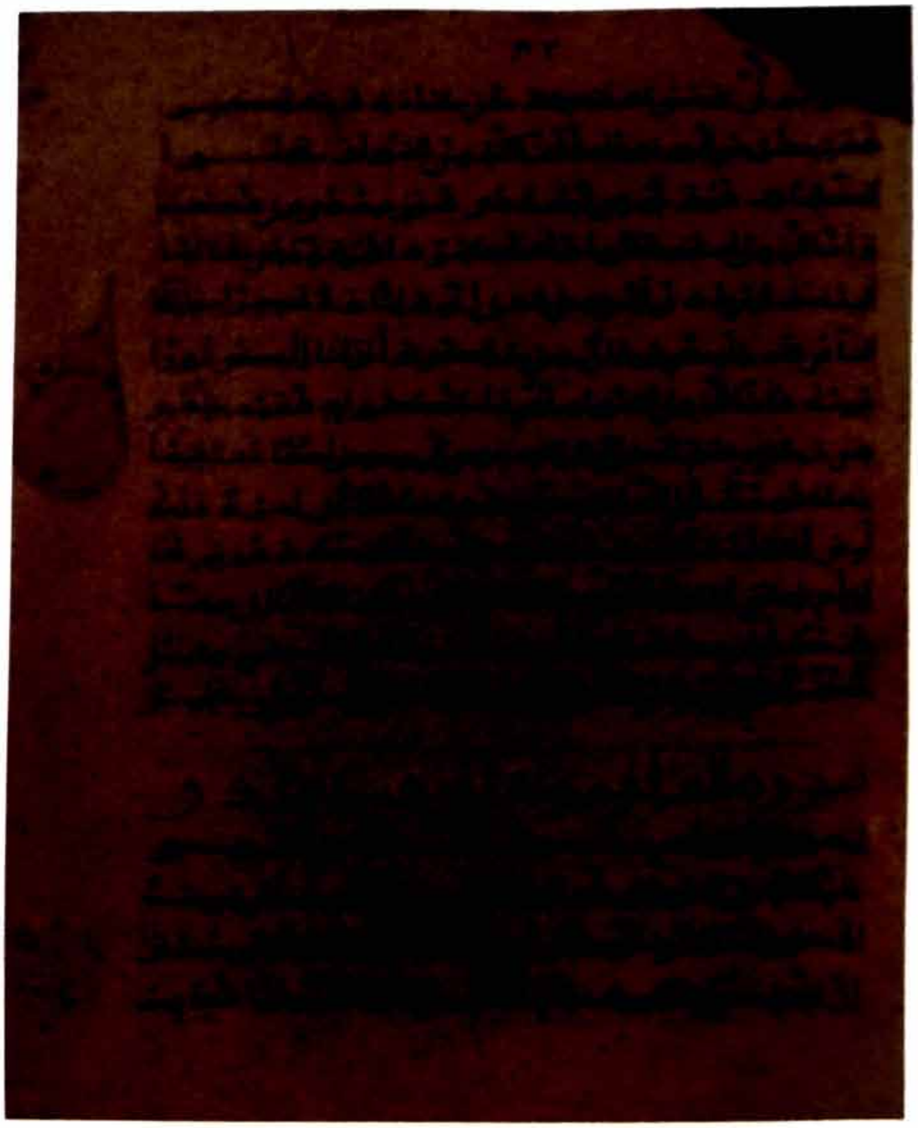
صفحة من مصحف جامع الحسين في القاهرة (آخر النساء وأول المائدة)
(دراسة وتحقيق الأستاذ الدكتور طيار آلتي قولاج، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)



صورة رقم ٥

مصحف طوب قابي بإستانبول (آخر النساء وأول المائدة)

(دراسة وتحقيق الأستاذ الدكتور طيار آلتي قولاج، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)



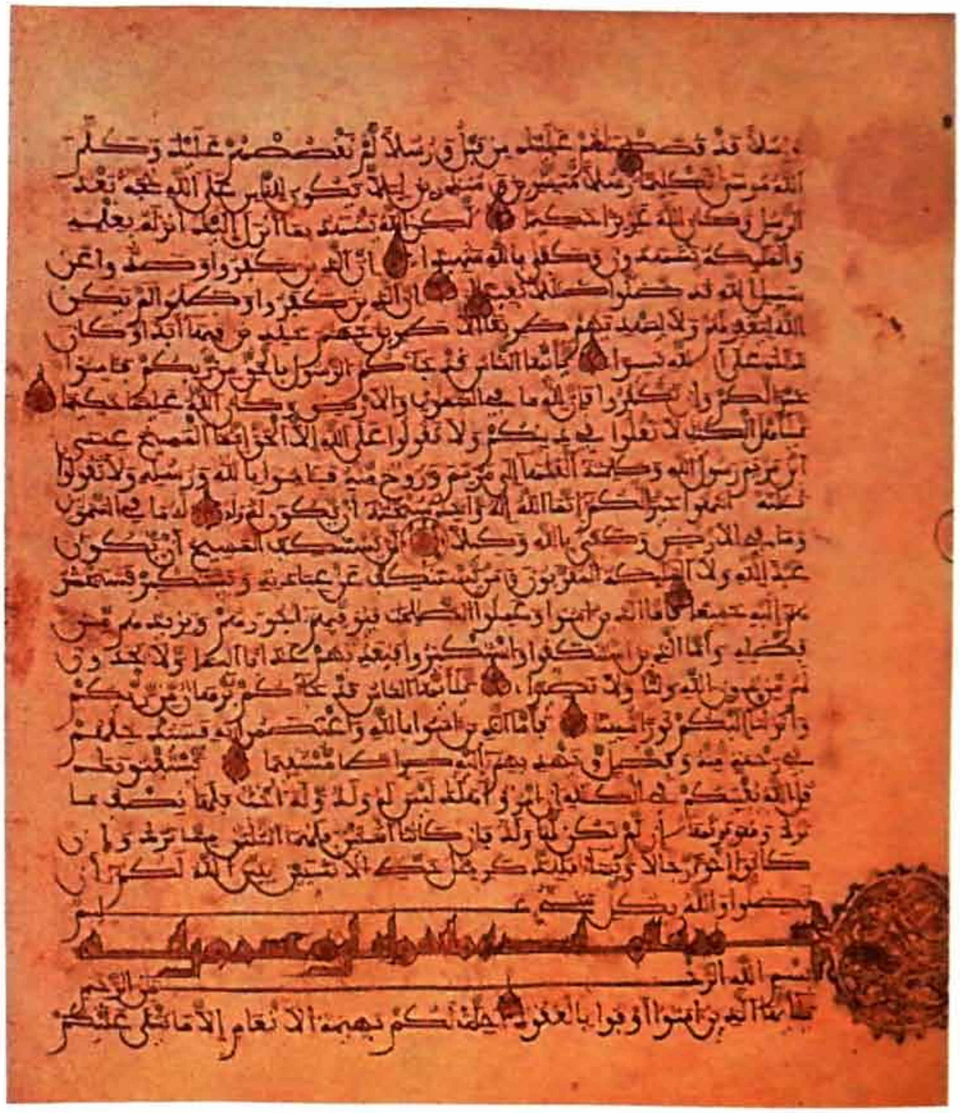
صورة رقم ٦

من مصحف المخلصي (سنة ٣٥٣هـ) (آخر سورة النساء وأول سورة المائدة)
(نسخة مخطوطة، محفوظة في مكتبة مجلس الشورى، طهران)



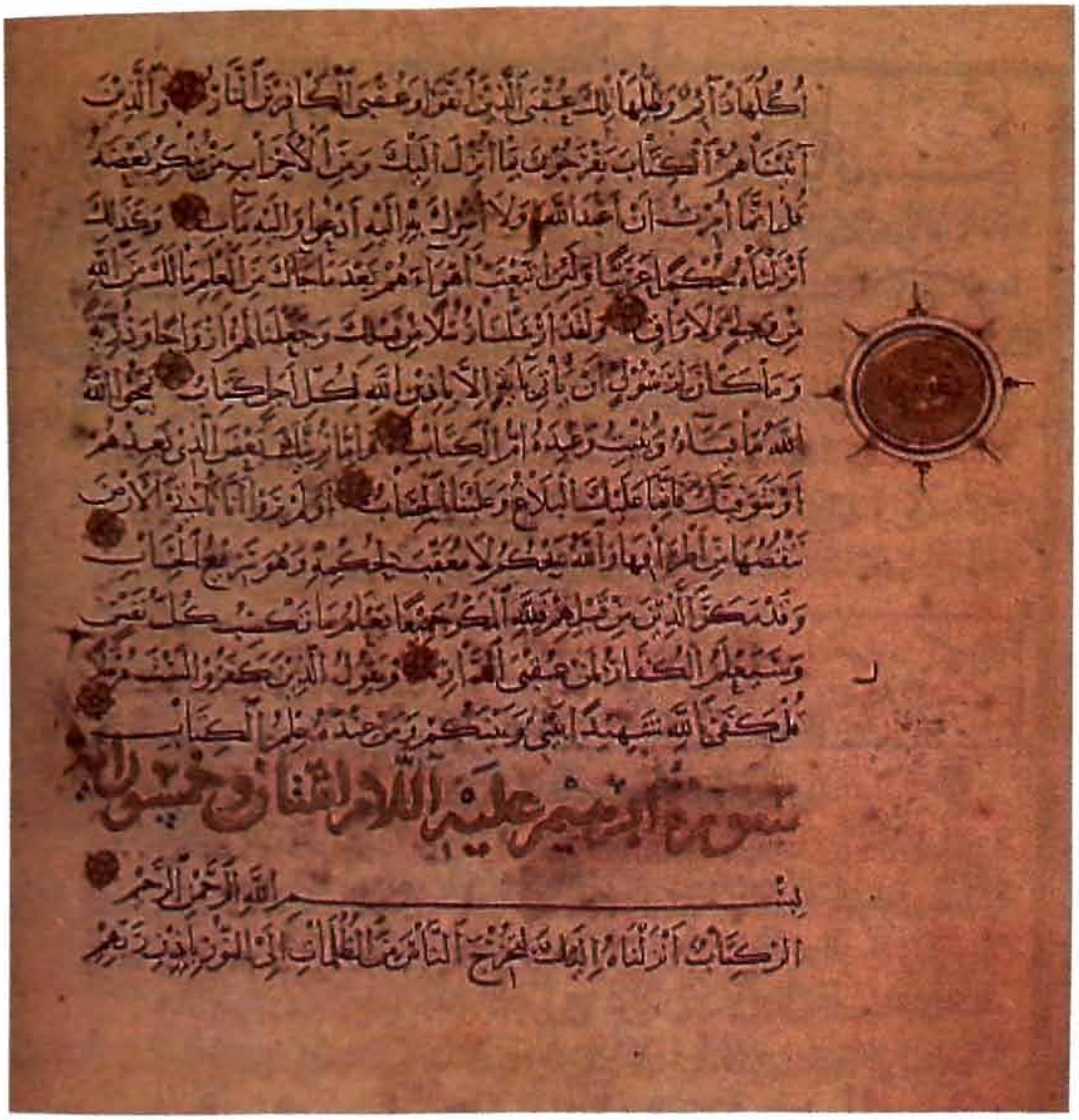
صورة رقم ٧

من مصحف ابن البواب (سنة ٣٩١هـ) (سورة الفاتحة وأول سورة البقرة)
(محفوظ في مكتبة چستربتي، رقم (ك / ١٦)، طبعة مصورة مع دراسة للمستشرق (دي.
إس. رايس)، جنيف ١٩٨٠م، ترجم الدراسة أحمد الأرفلي،
توزيع الشركة الشرقية للنشر والتوزيع، بيروت)



صورة رقم ٨

من مصحف إشبيلية (سنة ٦٢٤هـ) (آخر سورة النساء وأول سورة المائدة)
مكتبة ميونخ في ألمانيا (الرقم Cod.arab.1)



صورة رقم ٩

صفحة من مصحف بخط ياقوت المستعصمي المتوفى سنة ٦٨٨هـ
آخر سورة الرعد وأول سورة إبراهيم
(الرقم Arabe 6716)


وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا
فرهن مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة
ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا
ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير
آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين
أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير لا يكلف الله نفسا إلا
وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته
على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين
سورة آل عمران مائتا آية مدنية
بسم الله الرحمن الرحيم
الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة
والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله
عزيز ذو انتقام إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء هو الذي يصوركم في
الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات
هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء
تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون

صورة رقم ١٠

من مصحف الحلبي (سنة ٧٩٠هـ) (آخر سورة البقرة وأول سورة آل عمران)
(مكتبة ميونخ الرقم Cod.arab.1113)

في تحقيق النسبة
تفسير الطبراني المزعوم نموذجًا

أ.د. بشار عواد معروف[١]

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا وإمامنا وقدوتنا محمد خير البرية أجمعين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته أجمعين، وبعد:

فإن من ضرورات تحقيق النصوص في العلوم جميعًا إثبات نسبة النص إلى مؤلفه، باتباع الأساليب العلمية، ومنها: أن ينص العلماء على نسبة النص إليه، ومنها مقابلة الناقلين عنه بالنص الذي يراد إثبات نسبته مع التصريح باسمه أو باسم الكتاب المنقول منه، ومنها: معرفة موارد النص واتفاقها مع الزمن الذي عاشه المؤلف، ومنها: ظهور ذاتية المؤلف في النص من مثل أن يذكر بعض أقربائه أو شيوخه أو أصحابه، أو يذكر بعض مؤلفاته الأخرى، فضلًا عن دراسة منهجه مقابلًا بمنهجه في مؤلفاته الأخرى، والعناية باستعمالاته اللغوية وأسلوبه الأدبي، وما إلى ذلك من الأمور الدالة على صحة النسبة.

---

(١) العالم الخبير في علم المخطوطات ومستشار سمو الأمير علي بن نايف، والمسؤول بمركز التوثيق الملكي الأردني الهاشمي.

وقد جَرّبنا الوقوف على عدد لا يستهان به من النصوص نُسبت إلى غير مؤلفيها، كشف البحثُ العلمي الرصين والخبرةُ العميقة الشاملة عن مؤلفيها الأصليين، أو دفع صحة النسبة التي ألزقت بها زورًا.

ولا شك أن انتحال المؤلفات أو نسبتها إلى غير مؤلفيها له دوافع متباينة، لعل من أبرزها الترويج للكتاب عند نسبته إلى مؤلف مشهور، أو السرقة الهادفة إلى ادعاء العلم والمعرفة، ونحو ذلك.

وفي سنة ٢٠٠٨م صدر تفسير في ستة مجلدات عن دار الكتاب الثقافي في الأردن بعنوان **«التفسير الكبير، تفسير القرآن العظيم، للإمام الطبراني»** كتب على غلافه أنه من (تحقيق) هشام البدراني، والمقصود أنه من تأليف أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ) صاحب **«المعجم الكبير»** و**«المعجم الأوسط»** و**«المعجم الصغير»** و**«الدعاء»** و**«مسند الشاميين»** وغيرها من كتب الحديث التي اعتنى بها خاصة صديقنا الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي الأنكصوري يرحمه الله تعالى، وغيره.

وقد تبين لنا بعد الدراسة المستفيضة أن هذا التفسير لا يمكن أن يكون لأبي القاسم الطبراني وإنما هو تفسير لأحد الحنفية المتأخرين.

وقد نُشِرَ الكتاب على نسخة فريدة موجودة في المكتبة الوطنية في ستراسبورغ في فرنسا، انتهي من نسخها يوم الثلاثاء بافتتاح شهر رجب الفرد سنة ٩٦٤هـ ورَقَّمَ أحدهم اسم الناسخ، كما يظهر في الورقة الأخيرة من الكتاب.

وأقام المحقق دعواه استنادًا إلى ما جاء بخط أحد الجهلاء ينسب هذا الكتاب إلى الطبراني، بخط قريب من الخطوط الحديثة، خارج النص؛ إما في حواشي النسخة أو في ورقة مستقلة، وهو خط ركيك لا يشبه بأي حال خط ناسخ الكتاب، وهو أمر يدركه كل من له أدنى معرفة بالخطوط مع زعم المحقق أن هذه النسبة بخط الناسخ،

ولا يصح هذا الادعاء البتة، ويدرك هذا من يتطلع إلى الصور المنشورة في آخر هذا البحث.

وصاحب هذا التفسير حنفي المذهب، وقد فَسّر جميع آيات الأحكام الواردة فيه تفسيرًا يتناغم مع المذهب الحنفي، فهو يسير في تفسيره على منهج أسلافه من علماء الحنفية، والمعروف عن أبي القاسم الطبراني أنه حنبلي المذهب، وقد ذكره المؤلفون لتراجم الحنابلة في كتبهم، ومنهم ابن أبي يعلى (ت٥٢٦هـ)، قال:

«سليمان بن أحمد بن أيوب بن مُطَير اللخمي الطبراني، أبو القاسم بن أبي ذر. وافَى أصبهان وسكن بها، سمع جماعة من أصحاب إمامنا: أبا زرعة الدمشقي وعبد الله بن أحمد... مولده بعكا سنة ستين ومئتين ومات بأصبهان سنة ستين وثلاث مئة، ودفن بباب مدينة أصبهان عند قبر حممة الدوسي صاحب رسول الله ﷺ في تربة واحدة... قال الطبراني: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقول: قال الشافعي: يا أبا عبد الله إذا صح الحديث عندكم عن رسول الله ﷺ فأخبرونا نرجع إليه. وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن علي الأبار، قال: سمعت محمد بن يحيى النيسابوري حين بلغه وفاة أحمد بن حنبل يقول: ينبغي لأهل كل دار ببغداد أن يقيموا على أحمد بن حنبل النياحة في دورهم»(١).

ولأجل أن يتناغم موضوع الكتاب مع النسبة التي أصر عليها (محققه) الجاهل اللجوج ادعى أنَّ أبا القاسم الطبراني كان حنيفًا، وقال:

«ربما يقع البعض في الخطأ عندما يقيسون الأمور قياسًا عامًا، وينظرون إلى كل محدِّث على أنه حنبلي المذهب، ومن ذلك نظرتهم لمذهب الإمام الطبراني رضي الله عنه، حيث نجد أن البعض يدرجه في تراجم الحنابلة وطبقاتهم، فنقف عند هذا الملحظ لنصحح الرأي فيه، مع أن الأمر سيان، حيث إنه لا يؤثر مذهب الفقيه أو المفسر أو المحدِّث

---

(١) طبقات الحنابلة ٤٩/٢ – ٥١.

في التعامل مع فكره في الرأي والفقه، ولكن للضرورة العلمية ومن خلال دراستنا لكتابه التفسير الكبير، نجد أن الإمام الطبراني حنفي المذهب، متوازن الرأي منصف للآخر، بل إن الإمام الطبراني فضلًا عن وضوح آرائه في الاتجاه الحنفي، فإنه من الناحية التاريخية لم يكن حنبليًا أيضًا»، ثم دلل على حنفيته بما يأتي:

١ ـ أنه قضى أكثر من نصف حياته في أصفهان.

٢ ـ أن مذهب أهل أصفهان بين الشافعية والحنفية، ويتولى زعامة الشافعية فيها أسرة الجنديين وزعامة الأحناف أسرة الصاعديين، واستمر الأمر على هذا سوى ما كان من ظهور الشيعة والزيدية بين الفينة والفينة.

٣ ـ لم يغير أهل أصفهان مذهبهم حتى زمن الشاه إسماعيل.

٤ ـ انسجم الإمام الطبراني مع مناخ أصفهان الفكري والفقهي.

٥ ـ أن الطبراني لم يصرح بمذهبه الفقهي كغيره من علماء زمانه إلا للضرورة البحثية كما في التفسير... وأنه تبنى مذهب الأحناف على ما يترجح عنده بالدليل حيث لا نجده يتعصب لرأي بل يسلك منهج العلماء في تبنيه المذهب والجواب على مسائل الشافعية، وهو ما نجده واضحًا في تفسيره عند التعامل مع الرأي الآخر بهدوء وموضوعية. ثم ختم بحثه الغريب هذا بقوله: «وعلى هذا فإن الإمام الطبراني حنفي المذهب من أهل السنة والجماعة محدث بارع ومفسر»[(١)].

فانظر إلى هذا البناء الغريب القائم على أدلة من هذا الكتاب الحنفي ليثبت أن الطبراني كان حنفيًا، ولم يسأل نفسه كيف ألف هذا الحنفي كتابًا في «السُّنّة»، وكيف ألّف هذا الحنفي كتابًا في مناقب الإمام أحمد بن حنبل[(٢)]، ولم يسأل نفسه:

---

(١) مقدمة التفسير ١/٨٥–٨٨.

(٢) ذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٦/١٢٨.

إذا كان الرجل حنفياً وعلى هذا القدر العظيم من العلم: لِمَ لم يترجم له أحد ممن كتب في تراجم الحنفية، مثل القرشي في «الجواهر المضيئة»، والتميمي في «الطبقات السنية» واللكنوي في «الفوائد البهية»، وطاش كبري زادة وعلي القاري وغيرهم، وقد ذكروا مَن له أدنى صلة بالأحناف من المحدثين والفقهاء وغيرهم، مع كونه من العلماء المعمَّرين المشهورين الذين يتفاخر بهم أصحاب كل مذهب فينسبونه إليهم. ثم كيف جَوّز لنفسه أن يبني كل هذه الادعاءات على كتاب واحد من كتب الطبراني ـ إن صح أنه له ـ ولا يجد دليلًا واحدًا في كتبه الأخرى، ولم يسأل نفسه أين نذهب بكتبه الأخرى التي تظهر فيها رواياته واضحة وضوح الشمس في رائعة النهار مؤيدة لما ذهب إليه أهل الحديث والحنابلة في مسائل العقائد مما لا يحده حصر؟!

في المنهج

من المعروف أن أبا القاسم الطبراني كان من كبار المحدثين الملتزمين بذكر الأحاديث والأخبار بأسانيده، وهو أمر ظاهر في جميع كتبه التي وصلت إلينا ومنها معاجمه الثلاثة: الكبير والأوسط والصغير و«مسند الشاميين» و«الأحاديث الطوال» و«الدعاء» ونحوها، ولم يُعرف عنه أي كتاب خالف فيه هذا المنهج، فلماذا يخالف منهجه في هذا الكتاب فيذكر الأحاديث بغير إسناد. يضاف إلى ذلك أننا لم نجد محدثًا مرموقًا قد ألف تفسيرًا بغير إسناد، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة ٢١١هـ، والطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ، وابن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٧هـ، وابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ، والسيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، وكتبهم مطبوعة منتشرة مشهورة، فلماذا يشذ الطبراني عنهم فيورد الأحاديث من غير إسناد أو تعليق وفيها عشرات الأحاديث التالفة والموضوعة؟!

والأعجب من ذلك هو قول (المحقق):

«وربما يفاجأ القارئ المطّلع ويتعجب متسائلًا عن سببِ تأخير ظهور هذا التفسير، وبخاصة أن الإمامَ الطبراني يسلكُ فيه منهج المفسّرين ويسيرُ بطرائقهم وفقَ قواعد علم التفسير وأصوله، وهو العالِم المحدِّث الحافظ ليراهُ على غيرِ المعهود الذهنيّ الذي يرسمه النابهُ للمحدِّث؛ حيث صورته في التعامل مع النصِّ القرآني، ليس كما هو معروفٌ من أسلوبِ المحدِّثين حين النظرِ في موضوع الآيات وإسناد أسبابِ النزول أو ما يتعلق بدلالةِ الآية في المجال الحديثيّ.

نجدُ الإمامَ الطبرانيَّ في منهجه يسيرُ على أصولِ علم التفسير منضبطًا بقواعده مُتعاملًا مع النصِّ بالبيان من السُّنة، والتعريفِ بدلالة ألفاظ النص على معهودِ لسانِ العرب أو مفردات لُغتهم بأسلوبِ المفكّر المفسّر غير المتأثّر بأساليب أهل الحديث من الوقوف عند ظاهر النص، أو أساليب أهل الكلام من التعامل الجدلي مع الرأي الآخر»(١).

فهذا الكلام يُخرج أبا القاسم الطبراني من زمرة أهل الحديث، وهو الذي ألّف جميع كتبه قاطبة على منهج أهل الحديث، وهو كلام يشعر أن أصول علم التفسير لا تقوم على أساليب المحدثين من ذكر الإسناد والعناية بأسباب نزول الآيات ودلالاتها، وهذا يدل بلا شك على جهل مدقع، نسأل الله السلامة منه.

وإذا كنّا نعلم علم اليقين أن الطبراني محدث مكثر استعمل الإسناد في جميع مؤلفاته، فلماذا يقتصر في هذا التفسير على المتون حسب، وهل يوجد كتاب واحد ساق فيه الطبراني أحاديثه بهذه الطريقة؟

هذا فضلًا عن أنه استوعب في كتبه الحديثية جل الأحاديث التي رواها بإسناده، ونقلها عنه العلماء منذ زمنه وهلم جرًا وزخرت بها كتب أهل الحديث في شتى المجالات، وفي هذا التفسير أحاديث كثيرة جدًا لا تُعرف من رواية الطبراني،

---

(١) مقدمة التفسير ١/٨٨-٨٩.

ولم يشر أحد ممن جاء بعده أن الطبراني رواها، ولا سيما تلك الأحاديث التي ساقها الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧هـ في تفسيره ونقلها صاحب هذا التفسير عنه كما سيأتي بيانه لاحقًا، فضلًا عن بعض المخالفات الظاهرة في نسبة الحديث بين صحابي وآخر، مما حيّر (المحقق) فاضطر إلى تغيير النص ليتسق مع مراده فقد جاء في ج١ ص٣٠٦ ما يأتي:

«وعن واثلة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُنزِلَتْ صُحُفُ إبراهيمَ في ثلاثِ ليالٍ مَضَيْنَ من شَهْرِ رمضانَ، وأُنزِلَتِ التَّوراةُ في ستِّ ليالٍ مَضَيْنَ من شَهْرِ رمضانَ، وأُنزِلَ الإنجيلُ في ثلاثِ عَشْرَةَ مَضَيْنَ من رمضانَ، وأُنزِلَ الزَّبورُ في ثماني عَشْرةَ ليلةً مَضَتْ من رمضانَ، وأُنزِلَ الفُرقانُ على محمدٍ ﷺ في الرّابعةِ والعِشْرينَ من شَهْرِ رمضانَ**». وروي أن التوراةَ أُنزِلَت في اثنتي عشرةَ ليلةً خلت من رمضان، والإنجيلَ في ثماني عشرةَ من رمضان».

ثم علق عليها (المحقق) فقال:

«أخرجه الطبراني في **المعجم الكبير** ٦٢/٢٢: الحديث (١٥٨). والإمام أحمد في **المسند** ١٠٧/٤. وفي **مجمع الزوائد** ١٩٧/١: باب التاريخ؛ قال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني في **الكبير والأوسط**، وفيه عمران بن داود (كذا والصواب: داور) القطان، ضعفه يحي، ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقية رجاله رجال ثقات». **وفي المخطوط ساق الحديث عن أبي ذر، والصحيح عن واثلة. والله أعلم**».

هكذا يكون التحقيق والتدقيق، يُغيّر النص المخطوط بناءً على أن هذا الكتاب للطبراني، فكيف يأتي عند الطبراني ما يخالفه؟! وأزيده علمًا بأن الطبراني قال في **المعجم الأوسط** (٣٧٥٢) بعد أن رواه من طريق عمران بن داور القطان، عن

قتادة، عن أبي المليح، عن واثلة بن الأسقع: «لم يرو هذا الحديث عن قتادة إلا عمران القطان، ولا يروى عن رسول الله ﷺ إلا بهذا الإسناد».

(والمحقق المدقق الجهبذ) لا يريد أن يعترف بأن هذا النص منقول حرفيًا من كتاب الثعلبي (ت٤٢٧هـ) «**الكشف والبيان**»، قال الثعلبي: «شهاب بن طارق، عن أبي ذر الغفاري، عن النبي ﷺ، قال: «**أُنزِلَتْ صُحُفُ إبراهيمَ في ثلاثِ ليالٍ مَضَيْنَ من رمضانَ...**» الحديث[1]. وهذا ديدن مؤلف هذا التفسير في النقل من الثعلبي كما سيأتي بيانه بعد قليل.

النسخة الفريدة

أقر (المحقق) بأنه أقام تحقيقه على نسخة فريدة كتبت في القرن العاشر الهجري وأنه بذل الوسع ليقف على نسخة أخرى فلم يوفق.

ومن المعلوم في علم تحقيق المخطوطات أنه حينما تتوفر نسخة فريدة من أي مخطوط فلا بد عندئذٍ من البحث عن كل ما يعزز صحة نسبة النص إلى مؤلفه ويثبت صحته. ومن أكثر هذه الطرائق أهمية: البحث عن مناجم الكتّاب، وهي الموارد التي نقل منها المؤلف، ثم الموارد التي نقلت عنه ممن جاء بعده، فتقابل النقول مع النص فضلًا عن طرائق أخرى نوّهنا إلى بعضها في أول هذا البحث.

وعلى العكس من ذلك وجدنا صاحب هذا التفسير ينقل تصريحًا من مصادر توفي أصحابها بعده بزمن بعيد، مثل تفسير الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧هـ، وبدلًا من أن يستدل المحقق بهذه النصوص الصريحة في النقل عن هذا المصدر فإنه حذف من النص جميع التصريحات بالنقل عنه ليستقيم له الأمر وبحجة واهية مفادها أن هذا ليس من النص وأن الناسخ أدرجه فيه، بل ذهب إلى أبعد من ذلك فزعم أن الثعلبي

---

(١) تفسير الثعلبي: **الكشف والبيان** ٢/٦٨.

هو الذي ينقل عن الطبراني، وكلها دعاوى بلا دليل، وعمل يرفضه البحث العلمي السليم والتحقيق الدقيق، وإليك دلالات ذلك:

١ ـ إن الثعلبي ـ وكتابه مطبوع منتشر مشهور ـ لم يشر في موضع واحد من كتابه أنه ينقل من الطبراني، وكثير من النصوص الموجودة في هذا التفسير لم تأت إلا عنده، فكيف يُعدل إلى عكس الموضوع فيقال: إنه نقل من الطبراني أو أن الناسخ أدرج كلامه من غير تصريح ولا دليل.

٢ ـ لو كان النقل عن هذا الكتاب في حاشية النسخة لهان الأمر، أما أن ينقل عنه في المتن، ثم يحذف التصريح بحجة الإدراج فهذا أمر لم نعهده لا في التحقيق الجيد ولا في الرديء، وهو تلاعب بالنص، يقول (المحقق):

«يلاحظ أن هذه النقولات ليست بنقولات، وإنما هي ذكر عبارة واضحة تخالف منهج المفسر، فيدرجها الناسخ بقوله: (كذا في تفسير الثعلبي) أو (كذا قال عبد الصمد) أو (كذا في الصحيحين). فهي في تقديرنا إدراج من الناسخ وليس من المؤلف.

ثم إن هذا الاستدراك من الناسخ يأتي دائمًا في نهاية عبارة المصنف وبعد إتمام فكرته وانتهائه منها. ثم يذكر العبارة على سبيل الحكاية، لا على سبيل الرواية أو الإسناد. والإدراج فيها واضح. وحقيقة في البدء اضطرب عندي الأمر وأنا أنظر في هذه العبارة المقحمة، ثم وجدت بعد أن اعتدتُ على أسلوبِ المصنف ﵁، أن هذه العبارات مقحمة من الناسخ، وهذا يردُ عند النسّاخ فعله وهو لا يخفى بعد التأمل.

بل ربما لا يخفى على الناظر، أن الإمام أبي (كذا) إسحاق الثعلبي أنه ينقل من تفسير الإمام الطبراني، أو من تفسير مَن نقل عنه، حتى أنه يكاد يأتي بالعبارة نفسها،

أو بالآثار ونصوص الأحاديث ذاكرًا الإسناد، وكل من أتى بعد الثعلبي كان يشير إلى تفسير الثعلبي حين ينقل عنه بقولهم: (قال الثعلبي) كما هو معروف في كتب التفسير كالجامع لأحكام القرآن وغيره على سبيل الرواية والإسناد إليه، لا على سبيل الحكاية والمثال أنه كذا في تفسير الثعلبي أو غيره من كتب التفسير، وهذا مما ينبغي ملاحظته عند المحقق أو التحقيق»[١].

والحق أن المصدر الرئيس لهذا التفسير هو الثعلبي، فجل ما جاء فيه منقول منه بالحرف، لكن (المحقق) حذف جميع النصوص الدالة على ذلك بحجة الإدراج، وأشار في مواضع إلى بعضها منها ما نقله صاحب التفسير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، قال:

«يعني آدم وذريته. واختلفوا في معنى الخليفة، فروي: أن رجلًا سأل طلحة والزبير وكعبًا وسلمان: ما الخليفة؛ وما الملكُ؟ فقال طلحة والزبير: «ما ندري» وقال سلمان: «الخليفة: هو الذي يعدل في رعيته ويقسم بينهم بالسوية ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله والوالد على ولده؛ ويقضي بكتاب الله تعالى». فقال كعب: «ما كنت أحسب أن أحدًا يفرق الخليفة من الملك غيري؛ ولكن الله ملأ سلمانَ علمًا وحلمًا وعدلًا».

وروي أن عمر ﷺ قال لسلمان: أملكٌ أنا أم خليفة؟ قال سلمان: «إن أنتَ جَبَيْتَ أرضَ المسلمين درهمًا أو أكثر أو أقل؛ ووضعته في غير حقِّه!! فأنتَ ملكٌ. وإنْ أنتَ فعلتَ بالعدل والإنصاف فأنتَ خليفة» فاستغفر عمر ﷺ.

---

(١) مقدمة التفسير ٨٣/١.

وروي أن معاوية كان يقول إذا جلس على المنبر: يا أيها الناسُ إنَّ الخلافةَ ليست بجمع المال ولا تفريقه، ولكنَّ الخلافةَ العمل بالحق، والحكمُ بالعدل، وأخذُ الناس بأمر الله عز وجل. كذا في تفسير الثعلبي رضي الله عنهما»[١].

ومن أجل أن يتسق الأمر (للمحقق) حذف قوله: «كذا في تفسير الثعلبي رضي الله عنهما»، بل قال في تعليقه: «وذكر - يعني الثعلبي - ما ذكره الطبراني بلفظ قريب»، فعكس الأمر، مع أن الثعلبي لم يذكر في هذا الموضع ولا في غيره أنه ينقل عن الطبراني، وهذا نص ما ذكره الثعلبي:

«قيل: سأل أمير المؤمنين الخطاب[٢] طلحة والزبير وكعبًا وسلمان: ما الخليفة من الملك؟ فقال طلحة والزبير: ما ندري. فقال سلمان: الخليفة الذي يعدل في الرعية ويقسم بينهم بالسوية ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله، ويقضي بكتاب الله، فقال كعب: ما كنت أحسب أن في المجلس أحدًا يعرف الخليفة من الملك غيري، ولكن الله عز وجل ملأ سلمان حكمًا وعلمًا وعدلًا.

وروى زاذان عن سلمان: أنَّ عمر قال له: أملكٌ أنا أم خليفة؟ فقال سلمان: إن أنتَ جبيتَ من أرض المسلمين درهمًا أو أقل أو أكثر ووضعته في غير حقه فأنتَ ملكٌ [وإن أنتَ فعلتَ بالعدل والإنصاف فأنتَ خليفة][٣] فاستعبر[٤] عمر رضي الله عنه.

وعن يونس أن معاوية كان يقول إذا جلس على المنبر: أيها الناس إن الخلافة ليست لجمع المال ولا تفريقه، ولكن الخلافة بالحق والحكم بالعدل وأخذ الناس بأمر الله عز وجل»[٥].

---

(١) التفسير ١/١٤٥.

(٢) هكذا في المطبوع، ولعل الصواب: «عمر بن الخطاب»، والتصحيف والتحريف والسقط في هذا الكتاب كثير.

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من المطبوع ولا يستقيم النص إلا به.

(٤) وقع في المطبوع من التفسير المزعوم: «فاستغفر»، وما هنا أصح.

(٥) الكشف والبيان ١/١٧٧.

ونحن نسأل (المحقق): إذا كان الثعلبي ينقل من الطبراني فمن أين أتى الثعلبي بذكر «زادان» في الإسناد، ومن أين جاء في الخبر الأخير قوله: «عن يونس»؟!

ومن ذلك ما جاء في التفسير المنسوب للطبراني:

«روي عن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لما أراد أن يخلق الخيل قال للريح الجنوب: إني خالقٌ منكِ خلقًا فأجعله عزًا لأوليائي؛ ومذلةً لأعدائي؛ وجمالًا لأهل طاعتي، ثم خلق منها فرسًا وقال له: خلقتُكَ وجعلتُ الخيرَ معقودًا بناصيتكَ؛ والغنائمَ مجموعة على ظهرك؛ وعطفتُ عليكَ صاحبك، وجعلتكَ تطيرُ بلا جناح؛ وأنت للطَّلب وأنت للهرب، وسأجعل على ظهركَ رجالًا يُسبِّحونَني ويَحمدونَني ويُهلِّلونَني ويُكبرونَني. كذا في تفسير الثعلبي»[1].

فحذف (المحقق) قوله: «كذا في تفسير الثعلبي» من النص، بل قال في تعليق له: «أدرج الناسخ عبارة (كذا في تفسير الثعلبي) في المتن كعادته، وعلى ما يبدو أن الثعلبي نقل من هنا أو أخذ عنه»! وهذا النص في تفسير الثعلبي وليس فيه أدنى إشارة إلى ما زعم (المحقق)[2].

وجاء في التفسير المنسوب عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤].

«وقال عمرو بن مكثوم:

ألا لا يَجْهلَنْ أحدٌ علينا فنجهلَ فوقَ جَهْلِ الجاهلِينا

---

(١) التفسير ٢/٢٠.

(٢) الكشف والبيان ٣/٢٦.

وسأل رجلٌ جنيدًا: كيف رضي الله المكر لنفسه وقد عاب به غيره؟ قال: لا أدري، ولكن أنشدني:

فديتُكَ قد جُبلتُ على هواكَ فنفسي لا يُنازعُني سِواكَا
أحبُّكَ لا ببعض، بل بكلّ وإنْ لم يبْقِ حُبُّكَ لي حِراكَا
ويَقْبُحُ من سُؤاكَ الفِعلُ عندي وتفعلُهُ فيَحسُنُ منكَ ذاكَا

فقال الرجل: أسألكَ عن آيةٍ في كتاب الله تعالى وتجيبني بشعر فلان؟! فقال: ويحكَ! قد أجبتُكَ إن كنتَ تعقلُ، ومكرُ الله بهم خاصة في هذه الآيةِ إلقاؤُهُ الشَّبه على صاحبهم الذي أراد قتل عيسى عليه السلام. كذا في تفسير الثعلبي»[١].

وعلى عادة (المحقق) حذف العبارة الأخيرة الدالة على الاقتباس، بل قال: «أدرج الناسخ عبارة (كذا في تفسير الثعلبي) في المتن كعادته، وعلى ما يبدو أن الثعلبي نقل من هنا أو أخذ عنه».

هكذا قال بكل وقاحة ومن غير روية، ولو كان راجع النص في تفسير الثعلبي لوجد أن كل ما قاله لا يعدو الهراء، فإن الثعلبي في هذا الموضع ذكر مصدره فقال بعد أن روى بيت عمرو بن كلثوم:

«سمعتُ أبا القاسم بن حبيب يقول: سمعتُ أبا عبد الله محمد بن عبد الله البغدادي يقول: سأل رجل جنيدًا: كيف رضي المكر لنفسه، وقد عاب به غيره؟ فقال: لا أدري ما يقول، ولكن... إلخ»[٢].

---

(١) التفسير ٢/٥٨ – ٥٩.

(٢) الكشف والبيان ٣/٧٩

فأين الطبراني من هذا النص الصريح الذي لا يرتاب فيه من له أدنى معرفة، ولكنها اللجاجة على الباطل.

ومن ذلك ما جاء في التفسير المنسوب: «قال محمد بن يحيى: قد صح حديث ملك الموت وموسى عن رسول الله ﷺ لا يرده إلا كل مبتدع. كذا في تفسير الثعلبي»[(١)].

فحذف (المحقق) عبارة «كذا في تفسير الثعلبي»، وذكر أن الناسخ أدرجها. ورحم الله الثعلبي الذي ذكر مصدره في هذه الرواية أيضًا فقال: «سمعتُ أبا سعيد بن حمدون، قال: سمعتُ أبا حامد المقرئ، قال: سمعتُ محمد بن يحيى يقول: قد صح هذا من رسول الله ﷺ معنى قصة ملك الموت وموسى لا يردها إلا ضال»[(٢)].

فنسأل: أين النقل عن الطبرني، وقد ذكر الرجل إسناده؟

ومؤلف هذا الكتاب يتابع تفسير الثعلبي حتى في الخطأ الذي يقع فيه، فقد جاء في تفسير الثعلبي: «وقال يحيى بن عامر: كتبت إلى عمر بن عبد العزيز أسأله عن قوله: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠] فكتب إليّ: إن ذلك في النساء والذرية والرهبان ولم ينصب الحرب منهم»[(٣)]، فنقلها مؤلف هذا التفسير كما هي[(٤)] وفيها تحريف، فالصواب في هذه الرواية: «يحيى بن يحيى»، وهو الغساني، وأشار إلى ذلك (المحقق) بعد أن غيّرها إلى الصواب في المتن!

ومثل ذلك حذفه كل تصريح بالنقل عن أبي الفتح عبد الصمد بن محمود بن يونس الغزنوي الحنفي، بل قد حذف في بعض الأحيان النصوص التي نقلها من

---

(١) التفسير ٢/٣٨٠.
(٢) الكشف والبيان ٤/٤٦.
(٣) الكشف والبيان ٢/٨٧.
(٤) التفسير ١/٣٢٩.

تفسيره المعروف بـ«تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء» بحجة أن هذا من المدرج مع وروده في أصل النسخة الخطية، فقد قال صاحب هذا التفسير في معرض تفسيره لقوله عز وجل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٣]: «قال في تفسير عبد الصمد: وذكر الإمام أبو عاصم العامري، محمد بن أحمد عن أصحابنا: «أن سلطانًا لو دخل بلدًا فذبح الناسُ الذبائحَ تقرُّبًا إليه بذبحها وإراقة دمها؛ لم يحل تناول شيءٍ منها؛ لأنه قد أهلَّ بها لغير الله وتُقرِّبَ بذبحِها إلى غير الله». وكان يُفرِّق بين هذا وبين ما يذبحه الرجل لضيفه بمعنى: أن صاحب الضيف إنما يتقرَّبُ إلى ضيفه باللحم دون إراقة الدم، ألا ترى أنه لو ذبح الشاة باسمه ونسبه ولم يقرِّبها إليه لم يكن تقربيًا إليه؟.

«فأما ما يُذبحُ لأجل الأمراء عند دخولهم البلاد، إنما يتقرَّبون إليهم بالذبح وإراقة الدم دون اللحم، فإن اللحم لا يحمل إليهم ولا يرجع إليهم شيء من منافعه، فلذلك افترقا. وكان يُحكى عن بعض المشايخ: أن هذه المسألة وقعت ببعض بلاد ما وراء النهر؛ فاختلف فيها فقهاؤها؛ فكتبوا إلى أئمة بخارى؛ فأفتوا بتحريمها».

وقال المحقق: «ولاحظ أن أسلوب المفسر في عبارته يختلف عن أسلوب المصنف رضي الله عنه، فضلاً عن وضوح الإدراج في السياق»[(١)].

فتأمل هذا العبث المتعمد بالنصوص، لمجرد إثبات نسبة نص إلى مؤلف ما لا يمكن أن يكون له بحال من الأحوال. ومثل هذا الصنيع له عشرات نظائر أضربنا عن ذكرها وفيما قدمنا كفاية لمن له أدنى معرفة بأصول تحقيق النصوص التي ابتليت بعدد من الجهلة.

عزو الحديث إلى مخرجه

---

(١) التفسير ٢/٣٤٦-٣٤٧.

وفي نص التفسير الذي زُعِمَ أنه للطبراني أحاديث نسبها عدد من العلماء إلى غيره، ومنهم الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧هـ ولم ينسبها أحد البتة إلى الطبراني، فمن ذلك ما نقله مؤلف هذا التفسير من تفسير الثعلبي في فضل سورة يوسف، حديث أُبَيِّ بن كعب ﷺ أنه قال: «علّموا أرقاءكم سورة يوسف»[1]، قال ابن كثير في تفسيره بعد أن أورده: «رواه الثعلبي وغيره»[2] فلو كان هذا من رواية الطبراني لصرح به ابن كثير، وهو العليم بالطبراني وكتبه ولما نسبه إلى الثعلبي المتأخر، وهو أمر يدل دلالة أكيدة على أن مؤلف هذا التفسير نقله من تفسير الثعلبي.

ومثله ما جاء في هذا التفسير في فضائل سورة الرعد[3]، قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف: «أخرجه الثعلبي من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أُبَيّ بن كعب وابن مردويه والواحدي بإسناد واهٍ» - كما نقل (محققه) فلو كان في تفسير الطبراني (الحنفي فيما زعم المحقق) فلماذا لم يعزه الزيلعي الحنفي إلى الطبراني وعزاه إلى غيره؟ ومثله حديث أُبَيّ في فضل سورة إبراهيم[4] وهو حديث معروف للثعلبي[5]، ومنه في فضل سورة الكهف[6] وهو عند الثعلبي[7] ولم يعزه أحد إلى الطبراني!

---

(١) التفسير ٤٦٤/٣

(٢) تفسير ابن كثير ٤٤٨/٢.

(٣) التفسير ٥/٤.

(٤) التفسير ٣٩/٤.

(٥) الكشف والبيان ٣٠٤/٥.

(٦) التفسير ١٩٧/٤.

(٧) الكشف والبيان ١٤٤/٦.

ومنه ما جاء في هذا التفسير[١]: «وعن عبد الرحمن بن السائب (كذا) قال: بين الركن والمقام وزمزم تسعةً وتسعين (كذا) نبيًا، وإن قبر هود وشعيب وصالح وإسماعيل في تلك البقعة».

فهذا النص المحرف مذكور في تفسير الثعلبي[٢] وهو معروف، ولم يعزه أحد إلى الطبراني، ولكن تحرف عند المحقق في موضعين: الأول في نسبة القول إلى عبد الرحمن بن السائب، وقد حرّفه (المحقق) مع أنه جاء في المخطوط «السائط» وهو أقرب إلى الصحة لأن صوابه «السابط» فهو عبد الرحمن بن السابط المتوفى سنة ١١٨هـ وهو من رجال التهذيب[٣]، وقد روى له مسلم والأربعة وهو مترجم في تاريخ الإسلام[٤] وغيره، وقد حَرّفه (المحقق) فقال في تعليقه: «في المخطوط عبد الرحمن بن السائط، وهو تحريف، والصحيح عبد الرحمن بن السائب أخو عبد الله بن السائب، قتل يوم الجمل، ترجم له ابن عبد البر في الاستيعاب الرقم ١٤٢٥»! فلا ندري على أي شيء استند في هذا الترجيح مع أن النص جاء على الصواب في المصدر الذي نقل منه المؤلف وهو تفسير الثعلبي!

ثم لا ندري كيف أعرب «تسعة وتسعين» فالمفروض أن تكون بموجب هذا النص: «تسعةٌ وتسعون» ولكن سقطت من النص لفظة «قبر» وهي ثابتة في تفسير الثعلبي الذي ينقل منه المؤلف وأحال عليه، فيكون الصواب: «قبر تسعةٍ وتسعين» كما في تفسير الثعلبي الذي ينقل منه صاحب هذا التفسير، ولا وجه في كل حال إلى

---

(١) التفسير ٣/١٦١.
(٢) الكشف والبيان ٤/٢٥٠.
(٣) تهذيب الكمال ١٧/١٢٣-١٢٨ (بتحقيقنا).
(٤) تاريخ الإسلام للذهبي ٣/٢٧٢ (بتحقيقنا).

نصب «تسعة» كما فعل المحقق، ومثل هذه الأمور تدل على عدم دقة (المحقق) ومجازفته في كثير من أقواله.

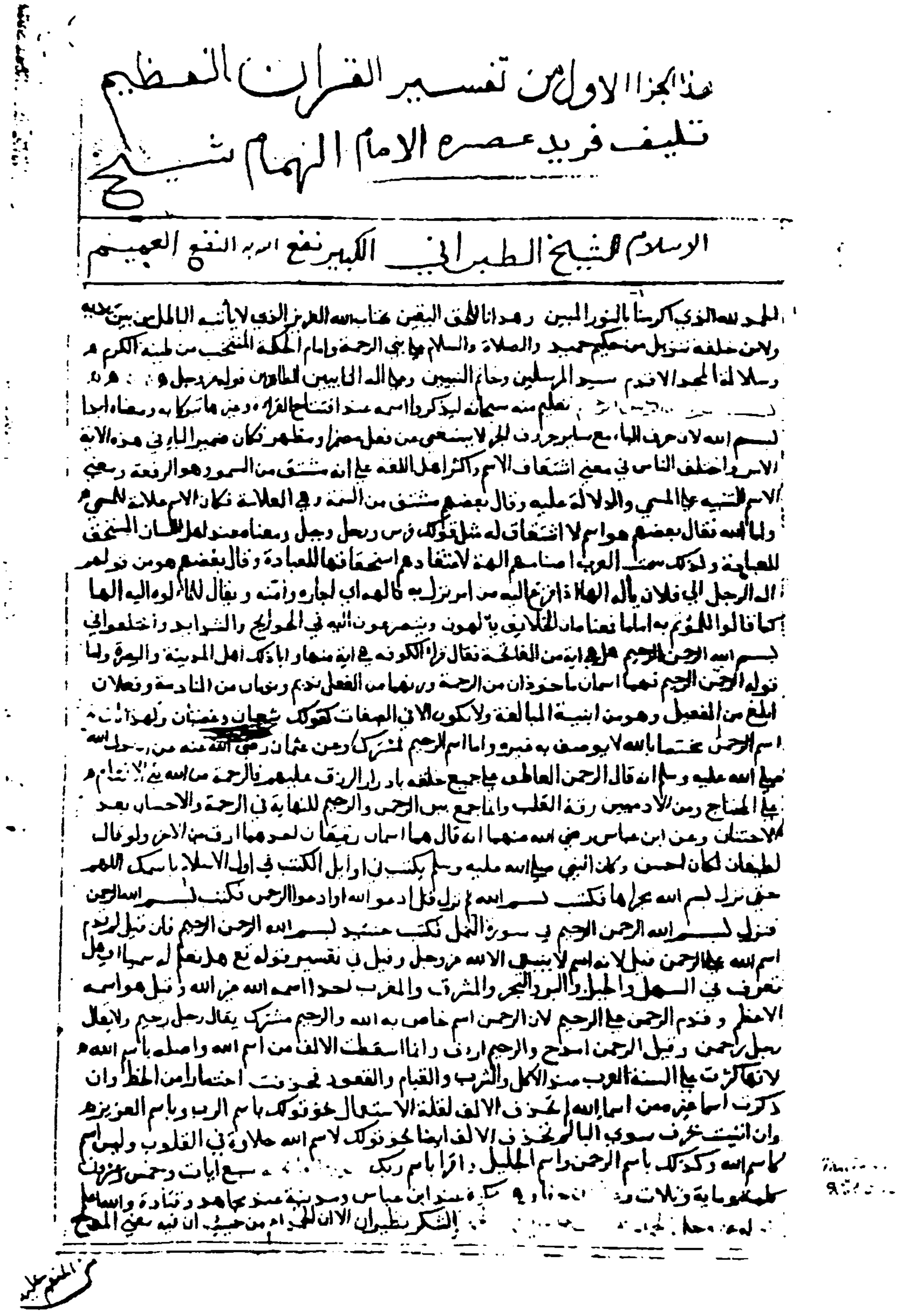
ويلاحظ بعد هذا أن الإمام الذهبي ذكر تفسير الطبراني ووصفه بأنه كبير جدًا[1]، وهذا الوصف لا ينطبق على هذا المطبوع في ستة مجلدات متوسطة الحجم نصف الكلام فيها تعليقات وحواشي، وقد رأى الذهبي أمهات التفاسير الكبيرة ولم يصف الكثير منها بهذا الوصف.

أما تحقيق هذا النص والتعليق عليه فضحكة، في الحذف من النص، وعدم القدرة على قراءته قراءة سليمة، وكثرة الأخطاء النحوية واللغوية التي لا يقع فيها من له أدنى معرفة بالعربية، والتعليقات السمجة التي حشي بها الكتاب، مما يتعين إيجاد ضوابط لهذا العلم وللمتعانين له، فقد صار يتطفل عليه من لا معرفة له فيسيء إلى تراث الأمة، خزين فكرها وتجربتها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

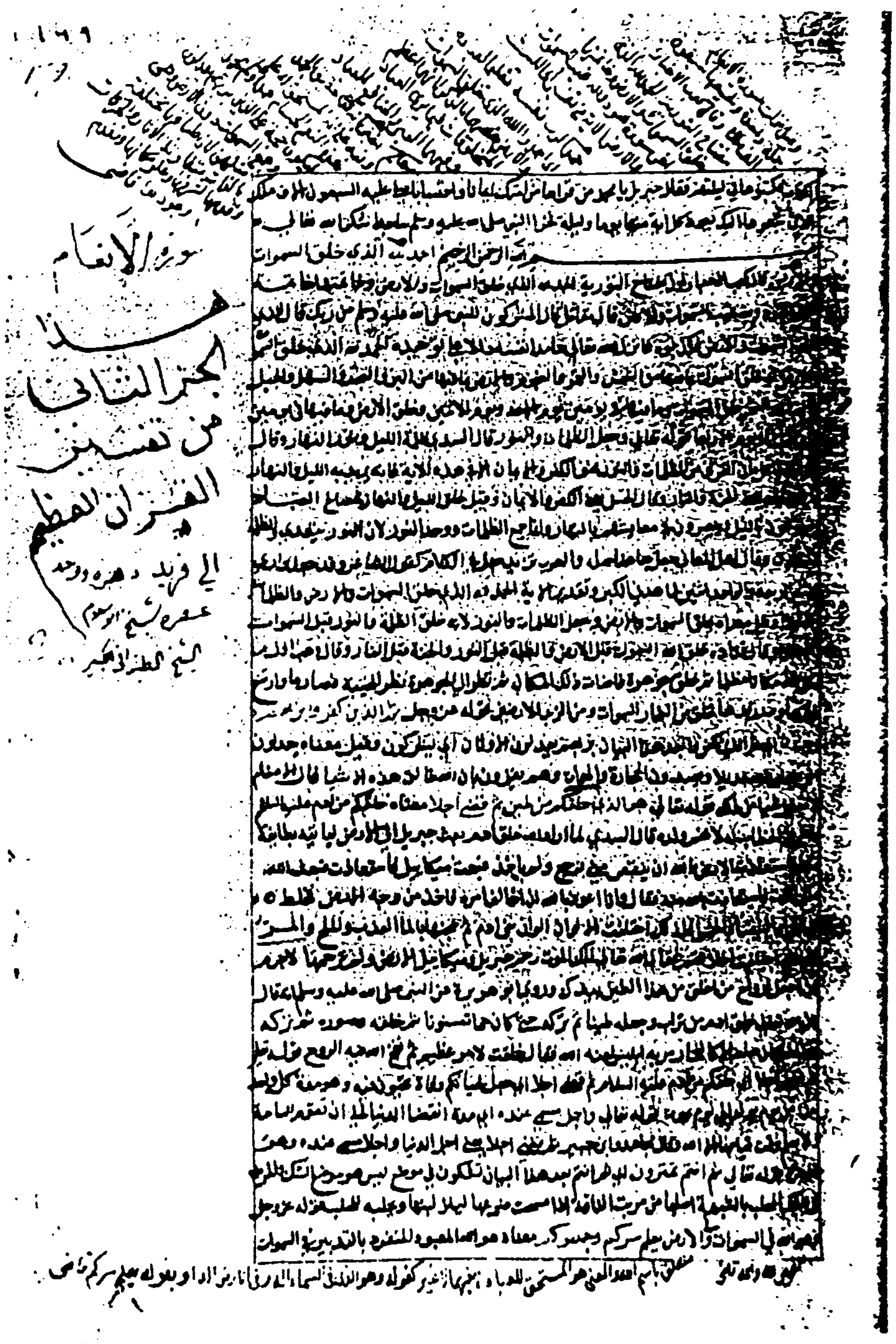
---

(١) تاريخ الإسلام ١٤٤/٨، وسير أعلام النبلاء ١٢٨/١٦.


هذا الجزء الاول من تفسير القرآن العظيم
تأليف فريد عصره الامام الهمام شيخ
الاسلام الشيخ الطبراني الكبير نفع الله به النفع العميم

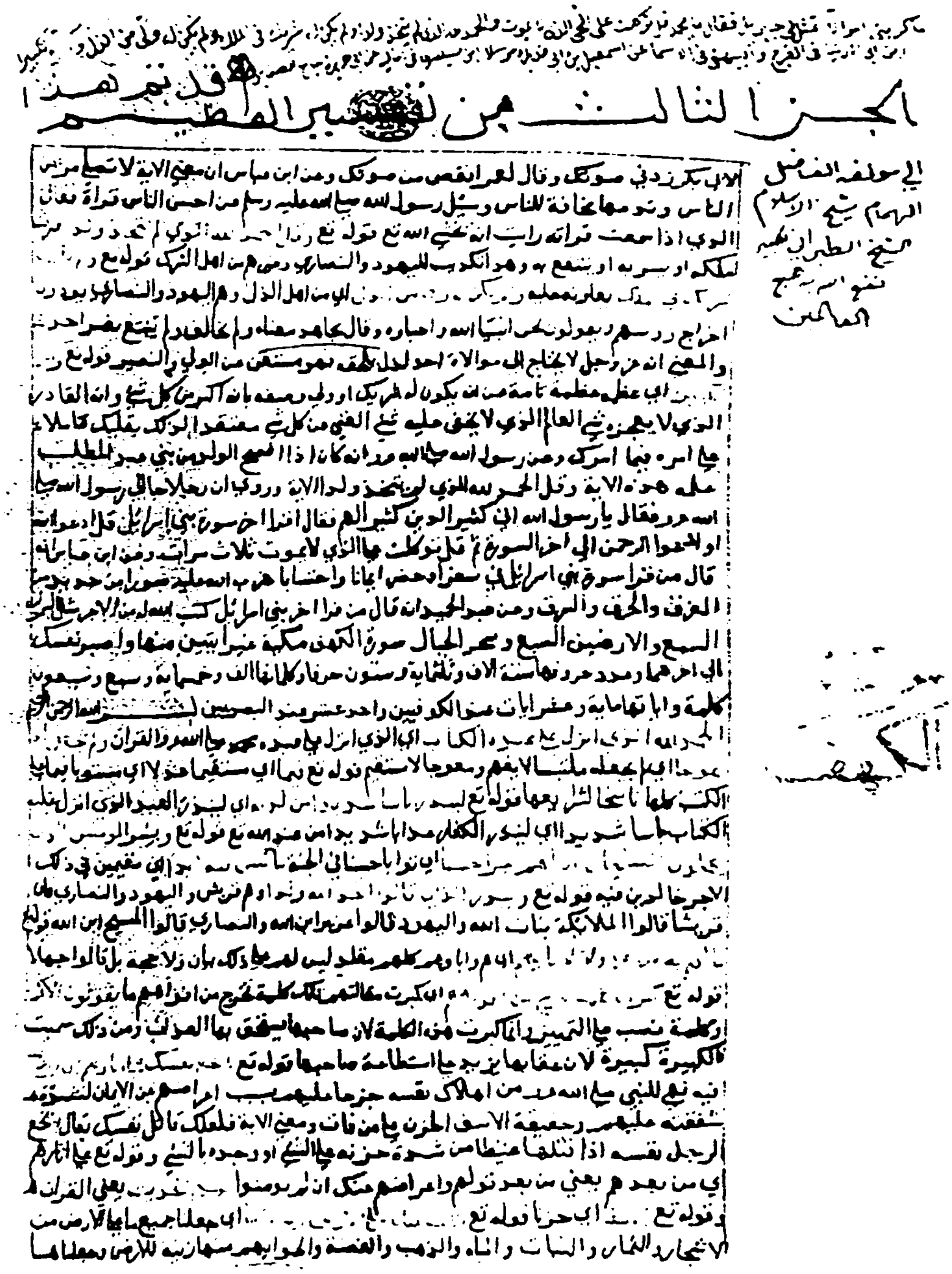
الحمد لله الذي اكرمنا بالنور المبين وهدانا الحق اليقين كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد والصلاة والسلام على نبي الرحمة وامام الحكمة المنتخب من طينة الكرم [illegible]
وسلالة المجد الاقدم سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى اله الطيبين الطاهرين قوله عز وجل [illegible]
[illegible] تعليم منه سبحانه ليذكروا اسمه عند افتتاح القراءة وغيرها تبركا به ومعناه ابدا
بسم الله لان حرف الباء مع سائر حروف الجر لا يستغني من فعل مضمر ومظهر فكان ضمير الباء في هذه الاية
الابتداء واختلف الناس في معنى اشتقاق الاسم واكثر اهل اللغة على انه مشتق من السمو وهو الرفعة ومعنى
الاسم التنبيه على المسمى والدلالة عليه وقال بعضهم مشتق من السمة وهي العلامة فكان الاسم علامة للمسمى
واما الله فقال بعضهم هو اسم لا اشتقاق له مثل قولك زيد وعمرو وجعل ومعناه عند اهل اللسان المستحق
للعبادة ولذلك سمت العرب اصنامهم الهة لاعتقادهم استحقاقها للعبادة وقال بعضهم هو من قولهم
اله الرجل الى فلان يأله الها اذا فزع اليه من امر نزل به كالهائب لجاره وامنه ويقال للآلهة والاله الها
كما قالوا للمؤتم به اماما فمعناه ان الخلائق يألهون ويتضرعون اليه في الحوائج والشدائد واختلفوا في
بسم الله الرحمن الرحيم هل هي اية من الفاتحة فقال قراء الكوفة انها منها وابى ذلك اهل المدينة والبصرة واما
قوله الرحمن الرحيم فهما اسمان مأخوذان من الرحمة وبنيا من الفعل فعلان وفعيل كندمان ونديم من المنادمة وفعلان
ابلغ من الفعيل وهو من ابنية المبالغة ولا يكون الا في الصفات كقولك شبعان وغضبان ولهذا [illegible]
اسم الرحمن مختصا بالله لا يوصف به غيره واما اسم الرحيم فمشترك وعن عثمان رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال الرحمن العاطف على جميع خلقه بادرار الرزق عليهم فالرحمة من الله في الانعام و
في المناجاة ومن الادميين رقة القلب وانما جمع بين الرحمن والرحيم للنهاية في الرحمة والاحسان بعد
الامتنان وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هما اسمان رقيقان احدهما ارق من الاخر ولو قال
لطيفان لكان احسن وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكتب في اول الكتب في اول الاسلام باسمك اللهم
حتى نزل بسم الله مجريها فكتب بسم الله ثم نزل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن
فنزل بسم الله الرحمن الرحيم في سورة النمل فكتب حينئذ بسم الله الرحمن الرحيم فان قيل لم قدم
اسم الله على الرحمن قيل لانه اسم لا ينبغي الا لله عز وجل وقيل في تفسير قوله تع هل تعلم له سميا اي هل
تعرف في السهل والجبل والبر والبحر والمشرق والمغرب احدا اسمه الله غير الله وقيل هو اسمه
الاعظم وقدم الرحمن على الرحيم لان الرحمن اسم خاص به الله والرحيم مشترك يقال رجل رحيم ولا يقال
رجل رحمن وقيل الرحمن امدح والرحيم ارق وانما اسقطت الالف من اسم الله واصله باسم الله
لانها كثرت على السنة العرب مثل الاكل والشرب والقيام والقعود فحذفت اختصارا من الخط وان
ذكرت اسما غيره من اسماء الله لم تحذف الالف لقلة الاستعمال نحو قولك باسم الرب وباسم العزيز
وان اثبتت حرفا سوى الباء لم تحذف الالف ايضا نحو قولك لاسم الله حلاوة في القلوب وليس اسم
كاسم الله وكذلك باسم الرحمن واسم الجليل واقرأ باسم ربك [illegible] سبع ايات وخمس وعشرون
كلمة ومائة وثلاث [illegible] مكية عند ابن عباس ومدنية عند مجاهد وقتادة واسماعيل
[illegible] الشكر نظيره الا ان الحمد من حيث انه نعني المدح

المنعم عليه


سورة الأنعام

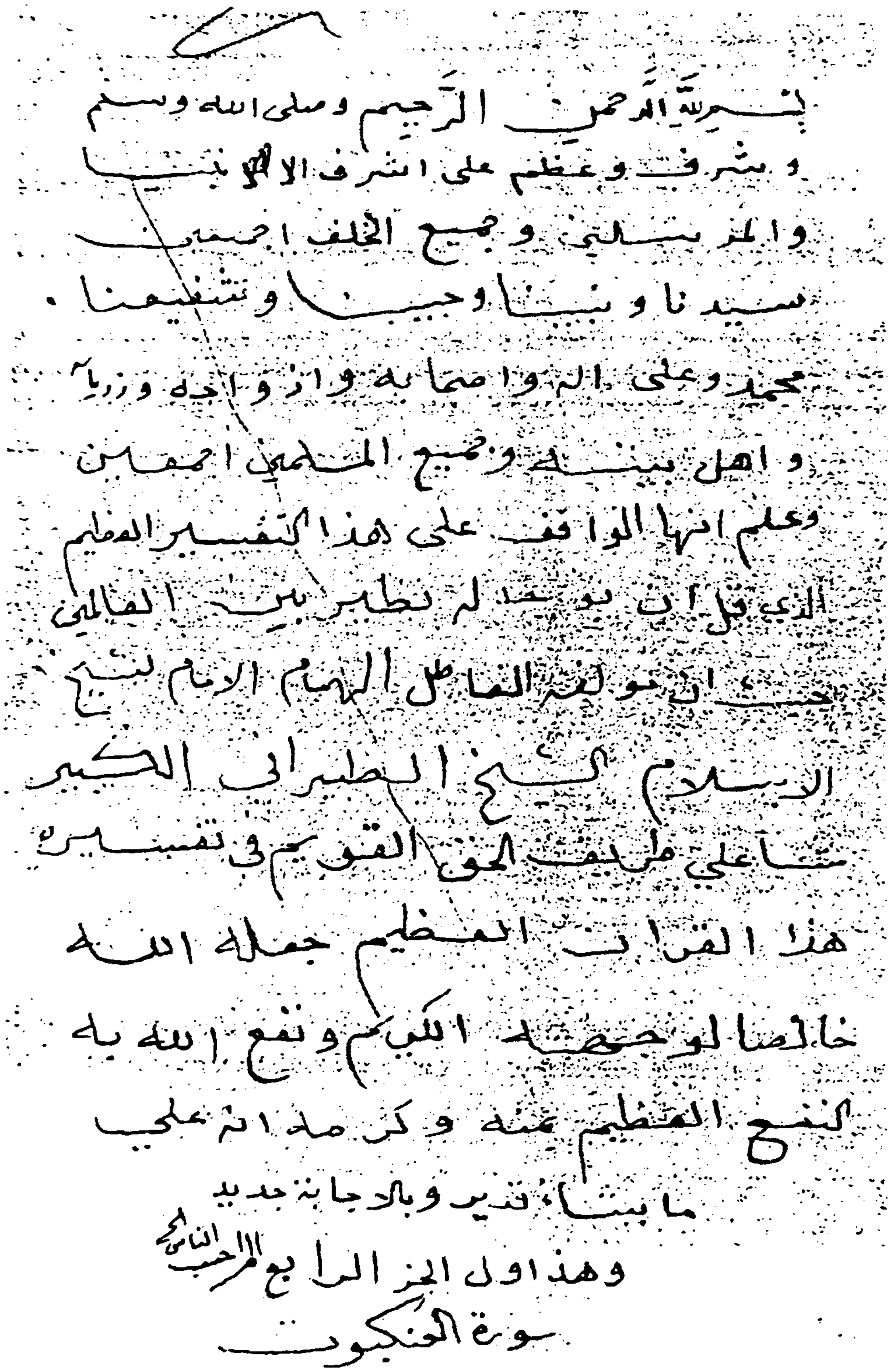
هذا الجزء الثاني من تفسير القرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات

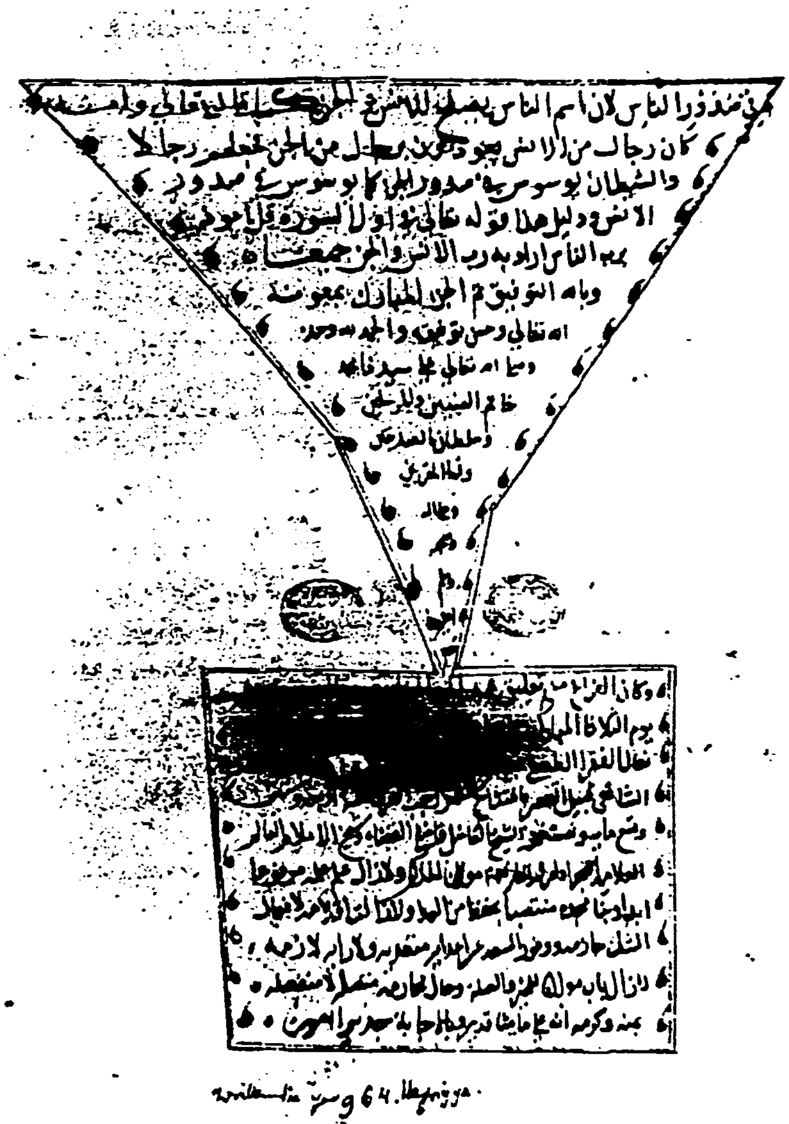


الجلال قال معناه اهل التقوى المراد بالكبر ان يكون التكبر لا يرجع الى الدنيا فاما ما يكون من ذلك لازالة
المنكر واقامة حق من حقوق الله فلا يكون ذلك من التكبر في شيء وانما هو تمسك بالدين هو
قوله تعالى [illegible] نفسيره [illegible]
[illegible] اي من جاء بالسيئة فلا يزاد في عقوبته اكثر مما يستحقه والمعنى ان
الذين اشركوا لا يجزون الا ما كانوا يعملون من الشرك وجزاء الشرك قوله تعالى ان الذي فرض عليك [illegible]
[illegible] معناه ان الذي فرض عليك العمل بالقران لرادك الى بلدك يعني مكة فان [illegible]
معاد الرجل بلده وقيل معناه ان الذي فرض عليك القران اي انزل عليك القران وقال الزجاج فرض
عليك العمل بما يوجبه القران وتقدير الكلام فرض عليك احكام القران او فرائض القران لرادك الى
المعاد يعني مكة قال مقاتل خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى الغار ليلا [illegible] ثم هاجر من وجهه ذلك الى المدينة
فسار في غير الطريق مخافة الطلب فلما امن رجع الى الطريق فنزل بالجحفة بين مكة والمدينة
وعرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها وذكر مولده ومولد ابائه فاتاه جبريل فقال اتشتاق
الى بلدك ومولدك قال نعم قال جبريل فان الله تعالى يقول ان الذي فرض عليك
القران لرادك الى معاد يعني الى مكة ظاهرا عليها فنزلت هذه الاية بالجحفة لا بمكة ولا بالمدينة قوله تعالى [illegible] في ضلال مبين هذا
جواب كفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك في ضلال مبين فقال الله تعالى ربي اعلم
من جاء بالهدى يعني النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو في ضلال مبين يعني المشركين والمعنى
ان الله تعالى [illegible] بالهدى وانكم في ضلال مبين قوله تعالى وما كنت ترجو [illegible]
[illegible] معناه ما كنت يا محمد ترجو ان يوحى اليك هذا
القران وانك تكون نبيا [illegible] الاولين الا ان ربك رحمك واراد
بك الخير فاوحى اليك الكتاب واكرمك بالنبوة نعمة منه عليك [illegible]
اي عونا [illegible] دينهم وذلك حين دعوه الى دين ابائه فذكره الله النعمة
ونهاه عن مظاهرتهم على ما كانوا عليه وامره بالتحرز منهم قوله تعالى [illegible]
[illegible] اي لا يمنعنك من العمل بايات الله بعد اذ انزلت
اليك [illegible] اي الى طاعته [illegible] قال ابن عباس الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد به اهل دينه اي لا تظاهروا الكفار ولا توافقوهم قوله تعالى [illegible]
[illegible] اي لا تعبد احدا سوى الله ولا ترفع الحوائج الى احد دون الله
وقوله تعالى [illegible] لا معبود سواه قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه
اي الا هو وانتصب قوله وجهه على الاستثناء كانه قال الا اياه وقال عطاء معناه
كل شيء هالك الا ما اريد به وجهه وكل عمل لغيره فهو هالك الا ما كان له وقوله
تعالى له [illegible] اي الفصل بين الخلائق دون غيره واليه ترجعون
في الاخرة فيجزيكم باعمالكم والله اعلم بالصواب

واليه المرجع والماب تم هذا الجزء لمؤلفه
الامام الهمام شيخ الاسلام الشيخ الطبراني الكبير



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم
وشرف وعظم على اشرف الانبيا
والمرسلين وجميع الخلق اجمعين
سيدنا ونبينا وحبيبنا وشفيعنا
محمد وعلى اله واصحابه وازواجه وذريته
واهل بيته وجميع المسلمين اجمعين
وعلم ايها الواقف على هذا التفسير العظيم
الذي قل ان يوجد له نظير بين العالمين
حيث ان مولفه الفاضل الهمام الامام شيخ
الاسلام الشيخ الطبراني الكبير
مشتملا على ما يبين الحق القويم في تفسيره
هذا القران العظيم جعله الله
خالصا لوجهه الكريم ونفع الله به
النفع العظيم بمنه وكرمه انه مجيب
ما يشاء قدير وبالاجابة جدير
وهذا اول الجز الرابع من الحزب الثامن
سورة العنكبوت


كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فسماهم رجالا
والشيطان يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور
الانس ودليل هذا قوله تعالى في اول السورة قل اعوذ برب
الناس اراد به رب الانس والجن جميعا
وبالله التوفيق تم الجزء المبارك بمعونة
الله تعالى وحسن توفيقه والحمد لله وحده
وصلى الله تعالى على سيدنا محمد
خاتم النبيين والمرسلين
وكان الفراغ من تعليقه [illegible]
يوم الثلاثاء [illegible]

مطارحات وأنظار
في سبيل قيّم لتحقيق مخطوطات علوم القرآن الكريم وما إليها

محمد الطَّبراني[1]

منْ قواعد التّحقيق ما يؤول إلى أنْ يكون جِذماً لألوانٍ من الفنون، شركةً بينها، والذي يهجم عليه في آيِها وهو عريٌّ منْ موادّه المُسْعفة، مُفارقٌ للتّحقيق، مُقارفٌ لنَقيضِه. ومع أنّ شرائطَ التّحقيق الأكيدة، مُسْتمْسَكٌ لازبٌ لكلّ منْ تلبّس بهاته الصّنعة في أيّ علمٍ من العلوم، إلاّ أنّ لكلّ علمٍ خِصّيصى يمْتازُ تحقيقُه بها عنْ أنْ يكونَ مشابهاً للتّحقيق في علمٍ آخر، وإنْ كانَ تحقيقُ مناطِ هذا التّمييز من الدِّقة بحيْثُ لا يتّضحُ في كلّ فنٍّ إلاّ لمُكَابِدِه والمتفرّس فيه والمتمرّس به، ثمّ لا يعْدُو في بعض الأحيان، أنْ يكونَ بعضُ هذا الذي تبدّى، من اللّطائف التي تشمّ ولا تُفْرَك.

ولِذَا ترومُ هذه الورقةُ أنْ تستكْشف -بحسب الوُسْع- صُوىً هاديةً إلى معالم القواعد والضّوابط الكفيلة بتنْزيلٍ خادمٍ ومُوافِقٍ لمقتضيات التّحقيق في علوم القرآن والقراءات والتّفسير، بحيْثُ لا ينْبو بها مُتَنَزّلُها، ولا تُنْتجُ خلافَ مَطَالِعِها ومبادِئِها، وحتّى يصيرَ الاتّساقُ مَكِيناً بينَ القاعدة وبيْن ما سِيقتْ لأجْله.

وإنّما تنفع هاته المعالم، ليكون الآخِذُ بها بمنْجاةٍ منْ خَطل القوْل المرْسَل والإقْدام الغافل، تُسَدّدُ منآده، وتهْديه أقْومَ السُّبُل إلى تخْليص معْنى النّصّ المحقّق، وصيانة مبْناه، تعِلّة أنْ يقع في محْذُورٍ غـايةٍ في الوْبال، وسيكونُ منْ نُشْدانِها، أنْ

(١) محاضر بجامعة القاضي عياض بمراكش

توقفَ المُعْنيِّ على بعضِ خصوصيّة تحقيق كتُب التفسير والقراءات والرّسم والعدِّ والضّبط... وعلوم القرآن برمّتها، وما يلزمُه عند الانتهاض لها من عُدّةٍ علمية ومنْهاجيّة، لتكونَ النصوصُ المخرّجة تَبَعاً لهذا المدرك، قادرةً على أنْ تَسُدّ المسدَّ في واجبِ نقْض مُدّعى الأغيار حوْل أصالة الكتاب، قائمةً بما يسْتتبِعه ذلك منْ ردِّ شَرِّ وبيلٍ يرومُ إفسادَ أُسّ الدين، وقَطْعَ حبْلِه المتين.

وليس يدْخل في طوْق هاته السُّطور أنْ تُخرِج من الخَبْء ما لم يكنْ معْلوما، أوْ أنْ تختطّ طريقاً لاحِباً لا عوجَ فيها البتّةَ... ولكنّها نظراتٌ -أرجو أنْ لا تكون حسيرةً- أنْتجها صفْحُ نصوصٍ شتّى في علوم القرآن، وتَرْدادُ النّظر في قضايا تحْقيقها، وعُظْمُها نتاجُ مُعاناةٍ لبعْض الكُتب المخْطوطة، وتحرٍّ لتلافي العِثارِ في إبْرازها.

والنّاظرُ في هاته المحْترزات والمحاذير والأنْظار، لا يجدُها برمّتها خالصةً لعلوم القرآن لا تُغادرُها، بلْ يجد منها ما هو أعْلقُ بها على معْنى الاخْتصاص، ومنْها ما يشْملُها مع غيرها، فلا تكونُ وظيفةُ الإيراد هنا إلاّ التّمثيل فحسْب[١].

* *

- مِنْ آكَدِ ما يلْزمُ المحقِّق

لا ينفُذُ المحقّقُ إلى مرْماه على وجْهٍ مُرْضٍ إلاّ بدفع الوُثوق المجرّد عن الحجّة، فإنْ لمْ يفعلْ كان مأتاهُ من الجهْل المركّب، وقد قيل: «منْ مَأْمنه يُؤْتى الحذِرُ»، ومأْمَنُ المحقّق مجموعُ التّمثُّلاتِ الخاطئة المسْتقرّة في اللاّوعْي، التي يصْدُر عنْها منْ غيْر مُراجعةٍ أوْ فحْص، فلذلك يأْتي على المحقّق زمانٌ يسْتقرّ في ذهْنه أنّ بعْضاً ممّا قرأ هو عيْنُ الصّوابِ منْ غيْر ثُنْيا، سواء أتعلّق الأمْر بتصْوير لفْظة أمْ بضبْط حدٍّ أمْ

(١) ألجأتْنا الضرورةُ إلى جلْب أمثلةٍ عن بعْض ما وهمْنا أو وهم فيه غيرنا، وهي وِجاداتٌ للتّمْثيل لا يستقرُّ المعنى بدونها؛ ومعاذ الله أن نقْصد إلى تصيُّد أخطاء الكبار؛ فإنّ منْ طلب عيْباً وَجَدَه، والكمال لله.

بشكل اسمٍ، أمْ بفهْم معنى، وقدْ يخالفُ ما وقع في النّسْخة أو النُّسَخ ما عهِده وألِفَه، فيَجْعَلُ بتخطئته منْ غير عَوْدٍ إلى مظانّ الخلاف، ولوْ تحقّق بكتب الفن المقْصود، لوجد أنّ مِلاكَ الخلْف تعدّدُ الأوْجه، وتبايُنُ التّعِلاّت، فيكونُ الخلافُ في نفْسه حكَماً، ولذلك قيل: «منْ كثُر علْمه، قلّ إنْكارُه على المخالف»، ومَجْلى ذلك ما نراهُ في صنيع كبارِ العلماء المحقّقين السُّبّاق من أمْثال أحْمد زكي باشا (ت١٩٣٤م)، وأحْمد محمّد شاكر (ت١٩٥٨م) وعبْد الرّحْمن المُعَلّمي اليماني (ت١٩٦٦م) ومحمّد الطّاهر ابن عاشور (ت١٩٧٣م) ومحمّد بْن تاويت الطَّنْجي (ت١٩٧٤م) وعبْد العزيز الميْمني الرَّاجَكُوتي (ت١٩٧٨م) وعبْد الله كَنُّون الطنْجي الحسَني (ت١٩٨٩م) ومحمّد بهْجت الأثري (ت١٩٩٦م) ومحمود محمّد شاكر (ت١٩٩٧م) وعبْد السّلام هارون (ت١٩٩٨هـ)،...[1] منْ حمْل الوجْه الذي يبْدَهُكَ خطْؤُه، على ما تحْتمِلُه العربيّة وتُجيزُه النّقَدَةُ، لاتّساع معارفهمْ وسَداد أنظارهمْ، وهمْ في ذلك يُعْمِلون عبارةَ الأصْل ما وسِعهمْ وإن اضْطربتْ في الظّاهر، لأنّ الإعْمال أوْلى من الإهْمال، ولأنّه لا يسوغُ دفعُها إلاّ بيقين، وما يضْنعُه الخَلْفُ منْ التّخْطئةِ لكلّ ما لا ينْضوي تحت فهْمهم ممّا يضيقُ عنهم علْمُه، فِراراً من التّمْحيصِ والتّقرّي، فاجْتراءٌ على التّراث تلْزَمه الحسْبة، واجْتراحٌ للسيئاتِ يعْقُبُه الحساب، فلا حوْل ولا قوّة إلاّ بالله...!.

– مُعْضلة النّسْبة

إنّ منْ إسْعاد المحقّق أنْ تتوافر عنْده نُسَخٌ جليلةٌ مسْموعة، تكْفيه عَنَتَ تحْقيق النّسْبة، فإنْ لمْ يقعْ، وحصلتْ بيده نسْخةٌ يتيمةٌ أوْ نسخٌ متأخّرةٌ منْقولة عنْ أصْل وحيدٍ ومتأخّر بدوْره، لزِمه أنْ يسْتضْنيَ بعْضَ وقْته لإثْبات النّسْبة على وجْهٍ يُعْفيه منْ تأْسيسِ عَمَله على أرْضٍ غيْر ذاتِ قرار. ولْيكُنْ حَذَرُه منْ تلقّي ما في المخْطوطات

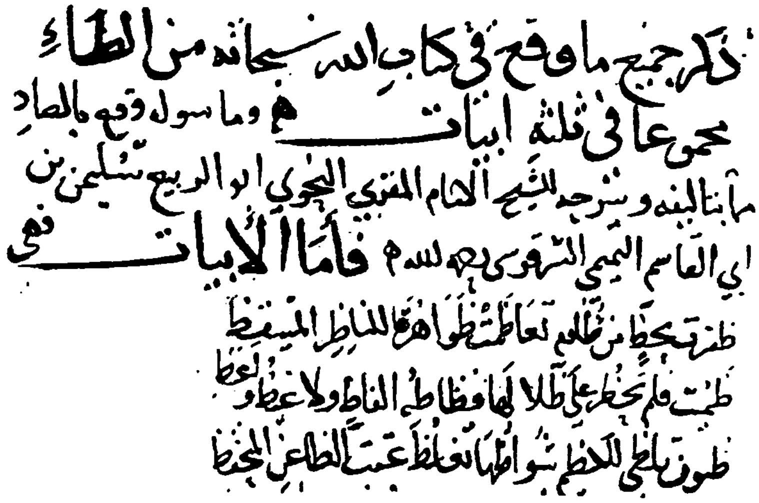
(١) ومن وراء هذه الطبقة رؤوسٌ لقِنا عنهم أصول الفنّ، كأستاذنا العلامة عباس الجراري، والعلامة إبراهيم شبوح، والعلامة محمد بن شريفة، والعلامة أحمد شوقي بنبين... جزاهم الله عن التراث خيرا.

على عواهنه منْ أعزّ ما يطلب، خاصّةً في مقام الإجمال والإطلاق، ومنه أنّه وقع في كتاب ظاءات القرآن لأبي الرّبيع السَّرَقُوسي (ق ٦هـ): «ذِكْرُ جميع ما وقع في كتاب الله سبحانه من الظّاء مجموعاً في ثلاثة أبيات، وما سواه وَقَعَ بالضّاد، ممّا عُنِي بتأليفه وشرحه الشّيْخُ الإمام المقرئ النّحويُّ أبو الرّبيع سُلَيْمانُ بْنُ أبي القاسم التّميميُّ السَّرَقُوسي ﷺ، فأمّا الأبيات فهي:

ظفرْتُ بحظٍ منْ ظَلُومٍ تَعَاظَمَتْ ظواهرُهُ للنَّـاظـرِ الـمتيـقِّظِ

ظَمِيتُ فلمْ تَحْظُرْ عليَّ ظِلالَهَا فَظاظةُ ألفاظٍ ولا غَيْظُ واعظِ

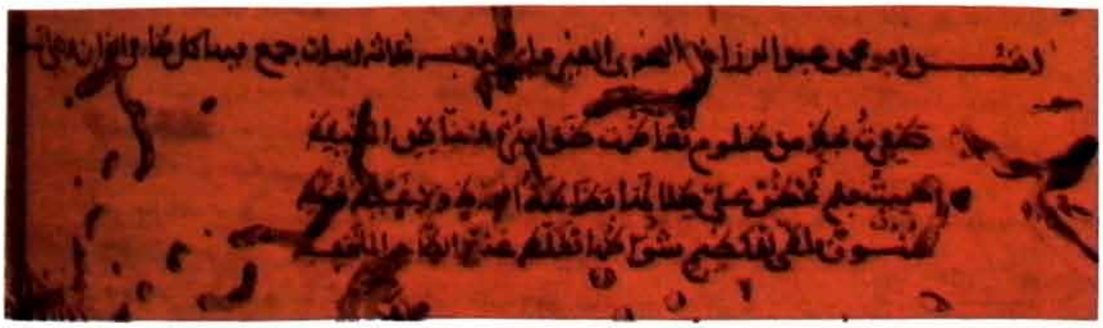
ظُنُونٌ تَلظَّى للكظيمِ شُوَاظُها تُغَلِّظُ عَتْبَ الظّاعنِ الْمُتَحَفِّظِ



تشستربيتي مجموع رقم ٣٩٢٥

فأوهمَتْ هاته الدّيباجةُ أنّ الأبْياتَ منْ نظْم السّرقوسي، والحقُّ أنَّ العبارةَ لا تُنْتِجُ جزْماً بذلك، فيبْقى احْتمالُ أنْ يكون الشّرْحُ مُخْلَصاً له دونَ الأبْيات، أوْ أنْ يكونا له معاً، لكنَّ الذي دلَّ على الاحْتمال الأوّل، أنّني ظفِرْتُ بنقْلٍ فاردٍ مُتقدّم، يُثْبِتُ نسْبةَ الأبْيات صَرَاحةً لأبي محمّد عبْد الرّزّاق النّحويّ القيْرواني، ونصّ النّقْل:

«أَنْشَدَ أبو محمّدٍ عبْدُ الرّزّاق النّحْويّ الْقيْروانيُّ لنفسِه، ثلاثةَ أبْياتٍ جَمَعَ فيها كلَّ ظاءٍ في الْقرآن؛ وهي اثْنان [...]...»اهـ[1]، فَذَكَرَهَا.



صفحٌ منْ مخطوط خزانة ابْن يوسف رقم ٥٣٧: ٩٠ ظ

ويجْعلُنا ننْفي النّسْبة عن السّرقوسي أوْ نتوقّفُ فيها على الْأقلّ، أنّ هذا المجْموع الذي انْسَلَّتِ الْأبياتُ إلى تضاعِيفه مُقَارِبٌ في التّاريخ أوْ أعْتقُ منْ نسْخة شرْحِ الظّاءات[2]، وأوْثقُ منْها خطّاً، بالنّظر إلى وَرَق المجْموع وخطِّه ونمطِ وَضْعِه، فخطُّه أندلسي تَنْميه صلةُ الْقُرْبى بالْقيْروان. لكنّ الْإعضالَ لا يزولُ مع كلّ ما مرّ، إذْ أنّنا نجدُ الْأبياتَ الثّلاثةَ عيْنَها منسوبةً إلى عبْد الرّزّاق بْن عليٍّ، ويقال ابْن محمّد بْن أبي الْكَرَادِيس أبي محمّد النّحْويّ الْبَجَلي، وهذا دمشْقيٌّ، ترْجم له الحافظُ ابْن عساكر في تاريخه وعَزَا إليْه الْقوْل: «أُصولُ ظاءات الْقرآن الْعظيم إحْدى وعشْرون كلمة، ثمّ يتفرّع بالانْشقاق منْها، وهذه الْأبْياتُ التي تجْمعُها: «ظفرْت بحظّ منْ ظَلُوم تعاظمتْ....»[3]. وأنْت ترى أنَّ النسبةَ إليه غيْرُ جازِمة.

(١) وِجادةً ضمن مخطوط «الوثائق والمسائل المجموعة من كتب الفقهاء» لعبد الله بن فتوح بن موسى بن أبي الفتح بن عبد الواحد الفهري البونتي الأندلسي (ت٤٦٢هـ): نسخة خزانة ابن يوسف بمراكش رقم ٥٣٧: ٩٠ ظ.

(٢) يقع بخزانة تشستربيتي، ضمن مجموع رقم ٣٩٢٥، وقد فرغ من نسخه محمد بن سعد بن حبيب؟ في خامس عشر رجب من شهور سنة ..... وتسعين وخمس مئة؛ كما أثبته في تقييد الفراغ آخره.

(٣) تاريخ دمشق: ١٤٧/٣٦؛ ر: ٤٠٣٢.

وإذ لا يرتفعُ الإشكالُ مع هذا العرض، فلا أقلَّ من الإيماضِ إليه، ليكونَ منه القرآة على ذُكر.

- التمييزُ بين مطلق النّسخة والرّواية

إنْ كانتْ للكتاب رواياتٌ شتّى، فلا تعدو أنْ تكون متّفقةً فلا إشكال، أوْ تكون مختلفةً اختلافا بيّناً، فلا يُصارُ حينَها إلى التّلفيق بينها، بلْ تُحقّقُ كلُّ روايةٍ بحسَبها، وتُسمّى الرّوايةُ تحتَ العنوان الأصْل للكتاب، حتّى يكونَ ذلك كالتّنبيه على الاختلاف:

ورغم أنّ العلاّمة أ.د. محمّد فؤاد سزكين، عند تحقيقه لكتاب مجاز القُرآن لأبي عُبيْدةَ (ت٢١٠هـ)، كان على وعْيٍ صارخ بهذا الاعتبار، حتّى دفعه ذلك إلى القوْل في موضعيْن متباينيْن: «كان حظُّ المجاز منْ رواية النّاس غيْرَ قليل، فقدْ رواه جماعةٌ من النّاس، وليس من اليسير تحديدُ عدد الرّوايات، ولكنّ المراجعَ احتفظتْ بطائفةٍ منها»، ثمّ ذكَر خمسَ رواياتٍ بعدُ، إلى أنْ قال: «ولمْ يصلْ إليْنا منْ هذه الرّوايات إلاّ رواية [أبي الحسن عليّ بن المغيرة] الأثرم [(ت٢٣٢هـ)]؛ وقدْ تفرّعتْ إلى فروعٍ ثلاثة حسب الرّواة عن الأثرم...»[1]. وكانَ أن اعتمد المحقّق نسخا خمساً حرص على أنْ يُبوّب للصّلة بينها، ونصّ فيه على أنّ بيْن نسخة مُراد ملاّ، ونسْخة إسْماعيل صائب، اختلافاً يعسُرُ معه الجمْعُ بينهما، فقال: «جاء في أوّل [نسخة صائب]، وهي روايةُ ثابتِ بْنِ أبي ثابتٍ، عن الأثرم، عنْ أبي عُبيْدة، أنّ هذه الرّواية قرأها الأثرم على أبي عُبيْدة مرّتيْن، وقرأها أبو عُبيْدة على الأثرم مرّةً. ومعْنى هذا أنّ هناك أصْلاً له بأبي عُبيْدة هذه الصّلة الوثيقةُ، وأنّ نسْخة (صائب) هذه لها بهذا الأصْل صلةٌ، ولوْ أنّ هذا كان مُطابقا للنّتائج التي أوْصلتْنا إليْها دراستُنا لهذه النّسْخة لكانتْ ثقتُنا بهذه النّسْخة بالغةً، ولكنّ الدّرْس أثبت أنّ هناك روايةً أخرى اختلطتْ بنسْختنا

(١) مجاز القرآن ١/١٩-٢٠.

هذه، وبذلك فقدتْ أصالتَها التي تدلّ عليها هذه الدّيباجةُ. والذي يدفعُنا إلى هذا أنّ هناك في كِلَا الأصْلين [صائب ومراد ملاّ] مقدّمةً للكتاب مفصّلةً لأنواع المجاز نظنُّ أنّها من هذا الأصْل الذي قُرِئَ على المؤلّف، والذي لمْ يصلْنا منه إلاّ هذه المقدّمة، ثمّ بعْد هذه المقدّمة تبتدئ روايةٌ أخرى لم تُقرأ -فيما نقدّرُ- على المؤلّف، بلْ ربّما كانتْ منْ نسخ المجاز التي صَدَرتْ عن أبي عُبيْدة قديماً، وقدْ جَدَّتْ بعْدها نسخٌ أخرى أكْثرُ تفْصيلا منها، ولذلك فهي تحمل من الفُروق ما لا نسْتطيع أنْ نُدْخلَه في نطاق عمل النّسّاخ، حيْث إنّه مميّزاتٌ كاملةٌ لروايةٍ أوْ نسْخةٍ أخرى، وتتّضح هذه الفروقُ بيْن الأصْل المقْروء على المؤلّف أخيراً والرّواية الأخْرى الْمُضافة إليْه منْ جهة، وبيْن نسْخة [مراد] منْ جهة أخرى في الصّفحات (١٧-١٩)، حتّى نهاية تفْسير فاتحة الْكتاب، ثمّ تبْدو الْفروق الْواسعةُ بحيْثُ يكادُ يتعذّرُ الجمْعُ بيْن روايتيْ [صائب ومراد] في تفْسير سورة النّساء....»[(١)].

وكان مقْتضى كلامه النّافذِ الْوجيه، أنْ يسْتبْعد نسْخة صائب بالمرّة، لا لأنّها ثانويّةٌ أوْ لا تصْلُحُ، ولكنْ لأنّها روايةٌ مسْتقلّةٌ موسَّعة للْكتاب، يوشك عنْد الْوِزَان بيْنَها وبيْن أخواتها أنْ تكونَ مُبَاينةً لهنَّ أشدَّ الْمُبَاينة، فُضْلى إنُ اعْتُبِرَ الاتّساع. ويشُدُّ عضُدَ هذا الذي قلْنا أنّ النّسخ الأرْبع عَدَا نسْخة صائب، تؤولُ إلى جِذْمٍ واحد، فإخْراجُ الْكتاب بالاعتماد عليْها وحْدَها، آمَنُ على رواية الأثْرم، وأصْدقُ قِيلاً في الْوفاء بها، وأنّ إدْراجَ فروقِ نسْخة صائب اعْتسافٌ في التّنْزيل، كان المحقّقُ أغنى النّاس عنْه، ولا سيما والرّؤْيةُ المنْهجيّةُ التي ألحْنا إليها وشدَدْنا الكفَّ عليْها لائحةٌ عنْده بما لا مَزيدَ عليْه، حتّى ليَكادُ يصرّحُ بأنّ إهْمالَ نسْخة صائب آكدُ منْ إعْمالها، لكنّه عكَسَ الأمرَ، حين قال في منْهج التحقيق: «دلّتنا المقارنة على أنّ نسْخة [مراد] إلى قِدَمِها أوْفى وأكْمل، ثمّ حظُّها من الْعناية غيْرُ قليل، ولذلك اتّخذْناها أصْلا، ووضعْنا الْفروق

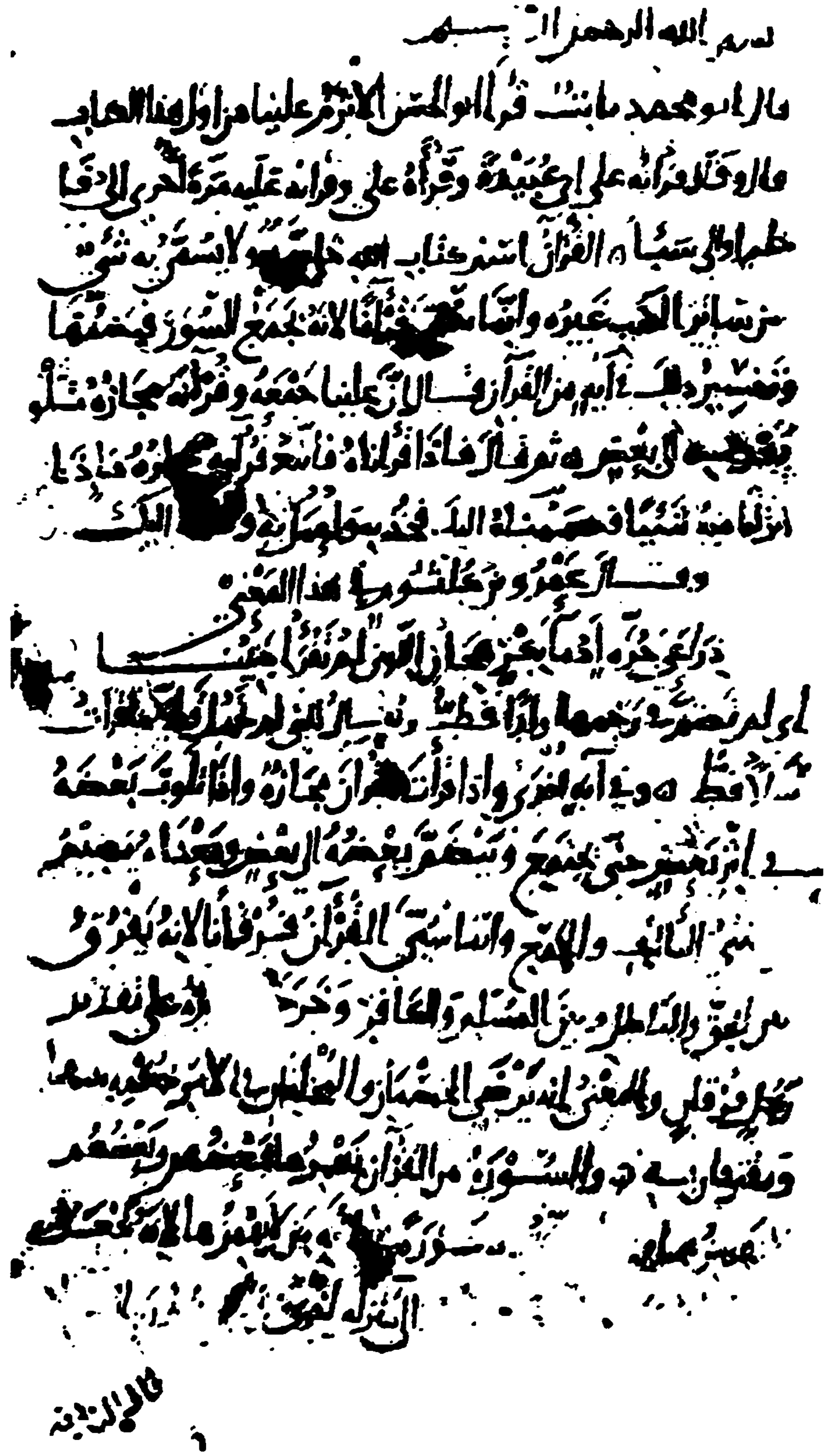
---

(١) مجاز القرآن ١/٢٣-٢٤، واقرأ غير مأمور مزيد كلامه في هذه النقطة.

بينها وبين غيرها في حواشي الكتاب. على أنّ هذا الاختيار لم يمكن اتّباعُهُ وتطبيقُه على عمومه، بل ارتكبْنا نوعاً من التلفيق واختيارٍ للأصْل الآخر [يعني ن صائب] حيثُ وجدْنا نصَّه أكمل أوْ أصحّ»[1].

---

(١) مجاز القرآن ٢٦/١.



صورةُ صفحِ لنسخة صائب (نقلا عن مقدّمة العلاّمة سزگين)، وهي حقيقة بأن تحقق مفردةً.

وقلنا بلزوم عِراض نصّ الكتاب المُزْمع تحقيقُه لا على النُّسَخ المختارة فحسب، ولكنْ على جميع النسخ المعروفة لأوّل الأمْر قبل استقرار الاختيار؛ لاحتمال وجْدان رواياتٍ للكتاب تختلفُ بمؤثِّرٍ منْ زيادةٍ أو نقصٍ أوْ تقديم أو تأخير، ومثالُه أنّ تحقيق كتاب معرفة القرّاء الكبار، استبدّت نسْخةٌ وحيدةٌ بإخراجه[١]، فكان أنْ أوحتْ نسْخة الرّباط للمحقّقين بالثّقة المُطْلقة، وأغرتْهم لربّما بعدَم الالْتفات إلى ما سواها، لوجُود شهادةٍ بالإسْماع المجوَّد للذّهبيّ بخطّه هذا نصُّها: «قرأ عليّ هذا الكتابَ كلَّه في عدّة مجالس...وكانتْ قراءة محرّرة مُحبّرةً متْقنة. وكتب محمّد بْن أحْمد بْن عثْمان بْن الذّهبي مؤلّف الكتاب، سامحه الله وعفا عنه»[٢]. وهذه الوَثاقةُ المتبادرةُ في هذه النّسْخة غيرُ مُغْنيةٍ عنْ مقارنتها بُداءةً بجميع النُّسخ[٣]، بدليل أنَّ نشْرة الكتاب الأخيرة للأستاذ د. طيّار آلتي قُولاج، كشفتْ عنْ نسخ إحْداهنّ نسْخة مِلّت[٤]، وهذه «تضمّنتْ حوالي ٥٠٠ ترْجمة زيادة على التّراجم الموْجودة في الطّبْعتيْن... بالإضافة إلى وجود بعْض التّقْديم والتّأخير في إيراد المعْلومات في نسْخة ملّت»[٥]. ولا يُعْترضُ على هذا الذي قلْنا بأنّ هذه النّسْخة لا ترْقى إلى مصافّ الأولى، فإنّ فيها أيْضاً إقْراراً من المؤلّف بأنّها إبْرازةٌ جديدةٌ عند قوْله: «فرغ محمّد بْن الذّهبيّ المؤلّف، منْ هذه النّسْخة المباركة، وفيها زياداتٌ وتقْديمٌ وتأْخيرٌ عن المسوّدة، في ربيع الآخر منْ سنة ثلاثين وسبْع مئة»[٦].

---

(١) القصد إلى النشرة النقديّة العلمية للأساتذة: العلاّمة الدّكتور بشّار عوّاد معْروف، والشّيْخ شعيْب الأرناؤط، وصالح مهْدي عبّاس.

(٢) ١٦/١.

(٣) إنْ تهيأتْ بالطبع، وإلا فإنّ من النسخ ما يكونُ مُنْزويا غيْر معلوم.

(٤) هذه فرع عن النسخة الوحيدة التي اعتمدها د. أحمد خان، ونشرها في مركز الملك فيصل.

(٥) معرفة القراء الكبار (ط قولاج) ٨٠/١.

(٦) معرفة القراء الكبار (ط قولاج) ٨٠/١.

وليس يُفهَمُ منْ كلامنا أنّ مسوّدة المؤلّف الأولى يجب أنْ تُطوى فلا تُروى، وإنّما يلزم عند نشرِها التّنبيه إلى أنّ لها أخواتٍ أوْ أختاً رديفةً استقرّ عملُ المؤلّف على ارْتضائها صورةً أخيرةً لعمله، فإذا جنح المحقّقُ إلى إخْراج الإبْرازة الأولى، أُنيطَ به التّنبيهُ إلى ما قلْناه، ومنْ قبيله ما صنعه د. أيْمن فؤاد سيّد، في تحْقيقه لخطط المقْريزي (ت٨٤٥هـ)، المسوّدة[١] والعرْضة الأخيرة.[٢]

وبعْضُ الكتب وإنْ لمْ تبلغْ في اختلاف النُّسخ مبْلغ أنْ تكونَ واحدتُها روايةً مسْتقلّة مُنْمازةً عنْ غيْرها، لكنّ التّنبيهَ مع ذلك لازمٌ من المحقّق إلى ما يعْتري النُّسَخَ من الاخْتلاف الخارج عن مُعْتادِ التّصْحيف والتّحْريف والسّقط اليسير؛ وضَريبُه ما في بعْض نُسخ التّمهيد في علْم التّجْويد للشّمْس أبي الخيْر ابْن الجزَري (ت٨٣٣هـ)، والكتابُ وإنْ حُقّق مرّتيْن في أمَدٍ مُتَقارب[٣]، فإنّ التّنْبيهَ على هذا الأمْر خَلا منْ طبعة د. عليّ حسيْن البوّاب، وانْفَرَدَ بذكْره د. غانم قدّوري حَمد، فقال: «ومن الأمور التي لفتتْ نظري في تحْقيق كتاب التّمهيد أنّ بعْض نسخه المخْطوطة يشير إلى أنّ المؤلّف كان يُعاود النّظر في نصّ الكتاب وربّما حَذَفَ كلمةً أوْ بدّلها أوْ زاد كلمةً أوْ عبارة، وليس من اليسير القوْلُ أنّ هذه النّسْخة هي صورةُ الكتاب الأوّل، وأنّ تلْك صورتَه الأخيرة، ولعلّ في دراسة النّسخ الكثيرة للكتاب المُنْتشرة في مكْتبات العالم والموازنة بيْنها ما يُعينُ على ذلك، وربّما تؤدّي مثْلُ تلك الدّراسة إلى العثور على نسْخةٍ تقدّم لنا نصّ الكتاب في صورته الأخيرة التي تركه المؤلّفُ عليْها».[٤]

ويخْرجُ عنْ هاته البابَة، تلْك الكُتُب التي طُبعتْ على أصْلٍ واحدٍ مع وجود غيْرِه، منْ غيْر أنْ يزْعم النّاشرُ أنّه بصدد التّحْقيق إذْ خرج من العُهْدة؛ ومنْه كتاب

(١) مسودة كتاب المواعظ والاعتبار ص٤-٥.

(٢) المواعظ والاعتبار: ١/١٠٩-١١٢.

(٣) عندي طبعة د. غانم، في نشرتها الثالثة (١٩٨٩م)، وتاريخ مقدمة الكتاب: ١٩٨٣م. ونشر د.البواب طبعته الأولى سنة ١٩٨٥م.

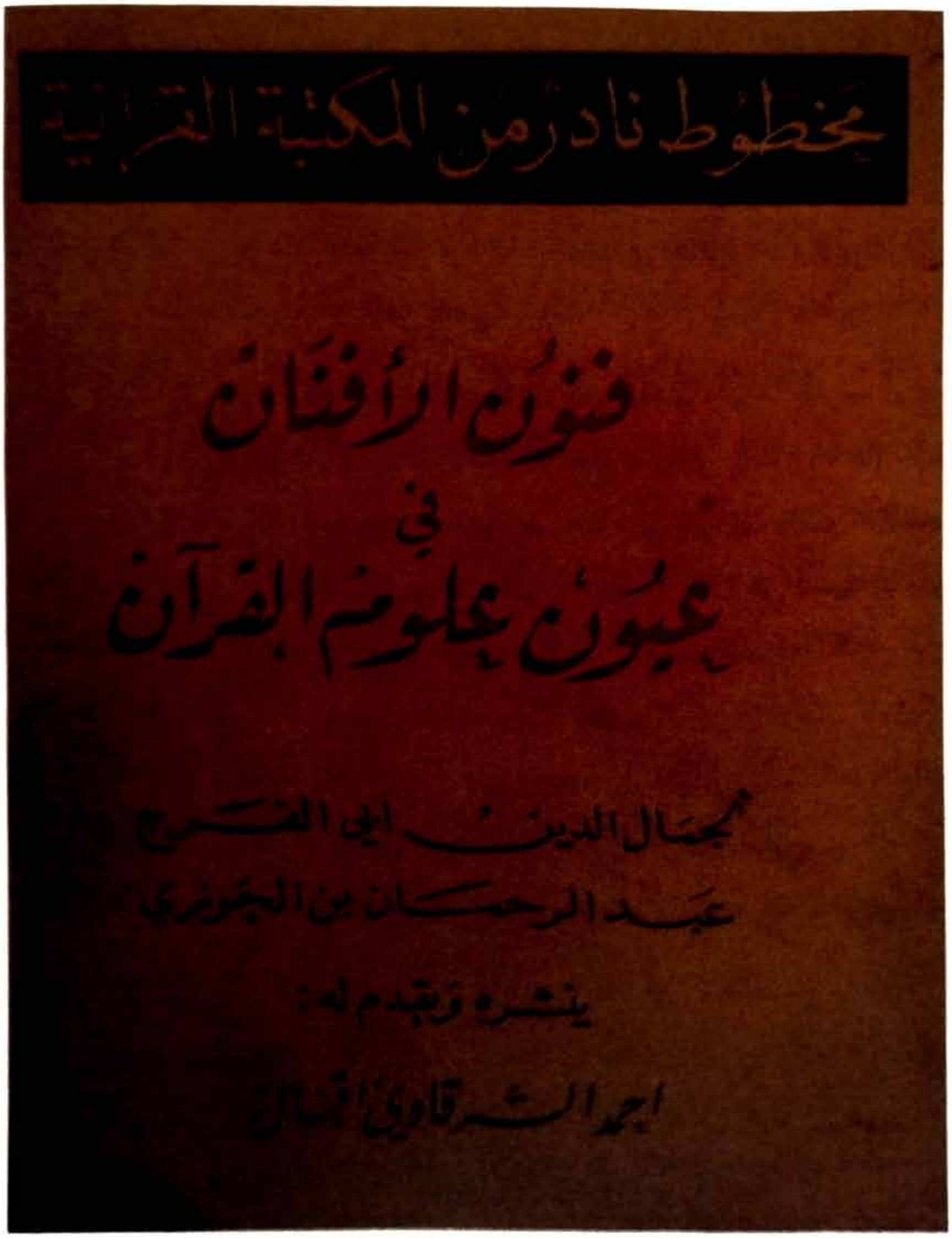
(٤) التمهيد (ط مؤسسة الرسالة) ص٣٥.

فنون الأفنان، لأبي الفرج ابن الجوزيّ (ت٥٩٧هـ)، فإنّه طبع لأوّل مرّةٍ سنة ١٩٧٠م، عنْ أصْلٍ مرّاكشيٍّ مُعْجِب، وكَتَبَ على غلافه العلاّمةُ اللّغويّ أحْمد الشرْقاوي إقبال (ت١٤٢١هـ) ﷺ «نشر وتقْديم»، وقال في تضاعيف المقدّمة، بعْد أنْ سمّى من مخطوطات الكتاب الأخْرى ثلاثاً وعيّن مواضِعَها: «ثمّ وراء ذلك، هذه المخطوطةُ التي عثرْتُ عليها عند صديقي السّيد أحمد الغَزَالي –أحد الكُتُبيّين بمدينة مرّاكش– وقدْ تفضّل مشكوراً فسمح لي بانْتساخها وأذِن في إخْراجها للقراء»[١]، وقال كرّةً أخْرى: «ومن الله المثوبةُ على ما تجشّمْتُ في قراءة النّصّ وانْتساخِه ونشْرِه»[٢]، فسمّى عَمَلَه انتساخاً وإخْراجاً ونشراً، ولمْ يأْت على ذكر كلمة التّحْقيق ولوْ لمرّةٍ، إدْراكاً منْهُ لحقيقته، وتَفَادياً لما يمكن أنْ ينْجُم عن الخلْط بيْنه وبيْن مجرّد النّشر، ولذلك لمْ يكنْ ثمّةَ منْ داعٍ لمنْ أعاد تحقيق الكتاب للتّورّك على الرّجل[٣]، وله فضيلةُ السّبْق، وفضيلةُ التّنويه إلى نسْخةٍ لوْلاه لظلّتْ بمنْأًى عن العارفين، ولَلَعبتْ بها أيدي النّسْيان وطوّحَتْ بها إلى مكانٍ قَصِيٍّ، وقدْ عرف المحقّق الثّاني فضْلَها فاعْتمَدَها أصْلاً ثانيا.

(١) فنون الأفنان ص١٣.

(٢) فنون الأفنان ص١٤.

(٣) فنون الأفنان تحقيق د. حسن ضياء الدين عتر، ص١١٦ – ١١٩.



صورةُ غلاف أوّل نشرة لفنون الأفنان، اعتنى بها العلاّمة إقبال المرّاكُشي

- معضلةُ العنوان: ثالثة الأثافي...!

لا يسوغُ للمحقّق العُدولُ عن العُنوان المعلوم الذي ارْتضاه المؤلّف لكتابه إلى غيره:

فإنْ ظهر له اعتراضٌ عليه منْ جهة الجمْع أو المنْع، أوْ بَدَا له -بحسَبه- أنّه غيرُ صريحٍ في الترّجمة عنْ إرادةِ مؤلّفه منه، أفْرَدَ لذلك مبْحثاً في التّقديم ضمّنه دعْواه، منْ غيْر مَساسٍ بالعنْوان الذي هو جزْءٌ من النّصّ.

وغالبُ منْ يغيّر العنْوانَ إنّما يفعلُه بتعلّة أنّ فيه إغْماضاً، وأنّ ما يقْترحه أوْضحُ وأصْرح[١]، وهو زُورٌ من القوْل وبهْتان. ومثالُه أنّه طبع للسّيوطيّ (ت٩١١هـ) جزْء باسْم «أسْرار ترْتيب القرآن»، وهو عنوانٌ طارئٌ ظَهرَ منْه ذيْلُ الجَلاَل، والذي ارْتضاه له وقرّ عليه بأخَرَةٍ هو «تناسُقُ الدّرر في تناسُب السُّوَر»، بعْدَ أنْ عدل عنْ تسْميته لأوّل الأمْر؛ قال: «وقدْ كنْت أوّلا سمّيْته «تناسُقُ الفكْر في تناسب السّور»؛ لكوْنه منْ مسْتنْتجات فكْري كما أشرْتُ إليه، ثمّ عدلْتُ وسمّيْتُه «تناسق الدّرر في تناسُب السّور»؛ لأنّه أنْسب بالمسمّى، وأزْيَدُ بالجناس»[٢]. وتكْفي النّاظرَ برْهةٌ عجْلى ليدْرك أنّ عنْوان النّاشر المقْترح ناءٍ عن التوْفيق، مُعْوزٌ من الدّقّة؛ ففيه إيهامٌ بأنّ الوضْعَ في «أسْرار ترْتيب القُرآن»، وذلك أعمُّ منْ أنْ يختصّ ببيان «تناسُب السّور» فقط، وحسْبُكَ به...

ومن المثُل البيّنة أنْ قد طبع كتاب التّبيان لأبي البقاء العُكْبَري (ت٦١٦هـ)، بعنْوان إمْلاء ما مَنّ به الرّحْمن منْ وجوه الإعْراب والقراءات في جميع القُرآن... ولم يذْكرْ هذا العنْوان سوى إسْماعيل باشا البغدادي في إيضاحه[٣] وهديته[٤].

---

(١) من أولئك من يفعله لأغراض تجارية صرْفة.

(٢) تناسق الدرر ص٣٩-٤٠.

(٣) ١٢٧/١.

(٤) ٤٥٩/١.

وقد تطير شُهْرةُ الْكتاب بعنوانٍ دالٍّ على موضوعه، فيُتَنَاسى عنوانُه المرْتَضَى من لدن مُنْشِئِه، ككتاب معاني القُرآن لأبي جعفر النحاس (ت٣٨٨هـ): سمّاه غالبُ مَنْ أَسْنَدَه «الْعالم والمتعلّم في معاني القُرآن»، فعل ذلك ابنُ خيْرٍ في فهرسته[١]، والْمِنْتَوْريُّ في فهرسته[٢]، وأطْلق -باعتبارِ فنِّه- معانيَ الْقرآن، ابنْ عطيّة في فهْرسه[٣]، والْقاضي عياض في الْغُنْية[٤]، والرُّوداني في صلة الخلَف[٥].

وإنْ وقع المحقّق في الحيْرة والاشْتباه في تعْيين الْعُنْوان عند فقْده، أرِزَ إلى الاحْتمال وتلافي الْقطْع، ومثاله النّصّ الذي أورده د. عبد المجيد بْن حمْدة، بذيْلِ دراسته عن المدارس الكلاميّة بإفْريقيّة، وعزاه لكتاب الاستواء لابن الحدّاد الْقيْرواني[٦]، يوشكُ أنْ يكون قطْعةً منْ كتاب مُشْكل الْقُرآن؛ لضمائمَ منها، أنّ قضيّة الاستواءِ التي أناطَ بها الكتاب غائبةٌ في الرقّيّات التي نشرها، ومنْ أجْل أنّ هناك قرينةً شاهدةً لتردُّدنا، وهي قوْلُه: «وفي هذه القصّة منْ مشْكل اللّغة قوْلهُ حكايةً عن موسى ﴿بَلَ الْقُوا﴾ [طه: ٦٥]، ولـمْ يقلْ «وألْقوا»....»[٧].

- بيْن اخْتصار الْعنوان ونقْصِه بَوْنٌ لا ينْبغي إغفالُه

للخطيب التّبْريزيِّ (ت٥٠٢هـ)، كتابُ «الْملخّص في إعْراب الْقُرآن المجيد ومَعَانيه»، والْـموْجودُ منْهُ قطْعةٌ بباريس منْ سورة يوسف إلى سورة طه، بإدْخال الْغايتيْن، وقدْ طبع هذا الْقدْرُ الْباقي بعنْوان «الملخّص في إعْراب الْقرآن»، والاقْتصارُ

---

(١) ٩٨.
(٢) ١٠٥؛ ر: ٩٢.
(٣) ١١٦.
(٤) ١٨٤.
(٥) ٤٠٩.
(٦) ن ص٣٠٩؛ وما بعدها.
(٧) المدارس الكلامية بإفريقية ص٣١٢.

عليه دون بقيّته في الأصل، ليس اختصاراً كما يسبق إلى الوهم، ولكنّه حذفٌ مُخِلّ؛ لأنّ ما في الأصل أوفقُ لمضامين الكتاب، فإنّ فيه عدا الإعراب ضرباً من التفسير والمعاني، والنّسخةُ بعدَ هذا مرويّةٌ، فيلزمُ الاحتياطُ لها، فهي من رواية «إبراهيم بن عمر الجعبري، عن عبد الصّمد البغدادي، عن أبي اليُمن زيد الكِندي، عن الشّيخ أبي موهوب الخضر بن الجَوَالِيقيّ، عن المؤلّف».



صورةُ العنوان في مخطوطة باريس (بعد تكبيرٍ ما في المطبوع: ص ٢٨)

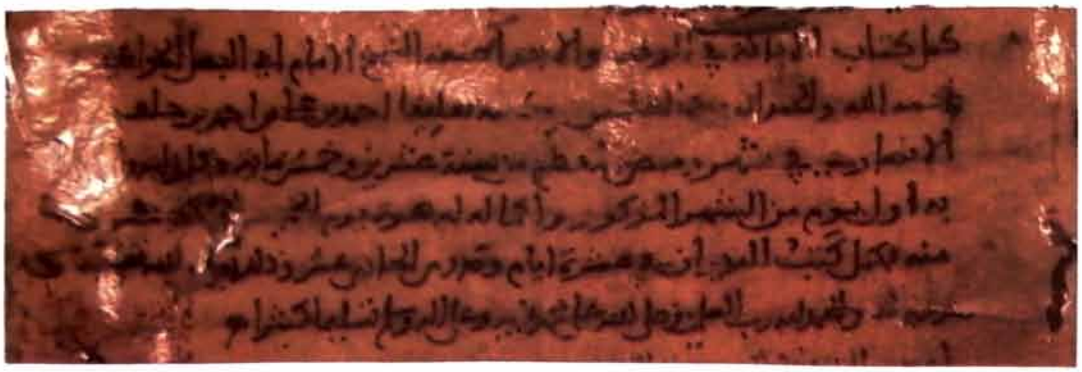
- هل يستقيم الحديث عن تحقيقٍ، والنّسخة فاردةٌ؟

التحَرُّز من نشر نصّ كتابٍ، والعُمْدةُ نسخةٌ يتيمةٌ، إلاّ بشرطين:

- الأوّل: أن تكون مرويّةً لعالم معلوم، بخطّ عالمٍ مُتقنٍ لا يجري على مثله الوهَم البالغ، والتصحيف الوالغ؛ فإنّ من يعتمدُ -للمثال!- في تحقيق كتاب «الإبانة في الوقف والابتداء» لأبي الفضل محمّد بن جعفر الخُزاعيّ المقرئ (ت٤٠٨هـ)، نسختَه الفريدة الثاويةَ بخزانتنا القَرَويّة الفاسيّة -وناهيكَ بها- مُتحيّزٌ إلى فئة، وآوٍ إلى ركن شديد، لوَثاقة النّاسخ العالم، وهو ابنُ البَاذِش الغرناطي، أحمدُ بن عليّ بنِ أحمد الأنصاري (ت٥٤٠هـ)[1]، مؤلّف الإقناع في القراءات السّبع، ووَثاقةِ الرّاوي، وهو الأستاذُ أبو معشرٍ عبدُ الكريم بنُ عبد الصّمد المقري (ت٤٧٨هـ)[2]، فأنت ترى أنّه اجتمع لهذه النّسخة على فرادتها العُصبةُ أولوا القوّة.

(١) ترجمته في معرفة القراء الكبار: ١٠٤٥/٣-١٠٤٦؛ ر: ٧٦٠.

(٢) ترجمته في معرفة القراء الكبار: ٨٢٧/٢-٨٣٠؛ ر: ٥٣٩.



تقييد الفراغ منْ كتاب الإبانة للخزاعيّ بخطِّ الباذشيِّ: الصّفح: ٢١٢.

– الثاني: أنْ يقومَ مَقَامَ النُّسخ المساعدة، ما انْبثّ من الْكتاب في تضاعيف كُتب النَّقَلة؛ فإنّ تلْكَ عنْد فواتِ ما يُعارَضُ به، منْزِلَةُ منْزِلَةَ نُسخٍ أخرى، سوى أنّها مطْويّة، ومُعالجةُ المحقّقِ النّسْخةَ –بهاته الضّميمةِ– أيْسرُ منْ مُكالفتها أعْزل.

ومن الْكتبِ ما ينْبني على كتابٍ سابق، فيكونُ اخْتصاراً له أو نظْماً أو جدْولةً، فيُعامَلُ أصْلُه معاملةَ النّسْخة المساعدة، في تحرّي تصْحيحِه مَا عَزّ وجْدانُ نسْختيْن له فأكْثر، لكنَّ الفرْع ينْبغي أنْ يكون بحالٍ من التّماسُك يُعَوّل عليه، لا كما هي حالُ نسْخة فريدةٍ –للحين– منْ كتاب المرآة في السّبْع الْقراءات، لأبي عليّ الْحسيْن ابْن رشيق الـمُرْسي (ت٦٩٦هـ)، فهي على حالها من النّفاسة متضرّرةٌ غايةً ممّا يجعل تحقيقها حتّى مع اعْتماد أصْلِها –تيْسير الداني– محْفوفاً بالمتاعب.



منْ خطْبة كتاب المرآة لابْن رشيق التغلبي

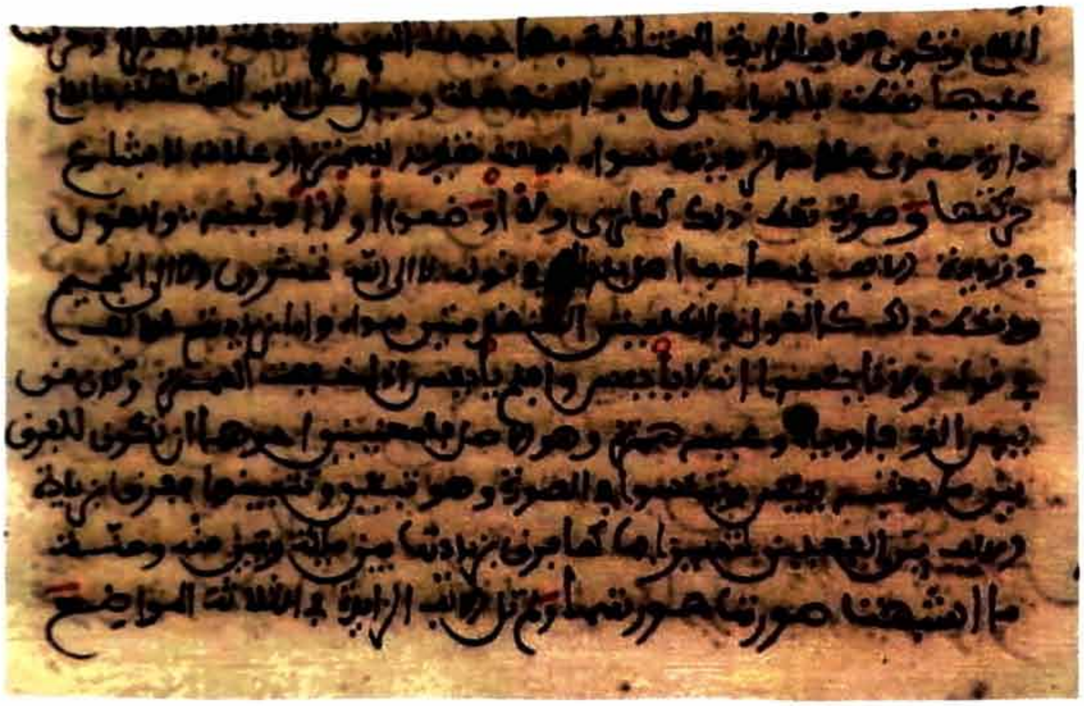


آخرُ صفحٍ من نُسخة الْمرآة: مَمّا حيْدرة، رقم ٢٨٢٩

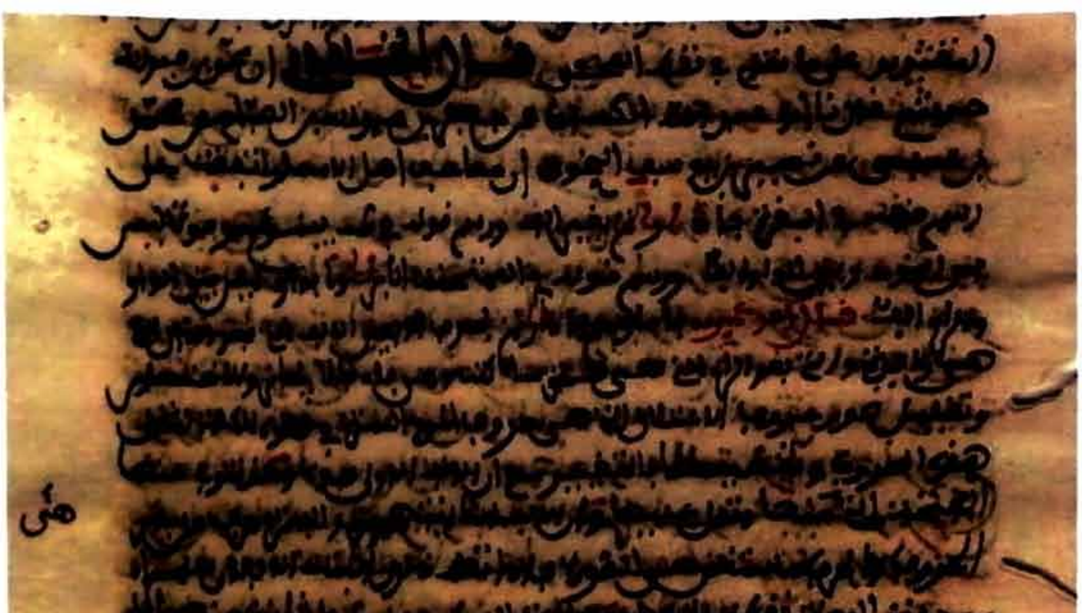
ومنْ محاذيرِ الوُحْدان من النّسخ، السَّقَطُ اللاّحقُ بها، ظَهَرَ أوْ خفي، وهو حينَ خفائِه أشدُّ فتْكاً ببنْية الكتّاب واتّساقِه، فإنْ زِيدَ على ذلك ذهولُ المحقّق عنْ إدْراكه، كان مكانُ تلافي أذاهُ أعزّ مُرْتقىً، وأعْسر مَنالا. وممّا طُبعَ وتُكَأتُه نسخةٌ واحدة،

كتاب المحكم للصَّيْرفي (ت٤٤٤هـ)، ونبّهَ على البَتْر اللاّحق به محقّقُه أ. د. عزّة حسن، وأقْدم على تحقيقه يوْمَ فَعَلَ وهو يعْتقدُ أنْ لا ثاني لنسْخته تُعزّزُها وتُقيلُ عثارَها، وقال: «اعْتمدْنا في نشر هذا الكتاب على نسْخة فريدة لا أُخْت لها فيما نعْلم»(1). وقدْ ظهرتْ بعْد نشْرته نسْخة المكْتبة المحْموديّة بالمدينة -رقمها ٢٠ نحو- ونَهَضَ لاسْتدْراك الفائت اعتماداً عليْها رائدُ الدّراسات التّجْويديّة أ.د. غانم قدوري حمد، فنَشَرَ الكُرّاسةَ الذّاهبة اعْتمادا على النسخة الآنفة الذِّكْر، في بحْث عنْوانه «أوْراقٌ غيْر منْشورة من كتاب المحكَم»، وأحْكمَ حفظه الله النّصّ إحْكاماً يدلُّ على ما له منْ رسوخ القَدَم في الصِّناعة، وقدْرِ ما نَفَعَ الله به في خدْمة الكتاب. وقدْ وقفْتُ على نسْخة بالخزانة الحسنية العامرة، تحت رقم ١٥٩٢، فعارضْتُ بعْضَها بالفضْلة المطْبوعة وأثبتُّ عُظْمَ الفُروق بيْنهما، ويمثّلُ القَدْرُ السّاقط من كتاب المحكم للدّاني في هذه النسخة قُرابةَ ٦ ورقاتٍ ونيِّف. وكنتُ عوّلتُ أنْ أُرْجئَ كلَّ ذلك إلى موْضع آخر، لوْلا أنْ أشفقْتُ على القارئ من التّسْويف، وضننْتُ بهذه الفائدةِ أنْ تذْهب أدْراج الرّياح.

(1) المحكم ص٢٢.



بدايةُ القدر الساقط من نسخة جامعة أنقرة المعتمدة في الطبع، من السطر الخامس، وتلافيه من نسخة الخزانة الحسنية رقم ١٥٩٢: و٣٤٧ و.



منتهى السقط من المطبوع، ويوافق السطر ٦، من نسخة الخزانة الحسنية: ورقة ٣٥٣ و.

-[(١)] ٤٠٩؛ س: ٨-٩- وكذلك في مصاحف عبْدِ الله في كلّ القُرآن.- ٣٤٥ ظ؛ س: ٢٤-٢٥: وكذلك [رأيْتُ] في مصاحف عبْدِ الله في كلّ القُرآن.

- ٤١٠؛ س: ١: فأمّا زيادتُهُمُ الألفَ في «مائة»، فلأحَدِ أمرَيْن. - ٣٤٦ و؛ س: ٣: فأمّا زيادَتُهُمُ الألف في «مائة»، فلأجْل أمرَيْن. اهـ. قلْت: وما في المحموديّة أوْجَه.

- ٤١٠؛ س: ٣؛ فزِيدتْ فيها الألفُ لتاتيا.- ٣٤٦ و؛ س: ٥: فزيدتِ الألفُ فيها لياتيا. (قلْبٌ وتلوين).

- ٤١٠؛ س: ١٤-١٥:...وجُعِلَ على الألف دارةٌ صغْرى، وعلامةٌ لزيادتها في الخطِّ وسقوطِها من اللّفظ. - ٣٤٦ و؛ س: ١٥:... وجُعل على الألف دارةٌ صُغْرى علامةً لزيادتِها في الخطّ وسقوطِها من اللّفظ. اهـ. قلْت: وما في النّسْخة الحسنيّة منْ إسْقاط الواو أسَدُّ.

- ٤١٠؛ س: ٢١: ممّنْ علِم وممّنْ جهِل. - ٣٤٦ و؛ س: ٢٠: ممّنْ عَمِلَ وممّنْ جهل. اهـ. قلت: بادٍ خطأُ ما في المغربيّة لأنّه يفْسدُ الطِّباق.

- ٤١١؛ س: ١-٢: وبأنّ الهمزَ إنّما تُرْسَمُ صُوَرُه على حسب ما تؤولُ في التّسْهيل؛ دلالة على ذلك. ٣٤٦ و؛ س: ٢٢-٢٣: وبأنّ الهمْزةَ إنّما تُرْسَمُ صُورَةً على حسب ما تؤُول [إليْه] في التّسْهيل، دلالة على ذلك. اهـ. قلت: وما في النُّسْخة المغربيّة وجْهاً وزيادةً أقْومُ بالمعنى، وتَدَخُّل المحقِّق في هذا الموْضع -إنْ رجعْت إليه- مجانبٌ للصّواب.

(١) هذا رقم صفحة النص المطبوع في تضاعيف مجلة الإمام الأعظم. و«س»، للسطر، والرقم الموالي لرقم صفحات المخطوط.

– ٤١١؛ س: ٤–٥: ولا تجْعلْ بيْن الهمْزة والألف رأساً؛ لأنّ الألف لا يكونُ ما قبْلَها مكْسوراً، فكذلك لا يكونُ ما قَرُبَ بالتّسْهيل منْها. ٣٤٦ و؛ س: ٢٥–٢٦: ولا تجعلْ بيْن الهمْزة والألف رأساً؛ لأنّ الألف لا يكونُ ما قبْلَها مكْسوراً، فكذلك لا يكونُ ما قَرُبَ بالتّسْهيل مِنْ هذا.

– ٤١١؛ س: ١١–١٢: ليَدُلّ أنّها مأْخوذةٌ منْ تلْك الصّورة. ٣٤٦ ظ؛ س: ٣–٤: ليَدُلّ [على] أنّها مأْخوذةٌ منْ تلْك الصُّورة.

– ٤١٢؛ س: ١٤: وليْس ذلك الإشْباعُ والتّمْطيطُ بالْمُؤَكّد للْحروف. ٣٤٦ ظ؛ س: ١٩–٢٠: وليْس ذلك الإشْباع والتّمْطيطُ بالْمُوَلِّد للْحروف.

– ٤١٣؛ س: ١٤: فإذا نقط ذلك على المذْهب الذي تكونُ فيه الهمْزةُ المخْتلطة باللاّم. ٣٤٧ و؛ س: ٥–٦: فإذا نقط ذلك على المذْهب الذي تكونُ فيه الهمْزةُ [الألفُ] المخْتلطة باللاّم.

– وقع في النسْختيْن معاً: «لأنّ الحرْف لا يحرّكُ بحركتيْن، إحْداهُما نقْطةٌ، والثّانيةُ خطٌّ». واقْترحَ المحقِّقُ: «إحْداهما نقط» [المطبوع: ٤١٣؛ حاشية ١].

– صار اليوم بحمد الله جلْبُ صورة المخطوطِ بيسْر، بعد أنْ كان ذلك ضرْباً من المحال، فأفدْنا من ذلك أنّ النماذج التي لم يتهيأ لنا سوْقُها على الرّسْم المطلوب، نقلناها على الوجْه من المخطوط؛ وكذلك فعلنا في هذا المثال:

– ٤١٤؛ س: ٥–٧: وصورةُ نقْط ذلك على الأوّل كما ترى: (ولأاوضعوا) (أولأاذبحنه). وعلى الثّاني: (ولأاوضعوا) (أو لأاذبحنه). [وعلى الثّالث والرّابع: (ولأاوضعوا) (أو لأاذبحنه)].

– ٣٤٧ و؛ س: ١٣–١٥: وصورةُ نقْط ذلك على الأوّل كما ترى:



وعلى الثّاني:



قلت: وما بين المعكّفيْن ساقطٌ من النسخة المغربية.

- ٤١٥؛ س: ١-٢:... إذا خُفّفت الْهمْزة [فيه]، وكان من الذي فاؤُهُ ياءً وعيْنُه همْزةً. ٣٤٧ و؛ س: ٢٢-٢٣: إذا خُفّفت الْهمْزةُ، وكان منْ [بيْن] الذي فاؤُه ياءً وعيْنُه همْزةً.

- ٤١٥؛ س: ٣-٤: أنْ تكون للفرْق بيْن «يئس» و«يئسوا» في الصورة؛ وهو «يتبين» و«يتبينوا». ٣٤٧ و؛ س: ٢٣-٢٤: أنْ تكون للفرْق بين «يّـسُ» و«تّيـسُوا» في الصورة؛ وهو «تبين» و«تبينوا». اهـ. قلت: والتمثيلُ في المغربيّة أقومُ بالْمُراد، إذِ الشَّبَهُ في صورة الْكلمتيْن على مقْتضى تمْثيل نسْخة المحْمودية بعيدٌ.

- ٤١٥؛ س: ٤: ففرّق بزيادة الْألف في الْفعْليْن. ٣٤٧ و؛ س: ٢٤-٢٥؛ ففرّق بزيادة الْألف بيْن الْفعْليْن اهـ. قلت: الذي في المحْمُودية أصحّ.

- ٤١٥؛ س: ٨-٩: كما ذكرْناه في غيْرها [منْ] حروف. اهـ. وعلّق عليه المحقّق في الْحاشية: في الأصْل: «في غيرها حرف»، ولعلّ صواب الْعبارة ما أثْبتناه. اهـ. قلت: ما في الأصْل أصْوب، لولا أنّ «غيرها» هي «غيْرِ ما»؛ ولذلك وقع في المغربية على الصّواب: «كما ذكرْناه في غيْر ما حرْفٍ» [٣٤٧ ظ؛ س: ٢].

- ٤١٦؛ س: ٥-٧: أن تكون الألف زيدت في كلمة (شيء) و(جيء) فرقا بينها وبين ما يشبهها في الصورة فقط دون اللفظ والمعنى، وهو (ـسـى وحـى)، من حيث رسم ألفهما ياء.

٣٤٧ ظ، س: ١٤-١٥: أنْ تكونَ الألفُ زِيدتْ في كلمتيْ (شيْء) و(جِيء) فرقاً بينهما وبيْن ما يُشْبِهُما في الصّورة فقط دون اللّفظ والمعْنى، وهو (شَقّ وحقّ)، منْ حيثُ رُسِمتْ ألفُهما ياءً.

- ٤١٦، س: ٧-٩: وكذا [زيدت الألف في] (شيء وجيء) ليرتفع الإشكال بذلك في معرفتهما ويؤمن الالتباس به في القرآن بينهما، كما زيدتْ على قولِ أهْل العربيّة في «مائة» فرقا بينها وبيْن «منه». و٣٤٧ ظ، س: ١٦-١٧: كذا [...][1] «بئ‌ء» و«وحـى»[2] ليرْتفع الإشكال بذلك في معْرفتهما، ويؤْمَنَ من الالْتباس في الفرْق بينْهما، كما زيدتْ [كذلك] على قولِ أهْل العربيّة في «مائة» فرْقا بيْنها وبيْن «منه».

وإنّما جلبْنا ما ترى منْ بعْض الفروق، ليحْصل لك ثلج اليْقين أنّ وفرة النّسخ جُنّةٌ للمحقّق، وداعيةٌ إلى تيْسير عمله.

ومن المثُل أيْضاً، كتاب الأمْثال الكامنة في القرآن، للحسيْن بْن الفضْل البَجَلي الكوفي (ت٢٨٢هـ)، فقد حَقّق الكتاب عنْ نسْخةٍ واحدةٍ لأوّل مرّة د. علي حسيْن البوّاب، ونشره في مجلّة المجمع العلْمي العراقي، مجلد ٣٦، عدد ١، ١٤٠٥هـ، ثم أعادَ نشْره اعْتماداً على نسْخةٍ أخْرى مضْطربة النّسْبة، سنة ١٤١٢هـ، لكنّ النّسْخة التي عثرْنا عليْها أفضتْ في سياق المقارنة إلى تبْيان ما حاق بالنصّ ممّا كان بالإمكانِ تلافيه لو اسْتُقْرِيَت النُّسخ، فمنْ ذلك:

١- أنّ النسْخة الطارئةَ قدْ ساقت العنْوان تامّاً بطوله ممّا ليْس في النّسخ الأخْرى، فسمّتْه «ذِكْرُ الأمثال الكائنةِ في القرآن التي لا ذِكْرَ للمَثَل فيها وحكْمُها حكْمُ الأمْثال للعرب والعَجَم»، وهي زيادةٌ وجيهةٌ تفصِح عنْ منْهج المؤلّف.

---

(١) سقطٌ نبّهت عليه نسخة المحمودية.

(٢) كذا في الأصل.

٢- أنها أقدمُ النسخ المعروفة، فقدْ كُتبتْ سنة ٦٢٧هـ، كتبها عليّ بْن يخلف الغَسّاني، فقيهُ حضرة السُّلطان أبي يعقوب المَرِيني[1].

٣- أنها أظهرت السّاقط من المطبوع، ومثاله هذا المثال: ««قلت: فهلْ يوجد في كتاب الله تعالى قولهم: «ضِغْثٌ على إبالة»؟. قال نعم؛ قوله تعالى ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]».

٤- أنها بيّنتْ أنّ المطبوع قد أخلّ بمَثَلٍ منْ جرّاء الطّمْس فتلافَتْه، وهو قوله: «قلْت: فهل يوجد في كتاب الله عز وجل قولهمْ: «[مِنّي مُن]ـاخُ[2]مَن سَبَقَ»؟. قال نعم؛ قوله ﴿والسَّابِقُونَ... ﴾ إلى آخر الآية [الواقعة: ١٢-١٤]».

٥- أنها كشفتْ أنّ الـمَزيدَ على النّصّ في إحْدى نسْختي الكتاب المعْتمدتيْن في المطبوع، دخيلٌ لا صلةَ له بمتْن المؤلف[3].

ناهيك أنّ المحقّق أخلّ إخلالا بالغاً بترْجمة الرّجل، فلمْ يُفرِدْ لها غيْر صفْحة منْقوصة، ولمْ يذْكرْ منْ مصادرها غيْر اثنيْن، مع أنّ ترْجمته تحْتملُ -لو شاء- كتاباً مُفْردا، فقدْ كان الحسين بن الفضل من القامات الطّويلة في النّصْف الأخير من القرْن الثّالث الهجري، ودقائقُ نَظَرِهِ في التّفسير مبْثوثةٌ في أُمّات كتب التّأويل، وقدْ أعدْنا العِراضَ بيْن النّسْختيْن، وهيّأنا النّصّ للنّشْر.

- توقِّي الترخُّصِ في جمْع النّسخ والعِراضِ عليْها

إنّ جرْأة التّقحّم في مَضِيقِ تحْقيق كتابٍ على نسْخة فريدة، دون استدامة النّظر في فهارس المخْطوطات، وسؤال العارفين، وتفحُّص المخْطوطات المجْهولة النّسْبة التي يحْتمل أنْ تكون مظِنّة العثور على أصْلٍ جديد، من المزالق التي ينْبُو بها سيْفُ

(١) ن نفح الطيب ٥/٢١٥.

(٢) ما بين المعكفين موضع خرم سقط به ما أثبت.

(٣) وذلك سماه الدكتور البواب ملحقات النسخة ب؛ وجعله تاليا للنص ص٤١-٤٨.

المحقّق، فتضْطرّه إلى عناء كثير، وتُتْبِعُهُ مَعَرّة قد لا يتخلّص منْ تَبِعاتها، ولذلك لزم المحقّقَ أنْ يُدَلّل على اسْتفراغه الْوُسْع قبْل خوْض هاته اللجّة، فإنّ «منْ بلغ الْوُسْعَ أَعْذَرَ»، ولا يخرجُ من العُهْدة حتى يثبت ذلك في مقدِمة الكتاب، مُلْتَمِساً من الْقَرَأَة الْعالمِينَ الدّلالة على ما فاته.

وقد كنتُ عثرتُ على نسْخةٍ وحيدة من كتاب عدد آي القرآن لأبي الحسن الأنْطاكي (ت٣٧٧هـ)، وصحبتُها سنينَ لا أجْرُؤُ على تحقيقها، حتّى كشف الله لي عنْ نسختيْن أُخْرييْن، وكمْ كان سيلحقُ الْكتابَ منْ جنايةٍ فادحةٍ لوْ كنْتُ جازفْتُ بتحقيقه اعْتماداً على نسْخة وحيدة.

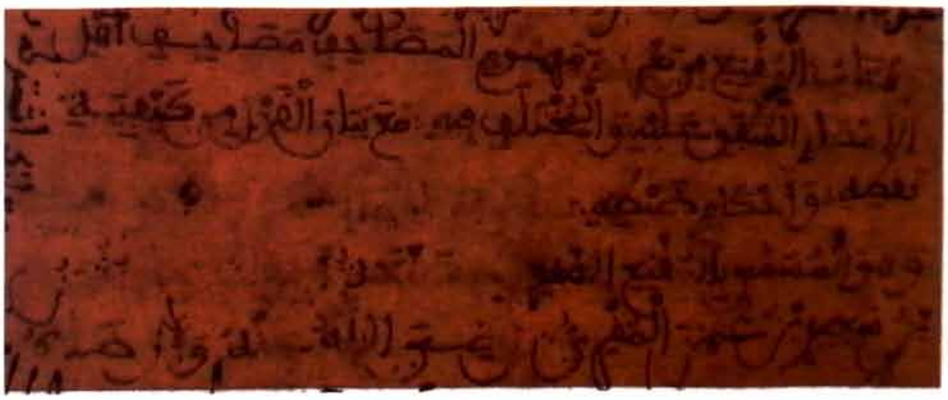
– اشْتراكُ وضعيْن مختلفيْن لنفس المؤلّف في الْعنوان، شريطةَ أنْ يكونا في فنّ واحد، يُلْزِمُ المحقّقَ لأحدهما ببذْل الْوُسْع في تعْيين أيّهما النّسْخة الْموجزةُ أو الموسّعة:

لـمّا طُبع الْمُقْنع لأبي عمْرو الدّاني (ت٤٤٤هـ)، لمْ يقعْ في تقديمه التّنبيه إلى أنّ منه نسْختيْن صغرى وكبْرى، وهو مفهومُ ما وقعَ في صفح عنوانِ نسْخةِ خزانة ابن يوسف رقم ٥٩١[1]، إذْ كتب مُتملِّكٌ عارف: «كتاب الْمقْنع في معْرفة مرْسوم المصاحف، مصاحفِ أهْل الأمْصار... وهو المسمّى بالْمقْنع الصّغير...» اهـ الْمقْصود منه. وإنْ كان في النّفس منْ هذا الْقيْد (الصغير) شيْء، فإنّ مدادَ «الصّغير»، أبرزُ منْ مداد سائر الْعبارة عند التّفرُّس، فلا يخْلو الأمْر منْ أنّ أحداً ضَنَّ به عن الانْطماس –مثْلَما وقع لما يتْلوه إذْ ذهب بالمرّة– فأعاد رَسْمه على وفْق ما ألْفاه، أوْ يكونَ الْواقعُ تحْريفاً وتغْييراً، أو يكونَ ثالثاً على جهة التّصْحيح، وأيّاً ما كان، فإنّ هذه الزّيادة مُبِينَةٌ، لأنّها تحْسم أوْ تكادُ خلافاً واقعاً في أيّ النّسْختيْن هي الْكتاب الْمطبوع، فتكونُ منْضافةً إلى قوْل الدّاني (ت٤٤٤هـ) فيه: «وعِللُ ذلك مبيّنةٌ في كتابنا

---

(١) أخنى على هذه النّسخة ما أخنى على لُبَد، فأحال بهاءَها طللاً دارِساً.

الكَبير»[١]، نصّاً في التّعيين، ويُصارُ حينَها إلى الْجزْم بأنّ النّسْخة الْمطْبوعة والنّسخ الْمعلْومة إلى الآن، هي الْمقْنع الصّغير[٢]، لكنْ يشغّب عليْه أنّ ابْنَ آجطّا (ت نحو ٧٥٠هـ) كان يرى أنّ النّسخَ التي كانت بيد النّاسِ يومئذٍ هي الكُبْرى؛ قال في التّبيان في شرْح مورد الظّمآن للشَّرِيشيّ الخرّاز (ت٧١٨هـ): «وسمعْتُ النّاظمَ رضي الله عنه مراراً يقول: إنّهما مُقْنعَان لأبي عمْرو رضي الله عنه، أحدُهما أعْظمُ جِرْماً من الآخر، وأظنّ هذا الذي بيْن أيْدي النّاس هو الكبير»[٣]. لكنّ الأمرَ مع ذلك يبْقى معْروضاً للبتّ باستقْراء النُّسخ وفحْصها.



ن السّطر الرّابع، وفيه التّنصيصُ على أنّ النّسْخةَ هي المقْنع الصّغير.

والذي دعانا أن نُعُدّ تنبيهَ متملّك النّسْخة اليوسفيّة نبيهاً، ما لهذه النّسْخة منْ ضمائم التّصْحيح والعناية، حيث زُبِرَ بذيْلها قولُ ناسخها: «[عُورِضَ][٤] بأصْل صحيح عَتيق، فصحّ ولله الحمْد».

---

(١) المقنع ص٣٠.

(٢) ون لمزيد تفصيل: معجم مؤلفات الحافظ أبي عمرو الداني ص٧٠–٧٣.

(٣) التبيان ٢/١٠٨.

(٤) مزيدٌ ذاهبٌ من الأصل.



ولأبي جعْفر الصّفّار (ت٣٣٨هـ) في الوقف والابتداء كتابان كبير وصغير[١]، ورجّح محققُ القطْع والائتناف أنه النّسْخة الكُبرى بضمائم ذكَرها[٢]، لكنّه لمْ يأْت بجازِم.

- إذا حقّق الْباحث فضْلةً من كتاب، فلا يُفْرِدُها بعنْوانها الأصيل، بلْ يُقَفِّيه بعنْوان الْكتاب، مقدّماً بيْن يدي ذلك الْقوْل: «قطعةٌ من كتاب كذا»، أو «الْفصْلُ الْفلانيُّ منْ كتاب كذا»:

وهذا احْترازٌ من الإيهام بوجودِ ما لا يوجَد، وفرارٌ من التّعْمية على الْباحث، بحيْثُ يكونُ قدْرٌ من الْكتاب الذي يقْصِد إليه مطْبوعاً منْ غير أنْ يعْلَمَه؛ لأنّه ما مِنْ مادّة ترْبطُ بين عنوان الْقطْعة المطْبوعة والكتاب الأصْل الذي تُنمى إليْه؛ ومثاله أنَّه طُبع لأحمد بن أبي عمر الأنْدَرابي (ت بعد ٥٠٠هـ) وضْعٌ سُمِّي «قراءات الْقُرّاء المعْروفين بروايات الرّواة الْمشْهورين»، فانجرّ منْ هذا الصّنيع أمورٌ كلُّها حقيقٌ بالتّلافي:

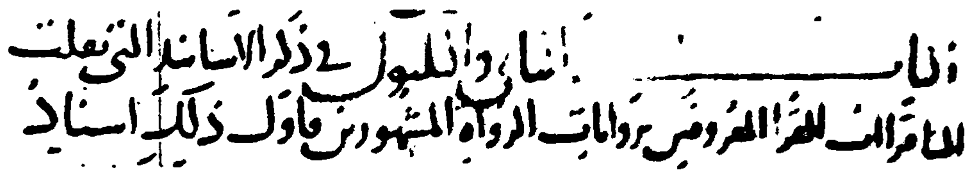
- التصرُّف في تسْميّة المحقّق للنّوع الْمُجتَزَأ، منْ غير بيانٍ، وأصْلُ التّسْمية هو «الْباب الثّاني والثّلاثون، في ذكْر الأسانيد التي نَقَلَتْ إلينا قراءات الْقُرّاء المعْروفين بروايات الرّواة الْمشْهورين»؛ وقد أوْقَعَ حذْفُ ما هو مضْغوطٌ في خطأٍ جسيم، إذْ

---

(١) الرسالة المستطرفة ص٧٩.

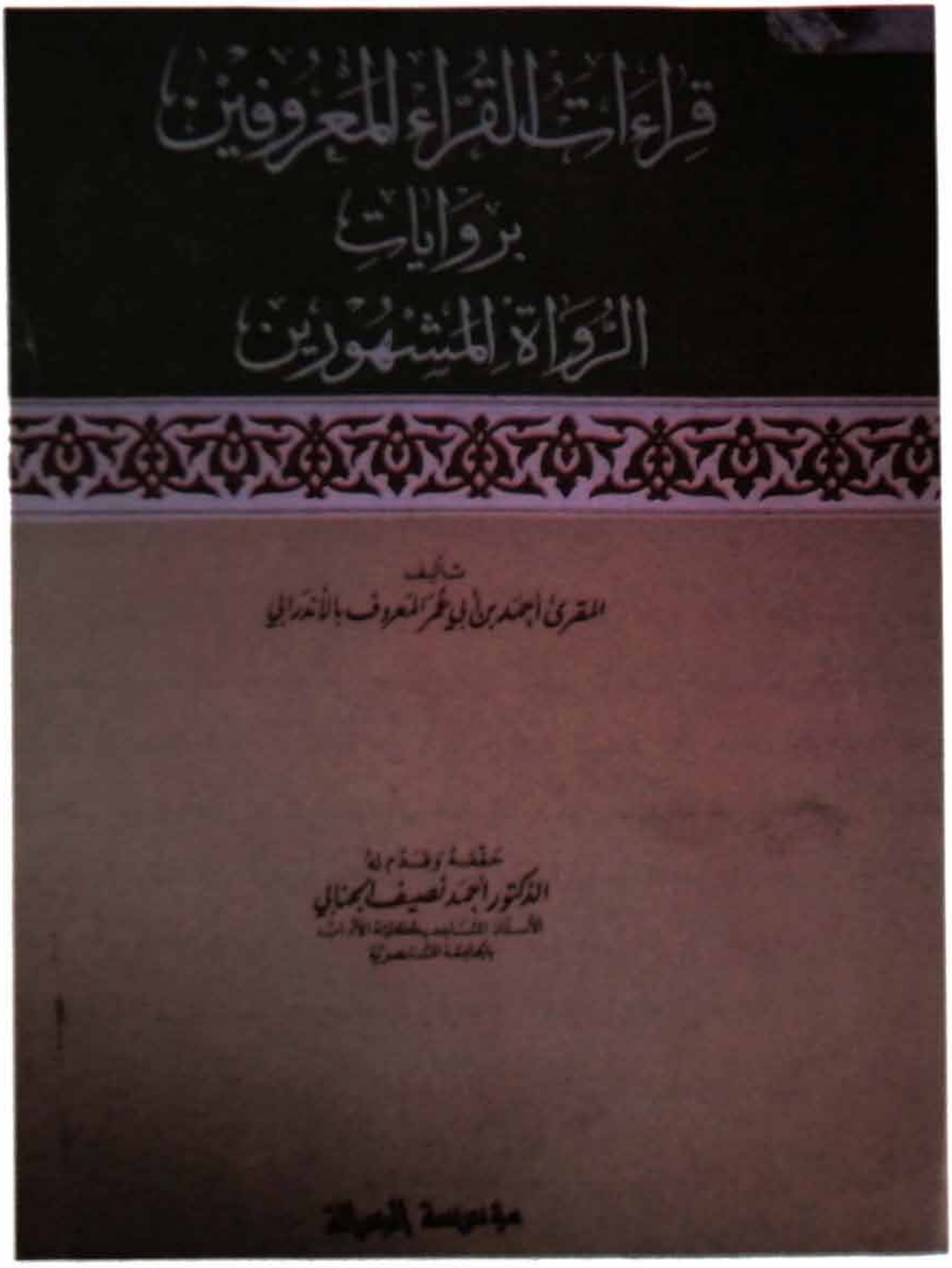
(٢) القطع والائتناف ص٥-٦.

على العنوان الجديد يوهم أن الكتاب محض لذكر حروف القراءة، ولا يصح، إنما المقصود ذكر الأسانيد


وذكر [illegible] إسناد وأن الطول في ذكر الأسانيد التي تعلقت بالقراءات للقراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين وأول ذلك إسناد

الإيضاح: ٧٧ ظ

- القصة على المحقق واختلط الأمر على العلماء والباحثين، فإن غلاف الكتاب يخلو بالمرة من ذكر الإيضاح، ولا شيء يدل -عدا قراءة الكتاب بالطبع- على أن هذا المطبوع قديم منه. وقد كنت أظن قبل أن يقع المطبوع بين يدي، أن بينه وبين أصله جملة المغايرة



غلاف الباب المنتزع من الإيضاح

وما ساقه المحقِّقُ منْ معاذيرِ إفراده لهذا البابِ[١]، لا يصْمُد عند المدافعة، ولا تقومُ به حجّة، ولو كان طوى عنه الكشْح لكان أوْلى.

- عِراضُ الجزء النّاقص أو الفَصْلة أو البابِ المنتَزَع قيْد التّحْقيق على كتب المؤلّف الأخرى قبْل مُقَابلة نُسَخه إنْ كانتْ له نسخ:

فإنّ كثيراً من اصْطلاحات المؤلّف إنّما يفْصحُ عنْها في مجموع كتبه لا في آحادِها، وبعْضُ العبارات المُلْغِزة إذا اكْتُفي في تفهُّمها بسياقٍ واحدٍ، عَسُرَ الكشْفُ عنْها، بخلاف ما إذا ضُمّتْ سياقاتُ اسْتعمالها في كتب المؤلف بعْضِها إلى بعْض، فإن التضامَّ ينْتجُ حينَها معْرفةً جُمليةً لا تحصُل في موْضع مفْرد.

ويتعدّى الأمْر ما قلْناه، ليصل إلى حدِّ أنّ المحقق مُلْزمٌ عند العْثور على وضْع في نسْخة فريدة، أنْ يعْرضه على ما تبقّى منْ كتب المؤلّف؛ عسى أنْ يكون فصْلةً منْتَزعة، أو فصْلا مفْردا، أو فائدةً عنَّ لأحد الكَتَبَة تقْييدُها على حِدة، فيتوهّم المحقق العَجْلانُ إذا لم يتحقّقْ بما شرطْناه، أنّ هذا كتاب أو رسالةٌ ندّ عن السّابقين ذكْرُها، وبُقّي له على غفْلةٍ من الدّهْر ذُخْرُها، ومثاله ما وقع فيه أحدُ النّاشرين، حين وجد ضمن مجموع رقم ٧٠٧ بدار الكُتب المصريّة، ورقةً فيها نظْمُ مخارج الحروف لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، فنَشَره مستصْحِباً فرادَتَه[٢]، وهو يبتدئ بقوله:

تسع وعشرون حروف المعجم فسبعة للحلق منها فـاعلم

ولوْ تلبّث بعْضَ الشيْء، لنبّه خلوُّ النّظْم من ديباجةٍ وخاتمة إلى أنّه مجتزَأ غير تامّ، وحقيقتُه أنه مطْبوع، إذْ هو فصْلٌ من آخر المنبِّهة، يبتدئ من البيت ١١٨٦،

---

(١) [ذكر إسناد] قراءات القراء المعروفين... ص٢٦-٢٧.

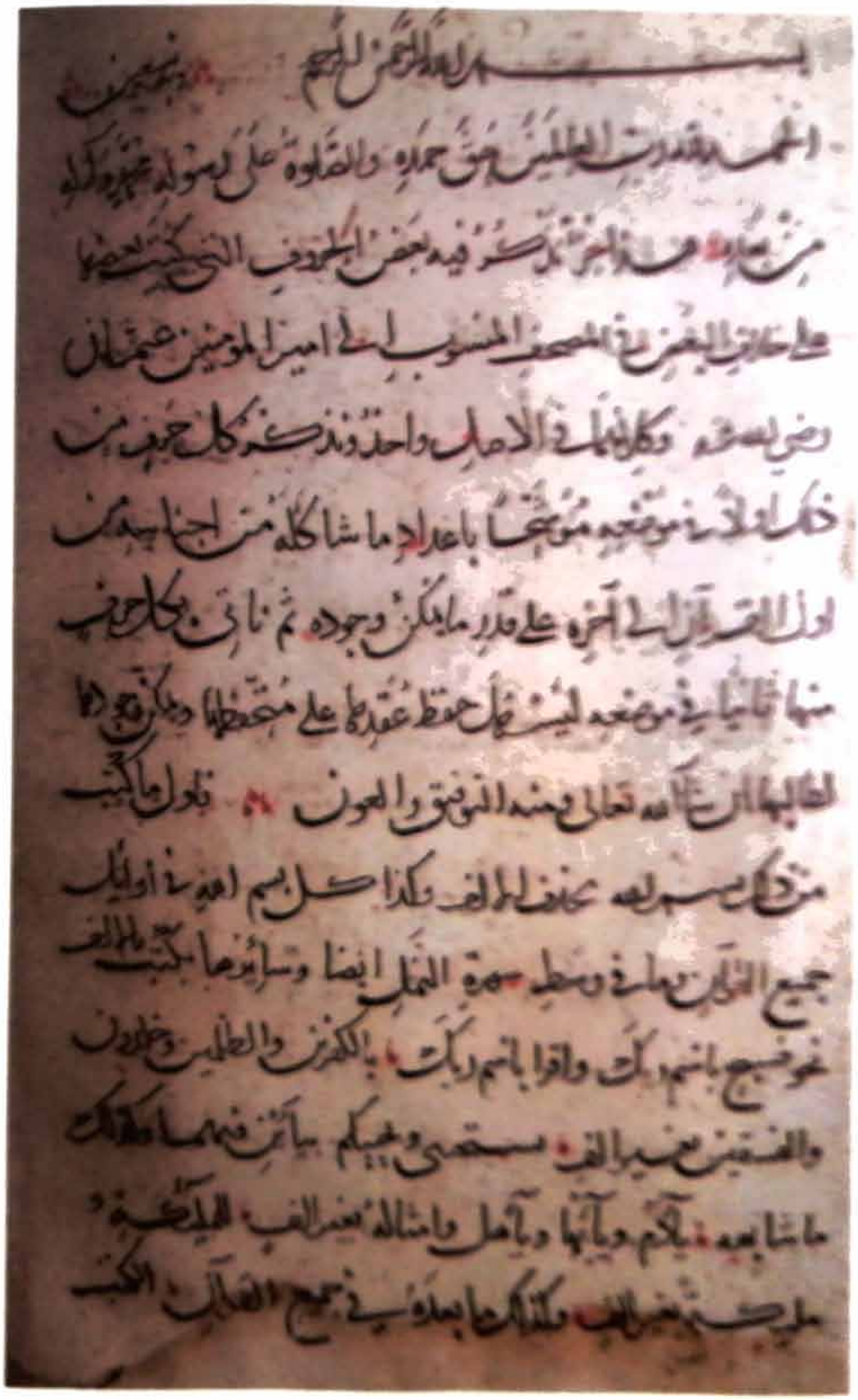
(٢) وقع له ذلك في «مجموعة مهمة في التجويد والقراءات والرسم وعد الآي» ص٧-٨.

وينتهي بالبيت ١٢٠٢، وقدْ صدّره أبو عمرو بقوله: القوْل في مخارج الحروف وتفْصيلها[١].

ومنْ هذا القبيل أنّي كنتُ أظنُّ رسالةَ الحروف التي ذُكِرَ بعْضُها على خلاف بعْضٍ في مصْحف عثْمان، نسخة هارفارد رقم ٣٧٩، وضْعاً مُفْرَداً مستقلّ البنْية، وعمي عليّ معرفةُ صاحبه بادي الرّأي، ثمّ عثرْتُ له على نسْخةٍ أخرى في خزانة ابْن يوسف، تحت رقم ١٩٤، بعنوان هجاءات القُرآن، بيْد أنّ لهذا الجزْء الْمنقوص قصةً طَريفةً ليْس هنا موْضعُ بثّها.

---

(١) المنبّهة ٢/٧٠٦–٧٠٩.



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله بقدرت الطلس حق حمده والصلوة على رسوله محمد وآله

من بعده . هذا جزء تذكر فيه بعض الحروف التي كتبت بعضها

على خلاف البعض في المصحف المنسوب الى امير المومنين عثمان بن

رضي الله عنه وكلها في الاصل واحد ونذكر كل حرف من

ذلك في موضعه موضحا باعداد ما شاكله من اجناسه من

اول القرآن الى آخره على قدر ما يمكن وجوده ثم ناتي بكل حرف

منها ثانيا في موضعه ليسهل حفظ عدده على حفظها ويمكن وجودها

للطالب ان شاء الله تعالى وعنده التوفيق والعون . فاول ما كتب

من ذلك بسم الله بحذف الالف وكذا كل بسم الله في اوايل

جميع السور وما في وسط سورة النمل ايضا وسايرها كتب بالالف

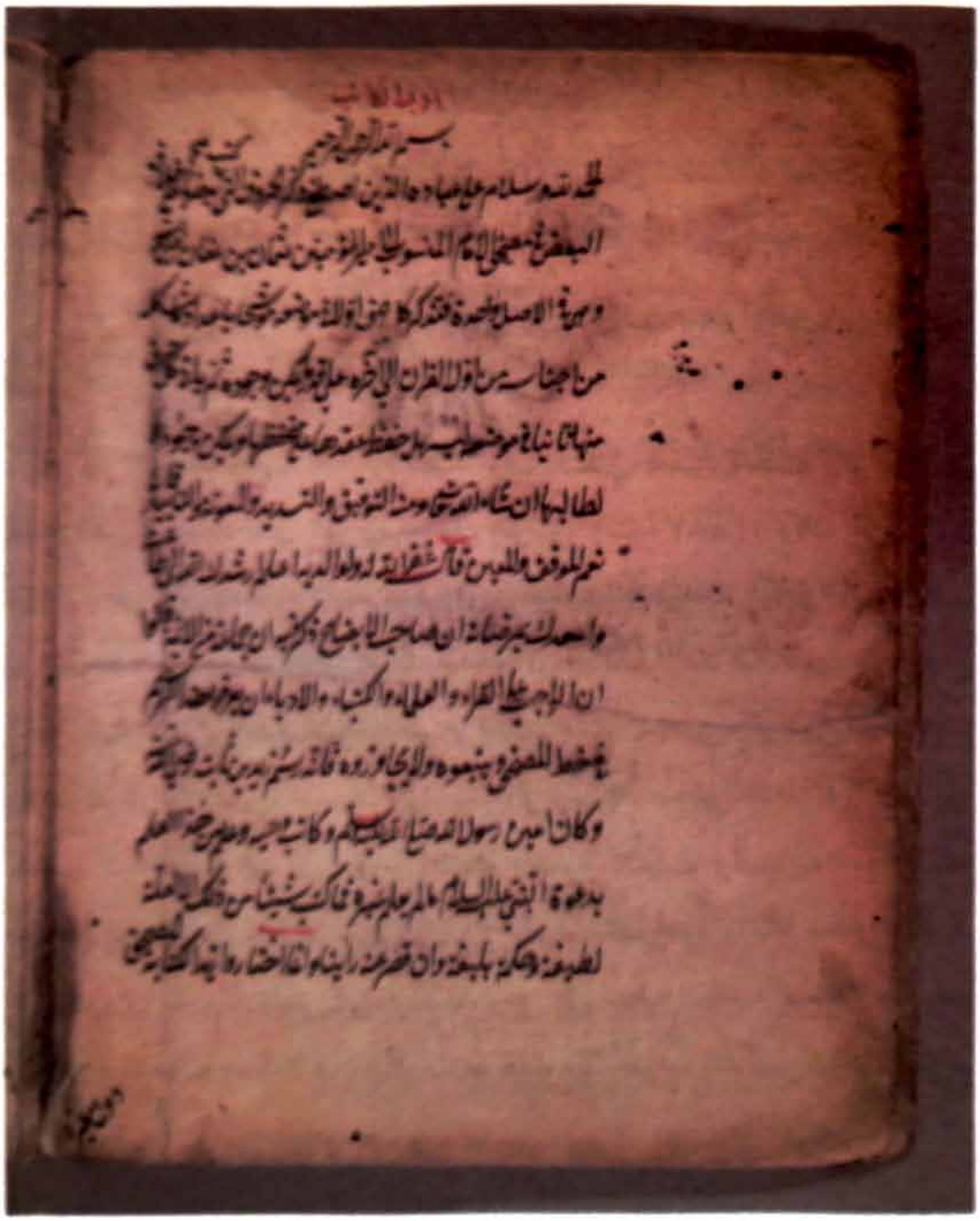
نحو فسبح باسم ربك واقرا باسم ربك . بالكفرين والظلمين وخلدين

والصدقين بغير الف . مستحيي ومحييكم [illegible] فيهما [illegible]

ما شابهه . يايكم ويايها وياهل واشاله بغير الف . الملائكة

حيث وقع بغير الف . وكذلك ما بعده في جميع القرآن الكتب

فاتحة هجاءات القرآن، نسخة الخزانة اليوسفية رقم ١٩٤



رسالة الحروف التي ذكر بعضها على خلاف بعض في مصحف عثمان، نسخة هارفارد رقم ٣٧٩

وقد طُبعَتْ بمجلة المورد العراقية (المجلد ١٧، العدد ٤، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م: ص: ٣٠٥-٣٢٢)، قطعةٌ منْ كتاب **التّنبيه على فضل علوم القُرآن**، لأبي القاسم ابْن حَبيب النّيسابوري (ت٤٠٦هـ)، تمثّلُ بابيْن اثنيْن منْه: الأوّلُ في التّنزيل وترْتيبه، والثّاني في وجوه المخاطبات، وقد نبّه محققُه على ذلك[١]، لوْلا أنّ العنوانَ أوْهَمَ تحْقيق الكتاب كاملا[٢].

- لا يصحُّ بعلّة نماء الأصْل ومختصَرِه إلى المؤلّف عيْنِه، التّلفيقُ بيْنهما جزْءاً أوْ كُلّاً:

ومنْ أشدّ ما وقفتُ عليْه منْ ذلك، أوانَ اشْتغالي بتحْقيق «**نكت وتنْبيهات في تفسير القرآن المجيد**»، لأبي العبّاس البسيلي التّونسي (ت٨٣٠هـ)، وكانَ يلزمُني أنْ أؤوبَ باطّرادٍ إلى أصْله «التّقْييد الكبير»، في نسخه المخْطوطة، فكان منْ غرائب الاتّفاق أنْ نُشر بعْضُه للتّوِ، فألفيْتُ عنْد صَفْحِه أنّ مقدّمةَ المؤلّف فيه طويلةٌ، وعهْدي بها مقْتضبةٌ غايةً، لا تعْدو خمْسة أسْطر أوْ تكاد؛ فاتّهمْتُ نفْسي -وكثيراً ما أفْعل- وعُدْت لأُعارضَ المطْبوع بأصوله التي تَحَصّل لي بعْضُها، فأفضى النّظرُ في كلّها إلى كشْفِ أنّ «المحقّق» عمد إلى مقدّمة المختصر المخطوط «نُكت وتنْبيهات»، وهي نحْوُ منْ ثمانِ صفحاتٍ في مخطوط خ ع ق ٢٧١[٣]، فسَلَخها عنْوةً وأثبتها صدْر «التّقْييد الكبير»، وهي منْه براءٌ، وليْس ثمّتُ له بصلة، وعفّى على خُطْبة الكتاب الأصْليّة وأذْراها في مَدَارج النّسْيان، وسكت عنْ تبْيان صنيعِه هذا، ولا أعْرفُ للتّدْليس وجْهاً أصْرحَ منْ هذا...!.

---

(١) ص٣٠٦.

(٢) رأيتُ القطعة بعد ذلك محققة اعتماداً على نسختين: نسخة الظاهرية، ونسخة الخزانة الحسنية -وكلتاهما ناقصتان- وليس بيدي الآن نسخةٌ للتوثيق.

(٣) شغلت في النص المطبوع ٣٤ صفحة. ن نكت وتنبيهات: ٤/٢-٣٨.



قدْرُ خطبة التقييد الكبير للبسيلي في نسْخة الخزانة الحسنيّة العامرة رقم ٦٧٩،
وقدْ أُبدِلتْ بخطْبة المختصر الموسّعة (٨ ورقات)

- ليْس يجوز للمحقّق قطُّ، طَيُّ قدْرٍ من النّصّ قَلَّ أوْ كثُر، أوْ معاملتُه معاملةَ المعْدوم، بعدم إثْباته في المتْن؛ لأيّ علّةٍ كانتْ، فإنْ زادَ فسكتَ عن الْبيانِ كان أنْكى وأفْدح:

وبعضُ منْ يشْتغل بتحْقيق النّصوص، يهْجمُ -مُسْتَجيزاً- على حذْفِ ما يخالفُ اعْتقادَه منْ كلام المصنِّف، ويطْويه كأمْسِ الذّاهب، ولا يشيرُ إلى ما اخْتَقَبه أدْنى إشارة؛ وفيه من المحَاذير ما فيه، ولا سيما إذا شاع النّصُّ في النّاس، وهو في مَرْماهمْ مُبرّأٌ من الْعيْبِ الطّاعن، مُرْتفعٌ عنْ حَضِيضِ الظِّنّة؛ والأمْرُ خلافُ ما قدّرُوه منْ ذلك، والله منْ وراءِ ما هُنالك.

ومنْ الطّوامّ الْـمُريعةِ الشّأْن، حذْفُ محقّق التّقْييد الكبير للبسيلي أرْبعَ نصوص طوالٍ منْ مقدّمة «نكت وتنْبيهات» -وهي التي أدْرجها قسْراً[1]- وبعْضُها ممّا يخالفُ معْتقَدَه أو ممّا لا يروقُ له[2]؛ كحكاية المؤلّف عن الْمَرَائي[3].

---

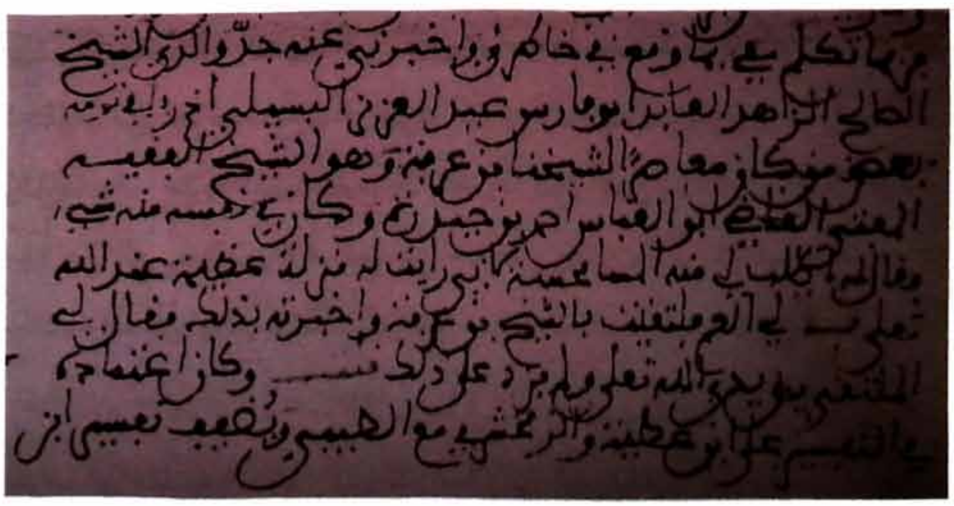
(١) القصد إلى خطبة الكتاب المختصر، ركّبها للكتاب الكبير.

(٢) ليس يلزمُ من كل من حقّق نصّاً أنه يعتقدُ صحّة كل ما فيه، وليس يلزمه في عُرْف المحققينَ التنبيهُ على شيء من ذلك، فإنْ فعل فلا ضير. وإنما يلزمُ ذلك في كتب الصّغار وكتب التعليم.

(٣) ن تفصيل ذلك في مقدمتنا لنكت وتنبيهات ٢٣٢/١ - ٢٣٥.

وممّا حذفه وهو ثابتٌ في أصْله، قوْلُ الْبسيلي في معْرض التّرْجمة لابن بَزِيزَة التّونسي (ت٦٦٣هـ): «عَرَّف به الْحافظ أبو الْعبَّاس الأغرْناطيُّ في كتابه المسمّى بـ«الْمُشْرِق في ذِكْرِ علماءِ الْمغربِ والْمشْرِق»، قال: «تفقَّه بأبي عبْد الله السُّوسي وأبي محمّدٍ البُرّجيني والْقاضي أبي الْقاسم بْنِ الْبَراء، وكان حافظاً للفِقْهِ والْحديثِ والشّعرِ والأدَبِ، مشاركاً مُصَنِّفاً. لهُ في التّفْسيرِ الجمْع بيْن ابْن عطيّة والزّمخشريّ، وله شرْح التّلْقينِ والأحْكامِ الكبْرى، وشرْح الإرْشاد»[1].

وكذلك أسْقط الْمحقّقُ فقْرةً كاملة ثابتةً أيْضاً في النّسْخة التي اعْتمدها من كتاب «النّكت» الصّغير؛ وتظْهرُ في الأُنْموذج بتمامها؛ منْ قوْله «وأخْبرني عنْه عمّ والدي»، إلى قوله «ولـمْ يَزِدْ على ذلك».



أُنْموذجٌ عن الْفقرات التي وقع إسْقاطُها عمْداً من المطبوع، والإيرادُ منْ نسْخة «نكت وتنْبيهات»، الخزانة العامّة بالرّباط رقم ٢٧١ ق.

(١) نكت وتنبيهات ١٣/٢ – ١٤. ولا وجود له في التقييد الكبير.

- لزومُ النّظر الجُمْليّ الحاصر لأعْمال المؤلّف، المقْصودِ تحْقيقُ بعْض تراثه:

فإنّ مجْموع ما يقعُ للباحث عنْد الحصْر وتغيّي الاسْتقراء هو بالْبتّ أوْفى وأصحُّ ممّا يقع له دون ذلك، وإغْفالُ هذا الأصْل يفْضي إلى نقائصَ منها: تكْرارُ التّوارُد على نفْس المباحث منْ غيْر تأْسيسٍ ولا تأْكيدٍ ولا زيادةِ بيان، مع أنّه لو اسْتبدّ المتقدّمُ أغْنى المتأخّرَ منْ ذلك، ومكّنَ للتّراكم العلميّ المؤسّس على اسْتئْناف التّالي منْ حيْثُ كَفَّ الذي قبْله، وفيه تقْصيدُ وظيفة البحْث وتصْفيتُها مِنْ شَوْبِ الْعبَث؛ ومثالُه أنّ كتاب **وجوه القُرآن** لأبي عبْد الرّحمن إسْماعيل بْن أحْمد الحيري النّيسابوري (ت٤٣١هـ)، طبع سنة ١٤٢٢هـ، ولمْ يعْرف محقّقُه منْ كتبه الأخْرى الباقية غيْر كتاب **الكفاية في التّفسير** المخطوط في مَشْهد (٥٦٠٧٥/٣)، لكنّه لمْ يعْتمدْه، وفاتَهُ كتابٌ آخرُ له هو كتاب **أسْماء منْ نزل فيهم القُرآن**، ولم يكنْ حالُ هذا حين طبع سنة ١٤٣٣هـ بأحْسن مِنْ حالِ قَرِينِه، فقدْ طُبع على نسْخة وحيدةٍ منقوصة، زَيْداً على أنّ ناشرَه لمْ يعرفْ كتاب **الْوجوه** المطْبوع قبْل بإحدى عشْرة سنة، ولاَ عَرَفَ غيْره، وقال: «وجميعُ كتبه لم يُعْرَفْ مكانُها، سوى هذا المخطوط فيما نظنّ»[(١)].

ومن فوائد الجْمْع بين الكتابين -لوْ تأتّى-: التّحقّقُ منْ أنّ تأْليف كتاب **الوجوه** سابقٌ على كتاب **الأسْماء**؛ لأنَّ الْحَوَالةَ على الأوّل في الثّاني ولا عكْس[(٢)].

ومنْه أنّ مسْرَدَ مؤلّفات الحيريّ بقَلَمه أوْفى في الأسْماء منْه في الْوجوه، وهي أكْملُ لائحةٍ لكتبه تُعْرف إلى الآن. ومنْه أنّ الحيريَّ في الكتابيْن معاً، كان يلْتزمُ تُراثَ مدْرسة ابْنِ عبّاسٍ ﷺ ما وسِعه، مُصَرِّحاً بذلك في المقدّمتيْن[(٣)].

(١) أسماء من نزل فيهم القرآن ص٥١.

(٢) ن الأسماء ص٧٧.

(٣) الأسباب ص٧٦، الوجوه ص٥٣-٥٤.

- مِنْ كتُب الأمالي التّفسيريّة وكتب القراءات ما تقدّم فيها أو تأخّرُ بعْض الآيات أو الحروف على بعْضٍ خلافا لترْتيبها التوْقيفيّ في المصْحف، فلازمٌ أنْ ينبّه المحقّق عليها حتّى لا يُظَنَّ سقوطُها بالمرّة عنْد فقْدِها في موْضعِها، وقدْ حصل ذلك في مواضعَ منْ كتاب عدد آي القرآن للأنطاكيّ (ت٣٧٧هـ)[1] ونكت وتنبيهات لأبي العبّاس البَسيلي (ت٨٣٠هـ).

وفائدةُ التّنبيه تلافي فواتِ الاتّساق في كلام المؤلّف في القراءة خاصّة، فإنّه قدْ يُقدّمُ -ذاكراً أوْ غافلاً- الحرْفَ -لأوّل وُرُوده في الغالب- على موْضعه، ويُديرُ بمناسبةِ الكلامِ عليه وعلى نظائرِه أصْلاً مُطّرداً من القِراءة، عنْد منْ يُدْمج الأصولَ في الفُروش، وهو صنيعُ المتقدّمين عادةً، ومن صنيعهمْ أيضاً استغْناؤُهمْ عنْ إيراد الحرْف وتكْرارِ وجُوهِهِ في بقيّة مواضعه، بالكلامِ عليه لأوّل ذكْرِه، فمنْ فقدَ الحرْفَ حيْثُ هو، فليَنْظرْ في ما تقدّم منْ نظائره.

- إذا أطْبقت النُّسخُ على إسْقاط ما تقْتضي البَداهةُ إثْباتَه، فلا يُلْحِقُهُ المحقّق بصُلْب النّص، وإنّما يُثْبتُه في الحاشية منبّهاً عليْه؛ تعِلّة أنْ يكونَ واهماً في دعوى السّقط، أوْ أنْ يكونَ ذلك خطأً يُنمى إلى المؤلّف لا يسُوغُ إصْلا حُه في المتْن بحالٍ.

وقد خالفتُ هذا النّهج -غيرَ مُصيبٍ- في مواضعَ قليلةٍ منْ كتاب عدد آي القرآن للأنطاكي، اعتماداً على أنّ السّاقطَ من المعْدودِ في الخلاف عنْد التّفْصيل، مُخِلٌّ إذْهابُه بصحّة العَدد المجْمل الذي يذْكره المؤلّف؛ ومنْه في سورة الكهف، فقدْ عدّ الأنطاكيُّ مواضع الخلْف فيها إجْمالاً أحَدَ عشر؛ ولمْ يذْكرْ في التّفْصيل غير عشرة[2]، فألحقْتُ الآيةَ الحادية عشرة في الصُّلْب بيْن قوْسيْن منبّهاً عليْها، وهذا وإنْ كان سديداً

---

(١) ن المثال: ص ٣٦٦.

(٢) كتاب عدد آي القرآن ص٣٣٠ .

منْ جهة حقائق العلْم[١]-فإنّي وجدت أبا العبّاس ورّاق خلَف (ت في حدود ٢٧٠هـ) في كتابه في العدّ[٢]، وهو أُسّ بناء كتابِ ابْن بِشْرٍ، يُثْبت الآيةَ الملْحقة- فإنّه منْ جهة قواعد التّحْقيق خطأٌ بيّن، واللاّزمُ أنْ يُكْتبَ السّاقطُ في حقيقة الأمْر أوْ في دعْوى المحقّق بالحاشية، وينبّه عليه، ويُسْتحْسنُ أنْ يُكْتبَ بمقياس خطّ المتْن، لا بمقياس خطّ الحاشية، ليكونَ بروزُه تلْميحاً إلى أنّ محلَّه الأصل!.

- إذا لمْ يتهيأْ للمحقّق العثورُ على نسْخة من الكتاب تامّة، فيلْزمه التّنْبيهُ بجلاء إلى ما اعْتراها منْ نقْص:

وفائدتُه أمْران: الأوّلُ كيْ لا يُظَنَّ أنّ النقْصَ من الأصْل. والثّاني: فسْحُ المضْمار أمام الباحثين ليتمّموا النّقْص، بما عساهمْ يعْثُرون عليْه منْ نسْخة أو نسخ فاتت المحقّق الأوّل.

ومنْه أنّه طُبع كتاب معاني القرآن لأبي جعْفر النّحّاس (ت٣٣٨هـ)، مُحقّقاً، اعْتماداً على التّلْفيق بيْن نسْختيْن ناقصتيْن... وليْس في التّقْديم للكتابِ تنْبيهٌ على هذا سوى في وصْف النّسخة؛ لكنّه تنْبيهٌ على اسْتحْياء؛ ففيه: «...وهي النّصْف الأوّلُ منْ تفْسير القرآن الكريم، إلى نهاية سورة مرْيم، وفيها نقْصٌ لبعْض الآيات منْ سورة البقرة.... أمّا النّصْف الثّاني، فقدْ صُوّر منْ مخْطوطةٍ...تبْدأُ منْ سورة الحجّ، إلى نهاية سورة الأحْقاف»[٣]. فيتحصّلُ أنّ المطْبوعَ ينْقُصُ في تضاعيفه سورَتَي طه والأنْبياء، وقدْ وقع الانْتقالُ منْ سورة مرْيم إلى سورة الحجّ[٤]، دون نُقَط حذْفٍ دالّةٍ أوْ صفْحة بيضاءَ يسمّى فيها النّقْصُ الحاصل. وينْقُصُ من آخره، منْ سورة الحجرات إلى

---

(١) علقت في الحاشية: «زيادة لازمةٌ مثْلي، مساوقةٌ لأسلوب المؤلّف وحقائق كتب العدّ، وليوافق العددُ المعدود».

(٢) و٣٢ ظ.

(٣) ٢٧/١.

(٤) ن معاني القرآن ٣٦٧/٤، ٣٦٩/٤.

آخر القرآن، وهي ٦٥ سورة. وعليه يكونُ تسميةُ المحقّق فيما سلَفَ سورةَ الأحقاف آخرَ ما تنتهي به المخطوطةُ وَهَماً وسبْق قلم، إذ تنتهي على الحقيقة بعْد ذلك بسورتين اثنتين.

ويدلُّ للفائدة الأولى، أنَّ المحقّقَ نفسَه لمْ يتحقّقِ النّقْصَ من الأصْل أمْ من النّسْخة، فقال عنْد نهاية القَدْر المطْبوع في الحاشية: «إلى نهاية سورة الفتْح تنْتهي المخطوطةُ التي بين أيدينا، وهي المخطوطة الوحيدةُ كما أسْلفْنا، وبذلك ينْتهي الكتاب، ولا ندْري هلْ أكْمل المصنِّفُ بقيّةَ السُّوَر، أمْ أنّه اكتفى بهذا القَدْرِ من الكتاب العزيز؟»[1].

- «تحتاج كتب القراءات احْتياجاً كبيراً إلى التّنْبيه في كلّ سورةٍ على حكْمِ ما سبق ذِكْرُه منْ حروفِها مجموعا إلى نظيره في موْضعٍ متقدّم، فهذا يساعدُ القارئَ كثيراً على سُرْعة معْرفةِ حكْم أيِّ كلمةٍ في أيّ سورةٍ، بمعْرفة موْضعِها الذي ذُكِرَتْ فيه في الكتاب، وهذا أيْضاً يساعد محقّقَ الكتاب على اكْتشاف الحروف التي لمْ يذْكُرْها المصنّف»[2].

ويجرُّ عمّا مضى أنّ المؤلّف إذا أحال على موْضعٍ سابقٍ لزمَ المحقّقَ أنْ يعيّنه، إسْعافاً للقارئ، وحِيطةً له أنْ تذهبَ به السُّبُل في تقْدير ما لا يَصِحُّ.

ويجْري مجْرى ذلك أيْضاً، ما يقع لبعض المحقّقين، حين يشْتغلون ببعْض الأعْمال الكبيرة التي تنْقطع الأنْفاس دون إتمامها، إلاّ بتروٍّ ومُهْلةٍ وتعَهّد، ضرورةَ ما يحدُثُ للنّاس منْ أقْضية صارفة، وأشْغال طارئة، وقواطع مانعة، فإذا عاد إلى العمل عليْها بعْد انْقطاع، دون أن يجدّد إحْكامَ الرّبْط بين ما مضى منْ كلام المؤلّف مع التّعْليق عليه، وما يأْتي منه ممّا لا يزال غُفْلاً عن التّحْقيق والتّعْليق، وقع له منْ تكْرار

(١) معاني القرآن ٦/٥١٨.

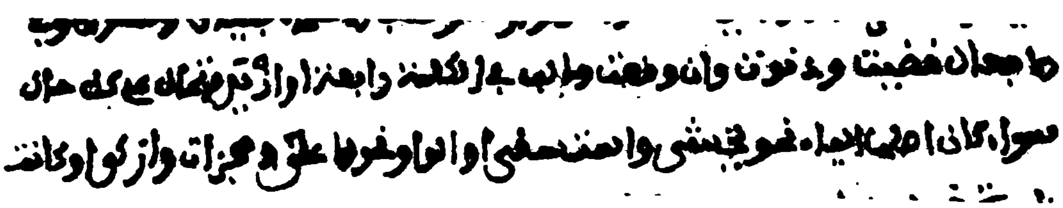
(٢) نقلا عن مفردة الكسائي ص٣٦٦.

القول أو التّناقض البيّن في تعْيين بعْض الأعْلام، ما يقع أيْضاً للعمل الكبير الذي يتعاوَرُه باحثون كثر مختلفو المشارب والمناهج، فتضْطرب فيه خطّة العمل، فيكون من جرّاء ذلك ما تلْحظُهُ العيْن منْ تكْرار التّراجم بنَفَسٍ متباين، وإبْداءِ القوْل وإعادتِه في قضايا سَلَفَ التّعْليق عليها، والتّردُّدِ في تعْيين المقْصود ببعْض الأعْلام أو الكتب.

– إجْماعُ نسخٍ شتّى على تمْثيلٍ لأصْل قرائيّ لا يسْتلزم صحّته، فقد تكونُ جميعُها آيلةً إلى أمّ واحدة لحقها التّصْحيف في ذلك الموْضع:

مثاله عنْد قوْل ابن جُزيّ الغرْناطي (ت٧٤١هـ) في المختصر البارع في قراءة نافع[١]: «وإنْ وقعت الألفُ في الكلمة رابعةً، أوْ أزْيَدَ، فتُمَالُ على كلّ حال، سواء كان أصْلُها الياء، نحو: ﴿يَخْشَى﴾ [طه: ٢] و﴿اسْتَسْقَى﴾ [البقرة: ٥٩]، أو الواو، نحو: ﴿الأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، و﴿مُزْجِيَةٍ﴾ [يوسف: ٨٨]...» اهـ.

فقدْ وقع في ثلاث نسخ: «مرْضاة»، ولكنّها لا تمالُ لنافع في مواردها الأرْبعة، أيْ حيثُ وقعتْ. والمثْبَتُ على الصّحيح انفردتْ به نسْخةٌ رابعة[٢]، وهو تمْثيلٌ صحيح، فتكونُ غلبةُ العَدَد في النُّسخ غيْرَ غانيةٍ شيْئاً في الصِّحّة إلاّ ببلاغٍ من العِراضِ على قواعد العلْم المقرّرة.



المختصر البارع، نسخة المكتبة الوطنية التونسية رقم ٨٩٤٨: و٥ ظ.

– منْ مشْكلات تحقيق كتب القراءات، كثْرة الأمْثلة، وقدْ يسوق المؤلّفُ الحرْفَ على هيْئته في المصْحف، بالرّواية التي ارْتضاها، أوْ يعْدِلُ عنْ ذلك إلى إيراد

---

(١) النصّ مستجلب من تحقيقنا الجديد للكتاب.

(٢) لكنّه ورد مصحّفا، وليس ذلك بمانع من تبيُنه.

الكلمة في أصْلها اللغوي مُلتفتاً إلى أحْوال الإعْراب وتصاريف الكلام؛ فينْبغي تحديدُ ما أراد، فإنْ قَصَدَ إلى المعْنى الأول، جلبْتَ الحرْفَ على شاكلته في الرّسْم والضّبْط، وإنْ رام الثّانيَ، سُقْتَ الكلمةَ مُجرّدةً عنْ هلالي التّنْصيص، لتدلّ أنّه ليْس حرْفاً بعينه. وإبْدالُ الأول بالثاني أوْ عكْسُهُ موقعٌ في وهم كثير.

وليْس مِنْ وكْدِ المحقّق الاحْتفالُ في رَعْيِ ذِكْرِ الفروق بين النّسخ في الحروف وموارد التّمْثيل حين تكْثُرُ كثْرةً بالغة، إلاّ إذا كانت الزّيادة على موْرِدِ التّمْثيل قيْداً يميّزُ الحرْفَ عنْ نظائره. واقْتضابُ المؤلّف للآيات لا يُعْفي المحقّقَ من التّنْبيه عليها وردِّها إلى الجَدَد؛ ولذلك قال د. عليّ حسيْن البوّاب، فيما انْتقده على ابْن الجزريّ في تمْهيده[1]: «ومما يسجّل على المؤلف اقْتضابُهُ لبعْض الآيات القرْآنية، وإيرادُه أجْزاء منْه قدْ تخلّ بالمعْنى، وإذا التمسْنا له العُذْر هنا، وقلْنا إنّ كثْرة الآيات الواردة في الكتاب جعلتْه يقْتصر على موْضع الشّاهد من الآية، فإنّ الذي لا يُقْبَلُ هو ذكْرُ الآية على نحْوِ ما يخالفِ لما عليه المصْحف، فيذكر «وذللنا» في ﴿وذَلَّلْنَاهَا﴾ وقسطاس في ﴿بِالقُسْطَاس﴾ ودنيا بدل ﴿الدُّنْيَا﴾...وأرى أن ذلك لا يجوز».

- **تُعْتبرُ قراءةُ المؤلّف المُجْرَى على وَفْقها التأليف، وتُكْتبُ الآيةُ في الأصول أو الفُروش على الوجْه الذي قُرِئتْ به**، وهاته ليْست مناطَ خلاف، أمّا الآياتُ لأوّل وُرُودها فيلْتزمُ فيها -دفْعاً للتّشْغيب على القارئ- روايةٌ بعيْنها إنْ لمْ يصرّح المؤلّف بالتّعْيين، والأوْفقُ حينَها أنْ تكون قراءةَ بَلَدِ المؤلّف إنْ تمْحض عِرْفانُها إذْ إنّما يصْدُر في الغالب عنْها، وإلاّ اخْتار المحقّقُ قراءةً يجْري على سَننها باطّراد، لكنّ ذلك كلّه ما لمْ يُوافقْ إيرادُ المصنّف للآية وجْهَها المذْكورَ عنْده، وما لمْ يقعْ للمحقّق من النُّسخ وثْقى مقروءةٌ يرْتضي بالاستقراء تعيينُها لقراءة الانْطلاق؛ فإنّه مدعوٌّ لموافقتها منْ غير ثنْيا. وهذا الذي ذكرْناه عادةٌ محكّمةٌ عند متْقني المحققين، وعبّر عنه صنيعُ د. شوقي ضيف في منْهج تحْقيقه للسبعة إذ قال: «ولمْ يلْتزم [ابن مجاهد] أوّل ذكْره للحرْف

(١) ص٢٠-٢١.

قراءةً معيّنة، فالْتزمْتُ روايةَ حفْص بْن سليْمان الأسَدي لقراءة عاصم بْن أبي النّجود الكوفي التّابعي أحد الائمّة السّبْعة، وهي نفْسُ القراءة التي تطْبع بها المصاحفُ في مصْر والْعراق وغيْرها من الْبلاد العربيّة»[١].

ويصيرُ الْأمرُ نقْضاً لغزْل المؤلّف، حين مخالفته إلى غيْر الْقراءة التي ارْتضاها؛ ومنْه أنّه طُبع كتابُ **التّسْهيل لعلوم التنزيل**، لابن جُزَيٍّ الغرْناطي (ت٧٤١هـ) غيْرَ مرّة[٢]، بمقْتضى رواية حفْصٍ عنْ عاصم، مع أنّ مؤلفه صرّح في تقْدمته بالْقوْل: «وإنّما بنيْنا هذا الْكتاب على قراءة نافع لوجْهيْن: أحدُهما أنّها الْقراءةُ المسْتعْملة في بلادنا بالْأنْدلس وسائر بلاد الْمغْرب. والآخَرُ الاقْتداءُ بالْمدينة شرّفها الله تعالى؛ لأنّها قراءةُ أهْل الْمدينة، وقال مالك بْن أنس: قراءةُ نافعٍ سنّة»[٣].

أمّا أنْ يكونَ الْوضْعُ التّأليفيُّ في قراءةٍ مخصوصةٍ لا يُجاوزُها إلى غيْرها، فيُقْسَرَ المتْنُ اعتسافاً على خلاف تلْك الْقراءة، فمِنْ إحْدى الكُبَر، وقدْ حصل معي ذلك حين طبعْتُ منذ ثلاث عشْرة سنةً كتاب **المختصر الْبارع** لابْن جزيّ[٤]، فخالفني الطّابعُ إلى إثْبات الحروف بقراءة عاصم، منْ غيْر أنْ يسْتشيرني، بدعْوى أنْ لمْ يتسنَّ له برنامجٌ طباعي لقراءة نافع، فأفْسد الكتاب -دونَ ما اجْترمْتُه أنا باعْتمادي على نسْخةٍ وحيدة-، وزاد ضغْثاً على إبالة، فركّب للمؤلّف تاريخَ وفاةٍ قدّمها بثلاثة قرون، فأسَاءَ إلى الميِّت والحيّ!.

---

(١) السبعة ص٤٠.

(٢) أحسن المنتدى الإسلامي كل الإحسان، حين طبع الكتاب موافقا لقراءة نافع.

(٣) ص٧.

(٤) كان اعتمادي -منذ قُرابة عشْرين سنة- على نسخة وحيدة علّة تفشي كثير من الأخطاء في المتن؛ فنها عند قول المؤلف: «وتقف على ﴿تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾ [الشعراء: ٦١] بالألف، وتميلها في الوقف لورش، ولا تميل الألف التي قبل الهمزة فيه، ولا في ﴿تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ﴾ [الأنفال: ٤٩]». وكان في المطبوعة (١٢٣): «إلا في تراءت» وهو خطأ صراحٌ ينتجُ خلاف المعنى المراد.

وقد بدا هذا التضارُبُ بيْن ما انبنى عليْه الْكتاب من الْقراءة، وبيْن تلْكَ المجْرى على وفقها الإيرادُ في كتاب «قراءة الكسائي» لأبي عبد الله محمّد بن أبي نصر الكِرْماني، منْ طبعة دار نينوى، وقدْ نقد هذه الطّبْعة د. أشْرف محمّد طلْعتْ حين أعاد تحْقيق الْكتاب، وكان منْ مآخذه عليها، أنّ «كثيراً من الآيات الْمكْتوبة في الكتاب، قد أُخِذتْ منْ صورة المصْحف المطْبوع على رواية حفْص، وكان لذلك سلبيّاتٌ كثيرةٌ جدّاً في المواضع التي خالف فيها الكسائيُّ حفْصاً... أمّا الآيات التي كتبتْ على الكمبيوتر ولم تُؤخذ من المصْحف، فأكْثرُها مخالفٌ للرّسْم، ومصطلحاتُ الضّبْط فيها ليْستْ -في عددٍ من المواضع- كمُصْطلحات ضبْطِ المصْحف»[(١)].

- الأصْلُ أنْ يكون التّعْليقُ جالياً لُبْهمَة النّصّ، مميطاً لثامَ الإشْكال عنْه، فإنْ أخلّ بذلك، فلا أقَلّ منْ ألاّ يزيدَه غموضاً إلى غموضِ ظاهرِه، بعباراتٍ عائرةٍ لا تُسدِّدُ في المرْمى، أوْ توهِمُ خلافَ الْمقْصود:

مثاله، ما وقع في قراءة الْكسائي[(٢)] في «ص ٣٦؛ هامش ٦، من الإحالةِ على كتاب الْمبْسوط[(٣)] وشرْح الطّيّبة. وقال عقيبَه د. أشْرف طلْعت: «هذا الْكتابان في الْقراءات الْعشرة، وقدْ ذُكِرَا في الهامش لتوْثيق ما حكاه المصنّف من الاتّفاق على فتح الْياء وضمّ الْكاف منْ قوْله سبْحانه ﴿لِيَحْكُمُ﴾ في كلّ مواضعِه، وهذا قدْ يوهمُ أنّ الْعشرةَ قد اتّفقوا على ذلك، وليْس الأمْر كذلك، فإنّ المصنّف إنّما حكى دائماً الاتّفاقَ عن السّبْعة من الطّرق المشْهورة، وقدْ قرأ أبو جعْفرٍ من الْعشرة بضمّ الْياء وفتْح الْكاف في جميع مواضع هذه الْكلمة، فالأوْلى التّنْبيهُ على ذلك، والله أعلم»[(٤)].

وفي موضع آخرَ من الْكتاب، في «الصفحة ٤٧؛ س ٢: «﴿فَتَثَبَّتُواْ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وفي

(١) مفردة الكسائي ص٣٦٥.

(٢) طبعة دار نينوى.

(٣) في القراءات العشرة، لابن مهران.

(٤) مفردة الكسائي (طبعة بروناي) ص٣٢٦-٣٢٧.

سورة الْحجرات [٦] بالثّاء». ونصُّ التّعْليق في الهامش: «وفي الْمصْحف: ﴿فتبيّنوا﴾ بالْباء والتّاء. ينْظر السّبْعة: ٢٣٦، والإقْناع: ٦٣١/٢». قال د. أشرف: وفي هذا التّعْليق بعْض الْخطورة؛ «لإمْكان وقوع الْقارئ في الْفهْم الخاطئ...لأنّ ظاهرَه أنّ قراءةَ الْكسائيّ مخالفةٌ للْمصْحف مُطْلقاً للْقوْل: «وفي المصْحف...»، والله تعالى أعلم»[1].

(١) مفردة الكسائي (طبعة بروناي) ص٣٣٦.

- تكْديةُ المواضع التي عزّ على المحقّق فهمُها أو فكُّ مُعَمّاها أوْ تقْديرُ السّقَط المحيق بها:

فإنّ ذلك أسْلمُ منْ إلحاقِ العيْب بكلام المؤلّف.

- أنْ يكونَ بيانُ المعلّقِ كاسْمه، مُبيناً عنْ إجمال، أوْ موضّحا لإشْكال، وإلاّ فاسْتصْحابُ السّلامة بالسّكوت أوفَقُ عنْد الارْتيابِ:

وغالباً ما يقع الإخلالُ بهذا الشّرْط، لا لخُلوّ منْ مادّة العلْم، ولكنْ للاسْتعْجال المفضي بصاحبِه إلى الوهم، ولوْ رُدّ إلى الصّواب بأدْنى مُلابسةٍ لَعَلِمَه، ومنْ مُثُله ما وقع في معْرفة القرّاء الكبار[1]، في ترْجمة شيْخ المالكيّة ببغْداد إسْماعيل بْن إسْحاق القاضي، عنْد قوْل الذّهبيّ: «روى الحروفَ عنْه إسْماعيلُ بْنُ مجاهد، وإبْراهيم الأنْطاكي، وأبو عمْرو الدّقّاق، وأبو بكْر الصّيْدلاني، وأبو عبْد الله الرّازي؛ قاله أبو معْشر» اهـ. وقابلَ هذا القدْر في الحاشية التّعْليقُ التّالي: «وأبو معْشر، هو جعْفر بْن محمّد بْن عمر البلخي الفَلَكي، المتوفى سنة ٢٧٢هـ...». وبادٍ أنّ المغايرةَ متحقّقةٌ بين مقصود الأصْل ومقصود الفرع، فنسبةُ هذا إلى الفنِّ (علْم الفلك والتّنْجيم)، مُوميةٌ إلى البُعْد في التّقْدير، فإنّ المشْتغلين بهذا الفنّ منْ أشدّ النّاس مُبَاينةً للقرأة ومواردِهمْ في العادة، ناهيك عنْ أنّ هذا -غَفَرَ الله له- «كان مدْمنا على شُرْب الخمْر مشْتهراً بمُعاقرَتها»[2]، فلا ماتّةَ ترْبطهُ بمنْ حالُهمْ مناقضةٌ لما تلبّس به. ووفاتُه واقعةٌ قبْل وفاة القاضي صاحبِ التّرْجمة، فقدْ توفّيَ إسماعيلُ سنة ٢٨٢هـ، ونادرٌ أنْ تقع ترْجمةُ المتقدّم الوفاةِ للمتأخّرِ عنْه، إذ المعروفُ أنّ طبقةَ المترجِم في الغالب نفْسُ طبقة المترجَم له أوْ متأخرةٌ عنها ولا بدّ، أمّا أن يتقدّم عليها فبيْضةُ ديكٍ قلّما تقع. والصّحيحُ أن المقصودَ

---

(١) الطبعة التركية: ١/٤٤٩؛ رت: ١٧٥.

(٢) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٠٧؛ وهذه العبارةُ ممّا زاد به القفطي على مأخذه الأساس الفهرست للنديم ٣/٢٤٢-٢٤٤.

بأبي معشر: عبْدُ الْكريم بنُ عبْد الصّمد المْقري (ت٤٧٨هـ)، ويزيدُك وثوقاً في التّحْديد أنّي وقفْتُ على كلامه في سوق الْعَرُوس له؛ وهذه صورةُ النّقْل:



سوق العروس: نسخة برلين رقم: ٤٠٣: ٢و

- **إعْمالُ التّمييز بيْن أسانيد الْحديث وأسانيدِ الْقراءة، فرُبَّ راوٍ لا يرْتضيه أهْلُ الْحديث، هو ثقةٌ ثبْتٌ حافظٌ عنْد أهْل الْقراءة**؛ وإنّما يصحُّ التّمْييز بمعْرفة ما اسْتقرّ عليه الْعمَلُ عنْد النّقَدَة العالِمين بالفنّ، الْبُصَراء بالرّواية منْ قبولِ روايةِ الرّاوي أوْ ردّها:

وقِدْماً ما نبّه إلى ما مرَّ مسبّعُ السّبْعة إذْ قال: «وأمّا الآثار التي رُويتْ في الْحروف فكالآثار التي رويتْ في الأحكام؛ منْها الْمجْتَمَعُ عليه السّائرُ الْمعْروف. ومنْها الْمتْروكُ الْمكْروهُ عنْد النّاس، الْمَعيبُ منْ أخَذَ به، وإنْ كان قدْ رُوي وحُفِظ. ومنْها ما تَوهّمَ فيه منْ وراه فَضَيّعَ روايتَه ونسي سماعَه لطُول عهْده، فإذا عُرِض على أهْله عرفوا توهُّمَه وردُّوه على منْ حَمَلَه، وربّما سقطتْ روايتُه لذلك بإصْراره على لزُومه وتركِه الانْصرافَ عنْه؛ ولعلّ كثيراً ممّنْ تُرِك حديثُه واتُّهم في روايته كانتْ هذه علّتَه. وإنّما ينْتقد ذلك أهْلُ الْعلْم بالأخْبار والْحرام والْحلال والأحْكام، وليْس انْتقادُ ذلك إلى منْ لا يَعْرف الْحديثَ ولا يبْصر الرّوايةَ والاخْتلاف»(١).

فهجومُ المحقّق إذاً على تضْعيف إسْنادٍ بعلّةِ ضعْف راوٍ فيه بالاعْتماد المجرّد على أقاويل نَقَدَة الْحديث، غيْرُ مُسَلّم حتى يجْتمع إلى ذلك حُكْمُ الْقَرَأَة الْعالمين بالنّقْد

(١) السبعة ص٤٨ - ٤٩.

الحديثيّ؛ إذْ همْ أقومُ في الفصْل، وإليهم المرْجعُ عنْد التنازُع، كفئامٍ عريضة منْ علمائنا حازوا شرف الفنّيْن، وكَمَالَ الفضيلتيْن.

ومنْ أولئك الرّواة الذين ادّارأتْ فيهمْ أحْكامُ القرأة والمحدّثين، فكانوا على أعْلى درجات الْوثاقة عند الأُوَل، وأدْنى منْ ذلك إلى مرْتبة الرّاوي الصّدُوق بل الضّعيف عنْد الآخِرين -والحكْمُ لهمْ من القرّاء-: عاصمُ بْن أبي النّجود (ت١٢٧هـ)[١]، وحفْصُ بْنُ سليْمان الأسَدي البّزّازُ الكوفي (ت١٨٠هـ)[٢]، وأحْمدُ بْنُ محمّدِ بْنِ عبْد الله البّزّيُّ المكّيّ (ت٢٥٠هـ)[٣] وأُسامةُ بْن أحْمد بْنِ عبْد الرّحْمن التُّجِيبي المصْري[٤]، ومحمّدُ بْنُ الحسن بْنِ محمّد النّقّاشُ الموْصلي (ت٣٥١هـ)[٥]؛ وهذا أشْهرُ الْمُثُل في هذا الباب، قال عنه الشّمْسُ ابْنُ الجزري: «وقدْ ذكر الدّارقُطْنيُّ ما يقْتضي تضْعيفه، وبالغ الذّهبيُّ فقال: وهو مع علْمه وجلالتِه ليْس بثقة، وخِيارُ منْ أثْنى عليه الدّاني؛ فقبِلَه وزكّاه. قلْت[٦]: وناهيكَ بالدّانيّ سيما في رجال الْقراءة... قال الدّاني: النّقّاشُ جائز القوْل مقْبولُ الشّهادة»[٧].

ومن مُثُل أنْ يؤول الحكْمُ للعالِمين بالقراءة في هذا الباب، مسْألةُ سماع عبْد الله بْنِ حبيب، أبي عبْدِ الرّحْمن السُّلَمي منْ عثْمان ﷺ؛ فقدْ عَرَضَ لها الذّهبيُّ[٨] ثمّ

(١) ن خلفهم فيه في معرفة القراء الكبار (قولاج) ١/٢٠٩؛ ر: ٣٨.

(٢) ن معرفة القراء الكبار (قولاج) ١/٢٨٩-٢٩٠؛ ر: ٦٤.

(٣) ن معرفة القراء الكبار (قولاج) ١/٣٦٧؛ ر: ١٠٨.

(٤) ن لسان الميزان ٢/٢٣؛ ر: ٩٦٥. وليس ذلك في ترجمته من غاية النهاية ١/١٥٥؛ ر: ٧١٩.

(٥) ن معرفة القراء الكبار (قولاج) ٢/٥٨٠-٥٨٣؛ ر: ٢٩٩.

(٦) القائل أبو الخير.

(٧) غاية النهاية ٢/١٢١؛ ر: ٢٩٣٨. ون أيضاً كلامهم في أبي الفضل الخزاعي صاحب المنتهى في معرفة القراء الكبار ٢/٧١٩-٧٢٠؛ ر: ٤٣٦.

(٨) معرفة القراء الكبار ١/١٤٨-١٥١.

قال عَقِيبها: «وقوْلُ حجّاج [الأعْور] عنْ شُعْبة [بن الحجّاج]: إنّ أبا عبْد الرّحْمن لمْ يسْمعْ منْ عثْمان بْن عفّان، ليْس بشيْء؛ فإنّه ثبت لُقيُّه لعثْمان؛ كان أبو عبْد الرّحْمن ثبْتاً في الْقراءة وفي الْحديث، حديثُهُ مُخرّجٌ في الْكتب السّتّة»[1].

– يُسْتحْسن في كتب أحْكام القرآن، والْغريب والْوقف، أنْ تُصَدّرَ الآيةُ التي عليْها مَدارُ الْكلام برقْمها، فيكون ذلك أهْدى وأيْسرَ للقارئ في الْعُثُور عليها، أفضلَ ممّا لو صُدّرتْ برقْم ترْتيبيّ مُتسلْسل، فهذا مع نُزُورِ فائدته، صارفٌ للْقارئ عنْ تبْيان مطْلوبه من الْآي.

– منْ سوء توْزيع النّص وتفْقيره، إدْماجُ الْكلام على الآيات مُتّصلا منْ غيْر فصْل؛ كما يجْنح إليه بعْضُ محقّقي النّصوص، فهو وإنْ كانَ هيّناً على الناشر إذْ لا يكلّفه التوقُّفَ مليّا لاخْتيار مواطن الْقطْع، إلاّ أنّ فيه وِزْراً زائداً على القارئ، لتعرُّف موضع مَطْلع كلام المؤلف على الآية منْ نهايتِه؛ وذلك مُضِرٌّ بصورة النّص وإرهاقٌ للقارئ في اسْتئناف تفْقيره عند قراءته، ويتبدّى ذلك جليّاً في الْقطْع والإئتناف في طبْعتيْه.

---

(١) معرفة القراء الكبار ١٥١/١. ون أنموذجاً عن نُفاة سماعه منْ عثمان ﷺ في تاريخ ابن أبي خيثمة (قطعة من الكوفيين) ص٧٥؛ ر: ٩٧.

أبو حاتم : « انّ الّذين هم من خشية ربّهم مشفقون » «٥٧» لا تتم به حتى يبلغ « وهم لها سابقون » «٦١» « الا وسعها » «٦٢» قطع كاف ، وكذا رؤوس الآيات بعده الى « مستكبرين » «٦٧» فانه وقف عند أبي حاتم ، وهو صحيح على قول أهل التأويل ، كما روي عن[31] ابن عباس (رحمة الله عليه)[32] : [« مستكبرين به » يعني][33] بالبيت وقال الحسن « به » : بحرمي ، قال[34] أبو جعفر : فيبتدئ « به » ، أي بالبيت العتيق تهجرون آياتي أو تهزؤن ، وقال العباس بن الفضل : السكاف « مستكبرين به » وقال غيره : التمام « سامراً تهجرون » «٦٧» والقطع على رؤوس الآيات كاف الى « أم يقولون به جنة » «٧٠» فانه كاف أيضا ثم القطع على رؤوس الآيات كاف الى « لمن الأرض ومن فيها » «٨٤» ثم القطع على رؤوس الآيات كاف الى « وله اختلاف الليل والنهار » «٨٠» فانه[35] كاف أيضا ، ثم القطع على رؤوس الآيات حسن الى « وما كان معه من اله » «٩١» قال يعقوب فهذا الوقف ، ثم قال الله (جل وعز) « اذاً لذهب كلّ اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض » «٩١» كاف أيضا الى « سبحان الله عما يصفون » «٩١» والتمام « فتعالى الله عما يشركون » «٩٢» « اما تريني ما يوعدون » «٩٣» ليس بكاف لأنه لم يأت جواب الشرط ، والتمام « فلا تجعلني في القوم الظالمين » «٩٤» وكذا « لقادرون » «٩٥» وزعم الأخفش أن « السيئة » «٩٦» تمام ، « نحن أعلم بما يصفون » «٩٦» كاف ، فان ابتدأت الامر[36] « من همزات

(٣١) سقط من د ، ط .
(٣٢) العبارة (رحمة الله عليه) سقطت من د ، ط .
(٣٣) الزيادة من د ، ط .
(٣٤) في د ، ط : وقال .
(٣٥) في د ، ط : وانه .
(٣٦) في قوله : وقل رب اعوذ .

القطع والائتناف: ٥١٥ (طبعة د. أحمد خطاب العمر، ١٩٧٨م)

قال يعقوب: ومن الوقف (**ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم**)(١) فهذا الوقف الكافى فى قراءة من نصب (**والكفار**) ومن خفض فوقفه الكافى التام (**والكفار أولياء**)(٢)، قال أبو جعفر: هذا غلط والقول فيه قول نافع أن التمام (**والكفار أولياء**) لأن الكفار معطوف على ما قبله فلا معنى للابتداء به (**واتقوا الله إن كنتم مؤمنين**)(٣) قطع صالح والتمام (**ذلك بأنهم قوم لا يعقلون**)(٤) (**وأن أكثركم فاسقون**)(٥) قطع صالح (**قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله**)(٦) عن نافع تم، وقال الأخفش: التمام (**وعبد الطاغوت**)(٧) قال: كما تقول هل أعرفك بمن هو أكثر مالا من فلان؟ فلان فعل كذا وكذا.

قال أبو جعفر: إن جعلت (من) فى موضع خفض بدلا من (شر) كان القول كما قال الأخفش، وكذا إن جعلتها فى موضع نصب بأنبئكم، وإن جعلتها فى موضع رفع جاز ما قال نافع (**أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل**)(٨) قطع صالح (**وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به**)(٩) عن نافع ثم الوقوف على رؤوس الآى إلى (**لبئس ما كانوا يصنعون**)(١٠) (فإنه تمام)(١١).

القطع والائتناف: ٢٠٧ (طبعة المطرودي؛ ١٩٩٢م)

- تنبيهاتٌ بخصوص تحقيق كتب عدّ آي القرآن

وقد كنا ذيّلنا كتابَ عدد آيِ القُرآن لأبي الحسن الأنطاكي (ت٣٧٧هـ)، بجملة توْصياتٍ خاصّة بكتب العَدّ(١)، منْها:

- لزُومُ توفيةِ كتُبِ العَدّ حقَّها من الاهتمام والتحقيق والتوثيق.

- احترامُ نظامِ التّخميس والتعْشير.

---

(١) كتاب عدد آي القرآن ص١٧٠ - ١٧١.

- ضبطُ الفواصلِ خاصّةً أواخرَها لدَفْعِ الالتباس.

- الحرْصُ على مقابلةِ الأصول بعضِها ببعضٍ في سَرْدِ الفواصل دون اعتدَادٍ بكوْنِها معلومةً مشهورةً.

- التَّأنّي في رَمْيِ قَوْلٍ من الأقوال في عِدَّةِ الحروف والكلمات بدعْوى التّصحيف، إذْ كثيرٌ من هذه الأقوال عند اعْتبارِها عبْرَ استقراءٍ وافٍ بما في كتُب العَدّ، تجدُها رواياتٍ منقولةً، تعرى عن مَعَرَّةِ التصحيف، وسَوْءَةِ التّحريف. فمنْ ذلك، أنّ منْ مواضع الخلْف للعادّين في سورة طه [٨٤]: ﴿حَسَناً﴾: عدَّها المدنيُّ الأخيرُ، ولم يَعُدّها الْباقون(١). وزاد محقّقَا كتاب **العدد**(٢) لابن جُبَارَةَ الهذلي (ت٤٦٥هـ) «الشاميَّ» فيمنْ عدّ هذه الآية، دون أنْ يَثْبُتَ ذلك في أصْل مخطوط كتاب البِسْكري؛ وهو صنيعٌ غيْرُ سديد، علّلاهُ بانْتقال نظر الناسخ، فعوَض أنْ يُثْبِتها في هذا الموْضع أثبتَها في الآية التّالية ﴿قولا﴾ [طه: ٨٧]؛ وفي ظنّهِمْ أنّ المدنيَّ انْفرَدَ بعدّها -أي قوْلا-، وعَمِي عليْهم أنَّ زيادةَ الشّاميّ قوْلٌ مرْويٌّ في كلْتا الفاصلتيْن، وإذا علمْتَ أنّ أبا الحسن العُمانيَّ في **الكتاب الأوْسط**(٣) أفردَ المدنيَّ الأخير بِعَدّ ﴿حسنا﴾، وجعل ﴿قولا﴾ للمدنيّ الأخير والشّامي؛ أدركْتَ أنّه وافقَ ابنَ جُبَارَةَ في صنيعِه، فيكونُ ما في أصْل مخطوطِ هذا هو الصّواب، ويكونُ بذلك روايةً ثابتةً لا تصْحيفاً من النّاسخ. ولا يظْهرُ هذا إلاّ بالْعِرَاض على أوْثق كتب الفنّ، فتبيَّنْه!

---

(١) **كتاب عدد آي القرآن** ص٣٤١.

(٢) ص ١٠٤.

(٣) ص٤٩٢.

– لزُومُ موافقة الْعَدِّ للْقراءةِ الْمُعْتبَرَة عنْد صاحبِ الكتاب، لتتَّفِقَ الرِّوايةُ والرَّسْمُ والضَّبْطُ والعَدُّ. ويلزمُ الاحتياط لهذا الأمر خاصّة عند دراسة المصاحف الْعُتُق، فإنَّ في عدم رَعْيِ هذا الضّابط، مزالق شتّى[1].

– ضرورةُ إنجازِ برْنامجٍ للرَّسْم القرآنيّ من روايةِ ورْشٍ عن نافع، إسْوةً ببرنامج مصحفِ المدينةِ المنوَّرَةِ برواية حفص؛ لما له من يَدٍ في إعانةِ الباحثِينَ على رَسْمِ الحُرُوفِ القرآنية بطريق التَّوقِيفِ.

– التحذيرُ من الاعتماد على التحقيقات الرَّديئة، حيث يكونُ الفَزَعُ إليها عند التنازُعِ، استجارةً من الرَّمضاء بالنّار، فتزيدُ المحقق رَهَقاً إلى رَهَقِهِ.

---

(١) ن بعض تنبيهات بهذا الخصوص في دراستنا «من أشكال الفواصل في مخطوطات المصاحف القديمة» (٢٣٣؛ ٢٤٩)، ضمن كتاب التحقيق النقدي للمخطوطات.

مناقل البحث

- مصحف المدينة المنورة، برواية ورش عن نافع المدني، واعتُمِدَ في عدّه طريقة عدد المدني الأخير، أشرف على إعداده وطباعته ونشره مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وكتبه الخطاط عثمان طه، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ.

المخطوطات

- الإبانة في الوقف والابتداء، لأبي الفضل محمّدِ بن جعفر الخُزاعيّ المقرئ (ت٤٠٨هـ):
نسخة القرويين.

- الإيضاح لأحمد بن أبي عمر الأندرابي (تبعد ٥٠٠هـ):
مكتبة المصغرات الفيلمية بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، رقم الحفظ: ٤/٤٣٦٨.

- التقييد الكبير في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس البسيلي التونسي (ت٨٣٠هـ):
نسخة الخزانة الحسنية بالرباط، رقم ٦٧٩.

- رسالة الحروف التي ذكر بعضها على خلاف بعض في مصحف عثمان:
نسخة خزانة ابن يوسف، رقم ١٩٤ (هجاءات القرآن).
نسخة هارفارد، رقم ٣٧٩.

- سوق العروس، لأبي معْشرٍ عبدُ الكريم بنُ عبد الصّمد المقْري (ت٤٧٨هـ):
نسخة برلين رقم: ٤٠٣.

- **ظاءات القرآن**، لأبي الرّبيع سليمان بن أبي القاسم التميمي السَّرَقُوسي (ق ٦هـ):
نسخة شستربيتي، رقم ٣٩٢٥.

- **كتاب المرآة في السّبع القراءات**، لأبي عليّ الحسين ابن رشيق المُرْسي (ت٦٩٦هـ):
نسخة تمّا حيدرة، رقم ٢٨٢٩، مالي.

- **المحكم في نقط المصاحف**، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ):
نسخة الخزانة الحسنية، رقم ١٥٩٢.

- **المختصر البارع في قراءة نافع**، لابن جزي الكلبي الغرناطي (ت٧٤١هـ):
نسخة المكتبة الوطنية التونسية، رقم ٨٩٤٨.

- **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار**، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ):
نسخة خزانة ابن يوسف رقم ٥٩١: ٥٧ ورقة.

- **نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد**، لأبي العباس البسيلي التونسي (ت٨٣٠هـ):
نسخة الخزانة العامة بالرباط، رقم ٢٧١ ق.

- **الوثائق والمسائل المجموعة من كتب الفقهاء**... لعبد الله بن فتوح بن موسى بن أبي الفتح بن عبد الواحد الفهري البونتي الأندلسي (ت٤٦٢هـ):
نسخة خزانة ابن يوسف بمراكش رقم ٥٣٧.

المطبوعات

- إخبار العلماء بأخبار الحكماء، لجمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ)، ط ١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٦هـ.

- **الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقود الديانات بالتحديد والدلالات**، لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: د. لحسن وگاگ، ط ١، د ط ت.

- **أسماء من نزل فيهم القرآن**، لأبي عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الحيري النيسابوري (ت٤٣١هـ)، نشر: يونس فهد علي الجبوري، ط١، ديوان الوقف السني، العراق، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

- **الإقناع في القراءات السبع**، لأبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ابن الباذش (ت٥٤٠هـ)، تحقيق د. عبد المجيد قطامش، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ط١، مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ.

- **الأمثال الكامنة في القرآن**، للحسين بن الفضل البَجَلي الكوفي، تحقيق: د. علي حسين البوّاب، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ٣٦، عدد ١، ١٤٠٥هـ.

- **الأمثال الكامنة في القرآن**، للحسين بن الفضل البَجَلي الكوفي، تحقيق: د. علي حسين البوّاب، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- **أوراق غير منشورة من كتاب المحكم**، للدكتور غانم قدوري حمد، مجلة كلية الإمام الأعظم ببغداد، العدد الرابع، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م: [٣٨٥-٤٤٧].

- **إيضاح المكنون**، لإسماعيل باشا البغدادي (ت.١٣٣٩هـ)، أعادت طبعه بالأوفست، دار إحياء التراث العربي، عن طبعة إستانبول، ١٩٥١م.

- **تاريخ ابن أبي خيثمة** (ت٢٧٩هـ) -قطعة من الكوفيين-، تحقيق: محمد بن عبد الله السريع، ط ١، دار العاصمة، الرياض، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

- **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردها وأهلها**، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي،

المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، ط ١، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- **التبيان في شرْح مورد الظمْآن**، لأبي محمد عبد الله بن عمر الصنهاجي، شهر بابن آجطا (ت نحو ٧٥٠هـ)، تحقيق: عبد الحفيظ بن محمد الهندي، رسالة علمية لنيل شهادة الماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة، من أول الكتاب إلى نهاية مباحث الحذف في الرسم، الموسم الجامعي: ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢.

- **التبيان**، لأبي البقاء العكبري (ت٦١٦هـ)، المطبوع بعنْوان إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- **التسهيل لعلوم التنزيل**، لابن جزي الغرناطي (ت٧٤١هـ)؛ ط المنتدى الإسلامي، الشارقة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

- **التقييد الكبير في تفسير القرآن المجيد**، لأبي العباس البسيلي التونسي (ت٨٣٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن مطلق الطوالة، ط ١، الرياض، ١٤١٢هـ.

- **التمهيد في علم التجويد**، للإمام شمس الدين محمّد بن محمّد بن محمّد بن الجزري (ت٨٣٣هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري حمد، ط ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

- **التمهيد في علم التجويد**، للإمام شمس الدين محمّد بن محمّد بن محمّد بن الجزري (ت٨٣٣هـ)، تحقيق: د. محمد حسين البواب، ط ١، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- تناسق الدّرر في تناسُب السُّوَر، لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) -المطبوع باسم «أسرار ترتيب القرآن»- تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ومرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: أوتو برتزل، تصوير دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥م.

- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة، لمحمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني، ط ٤، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- صلة الخلف بموصول السلف، لمحمّد بن سليمان الروداني (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق د. محمّد حجي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.

- طبقات القراء، لشمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق د. أحمد خان، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- ظاءات القرآن، لأبي الرّبيع سليمان بن أبي القاسم التميمي السَّرَقُوسي (ق ٦هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط ١، دار البشائر، دمشق، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

- غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير محمّد ابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، عني بنشره ج. براجستراسر، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠م.

- الغنية، فهرست للقاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت٥٤٤هـ)، تحقيق ماهر زهير جرار، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- **فنون الأفنان في عيون علوم القرآن**، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، نشره وقدم له، ذ. أحمد الشرقاوي إقبال، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ١٩٧٠م.

- **فنون الأفنان في عيون علوم القرآن**، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: د. حسن ضياء الدين عتر، ط ١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

- **فهرس** أبي محمد عبد الحق بن عطية المحاربي الأندلسي (ت٥٤١هـ)، تحقيق د. محمد أبو الأجفان، ومحمد الزاهي، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.

- **فهرسة** ابن خير، أبي بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي الإشبيلي (ت٥٧٥هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

- **فهرسة** محمد بن عبد الملك المنتوري (ت٨٣٤هـ)، تحقيق: د. محمد بنشريفة، ط ١، الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، ٢٠١١م.

- **قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين**، لأحمد بن أبي عمر الأندرابي، تحقيق: د. أحمد نصيف الجنابي، ط ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

- **قراءة الكسائي**، لأبي عبد الله الكرماني، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط ١، دار نينوى، دمشق، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

- **القطع والائتناف**، لأبي جعفر النحاس المرادي (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: د. أحمد خطاب العمر، ط ١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- **القطع والائتناف**، لأبي جعفر النحاس المرادي (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- **قطعةٌ منْ كتاب التّنبيه على فضْل علوم القُرآن**، لأبي القاسم ابْن حَبيب النّيسابوري (ت٤٠٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مجلة المؤرد العراقية، المجلد ١٧، العدد ٤، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، [٣٠٥-٣٢٢].

- **الكتاب الأوسط في علم القراءات**، لأبي محمّد الحسن بن علي بن سعيد العُماني، تحقيق د. عزة حسن، الطبعة الأولى، دار الفكر، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- **كتاب السبعة في القراءات**، لابن مجاهد (ت٣٢٤هـ)، تحقيق د. شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، القاهرة، تاريخ إيداع الكتاب ١٩٨٨م.

- **كتاب العدد** [من «الكامل في القراءات»]، تأليف أبي القاسم يوسف بن علي، ابن جبارة الهذلي (٤٠٣-٤٦٥هـ)، دراسة وتحقيق: د. مصطفى عدنان العيثاوي ود. عمار أمين الددو. مجلة الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، السنة العشرون، العدد الخامس والعشرون، ذو الحجة ١٤٢٦هـ/ يناير ٢٠٠٦م: [٢٩-١٥٤].

- **كتاب الفهرست**، لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم (ت٣٨٠هـ)، تحقيق: د. أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان، لندن، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

- **كتابُ عدَدِ آيِ القُرآن للمكي والمدنيين والكوفي والبصري والشامي المتفق عليه والمختلف فيه**، لأبي الحسن علي بن محمد بن إسماعيل بن بشر التميمي الأنطاكي (ت٣٧٧هـ)، تحقيق: د. محمد الطبراني، ط١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠١١.

- **لسان الميزان**، لأبي الفضل ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط ١، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٢٢هـ.
- **مجاز القرآن**، صنْعة أبي عُبيْدة معْمَر بْن المثنّى التّيميّ (ت٢١٠هـ)، تحقيق؛ د. محمّد فؤاد سزگين، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، تاريخ المقدمة: ١٩٥٤م.
- **مجموعة مهمة في التجويد والقراءات والرسم وعد الآي**، نشر جمال السيد رفاعي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- **المحكم في نقط المصاحف**، لأبي عمرو الداني الأندلسي (ت٤٤٤هـ)، تحقيق د. عزة حسن، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
- **المختصر البارع في قراءة نافع**، لابن جزي الكلبي الغرناطي (ت٧٤١هـ)، نشر: محمد الطبراني، ط١، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- **المختصر البارع في قراءة نافع**، لابن جزي الكلبي الغرناطي (ت٧٤١هـ)، تحقيق: د. فتحي العبيدي، دار الرفاعي، ودار القلم العربي، حلب، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- **المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية**، للدكتور عبد المجيد بن حمدة، ط ١، مطبعة دار العرب، تونس، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- **مسودة كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار**، لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ)، تحقيق: د. أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن، ١٩٩٥م.
- **معاني القرآن الكريم** لأبي جعفر النّحّاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق د. محمّد علي الصابوني، ط ١، مطبوعات جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

- **معجم مؤلفات الحافظ أبي عمرو الداني**، للأستاذ الدكتور عبد الهادي حميتو، ط ١، مطبعة الوفاء، آسفي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، لشمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق د. بشار عواد معروف، وشعيب الأرناؤوط، وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، لشمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق د. طيار آلتي قولاج، ط ١، منشورات مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، إستانبول، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- مفردة الكسائي: كتاب فيه مجرد قراءة أبي الحسن الكسائي، **رواية أبي عمرو الدوري، من طريق ابن مقسم**، لأبي عبد الله محمّد بن أبي نصر الكرماني (ق٦هـ)، دراسة وتحقيق د. أشرف محمّد فؤاد طلعت، ط ١، المطبعة الوطنية، سلطنة بروناي دار السلام، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار**، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: محمد أحمد دهمان، صورة عن ط ١، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- **الملخّص في إعراب القرآن**، للخطيب التبريزيّ (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: دة. فاطمة راشد الراجحي، ط ١، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ٢٠٠١م.
- **من أشكال الفواصل في مخطوطات المصاحف القديمة -مع ملاحظات حولها**، لمحمد الطبراني، ضمن كتاب التحقيق النقدي للمخطوطات: التاريخ، القواعد، المشكلات، ط ١، مؤسسة الفرقان، لندن، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

- **المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار**، لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ)، تحقيق: د. أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، لأحمد بن محمّد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- **نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد**، لأبي العباس البسيلي التونسي (ت٨٣٠هـ) وبذيله تكملة النكت لابن غازي العثماني المكناسي (ت٩١٩هـ)، تحقيق د. محمّد الطبراني، ط١، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

- **هدية العارفين إلى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، لإسماعيل باشا البغدادي (ت١٣٣٩هـ)، أعادت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث العربي، عن طبعة إستانبول، ١٩٥١م.

- **وجوه القرآن**، لأبي عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الحيري النيسابوري (ت٤٣١هـ)، تحقيق: د. نجف عرشي، ط ١، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٤٢٢هـ.

تَنْزِيلٌ فِي ضَبْطِ نَصٍّ مِنْ كِتَابٍ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ
اعْتِمَادًا عَلَى ثَلَاثِ نُسَخٍ
مَعَ مُقَارَنَتِهِ بِنَظِيرِهِ الْمَطْبُوعِ عَلَى غَيْرِ الْجَادَّةِ

محمّد الطّبَراني[1]

– **الفئة المستهدفة:** الطلبة المستفيدون من الدورة التدريبية

– **التّطْبيق**

اقْرأ مليّاً النّصَّ المطْبوع، وتحقّقْ مزالِقَه، لتحرّي تلافيها عنْد تصْحيحه[2] اعْتماداً على النّسخ الثلاث (الأصل «ي»، ن، ح)، معَ رَعْيِ الاصْطلاح الْمُرْفَق.

١ – النصّ المطبوع

---

(١) محاضر بجامعة القاضي عياض بمراكش

(٢) دون التعليق عليه، ولذلك أخلَيْنا حواشي الأنموذج من التعليقات إلاّ موضعا يتيماً رأينا ذلك لازماً فيه.

باب الثاء

١٠٩- ثابت بن قيس بن شماس(١) فيه نزل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾(٢) جهير الصوت فلما

---

(١) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة ابن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي وأمه امرأة من طي يكنى أبا أحمد ويكنى أبا محمد بابنه وقيل يكنى أبا عبدالرحمن وقتل بنوه محمد ويحيى وعبدالله بنو ثابت بن قيس بن شماس يوم الحرة وكان ثابت بن قيس خطيب الأنصار ويقال له خطيب رسول الله شهد أحدا وما بعدها من المشاهد وقتل يوم اليمامة شهيد رحمه الله في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنهما، ابن سعد، الطبقات ٥/٨١. ابن عبد البر، الأستيعاب، ٢٠٠/١. العسقلاني، الأصابة ٣٩٥/١.

(٢) سورة الحجرات: الآية ٢.

حدثنا هشم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ﴾ إلى قوله ﴿ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ وكان ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت فقال أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا من أهل النار حبط عملي وجلس في أهله حزينا ففقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بعض القوم إليه فقال له تفقدك رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك قال أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم وأجهر له بالقول حبط عملي أنا

نزلت هذه الاية جلس في بيته يبكي فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر بشانه فدعاه فساله عن حاله فقال له يارسول الله لقد أنزلت عليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لست منهم انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة ﴾[١] ولما نزل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٍ فَخُورٍ﴾[٢] قال يارسول الله رجل حبّ الى الخيلاء واحب ان اسود مولى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

=من أهل النار فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه بما قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل هو من أهل الجنة، وقد روي أنها نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وذكر المهدوي عن علي رضي الله عنه :نزل قوله ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ فينا لما ارتفعت أصواتنا أنا وجعفر وزيد بن حارثة نتنازع ابنة حمزة لما جاء بها زيد من مكة فقضى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لجعفر لأن خالتها عنده، البخاري، الجامع الصحيح، ١٨٣٣/٤. النيسابوري، صحيح مسلم ١١٠/١. الطبري، جامع البيان ١١٩/٢٦. إبن كثير، القرآن العظيم ٢٠٧/٤. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٦٠٤/١٦.

(١) ينظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٠٥/١٦. الآلوسي، روح المعاني، ١٣٧/٢٦.

(٢) سورة لقمان: الآية ١٨.

﴿ لست منهم انك تعيش حميدا وتموت شهيــدا و انك من اهل الجنة ﴾ [١] فقال

١١٠- انس[٢] فكان فكنا ننظر الى رجل من الجنه يمشي بين ايــدينا فلما كان يوم اليمامة[٣] وانهــزم المســلمون قــال ثــابت

(١) ورد الحديث في المستدرك على الصحيحين بلفظ ﴿ ياثابت ألا ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة ﴾، وورد ﴿ بل تعيش حميــدا وتمــوت شــهيدا ويدخلك الله الجنة بسلام ﴾، الحاكم، المستدرك على الصحيحين،٣/٢٦٠.الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هــ)، موارد الظمان، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١/٥٦٤.

(٢) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عــامر بــن غنم بن عدي بن النجار أبو حمزة الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله صــلى الله عليه وسلم واحد المكثرين من الرواية عنه صح عنه أنه قــال قــدم النبــي صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا بن عشر سنين وأن أمه أم سليم أتت به النبــي صلى الله عليه وسلم لما قدم فقالت له هذا أنس غلام يخدمك فقبلــه وأن النبــي صلى الله عليه وسلم كناه أبا حمزة ببقلة كان يجتنبها ومازحه النبي صــلى الله عليه وسلم فقال له ياذا الأذنين مات بالبصرة سنة ثلاث وتسعين، ابــن خيــاط، الطبقات /٩١. العسقلاني، الاصابه١/١٢٧.

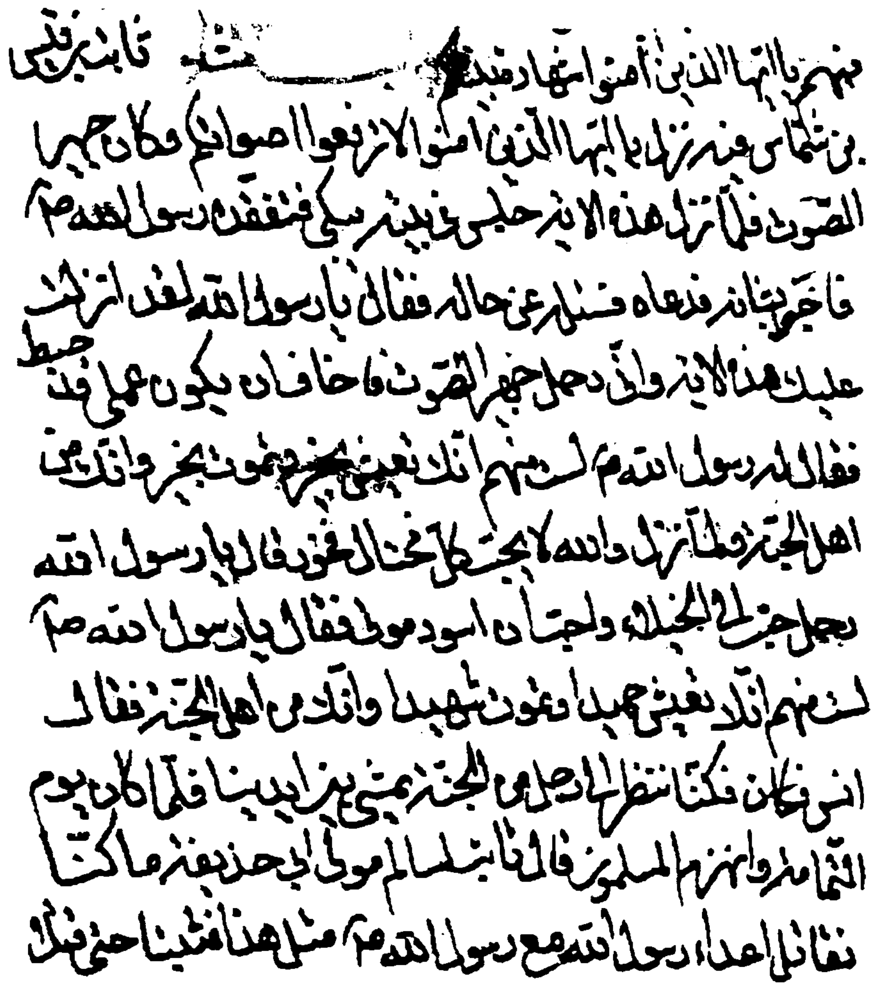
(٣) اليمامة منقول عن اسم طائر يقال له اليمــام واحدتــه يمامــة وبــين اليمامــة والبحرين عشرة أيام وهي معدودة من نجد وقاعدتها حجر وتسمى اليمامة جــوا والعروض بفتح العين وكان اسمها قديما جوا فسميت اليمامة باليمامة بنت ســهم ابن طسم قال أهل السير كانت منازل طسم وجديس اليمامة وكانت تــدعى جــوا وما حولها إلى البحرين ويوم اليمامة يوم فتحها وقتل مسيلمة الكذاب فــي أيــام

١١١- لسالم مولى ابي حذيفة(١) ماكنا نقاتل اعداء رسول الله مـــع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا فثبتا حتى قتلا [٨أ] وعلى ثابت درع فراه رجل من الصحابة بعد موته في المنام اذ قال له ثابت اعلم ان فلانا من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهو في ناحية من العسكر وعنده فرس يستنير في طوله وقد وضع على درعي برمة فأت خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعي وأت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق فقل له ان علي دينا حتى يقض ديني واسـترد الدرع فلمـــا رجعوا اخبر خالدا ابا بكر بذلك واجاز وصيته

=أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة أثنى عشر للهجرة وفتحها أمير المسلمين خالد بن الوليد عنوة ثم صولحوا ، الحموي ، معجم البلدان، ٤٤١/٥.

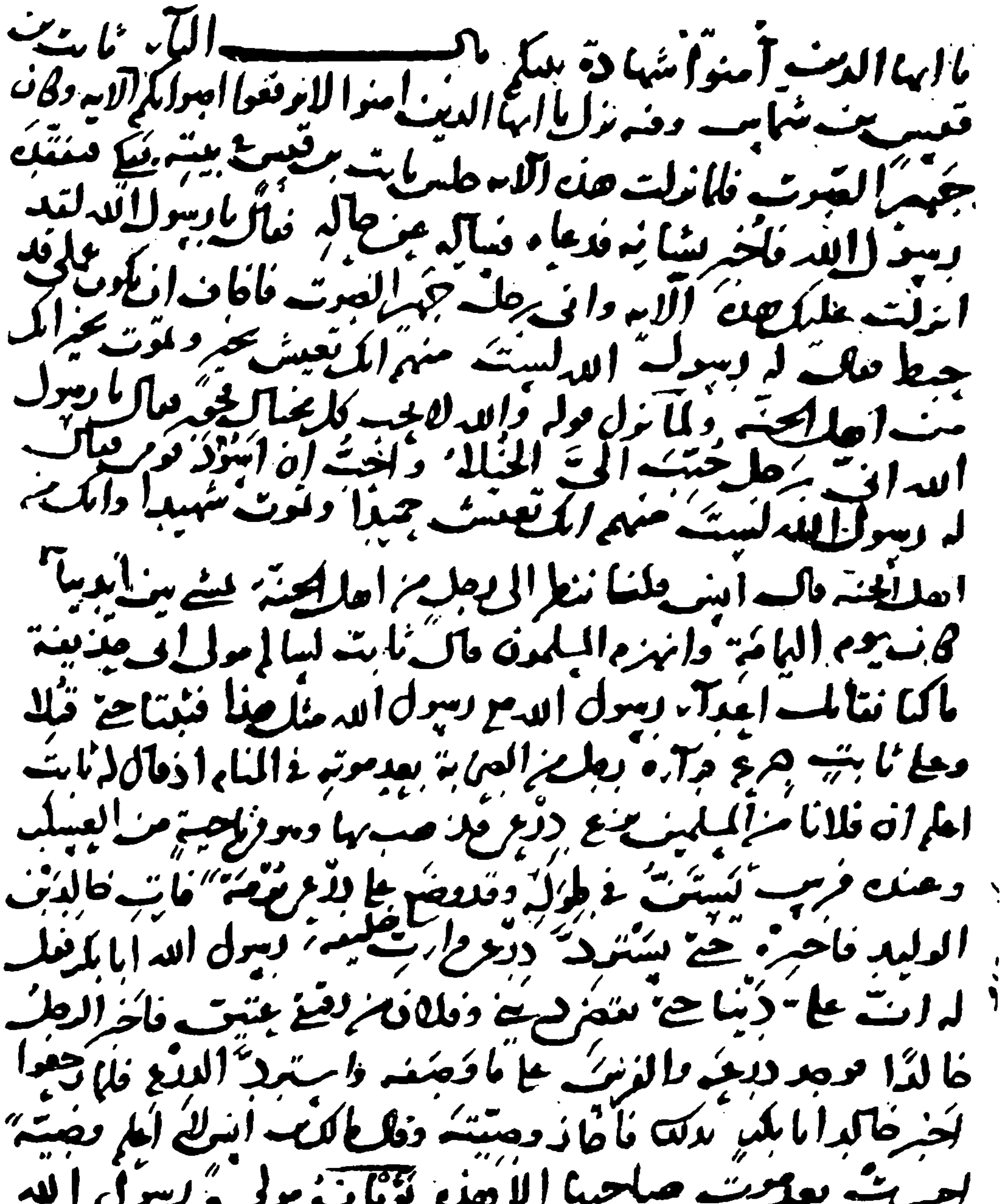
(١) سالم بن ثبيتة بن يعار بن عبيد بن زيد الأنصاري ذكره بن أبي حاتم عن أبيـــه قال إنه بدري ولا أعلم له رواية قلت ويغلب على ظني أنه وهم وأنه سالم مولى ثبيتة وهو سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس أحد الـسابقين الأولين قال البخاري مولاته امرأة من الأنصار وقال بن حبان يقـال لهـا ليلـى ويقال ثبيتة بنت يعار وكانت امرأة أبي حذيفة وبهذا جزم بن سـعد وقـال بـن شاهين سمعت بن أبي داود يقول سالم بن معقل وكان مولى امرأة من الأنـصار يقال لها فاطمة بنت يعار، إبن عبـد البـر، الأسـتيعاب، ٥٦٧/١. العـسقلاني، الأصابه ٨/٣.

٢- النّسخةُ الوحيدةُ المُعْتَمَدَةُ في المطبوع (ن)


منهم يا ايها الذين امنوا ... ثابت بن قيس
بن شماس فنزلت يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم وكان جهير
الصوت فلما نزلت هذه الاية جلس في بيته يبكي ففقده رسول الله صلعم
فاخبر بشانه فدعاه فسأله عن حاله فقال يا رسول الله لقد انزلت
عليك هذه الاية وانا رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط
فقال له رسول الله صلعم لست منهم انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من
اهل الجنة فلما نزلت والله لا يحب كل مختال فخور فقال يا رسول الله
رجل حبب الي الجمال واحب ان اسود قومي فقال له رسول الله صلعم
لست منهم انك تعيش حميدا وتموت شهيدا وانك من اهل الجنة فقال
انس فكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشي بين ايدينا فلما كان يوم
اليمامة وانهزم المسلمون قال ثابت لسالم مولى ابي حذيفة ما كنا
نقاتل اعداء الله مع رسول الله صلعم مثل هذا فثبتا حتى قتلا

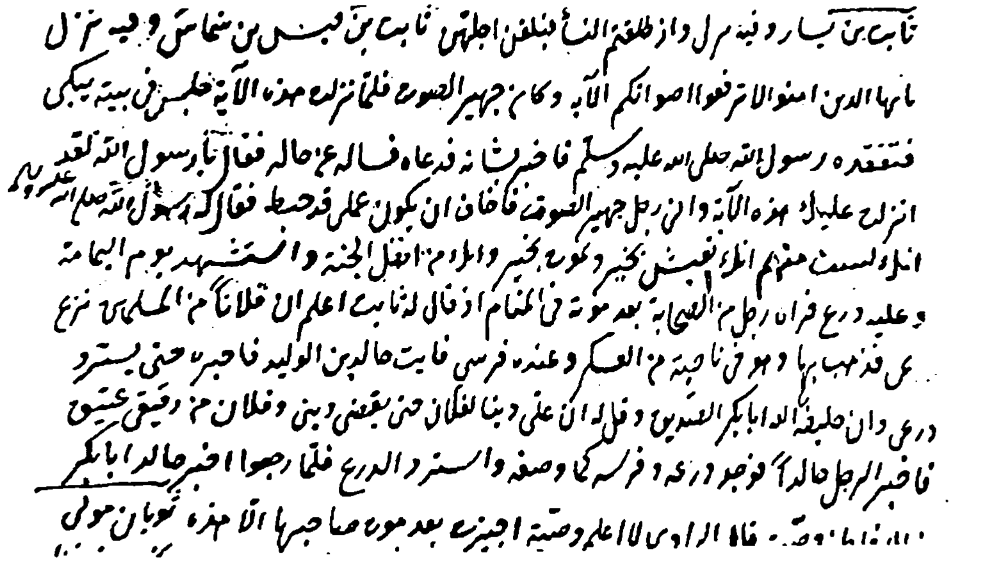
٣ ـ نسْختان مَزيدتان، لم تُعتمدا في المطبوع؛ وعليهما زِيْداً على الأولى، قرأْنا النصّ وهيأْناه للنّشر (١).

الأولى؛ وهي الأصْل (ي):


يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم ... الآية ثابت بن
قيس بن شماس وفيه نزل يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم الآية وكان
جهير الصوت فلما نزلت هذه الآية جلس ثابت بن قيس في بيته يبكي ففقده
رسول الله فاخبر بشأنه فدعاه فسأله عن حاله فقال يا رسول الله لقد
انزلت عليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون قد
حبط عملي فقال له رسول الله لست منهم انك تعيش بخير وتموت بخير انك
من اهل الجنة ولما نزل قوله والله لا يحب كل مختال فخور قال يا رسول
الله اني رجل حببت الي الخيلاء واحب ان اسود قومي فقال
له رسول الله لست منهم انك تعيش حميدا وتموت شهيدا وانك من
اهل الجنة قال انس فكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشي بين ايدينا
فلما كان يوم اليمامة وانهزم المسلمون قال ثابت لسالم مولى ابي حذيفة
ما كنا نقاتل اعداء رسول الله مع رسول الله مثل هذا فثبتا حتى قتلا
وعلى ثابت درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام اذ قال له ثابت
اعلم ان فلانا من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهو في ناحية من العسكر
وعنده فرس يستن في طوله وقد وضع على الدرع برمة فأت خالد بن
الوليد فاخبره حتى يسترد درعي وأت خليفة رسول الله ابا بكر فقل
له ان علي دينا حتى يقضي دينه وفلان من رقيقي عتيق فاخبر الرجل
خالدا فوجد الدرع والفرس على ما وصفه واسترد الدرع فلما رجعوا
اخبر خالد ابا بكر بذلك فاجاز وصيته وقال لا اعلم احدا اجيزت وصيته
بعد موت صاحبها الا هذا ثوبان مولى رسول الله

(١) يصدر قريبا بحول الله.

الثّانية، وهي المختَصَرة (ح):


ثابت بن قيس وفيه نزل وإذ طلعتم النبأ فبلغني أجلهن ثابت بن قيس بن شماس وفيه نزل
يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم الآية وكان جهير الصوت فلما نزلت هذه الآية جلس في بيته يبكي
فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر بشأنه فدعاه فسأله عن حاله فقال يا رسول الله لقد
أنزلت عليك هذه الآية وإني رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
إنك لست منهم إنك تعيش بخير وتموت بخير وإلزام أهل الجنة واستشهد يوم اليمامة
وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام إذ قال له ثابت اعلم أن فلانا من المسلمين نزع
عني فذهب بها وهو في ناحية من العسكر وعنده فرس فأت خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد
درعي وإن خليفة الله أبا بكر الصديق وقل له إن علي دينا لفلان حتى يقضي ديني وفلان من رقيقي عتيق
فأخبر الرجل خالدا فوجد درعه وفرسه كما وصفه واسترد الدرع فلما رجعوا أخبر خالد أبا بكر
... فأجاز وصيته. قال الراوي لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه. ثوبان مولى

٤- التّطْبيق

اقْرأ مليّا النّصَّ المطْبوع، وتحقّقْ مزالِقَه، لتحرّي تلافيها عنْد تصْحيحه[1] اعْتماداً على النّسخ الثلاث (الأصل "ي"؛ ن؛ ح)، معَ رَعْيِ الاصْطلاح الْمُرْفَق.

٥- اصْطلاح

[ ]: ما بين المعكّفيْن مزيدٌ من الأصْل (ي) على «ن» أو «ح».

< >: ما بين الزاويتين المتناظرتين مما زادت به «ح» أو «ن» على الأصل (ي).

( ): ما بين القوسين، ما وقع اخْتصاره في إحْدى النسخ، وخرَجَ عنْ أنْ يكون من ألفاظ المؤلف، أوْ لِما لم يقعْ تحتَ ضابِطِ الاصْطلاح المتقدّم.

---

(١) دون التعليق عليه، ولذلك أخليْنا حواشي الأنموذج من التعليقات إلاّ موضعا يتيماً رأينا ذلك لازماً فيه..

٥ - قراءةٌ مقترَحةٌ للنصّ

باب الثّاء

- ثابتُ بْن قيْسٍ بْن شَمّاس:

[و]فيه نزَل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ الآية [الحجرات: ٢]. وكان جَهيرَ الصّوتْ، فلمّا نزلت(١) هذه الآيةُ جلس [ثابتُ بْنُ قيْسٍ](٢) في بيْته يبْكي، فتفقّدَه رسولُ الله ‹صلّى الله عليْه وسلّم›(٣)، فأُخْبِر بشأْنه، فدعاهُ فسأله عنْ حاله؛ فقال: يا رسولَ الله، لقدْ أُنْزلتْ عليْك هذه الآيةُ، وإنّي رجلٌ جهيرُ الصّوْت، فأخافُ أنْ يكونَ عملَي قدْ حبِطَ. فقال له رسولُ الله ‹صلّى الله عليْه وسلّم: **إنّك**›(٤) **لسْتَ منْهمْ؛ إنّك تعيشُ بخيْر، وتموتُ بخيْر، ‹و› إنّكَ منْ أهْل الجنّة.**

(ولـمّا نزل قوْلُه(٥): ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣] قال(٦) يا رسول الله: [إنّي] رجلٌ حُبِّب إليّ الخُيلاءُ، وأُحبُّ أنْ أُسُودَ قوْمي(٧). فقال له رسول الله(٨): **لسْتَ منْهمْ، إنّك تعيش حميداً، وتموتُ شهيداً، وإنّكَ منْ** [ي: ٢٨ ظ] **أهْل الجنّة.** قال أنس: فكنّا ننْظُرُ إلى رجلٍ منْ [أهْل](٩) الجنّةِ يمْشي بيْن أيْدينا. فلمّا كان يوْمُ اليمامة، وانْهزم المسْلمون، قال ثابت لسالمٍ موْلى أبي حُذيْفةَ: ما كنّا نقاتلُ أعْداءَ

---

(١) ن: نزل.

(٢) ما بين المعكّفين ليس في «ن؛ ح».

(٣) التصْلية مزيدةٌ من «ح»؛ وهي في «ن»، مختصرة إلى «صاد» مفردَة.

(٤) التصْلية وما بعْدَها مزيدٌ من «ح». واختُصرت التّصْلية على العادة في «ن».

(٥) «قوله»: ليس في «ن».

(٦) ي: فقال.

(٧) ن: مولى.

(٨) في «ن»: فقال يا رسول الله ص.

(٩) ليس في «ن».

رسولِ الله مع رسولِ الله [صلّى الله عليه وسلّم][١] مثْلَ هذا. فَثَبَتَا حتّى قُتِلا [ن: ١٥٢ و] وعلى ثابتٍ دِرْعٌ)[٢]، فرآه رجلٌ من الصّحابة بعْد موْته في الْمنام، إذْ قال له ثابت: اعْلمْ أنّ فلاناً من المسْلمين نَزَعَ دِرْعي فذهب بها، وهو في ناحيةٍ من الْعَسْكر، وعنْدَه فرسٌ[٣] [يَسْتَنُّ[٤] في طِوَلِه[٥]، وقدْ وضع على دِرْعي بُرْمَةً][٦]، فأْتِ خالدَ بْنَ الْوليد فأخْبرْه حتّى يسْترِدَّ دِرْعي، وأْتِ[٧] خليفةَ [رسولِ][٨] الله <صلّى الله عليْه وسلّم>[٩] أبا بكْرٍ[١٠] فقل[١١] له إنّ عليَّ ديْناً <لفُلانٍ>[١٢]، حتّى يقْضيَ ديْني، [وفُلانٌ منْ رقيقي عَتِيقٌ. فأخْبَرَ الرّجلُ خالداً، فوجَدَ دِرْعَه والْفرَسَ على ما وصَفَه[١٣]][١٤]، واسْتردّ الدّرْع. فلمّا رجعوا أخْبر خالدٌ أبا بكْرٍ بذلك، فأجاز وصيّتَه.

وقال مالكُ بْنُ أنس[١٥]: لا أعْلمُ وصيّةً أُجيزتْ بعْدَ موْتِ صاحبِها إلاّ هذِه.

وعلى الله قصد السبيل

(١) التصلية في «ن» وحدها.

(٢) ما بين القوسين وقع اختصاره في «ح»، على هذا المنوال: «واستشهد يوم اليمامة وعليه درع».

(٣) ح: «فرسي»؛ تصحيف.

(٤) ن: «يستنير»؛ تصحيف.

(٥) قيل: يستن في طِوَلِه، أي يمْرح فيه من النّشاط. ويقال: منه فرس سَنِين. والطِّوَلُ: الحبْل. من المعلم للمازري: ٢/١٦.

(٦) ما بين المعكفين ساقط من «ح».

(٧) ح: «وان»؛ تصحيف.

(٨) ساقط من «ح».

(٩) من «ن».

(١٠) زيد في هذا الموضع من «ح»: «الصديق».

(١١) ح: وقل.

(١٢) من «ح».

(١٣) ح: وفرسه كما وصفه.

(١٤) ما بين المعكفين ساقط برمته من «ن»، وتلافيه من الأصل.

(١٥) بدله في «ح»: قال الراوي.

مناقل البحث

مصحف المدينة المنورة، برواية ورش عن نافع المدني، واعتُمِدَ في عدّه طريقة عدد المدني الأخير، أشرف على إعداده وطباعته ونشره مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وكتبه الخطاط عثمان طه، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢ هـ.

المخطوطات:

-**الإبانة في الْوقْف والابْتداء**، لأبي الْفضْل محمّدِ بْن جعْفر الْخُزاعيّ الْمقْرئ (ت ٤٠٨ هـ).

نسخة القرويّين.

-**الإيضاح** لأحمد بن أبي عمر الأندرابي (ت بعد ٥٠٠ هـ).

مكتبة المصغرات الفيلمية بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، رقم الحفظ: ٤/٤٣٦٨.

-**التقييد الكبير في تفسير القرآن المجيد**، لأبي العباس البسيلي التونسي (ت ٨٣٠ هـ).

نسخة الخزانة الحسنية بالرباط، رقم ٦٧٩.

-**رسالة الحروف التي ذكر بعضها على خلاف بعض في مصحف عثمان** :

نسخة خزانة ابن يوسف، رقم ١٩٤ (هجاءات القرآن).

نسخة هارفارد، رقم ٣٧٩.

-**سوق العروس**، لأبي معْشرٍ عبْدُ الْكريم بْنُ عبْد الصّمد الْمقْري (ت ٤٧٨ هـ).

نسخة برلين رقم: ٤٠٣.

-ظاءات القرآن، لأبي الرّبيع سليمان بن أبي القاسم التيمي السَّرَقُوسي (ق ٦ هـ).

نسخة شستربيتي، رقم ٣٩٢٥.

-كتاب المرآة في السّبع القراءات، لأبي عليّ الحسيْن ابْن رشيق المُرْسي (ت ٦٩٦ هـ).

نسخة ممّا حيدرة، رقم ٢٨٢٩، مالي.

-المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ).

نسخة الخزانة الحسنية، رقم ١٥٩٢

-المختصر البارع في قراءة نافع، لابن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١ هـ).

نسخة المكتبة الوطنية التونسية، رقم ٨٩٤٨.

-المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ).

نسْخة خزانة ابن يوسف رقم ٥٩١: ٥٧ ورقة.

-نكت وتمبيات في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس البسلي التونسي (ت ٨٣٠ هـ).

نسخة الخزانة العامة بالرباط، رقم ٢٧١ ق.

-الوثائق والمسائل المجموعة من كتب الفقهاء...لعبد الله بن فتوح بن موسى بن أبي الفتح بن عبد الواحد الفهري البونتي الأندلسي (ت ٤٦٢ هـ).

نسخة خزانة ابن يوسف بمراكش رقم ٥٣٧.

المطبوعات:

-إخبار العلماء بأخبار الحكماء، لجمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦ هـ)، ط ١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٦ هـ.

-**الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقود الديانات بالتحديد والدلالات**، لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ)، تحقيق: د. لحسن وگاگ، ط ١، د ط ت.

-**أسماء من نزل فيهم القرآن**، لأبي عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الحيري النيسابوري (ت ٤٣١ هـ)، نشر: يونس فهد علي الجبوري، ط ١، ديوان الوقف السني، العراق، ١٤٣٣ هـ/ ٢٠١٢ م.

-**الإقناع في القراءات السبع** لأبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ابن الباذش (ت ٥٤٠هـ)، تحقيق د. عبد المجيد قطامش، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ط١، مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ.

-**الأمْثال الْكامنة في الْقرآن**، للحسيْن بْن الْفضْل الْبَجَلي الْكوفي، تحقيق: د. علي حسيْن البوّاب، مجلّة المجمْع العلْمي العراقي، مجلد ٣٦، عدد ١، ١٤٠٥ هـ.

-**الأمْثال الْكامنة في الْقرآن**، للحسيْن بْن الْفضْل الْبَجَلي الْكوفي، تحقيق: د. علي حسيْن البوّاب، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤١٢ هـ/١٩٩٢ م.

-**أوراق غير منشورة من كتاب المحكم**، للدكتور غانم قدوري حمد، مجلة كلية الإمام الأعظم ببغداد، العدد الرابع، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م: [٣٨٥-٤٤٧].

- **إيضاح المكنون**، لإسماعيل باشا البغدادي (ت.١٣٣٩هـ)، أعادت طبعه بالأوفست، دار إحياء التراث العربي، عن طبعة إستانبول، ١٩٥١م.

-**تاريخ ابن أبي خيثمة** (ت ٢٧٩ هـ) -قطعة من الكوفيين-، تحقيق: محمد بن عبد الله السريع، ط ١، دار العاصمة، الرياض، ١٤٣٥ هـ/٢٠١٤ م.

-**تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله

الشافعي، المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ هـ)، ط ١، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ/١٩٩٥ م.

-**التبيان في شرح مورد الظمآن**، لأبي محمد عبد الله بن عمر الصنهاجي، شهر بابن آجطا (ت نحو ٧٥٠ هـ)، تحقيق: عبد الحفيظ بن محمد الهندي، رسالة علمية لنيل شهادة الماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة، من أول الكتاب إلى نهاية مباحث الحذف في الرسم، الموسم الجامعي: ١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢.

-**التبيان** لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦ هـ)، المطبوع بعنوان إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م.

-**التسهيل لعلوم التنزيل**، لابن جزي الغرناطي (ت ٧٤١ هـ)؛ ط المنتدى الإسلامي، الشارقة، ١٤٣٣ هـ/٢٠١٢ م.

-**التقييد الكبير في تفسير القرآن المجيد**، لأبي العباس البسيلي التونسي (ت ٨٣٠ هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن مطلق الطوالة، ط ١، الرياض، ١٤١٢ هـ.

-**التمهيد في علم التجويد** للإمام شمس الدين محمّد بن محمّد بن محمّد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري حمد، ط ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩ هـ/١٩٨٩ م.

-**التمهيد في علم التجويد** للإمام شمس الدين محمّد بن محمّد بن محمّد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق: د. محمد حسين البواب، ط ١، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥ م.

-**تناسق الدرر في تناسب السور**، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) - المطبوع باسم " أسرار ترتيب القرآن"- تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ومرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م.

-**التيسير في القراءات السبع**، لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ)، تحقيق: أوتو برتزل، تصوير دار الكتاب العربي،، بيروت، ١٩٨٥ م.

-**الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة**، لمحمد بن جعفر الكتاني، تحقيق : محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني، ط ٤، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

-**صلة الخلف بموصول السلف**، لمحمّد بن سليمان الروداني (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق د. محمّد حجي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.

-**طبقات القراء**، لشمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق د. أحمد خان، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤١٨ هـ/١٩٩٧ م.

-**ظاءات القرآن**، لأبي الرّبيع سليمان بن أبي القاسم التيمي السَّرَقُوسي (ق ٦ هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط ١، دار البشائر، دمشق، ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣ م.

-**غاية النهاية في طبقات القراء**، لشمس الدين أبي الخير محمّد ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، عني بنشره ج، براجستراسر، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠م.

- **الغنية**، فهرست للقاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت.٥٤٤هـ)، تحقيق ماهر زهير جرار، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

-**فنون الأفنان في عيون علوم القرآن**، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، نشره وقدم له، ذ. أحمد الشرقاوي إقبال، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ١٩٧٠ م.

-**فنون الأفنان في عيون علوم القرآن**، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق: د. حسن ضياء الدين عتر، ط ١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٧ م.

- **فهرس أبي محمد عبد الحق بن عطية المحاربي الأندلسي** (ت٥٤١هـ)، تحقيق د. محمد أبو الأجفان، و محمد الزاهي، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.

-**فهرسة ابن خير**، أبي بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي الإشبيلي (ت ٥٧٥ هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ١٤٣٠ هـ/٢٠٠٩م.

-**فهرسة محمد بن عبد الملك المنتوري** (ت ٨٣٤ هـ)، تحقيق: د. محمد بنشريفة، ط ١، الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، ٢٠١١م.

-**قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين**، لأحمد بن أبي عمر الأندرابي، تحقيق: د. أحمد نصيف الجنابي، ط ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦م.

-**قراءة الكسائي**، لأبي عبد الله الكرماني، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط ١، دار نينوى، دمشق، ١٤٢٦ هـ/٢٠٠٥م.

-**القطع والائتناف**، لأبي جعفر النحاس المرادي (ت ٣٣٨ هـ)، تحقيق: د. أحمد خطاب العمر، ط ١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م.

-**القطع والائتناف**، لأبي جعفر النحاس المرادي (ت ٣٣٨ هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢ هـ/١٩٩٢ م .

-**قطعةٌ منْ كتاب التّنبيه على فضْل علوم القْرآن**، لأبي القاسم ابْن حَبيب النّيسابوري (ت ٤٠٦ هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مجلة المْورد العراقية، المجلد ١٧، العدد ٤، ١٤٠٩ هـ/١٩٨٩ م، [٣٠٥-٣٢٢].

-**الكتاب الأوسط في علم القراءات**، لأبي محمّد الحسن بن علي بن سعيد العُماني، تحقيق د. عزة حسن، الطبعة الأولى، دار الفكر، ١٤٢٧ هـ/٢٠٠٦م.

- **كتاب السبعة في القراءات**، لابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ)، تحقيق د. شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، القاهرة، تاريخ إيداع الكتاب ١٩٨٨ م.

-**كتاب العدد [من "الكامل في القراءات"]**، تأليف أبي القاسم يوسف بن علي، ابن جبارة الهذلي (٤٠٣-٤٦٥ هـ)، دراسة وتحقيق: د. مصطفى عدنان العيثاوي و د. عمار أمين الددو. مجلة الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، السنة العشرون، العدد الخامس والعشرون، ذو الحجة ١٤٢٦ هـ/ يناير ٢٠٠٦م: [٢٩-١٥٤].

-**كتاب الفهرست**، لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم (ت ٣٨٠ هـ)، تحقيق: د. أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان، لندن، ١٤٣٠ هـ/٢٠٠٩ م.

-**كتابُ عدَدِ آيِ القُرآن للمكي والمدنيين والكوفي والبصري والشامي المتفق عليه والمختلف فيه** لأبي الحسن علي بن محمد بن إسماعيل بن بشر التميمي الأنطاكي (ت ٣٧٧ هـ)، تحقيق: د. محمد الطبراني، ط١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠١١.

-**لسان الميزان**، لأبي الفضل ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط ١، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٢٢ هـ.

-**مجاز القرآن**، صنْعة أبي عُبيْدة معْمَر بْن المثنّى التّيْميّ (ت ٢١٠ هـ)، تحقيق" د. محمّد فؤاد سزكين، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، تاريخ المقدمة: ١٩٥٤ م.

-**مجموعة مهمة في التجويد والقراءات والرسم وعد الآي**، نشر جمال السيد رفاعي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة .

-**المحكم في نقط المصاحف**، لأبي عمرو الداني الأندلسي (ت ٤٤٤ هـ)، تحقيق د. عزة حسن، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٦ م.

-**المختصر البارع في قراءة نافع**، لابن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١ هـ)، نشر: محمد الطبراني، ط١، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة، ٢٠٠٣ م .

-**المختصر البارع في قراءة نافع**، لابن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١ هـ)، تحقيق: د. فتحي العبيدي، دار الرفاعي، ودار القلم العربي، حلب، ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤ م.

-**المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية**، للدكتور عبد المجيد بن حمدة، ط ١، مطبعة دار العرب، تونس، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

-**مسودة كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار**، لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ)، تحقيق: د. أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن، ١٩٩٥ م.

-**معاني القرآن الكريم** لأبي جعفر النّحّاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق د. محمّد علي الصابوني، ط ١، مطبوعات جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

-**معجم مؤلفات الحافظ أبي عمرو الداني**، للأستاذ الدكتور عبد الهادي حميتو، ط ١، مطبعة الوفاء، آسفي، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م.

-**معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، لشمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق د. بشار عواد معروف، وشعيب الأرناؤوط، وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤ هـ.

-**معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، لشمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق د. طيار آلتي قولاج، ط١، منشورات مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، إستانبول، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥ م.

-**مفردة الكسائي**: كتاب فيه مجرد قراءة أبي الحسن الكسائي، رواية أبي عمرو الدوري، من طريق ابن مقسم، لأبي عبد الله محمّد بن أبي نصر الكرماني (ق ٦ هـ)، دراسة وتحقيق د. أشرف محمّد فؤاد طلعت، ط١، المطبعة الوطنية، سلطنة بروناي دار السلام، ١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧ م.

-**المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار**، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ)، تحقيق: محمد أحمد دهمان، صورة عن ط ١، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر بيروت، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م.

-**الملخّص في إعْراب القُرآن**، للخطيب التّبريزِيّ (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق: د ة. فاطمة راشد الراجحي، ط ١، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ٢٠٠١ م.

-**من أشكال الفواصل في مخطوطات المصاحف القديمة** -مع ملاحظات حولها-، لمحمد الطبراني، ضمن كتاب التحقيق النقدي للمخطوطات: التاريخ، القواعد، المشكلات، ط ١، مؤسسة الفرقان، لندن، ١٤٣٤ هـ/٢٠١٣ م.

-**المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار**، لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ)، تحقيق: د. أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن، ١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢ م.

-**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، لأحمد بن محمّد المقري التلمساني (ت ١٠٤١ هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م.

-**نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد**، لأبي العباس البسيلي التونسي (ت ٨٣٠ هـ) وبذيله تكملة النكت لابن غازي العثماني المكناسي (ت ٩١٩ هـ)، تحقيق

د. محمّد الطبراني، ط١، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

-**هدية العارفين إلى اسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، لإسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩ هـ)، أعادت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث العربي، عن طبعة إستانبول، ١٩٥١م.

-**وجوه القرآن**، لأبي عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الحيري النيسابوري (ت ٤٣١ هـ)، تحقيق: د. نجف عرشي، ط ١، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٤٢٢ هـ.

المَخْطُوطَاتُ المجهُولَةُ المُؤَلِّفِينَ
أَهَمِّيَّتُها وَكَيْفِيَةُ التَّعَامُلِ مَعَها (مَخْطُوطَاتُ عِلْمِ التَّجْوِيدِ أُنْمُوذَجًا)

غانم قدوري حمد[١]

مقدمة

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أما بعد

فإنَّ أولَّ ما يقوم به المحققون لكتب التراث العربي الإسلامي النظرُ في فهارس المخطوطات، للتعرف على عنواناتها، ومعرفة مؤلفيها، وإذا صادف المحقق وهو ينظر في فهارس المخطوطات عنواناً مجهول المؤلف فإن ذلك قد يصرفه عن الاهتمام به، خاصة إذا لم يكتشف أهمية موضوعه، أو تميز مادته العلمية، فيتجاوزه إلى ما هو معروف المؤلف، وقد يكون المخطوط أحياناً مجهول العنوان أيضاً، مما يزيد في صعوبة التعرف عليه، أما إذا كان المخطوط معروف المؤلف مجهول العنوان فإن الأمر في هذه الحالة أسهل على المحقق.

ولا يساعد كثير من فهارس المخطوطات في التعرف على المخطوط المجهول المؤلف أو العنوان، فأكثر فهارس المخطوطات لا تنقل فاتحة المخطوط، والقليل من المفهرسين من يذكر عنوانات الأبواب، فيظل المخطوط أشبه باللغز لا يحله إلا الاطلاع على المخطوط والنظر فيه، وقد لا يتاح ذلك في أكثر الأحوال، لِبُعْدِ الباحث عن مكان المخطوط، وليس جميع المخطوطات متاحة على الشبكة الدولية للمعلومات اليوم.

---

(١) أستاذ محاضر في مادة علوم القرآن الكريم بجامعة تكريت

وتُشَكِّلُ المخطوطات المجهولة المؤلفين نسبة عالية من المخطوطات التي تحتفظ بها مكتبات العالم، قد تصل إلى النصف في بعض الحالات، وإهمال هذا العدد الكبير من المخطوطات يُعَدُّ خسارة علمية كبيرة، لأنها قد تكون من الكتب المهمة من ناحية موضوعها، أو مؤلفها، أو عصرها، وهي تحتاج إلى مزيد عناية ممن يضعون فهارس للمخطوطات، كما أن أهل الاختصاص عليهم أن يطيلوا الوقوف عندها، ويحاولوا إبراز قيمتها العلمية، ومحاولة البحث عن مؤلفيها.

ووجدت الفرصة المناسبة للحديث عن هذا الموضوع في الدورة التدريبية التي تُقيمها مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ومؤسسة دار الحديث الحَسَنِيَّة في الرباط، للبحث في المشكلات المتعلقة بمخطوطات علوم القرآن الكريم، وهذه إحدى المشكلات التي يلزم المحققين والمهتمين بعلوم القرآن الوقوفُ عندها، والبحثُ عن الوسائل للتخفيف من آثارها.

ويمكن الحديث عن هذا الموضوع من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: موقف المفهرسين من المخطوطات المجهولة المؤلفين.

المبحث الثاني: موقف المحققين والباحثين من المخطوطات المجهولة المؤلفين.

المبحث الثالث: دراسة تطبيقية حول مخطوط مجهول.

والحديث عن المخطوطات المجهولة المؤلفين، وهي نوع مما يسمى بالمخطوطات المطوية، ليس جديداً[١]، لكن الحديث عن المخطوطات المتعلقة بعلوم القرآن الكريم بعامة، ومخطوطات علم التجويد بخاصة المجهولة المؤلفين، لم يكن وافياً، وظل

---

(١) عُقِدَ في مكتبة الإسكندرية من ٦–٨ مايو ٢٠٠٨ مؤتمرٌ عن (المخطوطات المطوية)، وهي «المؤلفات التي اختفت أو اختبأت لسبب أو لآخر»، والمخطوطات المجهولة المؤلفين أحد أنواع المخطوطات المطوية، لكن أوراق المؤتمر ركزت على المخطوطات التي اختفت نسخها، أو أخفيت قسراً، أكثر من حديثها على المخطوطات الباقية لكنها مجهولة المؤلفين. ينظر: موقع المؤتمر على الشبكة:
http://manuscriptcenter.org/lost/arabic/About.asp.

مجال القول فيه واسعاً، وآمل أن يكون هذا البحث إضافة مفيدة، عسى أن تكمله جهود الباحثين المستمرة في خدمة هذا النوع المهمل من المخطوطات العربية.

واخترت في هذا البحث الحديث عن مخطوطات علم التجويد المجهولة المؤلفين لسببين:

الأول: أنَّ علم التجويد من العلوم المتعلقة بأداء القرآن الكريم، ويحتاجه كل مَن يتلو القرآن ويريد أن تكون قراءتُهُ صحيحةً، ومن ثم فإن الكشف عن المخطوطات المجهولة المؤلفين في هذا العلم يعتبر إضافة مفيدة لشريحة واسعة من الباحثين والمهتمين بتلاوة القرآن الكريم.

الثاني: اشتغالي بتحقيق عدد من كتب علم التجويد، ومن بينها عدد من المخطوطات التي كانت مجهولة المؤلفين، وهو ما يتيح للبحث ذكر أمثلة تطبيقية من واقع تلك المخطوطات. والله تعالى ولي التوفيق.

المبحث الأول: موقف المفهرسين من المخطوطات المجهولة المؤلفين

إن العدد الضخم لمخطوطات علم التجويد المجهولة المؤلفين يدعونا لتتبعها، وتحليل مضامينها، فقد يكون من بينها بعض أصول هذا العلم التي كان يُظَنُّ أنها في عداد المفقود، وكنت قد أحصيتُ ما ورد في الطبعة الأولى من «**الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط**» من مخطوطات علم التجويد في أجزائه الثلاثة[١]، فبلغت المخطوطات المعروفة المؤلفين الذين ذَكَرَتْ كتب التراجم سِنِيَّ وفياتهم (٥٤٤) عنواناً، والمعروفة المؤلفين الذين لم تذكر كتب التراجم سِنِيَّ وفياتهم (١٧٧) عنواناً، ومجموع ذلك كله (٧٢١)، وبلغ مجموع عدد المخطوطات المجهولة

---

(١) كانت الطبعة الأولى من الجزء الخاص بمخطوطات علم التجويد في ثلاثة أجزاء، وقد رُتِّبَتْ فيه المواد بحسب وفاة المؤلفين، وصدرت الطبعة الثانية في جزء واحد، والمواد مرتبة فيه على حروف الهجاء.

المؤلفين (٣٩٤) عنواناً، ويساوي هذا الرقم أكثر من نصف المخطوطات المعروفة المؤلفين، وهي نسبة مرتفعة جداً، ولا تتناسب العناية الموجهة إليها مع عددها الكبير، وما يمكن أن تحتويه من نفائس الكتب.

وتعد فهارس المخطوطات مفاتيح بيد الباحثين للدخول إلى عالم الكتاب المخطوط، فهي تَدُلُّهُمْ على مواضع المخطوطات التي يبحثون عنها، وتُسَهِّلُ عليهم الوصول إلى ما يريدون، وهناك فهارس خاصة لمخطوطات مكتبات معينة، مثل فهارس مكتبة المتحف في بغداد، وفهارس مكتبات الأوقاف في بغداد والموصل والسليمانية، ومثل فهارس مخطوطات المكتبة القادرية، في العراق، ومثل فهارس المكتبة الظاهرية في دمشق، والأزهرية، ودار الكتب في مصر، وعشرات غيرها في العالم.

وهناك فهارس عامة للمخطوطات، مثل كتاب **تاريخ الأدب العربي** لكارل بروكلمان، و**تاريخ التراث العربي** للدكتور فؤاد سزكين، وهذان الكتابان يتضمنان دراسات في نشأة العلوم الإسلامية بالإضافة إلى أسماء المخطوطات وأماكن وجودها وأسماء مؤلفيها، ولعل أشمل فهرس للمخطوط العربي اليوم هو **«الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط»** بأجزائه المتعددة، الذي أصدره المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في عمان، وصدرت منه طبعتان.

المطلب الأول: مناهج المفهرسين للمخطوطات

تتفاوت فهارس المخطوطات في المعلومات التي تقدمها عن المخطوطات التي يرد وصفها فيها، يقول الدكتور صلاح الدين المنجد في هذا الصدد: «لقد رأينا أن الطريقة التي اتبعها الذين فهرسوا المخطوطات العربية من المستشرقين السابقين والمعاصرين ليست واحدة، فبعضهم اتبع طريقة التفصيل والإسهاب على ما نراه في فهرست مخطوطات برلين، وبعضهم اتبع طريقة الإيجاز على ما نرى في فهرست مكتبة تشستربتي أو المكتبة الوطنية في باريز أو مكتبة جامعة ليدن،

فالتفصيل عند آلورد صار أشبه بدراسة عن المخطوط... أما الذين وضعوا الفهارس فاضطربوا أيضاً بين ذينك الطريقين، ولم يلتزم الكثير منهم بمنهج واحد طبقه في وصف كل مخطوط»(١).

وهناك من ذهب إلى أن «الفهرسة تتخذ ثلاثة سبل لا تخرج عنها، أولها: سبيل الدرجة الأولى أو فهرسة القوائم أو الأدلة، وسبيل الدرجة الثانية أو الفهرسة الوصفية الوسط، وسبيل الدرجة الثالثة أو الفهرسة التحليلية. وتتألف هذه الدرجات الثلاث من عناصر مختلفة، منها عناصر أساسية مشتركة بين جميع الدرجات على اختلاف أنواعها، وهي الحد الأدنى الذي ينبغي الحرص على استيفائها، ولا يختلف اثنان من أهل التخصص على أن هذه العناصر الأساسية تنحصر في: عنوان المخطوطة، واسم المؤلف، ونوع الخط، وتاريخ النسخ، واسم الناسخ، وعدد الأوراق، وعدد السطور، وطول المخطوطة وعرضها، مع تحديد المجلد إذا كانت جزءاً من كتاب، والمكتبة التي تحتفظ بها، ورقمها فيها»(٢).

ومع ذلك فإن طريقة تعامل فهارس المخطوطات مع المخطوط المجهول المؤلف تتفاوت تفاوتاً كبيراً، فمنها ما اكتفى بذكر عنوانه ورقمه في المكتبة، ومنها ما فَصَّلَ في بيان موضوعه ونَقَلَ عناوين أبوابه، والطريقة الأولى غير مفيدة للدارسين لأنها تترك الناظر في الفهرس أمام عدد من الأسئلة والاحتمالات، أما الطريقة الثانية فأكثر فائدة، فهي تساعد الباحث في معرفة موضوع المخطوط، وقد توصله إلى معرفة مؤلفه من خلال موازنة مادته مع مخطوطات أخرى، أو من خلال قرائن معينة، دون الحاجة إلى تجشم عناء السفر للاطلاع عليه.

---

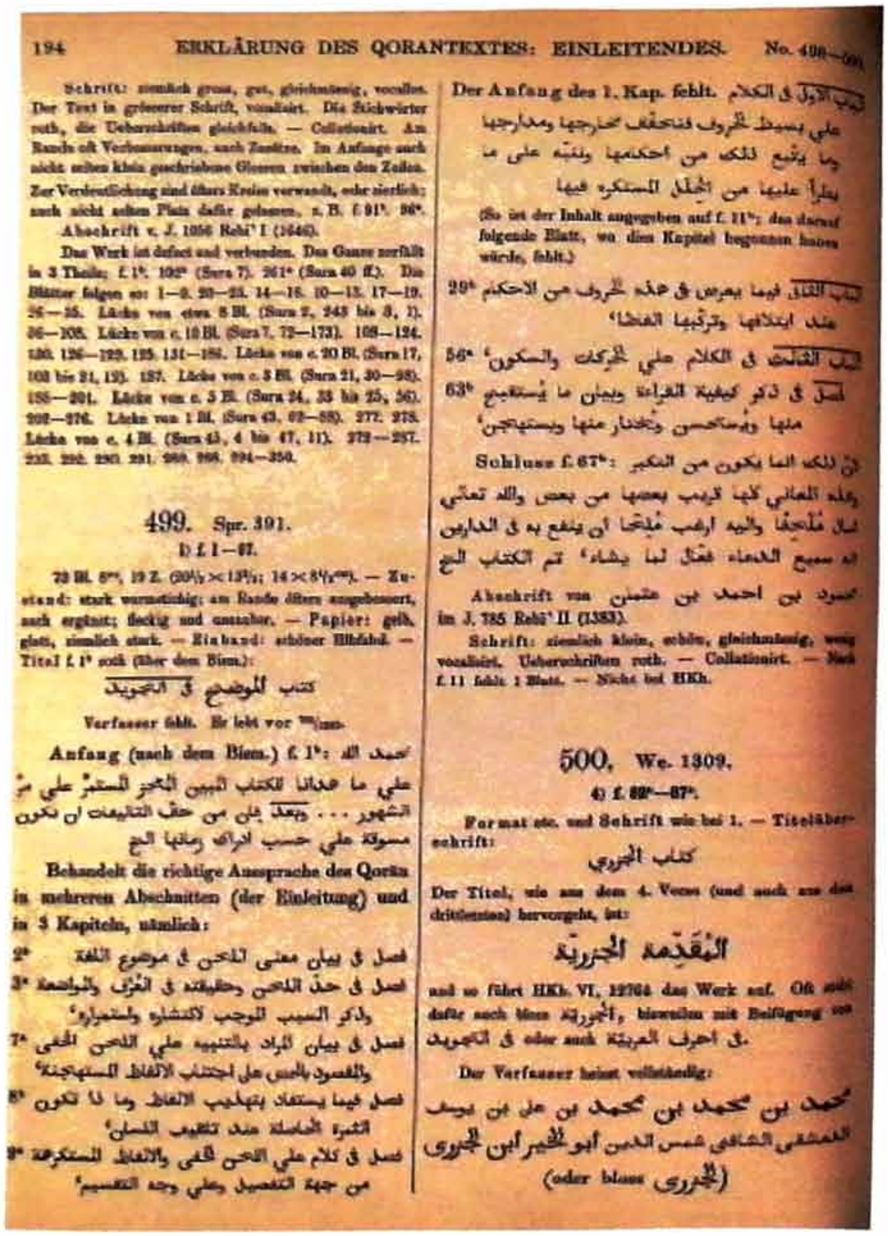
(١) **قواعد فهرسة المخطوطات** ص٥٩ – ٦١.

(٢) عصام محمد الشنطي: أول المخطوط وآخره ص١٣٧ (ضمن: **فن فهرسة المخطوطات**).

وسوف أنقل لكم أمثلة على ذلك، وأوضح مثال لدي هو كتاب «**الموضح في التجويد**» لعبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب القرطبي، المتوفى سنة ٤٦١هـ، فقد كان هذا الكتاب مجهولاً للدارسين إلى عهد قريب، ووقفتُ على بعض مخطوطاته في أثناء اشتغالي بإعداد مادة أطروحتي للدكتوراه عن «**الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**» التي نوقشت في كلية الآداب بجامعة بغداد سنة ١٩٨٥م. وكنت يوماً أراجع فهرس مخطوطات المكتبة الملكية في برلين الصادر في سنة ١٨٨٧م، وهو فهرس ضخم بحجم كبير بعدة أجزاء، واضعه و. آلورد، باللغة الألمانية، وكانت منه نسخة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، فوجدت في الجزء الأول (ص ١٩٤) ذكراً لـ «**كتاب الموضح في التجويد**»، ورقمه (٤٩٩)، ولم يُذكَرْ اسم المؤلف، ونقل واضع الفهرس أول المخطوطة بالحرف العربي، وهو قوله: «نحمد الله على ما هدانا للكتاب المبين المعجز المستمر على مَرِّ الشهور... وبَعْدُ فإن من حق التأليفات أن تكون مَسُوقَةً على حسب إدراك زمانها، إلخ». ثم نَقَلَ عناوين الفصول والأبواب، مع الإشارة إلى مواضعها من أوراق المخطوط التي بلغت سبعاً وستين ورقة، وأخذ ذلك أكثر من عشرين سطراً، وهذه صورة الصفحة[1]:

---

(١) اختُصِرَتْ هذه المعلومات عن المخطوطة في (الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط - علم التجويد، ط٢ ص١٤٧) إلى ما يأتي: كتاب الموضح في التجويد - مجهول، الدولة / برلين ١٩٤/١ [٤٩٩] - (و ١-٦٧) - ٧٨٥هـ.



194 ERKLÄRUNG DES QORANTEXTES: EINLEITENDES. No. 498—500

Schrift: ziemlich gross, gut, gleichmässig, vocallos. Der Text in grösserer Schrift, vocalisirt. Die Stichwörter roth, die Ueberschriften gleichfalls. — Collationirt. Am Rande oft Verbesserungen, auch Zusätze. Im Anfange auch nicht selten klein geschriebene Glossen zwischen den Zeilen. Zur Verdeutlichung sind öfters Kreise verwandt, sehr zierlich; auch nicht selten Platz dafür gelassen, z. B. f. 91ᵇ. 96ᵃ.

Abschrift v. J. 1056 Rebî' I (1646).

Das Werk ist defect und verbunden. Das Ganze zerfällt in 3 Theile: f. 1ᵇ. 102ᵃ (Sura 7). 261ᵃ (Sura 40 ff.). Die Blätter folgen so: 1—9. 20—23. 14—16. 10—13. 17—19. 26—35. Lücke von etwa 8 Bl. (Sura 2, 243 bis 3, 1). 36—108. Lücke von c. 10 Bl. (Sura 7, 72—173). 109—124. 130. 126—129. 125. 131—186. Lücke von c. 20 Bl. (Sura 17, 102 bis 21, 12). 187. Lücke von c. 5 Bl. (Sura 21, 30—98). 188—201. Lücke von c. 5 Bl. (Sura 24, 33 bis 25, 56). 202—276. Lücke von 1 Bl. (Sura 43, 62—88). 277. 278. Lücke von c. 4 Bl. (Sura 43, 4 bis 47, 11). 279—287. 288. 292. 290. 291. 289. 293. 294—350.

499. Spr. 391.

1) f. 1—67.

73 Bl. 8ᵛᵒ, 19 Z. (20½ × 13⅔; 14 × 8½ᶜᵐ). — Zustand: stark wurmstichig; am Rande öfters ausgebessert, auch ergänzt; fleckig und unsauber. — Papier: gelb, glatt, ziemlich stark. — Einband: schöner Hlbfzbd. — Titel f. 1ᵃ roth (über dem Bism.):

كتاب الموضح في التجويد

Verfasser fehlt. Er lebt vor ⁷⁸⁵/₁₃₈₃.

Anfang (nach dem Bism.) f. 1ᵇ: الحمد لله علي ما هدانا للكتاب المبين المعجز المستمر علي مر الشهور . . . وبعد فإن من حق التاليفات ان تكون مسوقة علي حسب ادراك معانيها الخ

Behandelt die richtige Aussprache des Qorân in mehreren Abschnitten (der Einleitung) und in 3 Kapiteln, nämlich:

2ᵃ فصل في بيان معنى اللحن في موضوع اللغة

3ᵃ فصل في حد اللحن وحقيقته في العرف والمواضعة وذكر السبب الموجب لانتشاره واستمراره

7ᵃ فصل في بيان المراد بالتنبيه علي اللحن الخفي والمقصود بالحث على اجتناب الالفاظ المستهجنة

8ᵃ فصل فيما يستفاد بتهذيب الالفاظ وما لا تكون الثمرة الحاصلة عند تثقيف اللسان

9ᵃ فصل في كلام علي اللحن الخفي والالفاظ المستكرهة من جهة التفصيل وعلي وجه التقسيم

Der Anfang des 1. Kap. fehlt. الباب الاول في الكلام علي بسيط الحروف فنحقق مخارجها ومدارجها بما يتبع ذلك من احكامها وننبّه على ما يطرأ عليها من الخلل المستكره فيها

(So ist der Inhalt angegeben auf f. 11ᵇ; das darauf folgende Blatt, wo dies Kapitel begonnen haben würde, fehlt.)

29ᵃ الباب الثاني فيما يعرض في هذه الحروف من الاحكام عند ائتلافها وتركيبها الفاظا

56ᵃ الباب الثالث في الكلام علي الحركات والسكون

63ᵇ فصل في ذكر كيفية القراءة وبيان ما يستقبح منها ويستحسن ويختار منها ويستهجن

Schluss f. 67ᵇ: ان ذلك انما يكون من التكبير وهذه المعاني كلها قريب بعضها من بعض والله تعالي اسال ملحفا واليه ارغب مبتهلا ان ينفع به في الدارين انه سميع الدعاء فعّال لما يشاء تم الكتاب الخ

Abschrift von محمود بن احمد بن عثمان im J. 785 Rebî' II (1383).

Schrift: ziemlich klein, schön, gleichmässig, wenig vocalisirt. Ueberschriften roth. — Collationirt. — Nach f. 11 fehlt 1 Blatt. — Nicht bei HKh.

500. We. 1309.

4) f. 82ᵃ—87ᵃ.

Format etc. und Schrift wie bei 1. — Titelüberschrift:

كتاب الجزري

Der Titel, wie aus dem 4. Verse (und auch aus dem drittletzten) hervorgeht, ist:

المقدمة الجزرية

und so führt HKh. VI, 12764 das Werk auf. Oft steht dafür auch bloss الجزرية, bisweilen mit Beifügung von في احرف العربية oder auch في التجويد.

Der Verfasser heisst vollständig:

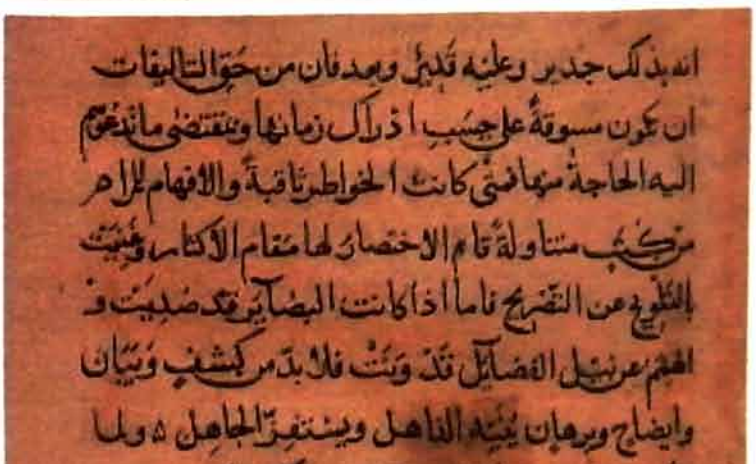
محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الدمشقي الشافعي شمس الدين ابو الخير ابن الجزري (oder bloss الجزري)

وتضمن وصف المخطوط ذكر عدد الأوراق، وأول المخطوط، وعناوين الفصول والأبواب، وخاتمة الكتاب، وهذه المعلومات مفيدة للباحث، على الرغم من عدم ذكر مؤلف الكتاب، فهي تدله على موضوعات الكتاب، وقد تساعده على التعرف على المؤلف من خلال ذكر أول الكتاب.

وقد طلبت نسخة من مخطوطة «**الموضح في التجويد**» من المكتبة الملكية في برلين، وتحقق لي ذلك، وهذه صورة بداية المخطوط:



كتاب الموضح في التجويد
بسم الله الرحمن الرحيم
نحمد الله على ما هدانا للكتاب المبين المعجز المستمر على
مر الشهور والسنين المقصور بفصاحة والنظم المتين
وعلو شانه في غرابة الامالين عن رفعة شان القايل فوق
العالمين ونصلي على نبيه الامي الامين محمد المبعوث
الى كافة الامم من العالمين المنعوت بكمال البلاغة
وسماحة الدين الذي اختص بخير معجز انه لا نبي بعده خير المرسلين
وعلى آله واصحابه واحبابه اجمعين ما [illegible]
السنة القارين ونسال الله ان يجعلنا في [illegible] من
التوفيق في كل حال وحين في العصمة عما يبعدنا ويشين



انه بذلك جدير وعليه قدير وبعد فان من حق التاليفات
ان تكون مسوقة على حسب ادراك زمانها وتقتضي ما تدعو
اليه الحاجة مهما فمتى كانت الخواطر ثاقبة والافهام للمرام
مركب متناولة تام الاختصار لها مقام الاكثار [illegible]
بالتلويح عن التصريح فاما اذا كانت البصاير قد صدئت و
الهمم عن نيل الفضايل قد ونت فلا بد من كشف وبيان
وايضاح وبرهان ينبه الذاهل ويستنفر الجاهل ولما
رايت الناشئين من قراء هذا الزمان وكثيرا من منتهيهم قد
اغفلوا اصطلاح الفاظهم من شوايب اللحن الخفي با هملوا

ووجدت وأنا أراجع الجزء الثالث من «**فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل**»، وهو من إعداد الأستاذ سالم عبد الرزاق أحمد، وصفاً لمجموع كبير من مخطوطات مدرسة الحجيات، رقمه (٢٢/٢)، ويضم المجموع تسعة عشر عملاً، ما بين كتاب كبير ورسالة صغيرة، ومعظمها في القراءات والتجويد ورسم

المصحف، وكان الكتاب الثامن في المجموع «الموضح في التجويد»، وليس هناك إشارة إلى مؤلفه أو محتوياته. وهذه صورة ما ورد في الفهرس[١]:

٢٢/٢ مجموع - ق٢٥×١٦ - و- ٢٢٩ تكثر عليه الحواشي والتعليقات في هوامش الصفحات

١ - حرز الاماني ووجه التهاني - الشاطبية
أبو محمد القاسم بن فيرّة الشاطبي المتوفي سنة ٥٩٠هـ

٢ - متن ناظمة الزهر

أبو محمد القاسم بن فيرّة الشاطبي
أ(بدأت بحمد الله ناظمة الزهر لتجني بعون الله عينا من الزهر)

٣ - أحكام الهمزة لهشام وحمزة
إبراهيم بن عمر الجعبري الخليلي الشافعي المتوفى سنة ٧٣٢هـ
منسوخة على هامش صفحات ناظمة الزهر

٤ - رسالة في القراءات

٥ - عدد ما في الكتاب العزيز من الآيات على حروف المعجم

٦ - الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة
أبو محمد مكّي بن أبي طالب الحموي القيسي المتوفى سنة ٤٣٧هـ

٧ - العقد الفريد في نظم التجويد وشرحه روح المريد في شرح العقد الفريد
محمد بن محمود بن محمد الشريف السمرقندي المتوفى نحو سنة ٧٨٠هـ
أ (الحمدلله الذي خلق الانسان في أحسن تقويم وأرسل إليه الرسل ليهديه إلى الصراط المستقيم ...)
الناسخ عبد الرحيم بن عبدالرحمن بن محمد الحافظ سنة ٧٨٨هـ

٨ - الموضح في التجويد

٩ - تقريب المأمول في ترتيب النزول
إبراهيم بن عمر الجعبري الخليلي الشافعي المتوفى سنة ٧٣٢هـ

١٠ - كشف الاسرار في رسم مصاحف الامصار
أبو الخطاب محمد بن محمود بن محمد الشيزازي السمرقندي المتوفى سنة ٧٨٠هـ

---

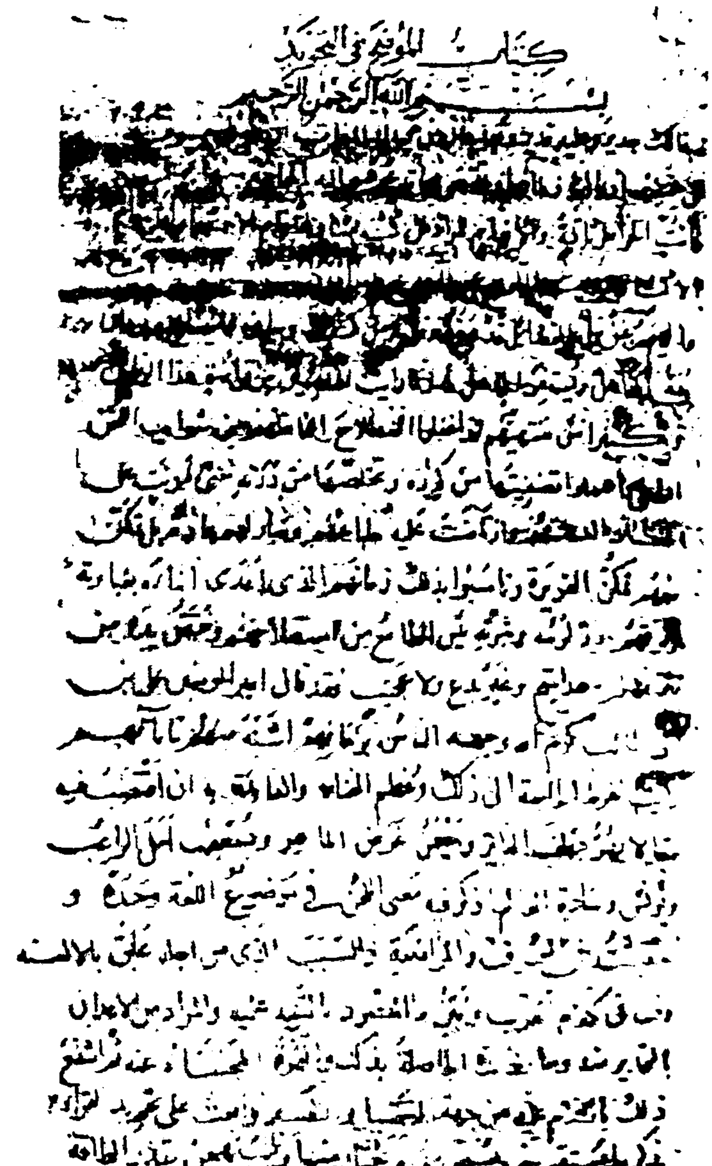
(١) فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ٣/٩٤-٩٦.

يحوي ٢٥ باباً
الناسخ : عبدالرحيم بن عبدالرحمن بن محمد الحافظ سنة ٧٨٨هـ
١١ – مخارج الحروف – فارسي
١٢ – درّة القاريء
أبو محمد عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف الرسعني الحنبلي المتوفى سنة ٦٦٠هـ
وهي نونية في (الفرق بين الضاد والظاء)(١)
١٣ – تحفة الإخوان في رواية حفص بن سليمان
نجم الدين عبدالله بن عبد المؤمن بن وجيه المقريء الواسطي المتوفى سنة ٧٤٠هـ
الناسخ : محمد بن محمد بن محمد السوستناني المقري
قوبلت على نسخة المصنِّف
١٤ – نقولات شتى في القراءات
١٥ – لوحة مصورة في مخارج الحروف
١٦ – صورة إجازة في القراءات
١٧ – رسالة في التجويد – فارسي
أبو طالب هبةالله بن أبي الفتوح بن أبي الغالب الكازروني
١٨ – رسالة في التلاوة – فارسي
١٩ – صورة ماكتب في آخر مصحف صحح للامير حبيب الله الشريفي
الناسخ : أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الجابري القاري

وتساءلتُ بعد وقوفي على عنوان كتاب «الموضح في التجويد» في هذا المجموع: هل هو كتاب الموضح الذي تحتفظ المكتبة الملكية في برلين بنسخة منه، أو هو كتاب آخر؟ ولكن فهرس مخطوطات الموصل لا يسعف في الإجابة على هذا التساؤل، جزى الله واضعه خير الجزاء، فقد يسر للدارسين الاطلاع على ذخائر مخطوطات مكتبة الأوقاف في الموصل، وكان عملاً كبيراً جاء في تسعة أجزاء كبيرة، لكن الأفضل مطلوب في البحث العلمي.

ولا يجيب عن ذلك التساؤل إلا الاطلاع على المخطوط نفسه، وكنتُ آنذاك في بغداد، فشددت الرحال إلى الموصل الحدباء للوقوف على حقيقة ذلك المخطوط، ولو كان الفهرس قد ذكر معلومات أكثر عنه لكفاني مؤونة السفر، وقد لا يكون في استطاعة من هو خارج العراق أن يصل إلى الموصل، وصار الوصول إلى الموصل من بغداد أمراً محفوفاً بالمخاطر في السنوات الأخيرة، بل صار مستحيلاً في الوقت الحاضر.

وحين وصلت إلى مكتبة الأوقاف العامة في الموصل وجدت التعاون الكامل من أمين المكتبة آنذاك الأستاذ سالم عبد الرزاق أحمد رحمه الله تعالى واطلعت على مخطوطة «كتاب الموضح في التجويد» فإذا افتتاحية الكتاب وعناوين الفصول والأبواب تتطابق مع ما ورد من وصف لمخطوطة برلين، وحمدت الله تعالى، وسعيت إلى الحصول على نسخة مصورة منه، وقد سَهَّلَ لي ذلك مشكوراً الأستاذ سالم، الذي كان يُقَدِّمُ كل ما هو ممكن من مساعدة للباحثين، جزاه الله خيراً.
وهذه صورة الصحيفة الأولى من مخطوطة الموصل:


كتاب الموضح في التجويد
بسم الله الرحمن الرحيم

ولم تنتهِ قصتي مع «الموضح» بعد، فقد تأكد لي أن مخطوطة الموصل هي نفسها مخطوطة برلين، لكن ظل البحث عن مؤلف الكتاب وعصره مطلوباً، وليس في الكتاب مؤشرات قوية إلى المؤلف، ولم تطل حيرتي في هذا المجال، فقد عثرت في المكتبة المركزية بجامعة بغداد على فهرس مخطوطات مكتبة رضا في رامبور في الهند، وهو باللغة الإنكليزية، وفيه (١٣٢/١-١٣٣) إشارة إلى وجود نسخة من **«كتاب الموضح في التجويد»** في المكتبة المذكورة، والمهم في هذه الإشارة ذكر مؤلف

الكتّاب، وهو عبد الوهاب بن محمد القرطبي، وإلى جانب ذلك نقل واضع الفهرس الأستاذ امتياز علي عرشي أول المخطوط، وهو: «بسم الله – إنه بذلك جدير، وعليه قدير، وبعد فإن من حق التأليفات أن تكون (مسبوقة)»، وهو عين ما بدأت به مخطوطتا برلين والموصل، وعرفت من خلال ذلك مؤلف الكتّاب، وهو عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب القرطبي، والحمد لله، وهذه صورة ما ورد في الفهرس:

132 Catalogue of Arabic Manuscripts

S. No & Subject	Accn. No.	Title of Work	Name of Author	Name of Commentator
283 a'l-Tajwid.	6123 M.	al-Mūḍiḥ fi'l-Tajwid	Abu'l-Qāsim 'Abdu'l-Wahhāb b. M. b. 'Abdi'l-Wahhāb al-Qurṭubi (d. 461/1069).	

Quranic Sciences Pronunciation of the Qur'ān 133

[illegible]		Size, folios [illegible]		Condition	
P.	'As. (Naskh).	S. 23 × 14.8; F. 66 (1b-66a); L. 17.	C	Good. Worm-eaten. 12th/18th Cent.	The second copy in the world of a rare work. Transcribed by Hāfiz 'Ināyatullāh, with headings in bold Naskh. Beg. بسم الله – انه بذلك جدير، وعليه قدير، وبعد فان من حق التأليفات ان تكون مسبوقة له. See al-Jazari 1/220 & Berlin 1/194.

صورة ما جاء في فهرس المخطوطات العربية في مكتبة (رضا) بمدينة رامبور عن كتاب (الموضح في التجويد) ج ١ ص ١٣٢ – ١٣٣

وقد حققت الكتاب على مخطوطتي برلين والموصل بعد أن أعياني الطلب في الحصول على مخطوطة الهند، وقد نَشَرَ الكتاب معهد المخطوطات العربية سنة ١٩٩٠م[١]، بمراجعة الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر، وهذا الكتاب من أهم كتب علم التجويد، ولا يتسع المقام للحديث عنه، ومن رغب في الوقوف على ذلك فيمكنه قراءة مقدمة التحقيق.

المطلب الثاني: ما يجب على المفهرسين تجاه المخطوطات المجهولة المؤلفين

إن من الواجب على صانعي فهارس المخطوطات أن يُعْنَوْا بوصف المخطوط مجهول المؤلف، ومن المفيد أن يشمل ذلك الوصف بالإضافة إلى حجم الكتاب وتاريخ النسخ إن وُجِدَ ما يأتي:

١) نقل أول المخطوط، بعد الافتتاح بالحمدلة والصلاة والدعاء، فقد يكون ذلك مفتاحاً لمعرفة مؤلف الكتاب، وأضرب على ذلك المثال الآتي: وقفت على كتاب «شرح الدر اليتيم» لمحمد بن بير علي البركوي (ت٩٨١هـ) في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب في جامعة بغداد، قبل أن تُنْهَبَ وتُحْرَقَ بعد العدوان الأمريكي على العراق واحتلال بغداد، وليس على المخطوط اسم، وحين رجعت إلى **كشف الظنون** وجدته يقول[٢]: «شَرَحَهُ الشيخ أحمد فائز الرومي [ت١٠٤٣هـ] شرحاً ممزوجاً، أوله: الحمد لله على نواله إلخ». وهو أول كتاب شرح **الدر اليتيم** في المخطوطة، ورجَّح ذلك عندي أن هذا الشرح من تأليف أحمد فائز الرومي.

وظهرت بعد ذلك نسخ خطية أخرى من الكتاب عليها اسم المؤلف[٣]، وهي تبدأ بذات النص، وقد حُقِّقَ الكتاب بعد ذلك وطُبِعَ منسوباً إليه[٤].

---

(١) صدر في طبعة ثانية في دار عمار بعمان ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

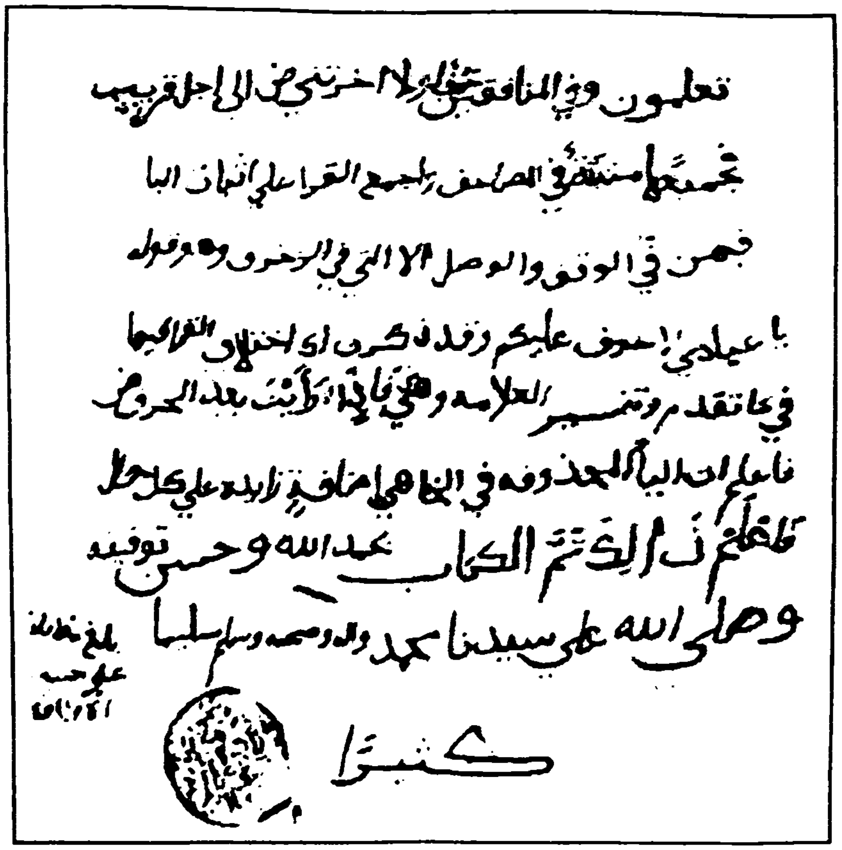
(٢) كشف الظنون ٧٣٧/١.

(٣) ينظر: الفهرس الشامل (علوم القرآن: مخطوطات التجويد ط٢) ص١٠٧–١٠٨.

(٤) حققه محمد صفاء طه الحودي، ويوسف عواد بردي الدليمي، وطبع بدار عمار، عمان ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٢) **نقل خاتمة المخطوط،** للتأكد من تمام الكتاب، وإن كانت عبارة (تم الكتاب) ليست كافية دائماً للتأكد من تمام النص، وقد أوقعتني تلك العبارة في الوهم حين حققت كتاب «**البديع في معرفة ما رسم في مصحف عثمان بن عفان** رضي الله عنه»، وظننت أن الكتاب تام بناء على ما جاء في آخر بعض مخطوطات الكتاب، ونشرته سنة ١٩٨٦م لأول مرة، وأهملت ما ورد في إحدى مخطوطات الكتاب من زيادة، وتبين لي بعد سنوات من خلال مخطوطات أخرى أن نص الكتاب ينقصه نحو الثلث، وتيسر لي إعادة تحقيقه كاملاً والحمد لله.

وهذه صورة خاتمة مخطوطة المكتبة الظاهرية من كتاب البديع، وفي آخرها عبارة (تم الكتاب):


تم الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

خاتمة نسخة الظاهرية

٣) **نقل عناوين الفصول والأبواب،** لأنها تعطي للباحث فكرة عن موضوع الكتاب، ومنهجه، وقد تساعد في الدلالة على مؤلف الكتاب من خلال الموازنة مع محتويات مخطوطات أخرى.

٤) **الإشارة إلى النسخ الأخرى التي تحمل العنوان ذاته، إن أمكن،** فقد ييسر ذلك للباحث التعامل مع المخطوط في يوم ما.

ولم يرد في كثير من فهارس المخطوطات التي اطلعت عليها شيء من الأمور التي ذكرتها، فقد اكتفى أكثرها بذكر عنوان الكتاب، وقد يذكر عدد أوراقه، ورقمه في المكتبة التي تضمه، وحري بمن يتصدى لصناعة فهارس المخطوطات أن يأخذ بنظر الاعتبار وهو يعمل في فهرسة المخطوطات الأمور التي أشرت إليها.

* * *

ولا يخفى على المهتمين بكتب علم التجويد أن هناك عدداً من أمهات كتب هذا العلم قد فُقِدَتْ نسخها الخطية، أو لم يقف الدارسون على شيء من نسخها، وقد يكون بين المخطوطات الكثيرة المجهولة المؤلفين بعض تلك الكتب، من مثل الكتب الآتية[1]:

- **كتاب التجويد،** لأبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد العجلي الرازي المتوفى سنة ٤٥٤هـ.

- **كتاب التجويد والمدخل إلى العلم بالتحديد.**

- **كتاب البيان عن تلاوة القرآن،** كلاهما لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري المتوفى سنة ٤٦٣هـ.

---

(١) ينظر في توثيق هذه المؤلفات كتابي: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٧ ـ ٣٠.

ـ **كتاب التجريد في التجويد**، لأبي علي الحسن بن أحمد، المعروف بابن البناء البغدادي، المتوفي سنة ٤٧١هـ.

ـ **الترشيد في علم التجويد**، لأبي علي الحسين بن عبد العزيز، المعروف بابن أبي الأحوص، المتوفى سنة ٦٧٩هـ.

ـ **التجريد في التجويد**، لأبي الحسن علي بن يعقوب بن زهران، عماد الدين الموصلي المعروف بابن أبي زهران، المتوفى سنة ٦٨٢هـ.

ـ **الدر النضيد في التجويد**، لأبي العباس أحمد بن عبد الله بن الزبير الخابوري، المتوفى سنة ٦٩٠هـ(١).

وبعض هذه الكتب لا يقل أهمية عن أمهات كتب التجويد الأولى، مثل **الرعاية لتجويد القراءة** لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، **والتحديد في الإتقان والتجويد** لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، **والموضح في التجويد** لعبد الوهاب القرطبي (ت٤٦١هـ)، ومن بين المخطوطات المجهولة المؤلفين ما تتجاوز أوراقه المئة ورقة، ومنها ما تبلغ صفحاته بضع عشرات من الأوراق، وكثير منها رسائل صغيرة، لكن ذلك لا يمنع من أن يكون بعضها ذا قيمة علمية ممتازة.

ولعل بعض المؤسسات العلمية، أو بعض أصحاب الهمم العالية يبدأ بمشروع يُعْنَى بالمخطوطات العربية المجهولة المؤلف في العالم، ويُصْدِرُ لها فهارس خاصة بها، تتضمن الأمور التي أشرت إليها، وما يمكن أن يضاف إليها، حتى يسهل على الباحثين التعامل معها، وقد يساعد ذلك في تحديد مؤلفيها، ويُرَغِّبُ الباحثين في العمل في تحقيقها.

---

(١) وقفت بعد كتابة هذا البحث على نسخة مخطوطة من هذا الكتاب، تحتفظ بها مكتبة جامع الفاتح بإستانبول، ضمن مجموع رقمه (٥٢)، ويقوم أحد المحققين بتحقيقه.

المبحث الثاني: موقف المحققين والباحثين من المخطوطات المجهولة المؤلفين

قد يختلف عدد المخطوطات المجهولة المؤلفين من علم إلى آخر، ولا يكاد يوجد علم من العلوم يخلو من وجود مخطوطات من هذا النوع، مما يستوجب العناية بها، لأنها قد تشتمل على مؤلفات متميزة في موضوعها، أو تاريخ تأليفها. ولا يتوقع وجود مؤلفين أخفوا أسماءهم عمداً، إلا في القليل النادر جداً، ومعظم تلك المؤلفات أسهمت عوامل متعدد في إخفاء أسماء مؤلفيها، وعلى المهتمين بالتراث العربي، والمخطوط منه خاصة، أن يخصوا هذا النوع من المخطوطات بالعناية المناسبة، وتتمثل تلك العناية بالأمور الآتية:

١) الوقوف عنده وعدم تجاوزه عند المرور به في فهارس المخطوطات

وأعني بذلك أن على الباحث حين ينظر في فهارس المخطوطات أن يقف عند المخطوطات المجهولة المؤلفين، ويتأمل المعلومات المذكورة عن كل مخطوط، فلعل ذلك يفتح له باباً من البحث، أو يوحي إليه بفكرة لمشروع علمي.

ولا شك في أن وقوف الباحث على ما ورد في فهرس (المخطوطات العربية في دار الكتب الشعبية كِيرِلْ وميتُودي في صوفية) عاصمة بلغاريا، في الجزء الأول الخاص بعلوم القرآن[١]، من معلومات حول أحد تلك المخطوطات، يجعله يفكر في حقيقة ذلك المخطوط، ويتمنى الاطلاع عليه، والتعرف على محتواه، تأمل هذه المعلومات:

[٢١- كتاب في علم تجويد القرآن الكريم OP.2834

وقع في أوله خرم ذهب بعدة ورقات، وذهب مع الخرم عنوان الكتاب واسم مؤلفه.

---

(١) عدنان الدرويش: المخطوطات العربية في دار الكتب الشعبية كِيرِلْ وميتُودي في صوفية، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٦٩م (تسلسل ٢١).

وهو كتاب جيد في التجويد، وذلك لدقة منهجه في شرح قواعد التجويد، وفي ترتيبه الآيات التي يوردها لتطبيق القواعد.

نسخة جيدة، يعود تاريخ نسخها على الأرجح إلى القرن الثامن الهجري، وكُتِبَتْ بخط نسخ دقيق واضح، ولم يذكر اسم الناسخ أو تاريخ النسخ.

١٢٠ ورقة بقطع المتوسط مسطرتها (٢٣س)].

إن هذه المعلومات ينبغي عدم المرور بها سريعاً، أو تجاهلها بحجة سقوط اسم الكتاب واسم مؤلفه، فهي تعطي مؤشراً قوياً على مخطوط لكتاب مهم في علم التجويد، قد يرجع تاريخه إلى أقدم من القرن الثامن، ويبدو أنَّ أحداً لم يَشُدَّ الرحال إلى صوفيا عاصمة الدولة البلغارية ليقف على هذا المخطوط، ويكشف القناع عن محتوياته، ومن ثم ظل حبيساً في رفوف المكتبة ينتظر من ينفض عنه غبار السنين، ويخرجه من الظلمات إلى النور.

٢) دراسة مضمونه، للوقوف على موضوعاته، ومحاولة التعرف على مؤلفه، وموازنته بالمخطوطات المشابهة

وذلك عندما يتاح الاطلاع على المخطوط المجهول المؤلف، لأن ذلك قد يزيل الجهل بمؤلف الكتاب، وأضرب لذلك مثالاً عملياً مما عايشته وأنا أعمل في تحقيق كتب علوم القرآن، فقد وقفت على مخطوطة كتاب «البديع في رسم المصحف» لمحمد بن يوسف بن معاذ الجهني الأندلسي (توفي حدود ٤٢٠هـ) في دار الكتب المصرية رقم (٢٣٣١٨ب)، وأنا أعمل في جمع مادة رسالتي للماجستير في سنة ١٩٧٥م، وفي النسخة خَرْمٌ بعد الملزمة الأولى، وقد صرفني ذلك عن طلب تصويرها، وأفدت من بعض النصوص التي نقلتها منها، وسافرت يوم ١٩٧٦/١٠/١٠م من القاهرة إلى مدينة طنطا للاطلاع على مخطوطة من كتاب «البديع» في مكتبة الجامع الأحمدي في المدينة، ورد ذكرها في فهرس مخطوطات

المكتبة (ص١١)، لكني لم أتمكن من تحقيق المهمة لأسباب إدارية، وعدت إلى القاهرة وفي نفسي حسرة، وزرت المكتبة الظاهرية يوم ١٩٧٦/١٠/٢١م في طريق عودتي من القاهرة إلى العراق، ووقفت على مخطوطة الظاهرية من كتاب «البديع»، ولم أتمكن من تصويرها لضيق الوقت، لكني حصلت على مصورة لها في وقت لاحق، عن طريق الصديق والزميل الدكتور عبد القادر الهيتي رحمه الله الذي سافر إلى دمشق في أواخر السبعينات، لكن نسخة الظاهرية من كتاب «البديع» رديئة النسخ، ولا تصلح وحدها لإخراج الكتاب محققاً تحقيقاً جيداً، فوضعت النسخة جانباً بانتظار الحصول على نسخة أخرى من الكتاب.

ولفت نظري في مخطوطات المتحف العراقي بعد سنين رسالة في رسم المصحف، لا عنوان لها، وليس عليها اسم المؤلف، وهي نسخة متضررة، وعدد أوراقها عشرون ورقة، وحين قرأت فيها تذكرت نسخة كتاب «البديع» لابن معاذ الجهني التي صورتها من نسخة الظاهرية، وسعيت في الموازنة بين النسختين، واكتشفت أن مخطوطة المتحف العراقي التي أشرت إليها هي نسخة ثانية من كتاب «البديع». وفتح لي ذلك السبيل لتحقيق الكتاب ونشره في مجلة المورد في العدد الرابع من المجلد الخامس سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، في العدد الخاص بالخط العربي، ثم في دار عمار في نشرة مفردة سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م[1].

٣) نشر البحوث التي تُعَرِّفُ بالمخطوطات المتميزة المجهولة المؤلفين

من المفيد للمشتغلين في تحقيق التراث التعريف بالمخطوطات المتميزة المجهولة المؤلفين، ويمكن أن يتضمن ذلك التعريف وصف المخطوط، وبيان موضوعه، وذكر

---

(١) أعددت الكتاب لطبعة ثالثة، مستفيداً من جميع النسخ الخطية المعروفة للكتاب، ومن ضمنها مخطوطة طنطا، وهو الآن تحت الطبع بدار الغوثاني.

عناوين فصوله وأبوابه، ويمكن الإشارة إلى ما في المخطوط من قرائن موضوعية أو تاريخية، قد تساعد في تحديد المؤلف أو عصره في الأقل، وسوف تكون مثل هذه الدراسات مفيدة للمهتمين بتلك المخطوطات، وقد تختصر عليهم كثيراً من الجهود.

٤) العمل على تحقيق النصوص المتميزة وإن كانت مجهولة المؤلف

هناك مخطوطات كثيرة مجهولة المؤلفين، وهي متميزة في مادتها العلمية، وقد حال دون تحقيقها عدم معرفة مؤلفيها، وهناك قليل من هذه المخطوطات أقدم على تحقيقه بعض المستشرقين، مثل تحقيق مقدمة كتاب «**المباني في نظم المعاني**» وهو تفسير للقرآن الكريم أُلِّفَ سنة ٤٢٥هـ، وصَدَّرَهُ مؤلفه بمقدمة في عشرة فصول، فقد نشر تلك المقدمة المستشرق آرثر جفري في القاهرة سنة ١٩٥٤م، ضمن كتاب «**مقدمتان في علوم القرآن**»، والمقدمة الثانية في الكتاب هي مقدمة تفسير ابن عطية، ونَشْرُ المقدمة الأولى أكثر أهمية من نشر المقدمة الثانية، لأن تفسير ابن عطية له مخطوطات كاملة، وقد طبع كاملاً بعد ذلك.

وقد ضمت الفصول العشرة موضوعات مهمة تتعلق بتاريخ القرآن وعلومه، استغرقت ٢٥٠ صحيفة تقريباً، يضيق المقام عن ذكرها، وسوف أعود للحديث عن مؤلف هذا الكتاب في المبحث اللاحق.

المبحث الثالث: دراسة تطبيقية حول مخطوط مجهول

هناك مئات المخطوطات المجهولة المؤلف، أو مجهولة العنوان، وهي تصلح أن تكون ميداناً للدراسة، ولعل كل واحد من المهتمين بالمخطوطات ومارس التحقيق صادفته إحدى تلك المخطوطات، وهناك وسائل متعددة للكشف عن المؤلف أو عنوان الكتاب، تبدأ بالبحث في الكتاب ذاته، وتمتد إلى المصادر الأخرى التي تشاركه في موضوعه، وقد تكون نقلت منه.

وسوف أعرض في هذا المبحث بإيجاز تجربتين لي في البحث عن مؤلفي كتابين، الأول: كتاب **التمهيد في معرفة التجويد**، والثاني كتاب **المباني لنظم المعاني**، وقد انتهت إحداهما إلى معرفة مؤلف الكتاب على وجه اليقين، وبقيت نتيجة الثانية معلقة تنتظر مزيداً من البحث.

المطلب الأول: مؤلف كتاب التمهيد في معرفة التجويد

تحتفظ مكتبة جستربتي بمخطوطة نَسَبَهَا واضع فهرس مخطوطات المكتبة المستشرق آرترج. آبري إلى أبي بكر جعفر بن محمد المستغفري المتوفى سنة ٤٣٢هـ، وهذه صورة ما ورد في فهرس المكتبة الأصلي بالإنكليزية[(١)]:

3954
AL-TAMHĪD FĪ 'L-TAJWĪD, by Abū Bakr Ja'far b. Muḥammad AL-MUSTAGHFIRĪ al-Nasafī al-Ḥanafī (d. 432/1040).
[A treatise on the recitation of the Qur'ān.]
Foll. 159. 18 × 13 cm. Excellent scholar's naskh.
Dated 10 Rabī' I 613 (27 June 1216).
No other copy appears to be recorded.

وهذه صورة ما ورد في فهرس المكتبة المترجم إلى العربية[(٢)]:

٣٩٥٤

عنوان المخطوطة : التمهيد في التجويد
اسم المؤلف : ابو بكر، جعفر بن محمد المستغفري النسفي الحنفي
اسم الشهرة : المستغفري
تاريخ الوفاة : ٤٣٢هـ/١٠٤٠م
تعريف بالمخطوطة : كتاب في تلاوة القرآن الكريم

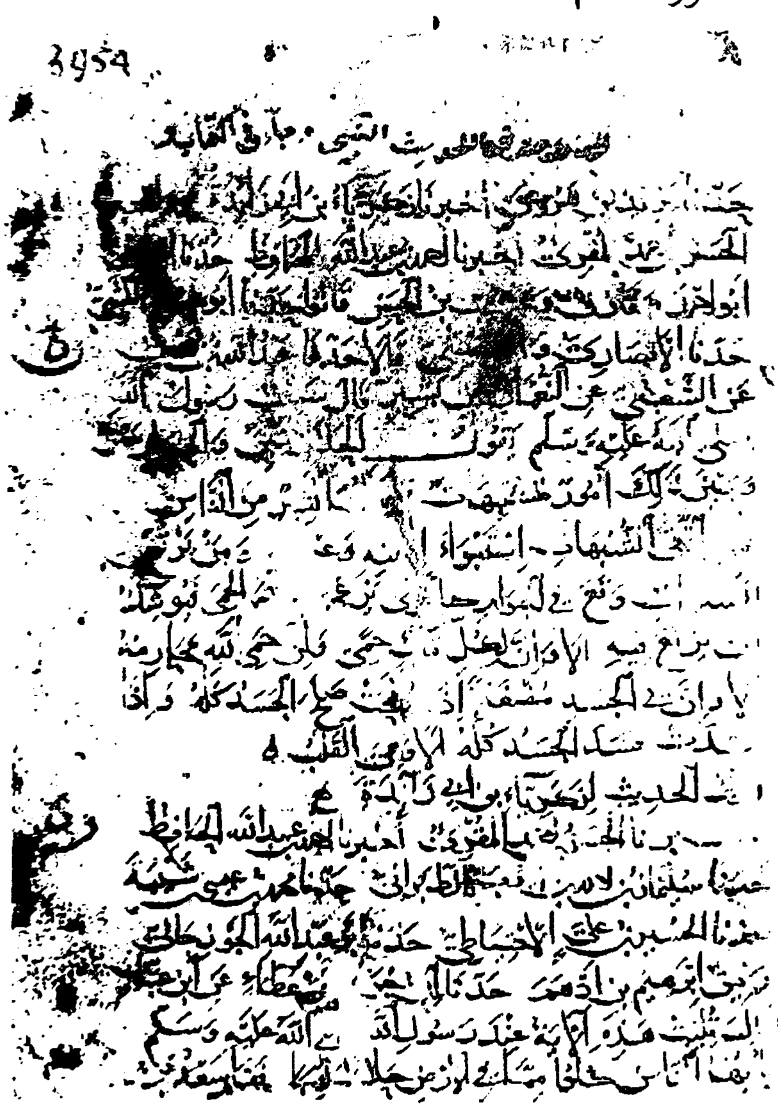
عدد الاوراق : ١٥٩ ورقة ١٨×١٣سم
نوع الخط : نسخ معتاد ممتاز
تاريخ النسخ : ١٠ ربيع الاول ٦١٣هـ (٢٧ يونيو ١٢١٦م)
ملاحظة : لم تظهر نسخة أخرى من المخطوطة

(١) فهرس المخطوطات العربية في مكتبة جستر بتي (بالإنكليزية) ٧٠/٤.

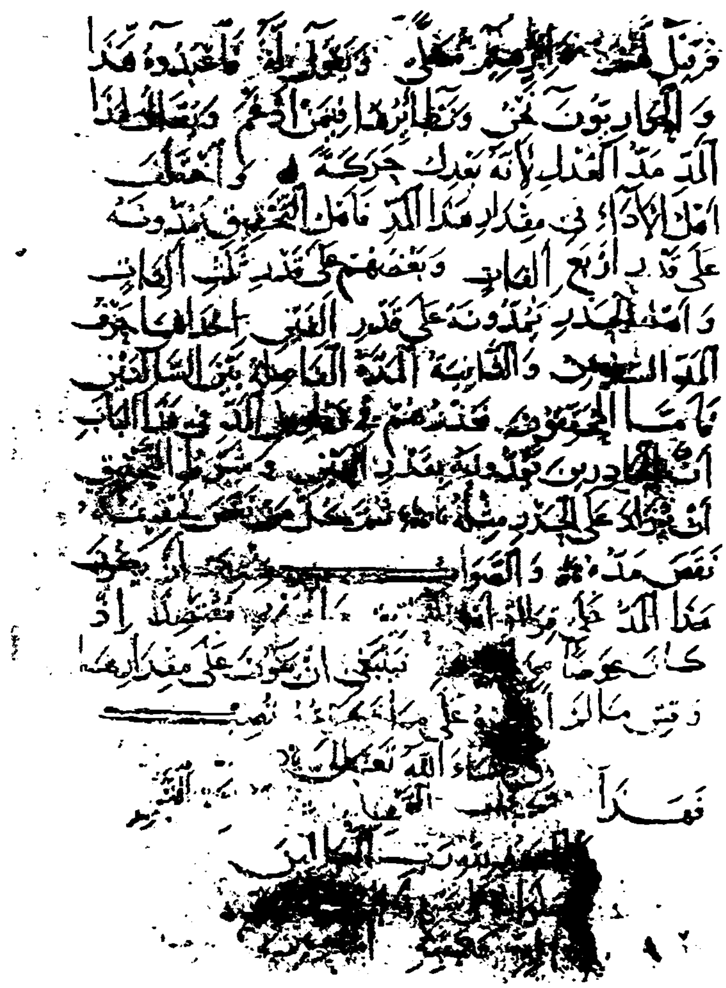
(٢) فهرس المخطوطات العربية في مكتبة تشستربيتي، (ترجمة د. محمود شاكر سعيد) ٥٥١/١–٥٥٢.

وتجتذب المعلومات الواردة في وصف المخطوطة الدارس المهتم بعلم التجويد للنظر في هذه المخطوطة، لأنها قد تكون أقدم كتاب مؤلف في علم التجويد، لأن مؤلفها توفي قبل مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) مؤلف كتاب **الرعاية لتجويد القراءة**، وقبل الداني (ت٤٤٤هـ) مؤلف كتاب **التحديد في الإتقان والتجويد**، وهما أقدم كتابين عُرِفَا في علم التجويد.

وذلك ما جعلني أجتهد في الحصول على نسخة مصورة منها منذ سنة ١٩٧٩م، ووجدتها مخطوطة نخمة، عدد أوراقها ١٥٩، وتاريخ نسخها سنة ٦١٣هـ، وهذه صورة فاتحتها:



وهذه صورة خاتمتها:



وحين قلّبتُ صفحات المخطوطة، وقرأتُ فيها تبيّن لي أمران، الأول: سقوط شيء من أولها، ذهب باسم المؤلف ومقدمة الكتاب، والثاني: لم أجد ما يشير إلى أنّ المستغفري هو مؤلف الكتاب، فللمستغفري كتاب في (فضائل القرآن) ولم يعرف له كتاب في التجويد، ووفاة المستغفري كانت سنة ٤٣٢هـ[١]، والشيوخ الذين ينقل عنهم مؤلف الكتاب عاشوا بعده بقرن من الزمان تقريباً.

(١) ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥٦٤/١٧.

وجعلني ذلك أقرأ المخطوطة قراءة فاحصة، وأول ما استوقفني فيها الشيوخ الذين ينقل عنهم المؤلف، وعددهم يتجاوز السبعين، ووجدت بعد تتبع تراجمهم أنهم ممن أخذ عنهم أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار المتوفى سنة ٥٦٩هـ، ومن ثم ترجح لدي أن الكتاب من تأليفه، وكتبت البحث الموسوم (**التمهيد في علم التجويد: بحث في المؤلِّف**)(١) رجَّحْتُ فيه من خلال الشيوخ المذكورين في الكتاب، وبعض القرائن الأخرى أن الكتاب من تأليفه.

ولم تنته رحلتي مع الكتاب عند هذا الحد، فقد وجدت بعد مدة من الزمن أن الدكتور رمضان ششن ذكر في كتابه «**نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا**» وجود نسخة من كتاب «**التمهيد في معرفة التجويد**» لأبي العلاء العطار في مكتبة قسطموني(٢)، فجدد ذلك في نفسي الاهتمام بالكتاب، والرغبة في الحصول على نسخة مكتبة قسطموني، وتحقق ذلك سنة ١٩٩٣م، بفضل الله تعالى، وبجهود أحد الإخوة المقيمين في تركيا، جزاه الله خيراً.

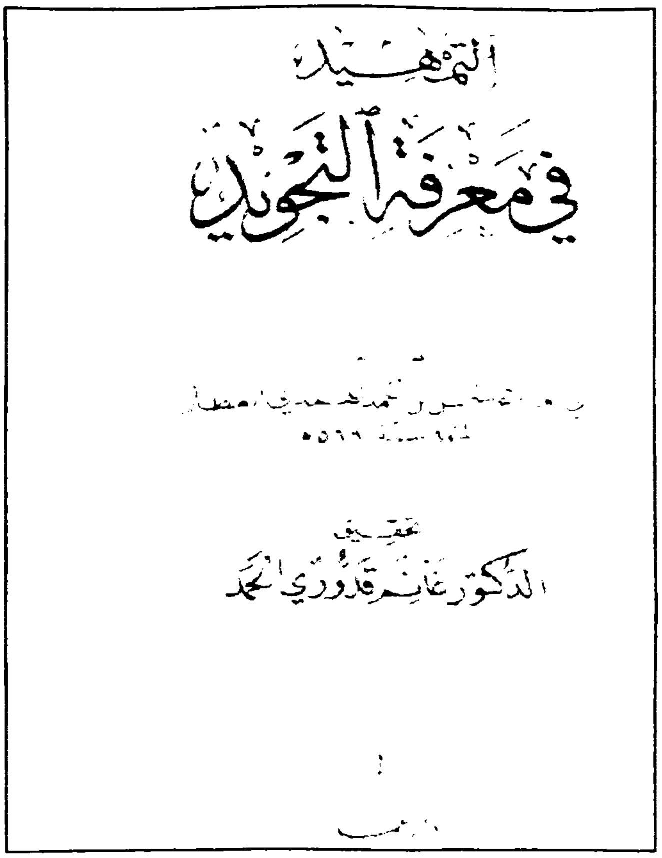
وتبين لي بعد الموازنة بين مخطوطة مكتبة جستربتي، ومخطوطة مكتبة قسطموني أنهما لكتاب واحد، هو كتاب **التمهيد في معرفة التجويد**، لأبي العلاء الهمذاني العطار، وصحح ذلك ما وقع من خطأ في نسبة الكتاب للمستغفري، وشجعني على العمل في تحقيق الكتاب ونشره(٣)، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) **مجلة الرسالة الإسلامية**، بغداد، العددان (١٧٨-١٧٩)، ص(٣١٥-٣٤٠).

(٢) **نوادر المخطوطات العربية** ٢/٢٢٠.

(٣) طُبعَ بتحقيقي في دار عمار بعمان سنة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ونشرته دار الصحابة للتراث بطنطا سنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، بتحقيق الشيخ جمال الدين محمد شرف، والشيخ مجدي فتحي السيد، ويبدو أنهما أخذا النسخة التي حققتها، وحذفا عدداً من الهوامش وزادا أخرى، واكتفيا بالقول (في هامش في ص٧): (يرجع الفضل في إخراجه للمرة الأولى للدكتور الفاضل / غانم قدوري حفظه الله، ونفع



المطلب الثاني: مؤلف كتاب المباني لنظم المعاني

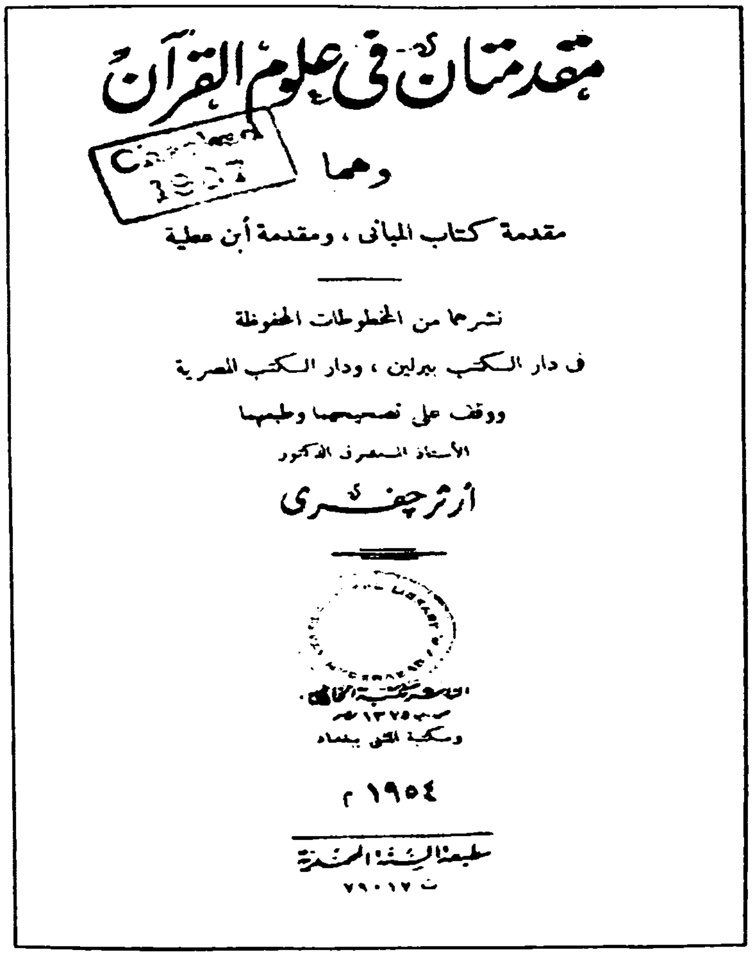
عَرَفْتُ كتاب «المباني لنظم المعاني» أولَّ ما عرفته وقت إعداد رسالتي للماجستير (رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية)، فقد رجعت إليه في مسائل تتعلق بتدوين القرآن الكريم، والقراءات القرآنية، والمطبوع منه مقدمة الكتاب، وهي

بعلمه الإسلام والمسلمين، وكان ذلك في عام ١٤٢٠هـ الموافق ٢٠٠٠م). ومما يثير العجب أن الناشر كتب على ظهر صفحة العنوان ما نصه:

كتاب قد حوى درراً بعين الحسن ملحوظة
لهـذا قلت تنبيهاً حقوق الطبع محفوظة

لدار الصحابة للتراث بطنطا.

مقدمة طويلة في عشرة فصول، نشرها المستشرق آرثر جفري ضمن كتاب «مقدمتان في علوم القرآن»[١]، والمقدمة الثانية مقدمة تفسير ابن عطية.


مقدمتان في علوم القرآن

وهما

مقدمة كتاب المباني، ومقدمة ابن عطية

نشرهما من المخطوطات المحفوظة

في دار الكتب ببرلين، ودار الكتب المصرية

ووقف على تصحيحهما وطبعهما

الأستاذ المستشرق الدكتور

آرثر جفري

١٩٥٤ م

مطبعة السنة المحمدية

ت ٧٩٠١٧

وكنت وأنا أقرأ في مقدمة كتاب المباني أفكر في مؤَلِّفِ الكتاب، لأن الوثوق بمادة الكتاب عند معرفة مؤلفه سوف يكون أكبر، ووقفت وأنا أقرأ في المقدمة على عدد من المعلومات المتعلقة بالكتاب ومؤلفه، منها:

١. أن المؤلف عاش في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، لأنه ذكر أنه ابتدأ تأليفه في غرة شهر شعبان من سنة ٤٢٥هـ (ص ٦).

(١) مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٥٤م.

٢. من مؤلفاته: كتاب الإبانة والإعراب (ص ١١٦)، وكتاب الدرر في ترفيع السور (ص ١٧٢).

٣. من شيوخه: أبو عبد الله محمد بن الهيصم (ص ١٧ و١٨٨ و٢٠٧).

ولم يساعد ذلك في معرفة مؤلف الكتاب بالتحديد، لكني وجدت اسم شيخ المؤلف (ابن الهيصم) يتردد في كتاب «الإيضاح في القراءات» لأحمد بن أبي عمر الأندرابي (ت٤٧٥هـ)، فكثيراً ما قال الأندرابي: «أخبرني الشيخ العالم الزاهد أبو محمد حامد بن أحمد بن جعفر بن بسطام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن الهيصم»[١]، وجعلني ذلك أوازن بين ما ورد من نصوص في مقدمة كتاب المباني وما ورد في كتاب الإيضاح، ووجدت ابن الجزري يقول في غاية النهاية: «حامد بن أحمد (بياض) أبو محمد، روى عن الإمام أبي عبد الله بن الهيصم، روى القراءة عنه (بياض) صاحب الإيضاح»[٢].

واستنتجت من خلال ذلك أن مؤلف كتاب المباني هو الشيخ حامد بن أحمد بن بسطام، وكتبتُ بحثاً لعنوان: «مؤلف التفسير المسمى: المباني لنظم المعاني»[٣]، لكن بعض الباحثين لديه وجهة نظر أخرى في مؤلف الكتاب، وله حجته في ذلك، مما يجعل ما توصلت إليه من قبل أقرب إلى الظن منه إلى اليقين، والله تعالى أعلم[٤].

---

(١) ينظر: الإيضاح ٨و، ٨ظ، ١١و، ٢٠ظ، ٢٢ظ، ٢٤و، ٣٩و، ٤١و، ٤٢ظ، ٦٠و، ٦١ظ،

(٢) غاية النهاية ٢٠٢/١.

(٣) مجلة الرسالة الإسلامية (العددان ١٦٤-١٦٥)، بغداد ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م (ص٢٤٣-٢٥٥).

(٤) ينظر: المناقشات التي دارت حول الموضوع في ملتقى أهل التفسير، عنوان الرابط:

http://vb. tafsir. net/tafsir4905/

وليس القصد هنا مناقشة موضوع مؤلف كتاب «المباني لنظم المعاني»، وإنما الإشارة إلى محاولة في البحث عن مؤلف لكتاب مجهول، لم تصل إلى نهايتها بعد، وعلى الباحث أن يستنفد ما بحوزته من وسائل للكشف عن مؤلفي الكتب المجهولة حتى تأخذ مكانها في المكتبة العربية، سواء في ذلك كتب التجويد أم كتب العلوم الأخرى.

خاتمة

تلفت نظر المهتم بالتراث العربي المخطوط، عند النظر في فهارس المخطوطات، كثرة المخطوطات المجهولة المؤلفين، في مختلف العلوم والفنون، ولا شك في أن من بينها ما يمكن أن يكون من الكتب المفقودة التي يبحث عنها أهل الاختصاص، وأن منها ما هو مهم في فنه وإن كان غير معروف لدى أصحاب ذلك الفن، وكانت مخطوطات علوم القرآن المجهولة المؤلفين قد استوقفتني منذ زمن بعيد، خاصة كتب علم التجويد وكتب رسم المصحف.

ووجدت الفرصة سانحة لمناقشة هذا الموضوع مع ثلة من المهتمين بالتراث العربي المخطوط بعامة، وبمخطوطات علوم القرآن بخاصة، الذين انتظموا في هذه الدورة التدريبية، وقد اتخذت من كتب علم التجويد أنموذجاً، وتبين من خلال بعض الأمثلة التي عرضتها في البحث ما يمكن أن تحمله تلك المخطوطات من نصوص مهمة طالما تطلع المختصون للوقوف عليها.

والمخطوطات المجهولة المؤلفين تحتاج إلى كثير من العناية من المُفَهْرِسِينَ، والمُحَقِّقِينَ، والمؤسسات المهتمة بالتراث المخطوط:

فعلى المُفَهْرِسِينَ أن يعطوا المخطوطات المجهولة المؤلفين عناية كبيرة في أعمالهم، بحيث تنكشف مضامين تلك المخطوطات أمام القارئ في الفهارس التي يصنعونها.

وعلى المحَقِّقِينَ أن يقفوا عند تلك المخطوطات ويحاولوا التعرف على مؤلفيها، وتمييز المخطوطات المهمة منها، وتحقيق نصوصها، ونشرها.

وعلى المؤسسات المهتمة بالتراث المخطوط أن تدعم المشاريع التي تهتم بالمخطوطات المجهولة المؤلفين، فهرسةً أو تحقيقاً.

هذا ما تيسر لي في بحث الموضوع، والله تعالى ولي التوفيق.

تحقيق المخطوط في علوم القرآن:
بين ثقافة المحقق واختلاف المجالات وتعدد الاحتمالات

محمد جميل مبارك[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه

أما بعد: فهذه المبادرة التي قامت بها مؤسسة دار الحديث الحسنية ومؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي مبادرة حميدة، لما يؤمل أن تحققه من ثمار دانية القطوف في شجرة البحث العلمي التي ترعاها المؤسسات العلمية كهاتين المؤسستين صاحبتي المبادرة.

وإن من شأن استكشاف ما في بطون التراث المخطوط للأمة أن يحفز همم الأجيال للرعي في حقول المعرفة التي استنبتها سلفنا رحمة الله عليهم.

والخطوات الأولى لهذا الاستكشاف ينبغي أن تكون في طريق قراءة ذلك التراث. والتراث منه ما هو مطبوع، ومنه ما هو مخطوط. والمطبوع منه قرئ بعضه وصحح، وحقق بعضه تحقيقا جيدا، وقرئ بعضه بعيون كليلة، وألصقت ببعضه كلمة «تحقيق» دون أن يحظى بأي تحقيق، فاحتاج كل ذلك إلى إعادة قراءة، وإلى إعادة تصحيح، وإلى إعادة تحقيق.

---

(١) أستاذ كلية الشريعة بأكادير

والمخطوط من ذلك التراث يحتاج إلى قراءة واعية، وإلى استيعاب، وإلى تحليل. تمهيدا لتقديمه إلى أجيال الأمة لتأخذ منه المواد الصالحة لتشييد حضارة وثقافة قادرتين على المنافسة وجلب الرواد والمعجبين.

وأثناء تعاملي مع دراسات وتحقيقات عدد من كتب التراث المخطوط في مؤسسات التعليم العالي، اقتنعت بأن طلبتنا وباحثينا في أمس الحاجة إلى الأدوات التي تساعدهم على حسن قراءة المخطوط، وعلى حسن فهمه، وعلى حسن الاستنتاج منه، وعلى حسن تركيب ما استنتج منه، ليقَدَّم بضاعة رائقة تغري بالاقتناء.

وقد رأيت أن هذه الأدوات تتوقف على أداة «حسن القراءة» التي يستلزم الأمور الآتية:

١ - قراءة حروف وكلمات وجمل المخطوط على أقرب صورة يكون المؤلف قد وضعه عليها.

٢ - ضبط لغة المخطوط من حيث وحدة الاحتمال وتعدده.

٣ - استيعاب سياق كلام مؤلف المخطوط للوصول إلى ما يرجح كون المفهوم من السياق هو مراد المؤلف.

٤ - فهم اصطلاحات الفن الذي كتب فيه المخطوط.

٥ - فهم اصطلاحات وأسلوب المؤلف.

وتبق بعد هذه الأدوات: الاحتمالات التي يتسع لها النص المخطوط، والثقافة التي تغلب على قارئ المخطوط، فقد تدفعه الثقافة الغالبة عليه إلى قراءة المخطوط قراءة متأثرة بثقافته.

والمحقق إذا امتلك الأدوات المذكورة، وجعل ثقافته في خدمة المخطوط، لا في تطويعه لثقافته، يستطيع أن يصاول قناعيس التحقيق وفطاحل قراء التراث المخطوط.

وهذه الهموم هي التي دفعتني الى اختيار هذا الموضوع بهذا العنوان.

قراءة المخطوط وثقافة المحقق

محقق النص المخطوط في علوم القرآن، كما في أي علم آخر مطالب، بأن يقرأ النص قراءة متمهلة واعية، بعد أن يخبُر أسلوب المؤلف وبعد أن يتمرس بخطوط نساخ المخطوط؛ لأنه قد ترشح لتقديم المخطوط للقراء على أقرب صورة وضعها عليه مؤلفه، وليس له أن يقدم المخطوط كما تملي عليه ثقافته التي قد لا تكون في مستوى ثقافة المؤلف.

ولذلك لا ينبغي للمحقق أن يبخل بالوقت في قراءة النص المخطوط، وقد تكلفه قراءة كلمة أو جملة عدة ساعات، وقد يعاود قراءتها أياما وأياما حتى يفتح الله عليه فيها، وهو الفتاح العليم.

وحين يطمئن المحقق إلى صحة قراءته فإنه يجب أن يقدمها إلى القراء، فإذا خاف ألا تفهم عمد إلى تشكيلها.

وهنا تتجلى علاقة التشكيل بالقراءة.

فمن العناية بالمخطوط أن تُشْكَلَ كلماتُه التي قد تُشْكِل قراءتها، وقد تنبه علماؤنا قديما الى هذا الأمر، فهذا القاضي عياض رحمه الله يدعو الى ذلك مطلقا فيقول: «وأما النقط والشكل فهو متعين فيما يشكل ويشتبه».[1]

لكن هل يُشْكَل الكتاب كله؟ أو إنما يُشْكَل ما يُشْكِل؟ يبدو أن الراجح هو الثاني، لأن القصد من الشكل هو إزالة الإشكال، فإذا لم يكن هناك إشكال فلِمَ الإشكال؟ (الشكل)

---

(١) الإلماع ص١٤٩.

وإن كان القاضي عياض رَحِمَهُ الله رجح الأول وهو: الشكل التام، قال في الإلماع: «وقال آخرون: يجب شكل ما أشكَلَ وما لا يُشْكِل وهذا هو الصواب».(١)

وتصويبه مبني على ما إذا كان الكتّاب يهيأ للمبتدئ وغير المتبحر في العلم؛ إذ هو الذي من شأنه أن «لا يميز ما أشكل مما لا يشكل، ولا صواب وجه الإعراب للكلمة من خطائه».(٢)

وللمحدثين منهج قائم على الشكل خصوصا مشكل الأسماء، ومن ذلك ما فعله أحد محدثي بغداد: عفان بن مسلم كما روى عنه أبو زرعة فقال: «ورأيت عفان بن مسلم يحض أصحاب الحديث على الضبط والتقييد إذا أخذوا عنه».(٣)

وعن عبد الله بن إدريس الكوفي قال: لما حدثني شعبة بحديث أبي الحوراء السعدي عن الحسن بن علي كتبت أسفله: «حور عين» لئلا أغلَط، يعني؛ فيقرأه أبا الجوزاء لشبهه به في الخط».(٤)

وقد حاول عدد من المحققين النشأة أن يحذوا حذو المشكّلين، وكأنهم مقتنعون بقول الشاعر:

بستان خط غير أن ثماره   لا تجتنى إلا بشكل حروفه(٥)

لكن عددا منهم وقعوا في جعل الشكل مشكلا فانعكست نتيجة صنيعهم، ولدى في هذا أمثلة كثيرة أذكر بعضها:

---

(١) الإلماع ص١٥٠.
(٢) السابق، ص١٥٠.
(٣) السابق، ص١٥٥.
(٤) السابق، ص١٥٥.
(٥) السابق، ص١٥٩.

ذكر محقق أحد التفاسير قراءة سفيان بن عيينة (فَتُذَكِّرَ إحداهما الأخرى) فضبطها بالتشديد مع أن قراءة سفيان بن عيينة على ما يبدو (فتُذْكر) بضم التاء وإسكان الذال كقراءة المكي والبصري، وسفيان بن عيينة مكي.

ويؤيد ذلك أن مؤلف المخطوط قال بعد أسطر من هذا: «اذْكرت المرأة» ولم ينتبه المحقق لذلك، وضبطها «اذَّكرت المرأة»!! وهذا الضبط لا معنى له هنا.

وقد أبقاها محقق آخر على ضبطه «اذَّكَرت» وطبع الكتاب كذلك، ومن الطريف أن هذا المحقق الثاني قال معلقا على كلمة «اذكرت» حسب قراءته: قال: في نسخة (كذا وكذا) اذَّاكرت وهو تحريف. ولم يدر أنه حرف الكلمة بضبطه اذَّكرت.

وعبارة الكتاب الذي يحققه: تقول العرب اذْكرت المرأة هكذا ضبطها المحقق: اذْكرت «إذا ولدت ذكرا. قال ذلك ابن عيينة. وليس هو عندي من الذكر بعد النسيان وأكثر الناس على أنه من الذكر بعد النسيان».

وقد أحال المحقق في ضبطه «اذْكرت» على لسان العرب، والذي في لسان العرب أَذْكرت المرأة فهي مذْكِرٌ إذا ولدت ذكرا، وإذا كان ذلك عادة لها فهي مذْكار.

ومن الصعب أن نقول هنا: إن المحقق مر مرور الكرام على الكلمة، وإنما معرفته وثقافته دفعتاه إلى قراءة الكلمة هكذا، لأن تردد كلمة «اذَّكَرَ» على سمعه أنسته أن يبحث عن الوجه الصحيح للكلمة حسب سياق نص المخطوط لا حسب ثقافته هو، والوقوع في الوهم في مثل هذا يسهل جدا.

ومن ذلك مثلا أن محققا لأحد التفاسير قرأ عبارة المخطوط هكذا: قرأ حمزة بِخَلَفٍ عنه، فضبط كلمة «بخلف عنه» بفتح اللام متوهما أن المراد: خَلَفُ الراوي الأول عن حمزة، ونسي أو جهل أن عبارة «بِخُلْفٍ عنه» لا تشير بتاتا إلى خلف الراوي؛ إذ لو كان المقصود ذلك لقال: برواية خَلَف، وانما مقصود المفسر: بِخُلْفٍ عنه، وهو مصطلح في القراءات يعني أن القارئ، أو الراوي، له وجهان في الكلمة.

ومن ثقافة المحقق أن ذهنه قد يعلق به شيء فيسطر عليه كلما قرأ ما له علاقة بذلك الذي علق بذهنه.

- فمن ذلك أن بعض المحققين قال عند ذكر صاحب التفسير الذي يحققه: تفسير نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (ت ١٦٩) قال: كذلك رواه مالك عن نافع عن ابن عمر.

فالمحقق هنا (في قسم الدراسة) ظن أن نافعا هذا الذي روى عنه مالك هو نافع المقرئ وليس به؛ لأن نافعا ليس من التابعين؛ بل المراد بنافع هنا هو مولى عبد الله بن عمر.

وهذه هي السلسلة الذهبية: مالك عن نافع عن ابن عمر. فالذي حصل للمحقق أن معرفته اتجهت به إلى نافع المقرئ المعاصر للإمام مالك، وهما يتبادلان المشيخة، فتوهم بخلطه بنافع التابعي مولى عبد الله بن عمر رحمهم الله.

وقد يُعَوِّلُ المحقق على وجود كلمة من النص الذي يحققه في مصدر آخر دون استحضار تغير وضع الكلمة في النص الذي يحققه عما كانت عليه في المصدر الذي أحال عليه.

فمن ذلك أن محققا كتب نص المخطوط في تفسير قوله تعالى: ﴿فخذوهم﴾ أي أسروهم (هكذا بهمزة واحدة، وأحال على جامع البيان للطبري، وما في جامع البيان صحيح لأنه ورد هكذا (فخذوهم) يقول (وأسروهم)[1] فشرح الكلمة مع الإبقاء على حرف العطف.

والنص الذي يحققه هذا الباحث ليست فيه واو العطف فكتب الكلمة هكذا أي أسروهم. والصواب: أي ٱأسروهم بهمزة وصل ثم همزة قطع؛ لأنه فعل أمر.

---

(١) ج ٩/٧٨.

بل قد يغفل المحقق عن استغلال ثقافته في فهم النص الذي يحققه، فيقع في أخطاء.

وهذا يدلكم على أن اتكاء المحقق على ثقافته دون التنبه لخصوصيات النص قد يوقعه في أخطاء.

كما يدلكم على أن إغفاله لثقافته قد يوقعه في أخطاء.

فمن ذلك أن محققا كتب في تحقيق أحد التفاسير في قوله تعالى: ﴿**وإن أحد من المشركين استجارك**﴾ كتب قول المفسر هكذا «والمعنى: وإن استأمنكم يا محمد أحد من المشركين الخ».

فاختيار المحقق إسناد الفعل إلى ضمير الجمع وإن استأمنكم يا محمد، يرجح أنه فهم خطاب الله سبحانه لنبيه ﷺ بضمير الجمع تعظيما؛ لكن هذا لا يتجه؛ لأن السياق نفسه ورد فيه الكلام هكذا: «وإن استأمنكم (كذا) أحد من المشركين الذين أمرتك!! فلو كان الخطاب بضمير الجمع لكان في الموضعين معا، ومن المستبعد أن يكتب المفسر «وإن استأمنكم...أمرتك»!

والذي أوقع المحقق في هذا أن كلمة (وإن استأمنك) كتبت بكاف مغربية وهي على شكل قريب من الدال، وإن كانت أكبر منها كما هو في رسم المصحف فقرأ «ک» كم، ظانا أن ذيل الدال ميم الجمع.

اختلاف المجالات، وغياب الكفاءات فيها عن المحقق

من التحديات التي تواجه المحقق أنه قد يجد المخطوط الذي يحققه محتويا على عدد من الفنون والعلوم؛ فإن لم يكن لدى المحقق الحق الأدنى للتعامل مع المجالات العلمية المختلفة قراءة واستيعابا، فلن يستطيع تقديم النص المحقق بصورة مرضية. فقد تكون ثقافة المحقق غير دقيقة في بعض الفنون فتنعكس على النص فتصيبه بالخلل الذي يسري إلى القارئ.

فمن ذلك أن محققا علق على قول المفسر: «ومن قرأ مَسْجد الله» بالتوحيد عَنَى به المسجد الحرام -علق عليه بقوله: في الأصل! عُنِي بياء مثناة من تحت، وهو تصحيف!!

وهذا الذي حكم بكونه تصحيفا هو الصواب، وسبب حكمه بالتصحيف على ما هو الصواب أنه قرأ فعل عَنَى ماضيا، كما تقرأ سائر الأفعال، مع أن فعل «عُنِي» من الأفعال التي تبنى للمجهول لفظا وإن كانت للمعلوم معنى. قال الشيخ نصر الهوريني في شرح ديباجة القاموس: «وقد عُنِي» بالبناء للمجهول في اللغة الفصيحة، وعليها اقتصر ثعلب في الفصيح إلخ.(١)

ثم خصص لذلك مسألة قال فيها: «الأفعال المبنية للمجهول صورة، وما بعدها فاعل لا نائب فاعل، مثل: هُزِل ونُتِج، وعُنِي، ودُهِش، وشُده بمعناه، وشُغف، وأولع، وأُهتزَ به، وأُغرِي، وأُغرِمَ، وأُهْرِعَ، هل المضارع يأتي فيها كذلك وفعل الأمر كما في قوله تعالى: ﴿فهم على آثارهم يهرعون﴾، أو أن ذلك إلى السماع، والظاهر الثاني».(٢)

ويقال عَنَا بالألف، وهو متعد، يقال: عناه الأمر يعنيه ويعنوه عِناية، وعَناية... أهمه. وعُنِي بالضم عناية، وكَرضي قليل، فهو عنٍ، أما عَني (بالشكل الذي أثبته به المحقق، وتوهم أنه الصواب فمعناه نَصِب). وبهذه المناسبة أقول للإخوة الباحثين: إن اللغة مفتاح ضروري لولوج باب التحقيق. وبيان ذلك أن علماءنا لاسيما المفسرين إنما عُنُوا ببيان ما أنزل اليهم من الكتاب، واللغة هي وسيلة البيان.

---

(١) ص١٢.

(٢) ص١٠.

وإذ طُوِّق سيد أهل البيان رسول الله ﷺ مهمة البيان للناس بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، فإن ورثته، وهم العلماء، يحملون بعده ﷺ مهمة البيان. وكل من يشرف بالاشتغال بالوراثة العلمية عليه أن يتسامى إلى مقام البيان وهو يكابد قراءة هذه الوراثية العلمية الأثيلة.

و المقام مقام مكابدة.

و لابن حزم رحمه الله عبارة رام فيها الإشارة إلى هذا وكرر فيها البيان مرتين وربطه بالمعاناة وبشرف ما تفضي إليه هذه المعاناة فقال في مقدمة كتاب **الإحكام**: «... كان أفضل ما عاناه المرء العاقل بيان ما يرجو به هدى أهل نوعه وإنقاذهم من حيرة الشك، وظلمة الباطل، وإخراجهم إلى بيان الحق ونور اليقين».(١)

و الأصل أن اللغة في التراث المخطوط في علوم القران هي اللغة التي نزل بها القرآن، وهي لغة مبينة واسعة دقيقة محكمة، ونريد لباحثينا أن يترسموا خطى علمائنا في عنايتهم بلغة القرآن التي هي البيان.

و قد وجدت ذهول بعض المحققين عن المعنى اللغوي للكلمة فيقرؤها كما اتفق له أو غلب على ظنه دون معاناة، ومن ذلك أن محققا لتفسير ورد فيه أثر رواه ابن جرير الطبري، وفيه قالت الأنصار: والله ما قلنا ذلك إلا ظنا بالله ورسوله، كتبها المحقق ظنا بظاء مشالة، وعلق عليها في الهامش بقوله: في **جامع البيان**: «والله ما قلنا ذلك إلا حرصا على رسول الله ﷺ».(٢)

ومن المعلوم أن كلمة: «ظنا» لابد أن تكون قريبة في المعنى من كلمة «حرصا»، والظن بالمعجمة لا يأتي بمعنى الحرص، فرجعت إلى أصل المخطوط الذي

---

(١) **الإحكام** ٨/١.

(٢) تفسير الطبري ج١٠/١٠١.

يحققه هذا الباحث فإذا الكلمة فيها بعض انطماس، والأقرب أن تكون ضنا بضاد غير مشالة، يقال: ضن يضن بالفتح والكسر بمعنى بخل، وفي البخل معنى الحرص على المضنون به، لأن الحرص هو الجشع، يقال حرص كضرب وسمع.

فكان كل هذا مرجحا لـ «ضنا» على «ظنا».

و ما أثبته المحقق قد يوهم عكس المراد؛ إذ قد يفهم من الظن، سوء الظن ونحن نربأ بصحابة رسول الله ﷺ من ظن السوء بمن هو أحب إليهم من والد يهم وولدهم والناس أجمعين.

الاحتمالات الغامضة

قد لا يظهر للمحقق أي معنى للكلمة التي كتبت بأكثر من وجه، أو بالأصح قرئت بأكثر من وجه، ومع ذلك يرجح أحد الاحتمالات دون أن يذكر له أي معنى، فيسأل القارئ للنص المحقق: على أي شيء بنى المحقق ترجيحه؟!

فمن ذلك أن في إحدى طبعات تفسير مشهور متداول من تفاسير علماء الغرب الإسلامي طبقت شهرته الآفاق، كلاما في تفسير قوله تعالى: ﴿وليكتب بينكم كاتب بالعدل﴾ الباء متعلقة بقوله: ﴿وليكتب﴾ وليست متعلقة بـ« كاتب»، لأنه كان يلزم ألا يكتب وثيقة إلا العدل في نفسه، وقد يكتبها الصبي والعبد والمتحوط إذا أقاموا فقهها».

ففي هذه الطبعة وردت الكلمة «والمتحوط» دون أن يعلق عليها المحقق بشيء. ومع ذلك فصنيعه أهون من صنيع محقق آخر علق على الكلمة في الهامش يعني بقوله: إن الأصول (بمعنى الأصول الخطية للتفسير) اضطربت في رسم الكلمة، ففي بعضها «والمتحوط» وفي بعضها «والمسخوط» وفي بعضها «والمسحود» ثم قال: ولعل صوابها: «والمتحوط»!

ولم يفسر ما رجَا أن يكون صوابا، ولا معنى لما صوبه هنا، بل إن الصواب «والمسخوط».

وقد استعمل الفقهاء وكذا المفسرون المالكية: المسخوط ضد العدل، ففي المدونة الكبرى ورد بها المعنى أكثر من مرة.[١]

ومن ذلك قول أبي الوليد الباجي في كتابه **فصول الأحكام**[٢]: «إن حكم بشهادة رجلين عدلين، ثم علم بعد ذلك أنهما مسخوطان فلا ينقض قضيته».[٣]

وقال ابن رشد في **البيان والتحصيل**: فوجب إذا قال قوم: إنه عدل، وقال آخرون: إنه مسخوط: أن ينظر إلى أعدل البينتين».

أما المفسرون فنهم ابن عطية في **المحرر الوجيز** قال في هذه الآية نفسها: «وقد يكتبها الصبي والعبد والمسخوط إذا أقاموا فقهها».[٤]

والغالب أن المفسر الذي حقق محققنا تفسيره قد نقل العبارة من ابن عطية.

وما زال العامة في المغرب يستعملون كلمة «المسخوط» وأحيانا يضيفونه ويقولون «مسخوط الوالدين»، ولعل ذلك من تأثير الثقافة الشرعية في الثقافة الشعبية لأن قوله تعالى ﴿**ممن ترضون من الشهداء**﴾، مفهومه: لا ممن تسخطون من الشهداء، فكما أن المسخوط يقابل العدل، فكذلك يقابل المرضي، ولذلك كما يقول المغاربة «مسخوط الوالدين» يقولون في عكسه «مرضي الوالدين».

---

(١) انظر مثلا ج ٢٣٨/٦ -٢٣٩-٤٢٠-٤٢١.

(٢) ص١٧٧.

(٣) ج ٤٥٣/٩.

(٤) **المحرر الوجيز** ٣٦٠/٣.

وعلى كل حال فالمعنى اللغوي لكلمة مسخوط معروف جدا، وفي المثل: وجدت الناس أُخبُرْ تَقْلَهُ، أي وجدتُهم مقولا فيهم هذا، قال الفيروز أباذي: «أي ما من أحد إلا وهو مسخوط الفعل عند الخبرة».(١)

هذا وقد تكون قراءة النص في ذهول عن إدراك الاحتمالات وعن ثقافة المحقق نفسها، وإني أخاف ألا أذرَه وأقول «إن كانت له ثقافة».

فقراءة المحقق للنص بهذا السلوك قد يدخل عليه تهمة الاستهانة بالتراث، ومن لا يبرّئ نفسه من الميول نحو هذا السلوك فلينأ بها عن مضمار التحقيق، وليقل لها: ليس بعشك فادرجي، كيلا يجهّل الأجيال بتراثهم فيعموا عن إدراك أسراره، وربما يحملونهم على إساءة الظن بهم، ولهذا السلوك أسباب أهمها:

الأول: عدم قدر السلف حق قدرهم.

الثاني: الاستهانة بقُرّاء التراث، إذ يقدم لهم تراثهم ظنا بهم أنهم يقبلونه على أي وجه قدم، وكأنه يستبعد أن يكون في الأجيال من يتفطن لتخليطه.

الثالث: الجهل بعجزه عن فهم واستيعاب المخطوط الذي اقتحم حماه!

وهذه الأسباب كلها تعود إلى الاستخفاف بالبحث العلمي الذي لا نريد لباحثينا أن يوصموا به.

واليكم أمثلة لهذا السلوك في تحقيق أحد التفاسير: كتب المحقق كلام المفسر عن الإسم في البسملة هكذا «والإسم من السمو، لأنها رفعة للمسمى وشعار، له صلة لدفع توهم اختصاص الاستعانة بلفظة الله فقط».

---

(١) القاموس مادة خبر.

فالمحقق لم يقف عند مرجع ضمير لأنها «ثم وضع فاصلة بعد كلمة «وشعار»، وبعد الفاصلة جاءت عبارة: له صلة لدفع توهم.. إلخ.

فالكلام هكذا غير مفهوم، وهو في الأصل كما عند مؤلف التفسير في غاية الوضوح، لكن صنيع المحقق غَمَّضَه!

وأصل العبارة هكذا: والاسم من السمو، لأنه (هكذا في المخطوط، والمحقق كتبه: لأنها) رفعة للمسمى وشعار له، أي إن الإسم شعار للمسمى.

ثم عاد المؤلف لبيان موقع الإسم من «بسم الله» فقال: صلة، وهو خبر لمبتدأ محذوف، أي هو صلة، والصلة يستعملها العلماء مكان الزيادة تأدبا مع القرآن الكريم، وفي ذلك قال الشيخ الزواوي (زبان بن فائد) في أرجوزته في قواعد الإعراب:

ولتجتنب يا صاح أن تقول في حرف من القرآن زائد تف
إذ تسبق الأذهان للإهمال وهو على القرآن ذو استحال
وانما الزائد ما دل على مجرد التوكيد لا ما أهملا
وقع ذا الفهم لفخر الدين إذ قال يحكي عن ذوي التبيين
ما جاء في القرآن شيء مهمل وما أتى من موهم مؤول

وما أحسب أن المحقق فهم معنى «صلة» في كلام المفسر ولذلك كتب العبارة هكذا: له صلة، وهذا يدلكم أن اختلاف المجالات التي تواجه المحقق في المخطوط قد توقعه في أخطاء إن لم يعدّ لهذا الاختلاف عدته.

وقد وضح المؤلف معنى كون الإسم من «بسم الله» صلة توضيحا لم يُلْقَ في روع المحقق – وضحه بقوله: فإن القائل إذا قال: بالله أبتدئ «فمعناه بهذا الإسم، وإذا قال بسم الله أبتدئ، فمعناه باسمه تعالى أبتدئ، فإن المقصود به حينئذ المسمى.

وأصر المحقق على السير في هذا المنحى عند تفسير المؤلف للفظ الجلالة من «بسم الله» قال: اسم علم خاص له تعالى عند الخليل ومن تبعه... وقيل: وصف لكنه غَلَبَ (وضبطه المحقق: غُلِّبَ) عليه تعالى... وصار كالعلم لا علما؛ لأن ذاته تعالى من حيث هو بلا اعتبار [هكذا قرأه المحقق] أمر [شكله بضمّتين] حقيقي أو غيره غير معقول للبشر».

والعبارة بهذه القراءة مربكة للقارئ لا تفيده شيئا مما يقصده المفسر.

فقد جعل كلمة «أمر» خبرا عن اسم الجلالة، ثم وصفه بـ : حقيقي أو غيره! ولا أدري كيف توصف الذات الإلهية بالأمر الحقيقي أو غيره.

وصواب العبارة: لأن ذاته تعالى من حيث هو بلا اعتبار أمرٍ حقيقي أو غيره غير معقول للبشر، فمصب الفائدة هو قوله: «غير معقول للبشر».

ويواصل المحقق سيره في هذا الطريق فيقرأ قول المفسر في عبارة (رب العالمين): «ثم إن ربوبيته تعالى بمعنى الخالقية... فهو مربي الأشياء حينئذ بأنواع نعمه...» إلخ.

هكذا قرأ كلام المفسر: «فهو مربي الأشياء حينئذ».

والمصنف لا يفسر كون الله سبحانه ربَّ الأشياء بل كونه «ربَّ العالمين سبحانه».

ثم ما معنى حينئذ؟

رجعت إلى النسختين المعتمدتين في التحقيق فلم أجد لكلمة «حينئذ» وجودا فيهما أصلا، فمن أين للمحقق بالكلمة؟

أتاه الوهم من أمرين:

أحدهما أن قراءته لكلمة «الأشياء» خطأ محض، وغره أن الهمزة المتطرفة غالبا ما تحذف في المخطوطات، وحذفها سائغ.

ثانيهما: أن في الكلام جاء هكذا «ح» وفي بعض المخطوطات يختصر الناسخ كلمة «حينئذ» في حرف الحاء على صورة التحويل عند المحدثين.

وبهذين الأمرين قوَّل المحقق المفسر ما لم يقله، ورمى بكلامه الواضح في ظلمات من الغموض!!

وصواب العبارة، كما هو في النسختين المخطوطتين هكذا: فهو مربي الأشباح بأنواع نعمه [والأشباح هي الأشخاص، جمع شَبَحَ بمعنى شخص أي مربي الأجسام] ومربي الأرواح بأصناف كرمه إلخ، وكان بإمكانه أن يفهم من أسلوب المؤلف الذي يتسم بالسجع أن يقرأ العبارة على الصواب، لكنه بدل ذلك قسم كلمة «الأشباح» إلى كلمتين (أو لنقل إلى شبحين) الأشياء، حينئذ.

وفي كلمة «العالمين» في الفاتحة قرأ المحقق كلام المفسر هكذا: «فإن فاعله كثيرا ما يجيء في اسم الآلة التي يفعل بها الشيء».

وكتب في الهامش على كلمة «فاعله» أن في نسخة أخرى فاعل ولا معنى لما أثبته.

ثم رجعت إلى النسختين فإذا في إحداهما: فإن فاعلا كثيرا ما يجيء في اسم الآلة » يعني: أن العالمين جمع عالم، وعالم وزنه فاعل، وفاعل يأتي لاسم الآلة.

ومما يوضح هذا قول المؤلف رحمه الله: «فجعل بناؤه [يعني العالم مفرد العالمين] على هذه الصيغة لكونه كالآلة في الدلالة على صانع.

وفي كلمة «غير» من ﴿غير المغضوب عليهم﴾، قرأ المحقق كلام المفسر هكذا: «وقد تبين منه أن من قال: إن غير لا يتصرف أصلا، وإن أضيف إلى المعارف لم

يصب، وأن من زعم أنه بالإضافة إلى ما له ضد واحد تعين الحركة من غير السكون فقد أخطأ من وجوه.

أثبت المحقق ما في إحدى النسختين: تعين الحركة، ولا يستقيم الكلام بما فيها، وعلق في الهامش على كلمة «تعين» بقوله كررها في نسخة (كذا) أي كرر كلمة «تعين». فوقع بذلك في أمرين:

أحدهما: أنه لم يتنبه إلى أن الكلام لا يستقيم بما أثبته.

وثانيهما: أنه توهم أن في النسخة تكرار كلمة «تعين».

ولا تكرار، وإنما الخطأ في عدم قراءة النص قراءة سليمة، وصواب العبارة: «وأن من زعم أنه بالإضافة إلى ما له ضد واحد تَعَيَّن تَعَيُّنَ الحركة من غير السكون فقد أخطأ إلخ».

ومعنى كلامه: أنك إذا قلت: رأيت رجلا غيرك، فالمخاطب يضاد ذلك الرجل في معنى، وهو الرؤية لا يضاده فيه إلا هو.

فهذا الزاعم زعم أن «غير» إذا أضيفت إلى ما له ضد واحد تَعَيَّن كما تتعين الحركة من عبارة «غير السكون» فغير السكون هو الحركة.

ولا يبدو أن المحقق فهم كلام المفسر.

الخطأ في الفهم يؤدي إلى خطإ في الإفهام

من ذلك أنه قد يكون ما في المخطوط صحيحا فيخطئ المحقق فهمه فيتصرف تصرفا سيئا.

فمن ذلك أن محققا لأحد التفاسير تصرف في ضبط المفسر لكلمة جبريل، فضبطها المحقق بقوله وجبريل بفتح الياء وكسرها، دون أن يسأل نفسه: كيف تنطق الكلمة إذا كانت بفتح الياء وكسرها؟

فرجعت إلى نسختي المخطوط فإذا فيهما معا بفتح الفاء وكسرها، والمراد فاء الكلمة وهي الجيم.

والعجيب أن المحقق أثبت في الهامش ما في إحدى النسختين، فقال في نسخة كذا: وجبريل، وجبريل والذي أوقعه في هذا الخطأ أمور ثلاثة:

الأول: أنه توهم أن المفسر يتلفظ بحروف الكلمة، فرأى أن الكلمة ليس فيها حرف الفاء وفيها حرف الياء، فظن أن ما في المخطوط خطأ فصوّبه بخطئه.

الثاني: أن المفسر قال قبل هذا وهو يعدد لغات جبريل: وجبرئيل بحذف الياء، فإن رأى الياء هنا، ظن أن الكلمة بعدها هكذا وجبريل، بفتح الياء وكسرها.

الثالث: أنه مفتقر الى مصطلحات فنَّين لصيقين بالتفسير:

الفن الأول: فن الصرف الذي يقوم على وزن الكلمات بميزان مكون من ثلاثة أحرف هي الفاء والعين واللام، كما قال ابن مالك رحمه الله في ألفيته:

يوزن فعل قابل الأصول في وزائد بلفظه اكتفى

ولكنه مع هذا الصنيع قد جنى على المخطوط الذي استئمن على تحقيقه

والفن الثاني: هو فن القراءات، وفي حرز الأماني للشاطبي رحمه الله:

وجبريل فتح الجيم والرا بعدها وعى همزة مكسورة صحبة تلا

بحيث أتى والياء يحذف شعبة ومكيهم في الجيم بالفتح وكلا

وحاصل ما في الكلمة من قراءات:

الأولى: قراءة حمزة والكسائي: جبرَئيل.

الثانية: قراءة شعبة عن عاصم: جَبْرَئِل- بلا ياء.

الثالثة: قراءة ابن كثير: جَبرِيل.

الرابعة: قراءة نافع والبصري وابن عامر وحفص عن عاصم: جِبريل.

وإلى القراءتين الأخيرتين تمت الإشارة في المخطوط بقول المصنف بفتح الفاء وكسرها.

وقد يبلغ التسرع مداه حين يقدم محقق على الجزم بتخطئة مؤلف المخطوط.

من ذلك أن محققا كتب قول المفسر لقوله تعالى: ﴿كيف ننشرها﴾ بالراء المعجمة. كتب الكلمة هكذا: بالراء المعجمة، ووضع على كلمة الراء رقما فنزل الى الهامش وقال: في نسخة كذا بالزاء، وهو خطأ، مع أن سياق الكلام يصرُخ بالصواب من عدة جهات:

الأولى: أن المصنف قال: بالزاء المعجمة، ولا يقال: الراء المعجمة وإنما يقال: الراء المهملة، فإذا وصفتها بالمعجمة فهي زاي.

الثانية: أن تفسير المصنف يدل على الزاء؛ فإنه قال: بالزاء المعجمة أي نرفعها من الأرض ونردها إلى أماكنها من الجسد، ونركب بعضها على بعض.

الثالثة: أن المصنف سيصرح بعد ذلك مباشرة بما يدل على الزاي فإنه قال: وقرئ بغير المعجمة [يعني: ننشرها] من الإنشار وهو الإحياء.

الرابعة: أن القراءة التي يفسر عليها المفسر هي قراءة عاصم برواية حفص.

الخامسة: أن المحقق نفسه كتب في الهامش ما ينادي عليه بالغفلة، إذ قال: «قرأ به الباقون، وقرأ بالزاي عاصم وحمزة والكسائي». وقد غفل عن قارئ رابع وهو ابن عامر، قال الشاطبي رحمه الله: وننشزها ذاك وبالراء غيرهم.

العجز عن تبين أرجح الاحتمالات عند تعددها

وهذا أمر يتعلق بالمقابلة بين نسخ المخطوط، فالهدف من المقابلة بين النسخ الخطية الأمور الآتية:

الأول: إثبات كل ما في النسخ أمام القارئ حتى يقف على ما كتب وتبيين أفضل احتمالات ما كتب.

الثاني: أن المحقق إذا التزم إثبات ما في النسخة «الأم» يدوّن مع ذلك ما في سائر النسخ أداء للأمانة، وبيانا للاحتمالات.

الثالث: أن المحقق يثبت أقرب ما في النسخ إلى الصواب خصوصا إذا انتهج منهج التلفيق.

ومن لم يع هذه الأمور يقتصر على إثبات صور الحروف والكلمات بقطع النظر عن معناها.

وأمثلة ذلك كثيرة جدا، قد تتاح لكم فرصة أخرى للوقوف عليها واقتصر على مثالين:

- كتب مفسر على قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ «قوله: والرزق اسم لكل ما ينتفع به الحيوان» (إلى أن يقول) «وأما ما قيل: لو لم يكن الحلال رزقا لم يكن المغذّى به طول عمره مرزوقا».

كتب المحقق على كلمة «الحلال» في قوله: «لو لم يكن الحلال رزقا»: في نسخة كذا: الحرام.

ولا شك أن من عمل المحقق أن يدرك الفروق المعنوية التي قد توجد بين ما أثبته في صلب الكتاب وما أثبته في الهامش خصوصا إذا كان ما في إحدى النسختين ضدّا لما في الأخرى، (لو لم يكن الحلال) ± (لو لم يكن الحرام)، فأيهما المراد؟

الجواب أن الخلاف إنما هو في الحرام هل يسمى رزقا أم لا، أما الحلال فلا خلاف أنه رزق، فالصواب إذن ما كتبه المحقق في الهامش وهو: لو لم يكن الحرام رزقا.

وهذا هو الذي ينبغي أن يقيم عليه المحقق المقابلة بين النسخ وليس مجرد ذكر الفروق بينها؛ إذ قد يكون ما أثبت لا وجه له فيعنت القارئ بإثباته.

ومن ذلك أن مفسرا كتب تفسير «الحمد لله» فقال: الحمد هو المدح والوصف بالجميل، والاختصاص له بالله تعالى. فقد أثبت المحقق: والاختصاص له بالله تعالى، وكتب على كلمة «والاختصاص» رقما فنزل إلى الهامش وكتب: في نسخة كذا «ولا اختصاص».

والذي أثبته لا يستقيم؛ لأن قوله: «والاختصاص» مبتدأ لا خبر له، لا موجودا ولا مقدرا.

والصواب: ما في النسخة الأخرى الذي أسكنه المحقق في الهامش! وهو: ولا اختصاص له، فهو نفي، ومعناه أن الحمد لا يختص بالله سبحانه، وبرهن المؤلف على ذلك بقوله: «يفصح عن ذلك قول عائشة رضي الله عنها بحمد الله لا بحمدك».

وأعاد المحقق الخطأ نفسه دون أن يشعر عندما كتب قول المصنف هكذا: **بل الاختصاص له بذي علم وشعور**. ونزل إلى الهامش وقال: في نسخة كذا بل لا اختصاص. وهذا هو الصواب كما في سابقه.

وقد برهن المؤلف على أن الحمد لا اختصاص له بذي علم وشعور بقوله تعالى **﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾**، وقول العرب في المثل السائر: «**عند الصباح يحمد القوم السرى**».

سيطرة ثقافة المحقق على المجال تدفعه لمخالفة ما عليه المخطوط

قد يكون في ذهن المحقق رصيد معرفي أو ثقافي فيحكمه في المجال الذي يحقق فيه. وفي هذا خطورة تتمثل أحيانا في مخالفة ما كتبه مؤلف المخطوط الى ما عرفه المحقق.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك:

إن عددا من مؤلفات التفسير كتب فيها القران الكريم وفق رواية معينة، فيكتبها المحقق أو الناشر وفق الرواية التي يعرفها، أو التي شاعت في بلده، وقد يعمد إلى مصحف فيثبت القراءة التي فيه في التفسير الذي ينشره.

وهذا تصريف غير محمود في اختيار المفسر، تتجلى أثاره في التفسير نفسه دون أن ينتبه المحقق لذلك، أو دون أن يوليه أي اهتمام.

فمثلا تفسير **التحرير والتنوير**، فقد كتبت فيه الآيات برواية حفص عن عاصم، مع أن الشيخ الطاهر بن عاشور فسر على قراءة نافع.

ويتجلى ذلك في مواضع من تفسيره، من ذلك قوله تعالى: ﴿**يخادعون الله وما يخادعون**﴾ فالكتاب طبع برواية حفص عن عاصم. وفي هذا الموضع تبين أن ابن عاشور يفسر على قراءة نافع، يدل على ذلك كتابته قوله تعالى ﴿**وما يخادعون**﴾ بإثبات الألف (ج١/٢٧٦).

فمثلا تفسير القرطبي فسره القرطبي وعلى ما يبدو بقراءة نافع، لكن الطبعات آطلعت عليها كتبت فيها الآيات برواية حفص عن عاصم.

فكثيرا ما يبدأ بقراءة نافع في تفسير الآيات كما في قوله تعالى ﴿**يغفر لكم خطاياكم**﴾ قال قراءة نافع بالياء مع ضمها، ولكن الكتاب طبع فيه هكذا: (نغفر لكم خطاياكم) وفق قراءة عاصم وغيره.

وكما في قوله تعالى ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ «قال: قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء.

ومن الأمثلة اليقينية على ذلك تفسيره لقوله تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ وقراءة الغيب هي قراءة ابن عامر والمكي والبصري وشعبة عن عاصم، وقراءة الخطاب هي قراءة ابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة والنسائي والآيات كتبت برواية حفص.

وعند التفسير قوله تعالى ﴿أم تَقُولُون﴾ (هكذا كتبت) بمعنى قالوا!!

التَّكْشِيفُ الْمَوْضُوعِيّ لِكُتُبِ التَّفْسِيرِ: الْمَفْهُومُ وَالْمَنْهَجُ وَالْمَقْصِدُ

فريدة زمرد[1]

محتويات العرض

---

(١) أستاذة علوم القرآن بمؤسسة دار الحديث الحسنية بالرباط

تقديم

من المعضلات التي تواجه الباحث في مجال علوم القرآن والتفسير: الوضعية التي تعاني منها كتب التفسير من حيث التحقيق، فجل كتب التفسير - التي تعد بالمئات - غير محققة، والقليل المحقق منها غير محقق تحقيقا علميا حقيقيا، والقليل من القليل المحقق منها غير مكشّف، وجل المطبوع غير المحقق غير مكشف أيضا، ولما كانت مسالك التحقيق وعرة، ومتطلباتها كثيرة قد ينوء الباحثون بثقلها، خصوصا مع كبر حجم التفاسير في العادة، فإن التكشيف الموضوعي، قد يستعاض به عن التحقيق، فيتم تجاوز جزء من هذه المعضلة بتقريب المادة العلمية في هذه الكتب (خصوصا غير المحققة) للباحثين، كما أن فيه التكميل والتتميم لعملية التحقيق بالنسبة للكتب المحققة التي لم يعتن فيها بوضع الفهارس الفنية.

إن من أهم الأسباب التي تذكي الحاجة إلى تكشيف كتب التفسير، ومن ثم تؤكد أهميته، أن هذه الكتب ليست من الكتب المنهجية أو التقعيدية التي يسهل الوصول فيها إلى المطلب، ولا هي من النصوص الإبداعية (كالشعر والقصص) التي تقرأ للإمتاع والمؤانسة، بل هي من المدونات المرجعية الكبرى التي يقصدها الباحثون من كل التخصصات، كلما احتاجوا شيئا متعلقا بالقرآن الكريم الذي دارت حوله كل العلوم الإسلامية.

وإذا كانت كتب التفسير خزانا علميا، ومصدرا غنيا للموضوعات والمعارف العلمية المختلفة، فإن التكشيف العلمي لها هو مفتاح ذلك الخزان، الذي يمكّن الباحثين من الوصول إلى مكنوناته، والإفادة من درره وجواهره.

ولكي نعي هذه الحقيقة لا بد من كشف وبيان عن حقيقة التكشيف ومفهومه، ومنهجيته، وشروطه وصعوباته، ومقاصده وثماره.

١ - المبحث الأول: مفهوم التكشيف

نروم في هذا المبحث بيان مفهوم التكشيف برده إلى أصوله اللغوية، وبيان معانيه الاصطلاحية في شتى المجالات العلمية التي استعمل فيها اللفظ أو بعض مشتقاته، مع التركيز على دلالته في اصطلاحي علم الكتب والمكتبات وعلم التحقيق.

١ - ١ - التكشيف في اللغة

تدور مادة الكاف والشين والفاء (ك ش ف) في اللغة على معاني الانحسار[(١)] ورفع الشيء عما يواريه ويغطيه[(٢)]، أو «رفع غطاء وإزالته عن شيء حتى يظهر متن الشيء ماديا أو معنويا»[(٣)]. يقال: تكشَّفَ البرقُ، إذا مَلأَ السَّماء، لأنَّ المتكشِّف بارز. و«الأكشف: الذي انحسر مقدم رأسه»[(٤)].

وكما يستعمل فعل الكشف في كشف الغطاء عن الأشياء المحسوسة، استعمل أيضا في ما هو غير محسوس، وقد عد الزمخشري ذلك من المعاني المجازية، ومن ذلك قولهم: كشف الله غمّه وهو كشّاف الغمم. وهذا حديث مكشوف: معروف[(٥)].

أما «التكشيف» فهم مصدر فعل «كشَّف» الثلاثي المزيد المضعف، وهو من الألفاظ الحديثة الاستعمال في اللغة العربية، ودلت صيغة التفعيل فيه على معنى الصيرورة أو التصيير، فالتكشيف جعل الشيء مكشوفا، أو ظاهرا أو معروفا.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة (ك ش ف).
(٢) تهذيب اللغة، مادة (ك ش ف).
(٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم ١٠/٦٩.
(٤) مقاييس اللغة، مادة (ك ش ف).
(٥) أساس البلاغة، مادة (ك ش ف).

ومن ثم يمكن القول إن التكشيف في اللغة يدل على: جعل الشيء ظاهرا مكشوفا برفع ما يواريه ويغطيه.

١ - ٢ - التكشيف في الاصطلاح

لا نجد في المعاجم الاصطلاحية العامة المتقدمة تعريفا للتكشيف في المجال الذي ندرسه، وإنما نجد تعريفات لمفهوم «الكشف» و«المكاشفة» وهي مصطلحات مستعملة في مجال التصوف، فقد عرف الجرجاني الكشف بقوله: «هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً»[(١)]. أما المكاشفة فهي بمعنى رفع الحجاب وانكشاف عوالم النعيم والجحيم للسالك في مدارج الولاية[(٢)].

لكن هذه المعاني الاصطلاحية وإن ظهرت بعيدة عن مجال درسنا هنا فهي لا تبعد في أصلها اللغوي عن المقصود، فرفع الحجاب وإزالته هو حقيقة معنى التكشيف، إلا أن الحجب هنا غير الحجب هناك، ففي مجال التكشيف الموضوعي للكتب تكون الحجب والأغطية هي: تفرق الموضوعات وتشتتها في متن التفسير دون ترتيب أو تصنيف، مما يحجب عن الدارس رؤيتها بشكل يعين على حسن الاستفادة منها.

١ - ٣ - التكشيف في اصطلاح علم التوثيق والمكتبات

يعتبر علم التوثيق والمكتبات، من أهم وأقدم المجالات التي اهتمت بمفهوم «التكشيف»، ويستعمل التكشيف فيها بالمعاني والاعتبارات الآتية:

---

(١) التعريفات للجرجاني. ص١٣٧.

(٢) ينظر كشاف اصطلاحات الفنون ١٩/٤.

- باعتباره **فهرسة تنظيمية** للكتب ومؤلفيها، وتصنيفها العلمي وسائر ما يعرِّف بها عند رواد المكتبات (عنوان الكتاب واسم المؤلف وما يلحق به -المحقق والمترجم...-، والطبعة ودار النشر).

باعتباره **دليلا منهجيا** يرشد الباحث إلى أماكن وجود الكتب في المكتبات، ولذلك يكون الكشاف مرتبا وفق ترتيب معين (هجائي أو موضوعي، بحسب اسم الكتاب أو المؤلف)، ومرفوقا برقمه ورمزه ضمن قوائم المكتبة.

- باعتباره **دليلا مرجعيا** يعين على الوصول إلى **محتويات الكتب** بوضعها في كشافات وقوائم مرتبة حسب الألفاظ أو المصطلحات أو الكلمات الأساسية في هذه الكتب، مع إيراد جزء من سياقاتها، وهو المعروف بكشاف النصوص، وهذا أقرب إلى ما نقصده هنا بالتكشيف، وهذا النوع من التكشيف هو الذي اتبعه المستشرقون في وضع فهارس القرآن الكريم والحديث الشريف.

١ - ٤ - مفهوم التكشيف في اصطلاح علم التحقيق

إن مفهوم التكشيف الذي نقصده هنا، وإن كان **متصلا** بالكتب والمكتبات، لأننا نتحدث عن تكشيف كتب التفسير، التي تمثل جزء من المكتبة العلمية الإسلامية؛ يتعدى هذا المفهوم الضيق والشكلي للتكشيف بكل أنواعه، ويتجاوزه ليلج مجالا علميا أكبر وأعرق وهو مجال **«علم التحقيق»** الذي يعنى بإخراج النص المخطوط في صورة صحيحة متقَنة، وفق أصول متبَعة معروفة.

وموقع التكشيف من التحقيق موقعان، **فهو** إما أن يكون **مكملا للتحقيق** ومن مستلزماته، وإما أن **يقوم مقامه**، خصوصا حين يتعلق الأمر بالكتب غير المحققة، وفي كلتا الحالتين يمكن اعتبار التكشيف **دليلا منظِما للمعلومات التي تتضمنها** الكتب وفق ترتيب **محكم، يعين القارئ على الوصول إلى تلك المعلومات بأقل جهد** وأسرع وقت.

وبالنسبة لتكشيف كتب التفسير فهو **إظهار** وإبراز مكونات المادة التفسيرية وتصنيفها وترتيبها في كشافات تشير إلى مواضع وجودها في التفسير بدقة (بذكر الصفحات والأجزاء)، والمقصود بمكونات المادة التفسيرية: الموضوعات والمسائل العلمية والمفاهيم والمصطلحات، والنقول والشواهد والأسماء المختلفة الواردة في التفسير.

ولكي يتضح المقصود بالتكشيف في هذا المجال أكثر لابد من التمييز بينه وبين مصطلحات تقاربه وتستعمل معه، وهي: التحقيق والترتيب والتصنيف والفهرسة.

١ - ٥ - التكشيف وأسرته المفهومية

١ - ٥ - ١ - التحقيق

التحقيق في اللغة من الجذر (ح ق ق) وهو يدل على: إحكام وإتقان وتثُبت وإيقان، يقال «ثوب محقق إذا كان محكم النسج»[١]، ويقال: حقَّه وأحقَّه، كلاهما أثبته، وصار عنده حقا لا شك فيه... نقول: حققت الأمر وأحققته إذا كنت على يقين منه[٢].

وفي الاصطلاح استعمل التحقيق في مجالات علمية مختلفة: في الأصول والكلام، والقراءات والتصوف، فدل على ما يناسب كل مجال من المعاني[٣].

---

(١) **مقاييس اللغة**: لابن فارس، مادة (ح ق ق) تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون، ط.عيسى البابي الحلبي.

(٢) **لسان العرب**: لابن منظور، مادة (ح ق ق)، طبعة دار المعارف.

(٣) جاء في **التعريفات** (ص٤٨): التحقيق: إثبات المسألة بدليلها، وعند القراء هو «إعطاء كل حرف حقه» **كشاف اصطلاحات الفنون** للتهانوي، ص٣٩٢، تحقيق رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان.

أما في مجال «علم الكتب والمكتبات» فقد عرفه الدكتور عبد الله عسيلان بأنه «إخراج الكتاب على أسس صحيحة محكمة من التحقيق العلمي في عنوانه، واسم مؤلفه، ونسبته إليه، وتحريره من التصحيف والتحريف، والخطأ، والنقص والزيادة» بقراءته قراءة صحيحة يكون فيها متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تمت على يد مؤلفه، أو «إخراجه بصوره مطابقة لأصل المؤلف، أو الأصل الصحيح الموثوق إذا فقدت نسخة المؤلف»(١).

ويبدو من هذا التعريف أن التحقيق يقوم أساسا على إخراج الكتاب أو النص المحقق بصورة أقرب إلى ما أراده المؤلف، وهو بهذا المعنى أعم من التكشيف.

١ – ٥ – ٢ – الترتيب

الترتيب في اللغة من رَتَب الشيءُ يرتُب، أي انتصب وثبت ودام، ولا نجد في المعاجم القديمة مصدر «التّرتيب» لكننا نجد مصدر «الرُّتُوب»، في معجم العين: الرتوب: الانتصاب، وفيه أيضا أن رتَب ورتَّب سواء، والرَّتَبُ ما أشرف على الأرض كالدَّرَج(٢)، والمراتب هي المواضع المرتفعة التي يوضع فيها الرقباء والعيون(٣)، والترتيب أو الرتوب بهذا هو قريب من معنى الكشف، فكلاهما فيه معنى الظهور، لأن ما انتصب وأشرف على الأرض فقد ظهر، وأما معنى الثبات والدوام فمفهوم من بعض استعمالات المادة كالراتب، يقال: «له عز راتب» أي ثابت(٤).

---

(١) تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل: د. عبد الله عسيلان، بتصرف، طبعة مكتبة الملك فهد الوطنية، ص٤١ – ٤٢.

(٢) العين/ مادة (ر ت ب).

(٣) العين وأساس البلاغة. مادة (ر ت ب).

(٤) ينظر أساس البلاغة. مادة (ر ت ب).

أما في الاصطلاح فقد عرف صاحب **كشاف اصطلاحات الفنون** الترتيب بأنه: «جعل الأشياء الكثيرة بحيث يطلق عليها اسم الواحد ويكون لبعضها نسبة إلى بعض بالتقديم والتأخير»[(١)]، واعتبر التهانوي الترتيب أخص من التأليف من حيث المفهوم، لأن التأليف لا يعتبر فيه نسبة بعض الأجزاء إلى بعض بالتقديم والتأخير، بل يكتفى فيه بالجزء الأول من مفهوم الترتيب.

والترتيب بهذا المعنى إظهار للشيء المرتب بوضعه في منزلة أو مرتبة معينة بالنسبة إلى غيره.

وفي اصطلاح علم المخطوط: يقصد بالترتيب: «ترتيب الصفحات وضبط أرقامها المتتابعة قبل الطي بحيث تقرأ تباعا بعد صنع الملزمة»[(٢)]، وهذا جانب شكلي في الترتيب يتعلق بأوراق المخطوط.

أما في مجال التكشيف فالمقصود بالترتيب: وضع المادة المكشفة (من موضوعات أو أسماء أو مصطلحات أو نقول) في مواضعها من الكشافات وفق منطق معين، وذلك بحسب طبيعة المادة المرتبة، فقد يكون الترتيب ألفبائيا بحسب أوائل الكلمات كما في النقول والشواهد، أو بحسب جذورها اللغوية كما بالنسبة للمصطلحات، أو بحسب الحرف الأخير فيها (القافية) كما في الشعر...، وقد يكون الترتيب حسب رؤوس الموضوعات، كما في **كشاف الموضوعات**).

---

(١) **كشاف اصطلاحات الفنون** للتهانوي، ٢/١٧٧. تعليق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

(٢) **معجم مصطلحات المخطوط العربي**، قاموسي كوديكولوجي، ص٥٢، أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي، المطبعة الوطنية، مراكش، ٢٠٠٣م.

١ - ٥ - ٣ - التصنيف

التصنيف في اللغة يؤول إلى الجذر (ص ن ف) الذي يدل على معنيين: «أحدهما الطّائفة من الشّيء، والآخر تمييز الأشياء بعضها عن بعض»[١]، والتصنيف من المعنى الثاني، وأصله في لغة العرب من قولهم صَنَّفَت الشَّجرةُ، إذا أخرجت ورقَها، ومنه تصنيف الكتاب، ومنه أيضا الغريب المصنَّف (كأنَّه مُيِّزَت أبوابُه فجُعِلَ لكلِّ بابٍ حَيِّزُه).

أما في الاصطلاح الخاص بالكتب فالتصنيف هو «التأليف مع ترتيب الأبواب والفصول»[٢]، ويعد التصنيف اليوم فرعا من علوم المكتبات (Classification) وهو أيضا من مصطلحات فلسفة العلوم، التي تعنى بتصنيف العلوم بوضعها ضمن مجالها الخاص.

وفي مجال التكشيف يقصد بالتصنيف تمييز المادة المكشَّفة بوضع كل نوع تحت جنسه.

١ - ٥ - ٤ - الفهرسة

جاء في معجم العين «الفِهْرِس: الكتاب الذي تُجمع فيه الكتب»[٣] وذكر الزبيدي في تاج العروس أن اللفظ مُعَرَّبٌ، وقيل هو معَرَّبُ فِهْرِسْت الفارسي[٤] وفَهرَسَ الْكتابَ: جعل لهُ فَهْرَساً، أَي رَتَّبَ عَنَاوِينَهُ وَفُصُولَهُ.

---

(١) معجم مقاييس اللغة/ مادة (ص ن ف).

(٢) معجم مصطلحات المخطوط العربي ص٥٩.

(٣) العين، مادة (فهرس).

(٤) تاج العروس، مادة (فهرس) من جواهر القاموس، للمرتضى الزبيدي، طبعة الكويت، ج١٦ ص٣٤٩.

واستعمل لفظ الفهرس والفهرسة في التراث الإسلامي بمعنى (معجم أسماء الشيوخ والمرويات الخاصة بعالم من العلماء)، ويقال لها أيضا: المشيخة والثبت والبرنامج. ويعد كتاب **الفهرست** لابن النديم (ت٣٨٥) أقدم كتاب يصلنا بهذا العنوان، وهو عمل وراقي (بيبليوغرافي) يصف الإنتاج العلمي في فترة زمنية معينة من التاريخ الإسلامي في مختلف الفنون والعلوم، وبذلك يكون الفهرست معجما بأسماء الكتب والمؤلفات، ونفس العمل قدمه حاجي خليفة في موسوعته الموسومة بـ« **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**».

والفهرس بهذا المعنى هو كل عمل معجمي ترتب فيه المادة العلمية وفق ترتيب معين (سواء كانت تلك المادة أسماء رجال أم كتب أم مرويات»، وهو لذلك مكون من مكونات التكشيف، فكل عمل تكشيفي يتضمن فهرسا بمحتويات الكشافات.

نخلص من كل ما سبق إلى أن التكشيف هو أحد وسائل خدمة الكتب والمكتبات، وهو فرع من فروع علم الوثائق والمكتبات، يعنى بتصنيف محتوياتها من الكتب والوثائق وغيرها، وهو أيضا فرع من علم التحقيق، يعنى **بالكشف عن الموضوعات العلمية التي تتضمنها كتب التراث**، ولما كانت كتب التفسير من أكثر المصادر حاجة إلى التكشيف بسبب طبيعتها العلمية الموسوعية والجامعة لموضوعات علوم مختلفة، وبسبب وضعيتها العملية حيث تفتقر ـ جلها ـ إلى التحقيق العلمي؛ فإن البحث في التكشيف، يستدعي اتباع منهجية دقيقة في التعامل مع هذه المادة العلمية قراءة وتصنيفا وترتيبا، وهو ما سنحاول بيانه في النقطة الآتية:

٢- منهجية تكشيف كتب التفسير

لما كان التفسير علما يتوسل فيه بعدة معارف وعلوم لبيان مراد الله عز وجل من كلامه، فإن المادة العلمية المكونة للتفسير تتنوع وتتشعب بتشعب هذه

العلوم والمعارف، وبناء على ذلك فإن الكشافات الممكن إخراجها من هذه المصادر تتحدد بناء على طبيعة المادة العلمية الموجودة فيها، وهي على العموم لا تخرج عن الكشافات الآتية:

٢ – ١ – أنواع التكشيف والكشافات العلمية لكتب التفسير

٢ – ١ – ١ – تكشيف النصوص، ويتضمن: تكشيف الآيات والأحاديث والأشعار والأمثال واللغة، والنقول والشواهد المختلفة.

كشاف الآيات: يتضمن الآيات التي يوردها المفسر في النص، مستشهدا بها، سوى الآيات موضوع التفسير، ويكون تكشيفها ببيان رقمها وسورتها، ويتم ترتيبها في الكشاف الخاص بالآيات مرتبة حسب ترتيب المصحف، مع ذكر الصفحات والأجزاء والأسطر التي ترد فيها في التفسير.

كشاف الأحاديث والآثار: يتضمن نصوص الأحاديث والآثار التي يوردها المفسر في التفسير فتكشف بإيراد نصها الكامل، إذا لم يورده المفسر، أو جزء منه، ثم بيان مصدرها وذكر كل البيانات المتعلقة بها، وتوضع في الكشاف مرتبة حسب أحرف المعجم.

كشاف الأشعار: يتضمن الأشعار الواردة في النص، مع ذكر البحر الذي عليه وزنها واسم الشاعر، وترتب في الكشاف ألفبائيا، حسب القافية، وكذلك الأمثال تكشف ببيان مصادرها وترتب ترتيبا ألفبائيا، أما مفردات اللغة، فترتب حسب الترتيب المعجمي المعروف.

كشافات النقول والشواهد: تتضمن مختلف النقول والشواهد الواردة في النص سواء كانت من التفسير أو الأصول أو الفقه أو غير ذلك من النقول، وتكشف بإيراد جزء يسير من بداية الشاهد، مع ذكر صاحبه والمجال العلمي الذي

ينتمي إليه، ويمكن الاكتفاء بذكر صاحب النص المنقول ومجاله العلمي، وترتب النقول بحسب المجال العلمي الذي تنتمي إليها أولا، ثم داخل كل مجال ترتب ألفبائيا حسب أسماء أصحابها.

٢-١-٢- **تكشيف الأسماء**، ويتضمن: أسماء الأعلام، والحيوانات، وأسماء الكتب، وأسماء الأمم والقبائل، والطوائف والفرق والمذاهب، وأسماء البلدان، والأمكنة، وأسماء أدوات الحضارة، وترتب هذه الكشافات ترتيبا ألفبائيا.

٢-١-٣- **تكشيف الموضوعات**، ويتم بوضع كشافات للموضوعات والمباحث والمسائل العلمية المختلفة التي ترد في التفسير، ويتم ترتيبها بحسب الترتيب المتداول لهذه العلوم بدءا بعلوم القرآن، ثم الحديث ثم الفقه وأصوله، ثم العقيدة وعلم الكلام، ثم التاريخ والسير، ثم موضوعات علوم اللغة (من نحو وصرف وبلاغة) ثم باقي العلوم بحسب ما يرد منها في التفسير.

أما ترتيب الموضوعات تحت كل علم فيخضع للمتعارف عليه في كل علم، وهذا ما يتطلب من الباحث معرفة بمباحث العلوم وموضوعاتها، ثم ترتب **رؤوس الموضوعات** التي يتضمنها كل مبحث ترتيبا ألفبائيا. (تتم صياغة مداخل الموضوعات أو رؤوسها بشكل دقيق ومختصر أو تنقل عبارات المؤلفين إذا كانت كافية وموفية للغرض).

٢-١-٤- **تكشيف المصطلحات**، وفيه تكشف المصطلحات الواردة في النص، وتصنف بحسب مختلف العلوم: مصطلحات علوم القرآن، وعلوم الحديث، والفقه، والأصول، والتاريخ والسير، واللغة والنحو والبلاغة والصرف، وعلم الكلام والعقيدة، والفلسفة والتصوف...إلخ، وترتب داخل الكشاف بحسب المجالات العلمية للمصطلحات، ثم داخل كل مجال ترتب ألفبائيا بحسب الجذور اللغوية للمصطلحات، ويمكن اعتبار كشاف المصطلحات ملحقا بكشاف الموضوعات،

نظرا للخاصية المميزة للمصطلح وهي أنه يختزل الكثير من المعاني والقضايا والموضوعات العلمية.

ولما كانت هذه الورقة في بيان التكشيف الموضوعي، فما سيأتي من حديث عن منهجية التكشيف يتعلق بكشاف الموضوعات والمصطلحات دون غيرهما.

مراحل التكشيف

إن تقديم عمل تكشيفي دقق ومفيد لكتب التفسير رهين باتباع خطوات منهجية معينة، تعين على الفهم السليم لمحتويات هذه الكتب، ثم تحديد الموضوعات والمسائل العلمية التي تحتاج إلى إبراز وتكشيف، ثم حسن ترتيبها بعد تصنيفها، بحيث يكون الوصول إليها بالنسبة للقارئ سهلا ويسيرا، ولتحقيق ذلك لا بد أن تمر عملية التكشيف بأربعة مراحل هي:

٣-٢-١- **مرحلة القراءة والجمع**: وفيها يجمع كل ما يدخل ضمن الكشاف المطلوب، وهو هنا الكشاف الموضوعي، والمصطلحي، ويتم هذا الجمع بعد قراءات متأنية لنص التفسير، وذلك لما يتيحه تكرار القراءة من ضبط وتدقيق في هذه المرحلة، وكل خلل قد يقع في هذه المرحلة فسيكون له الأثر السلبي على باقي المراحل، ولذلك فإن مرحلة القراءة والجمع، تحتاج الصبر والأناة في القراءة المتكررة، والدقة وحضور الذهن لالتقاط الموضوعات التي يشير إليها المؤلف في ثنايا تفسيره.

٣-٢-٢- **مرحلة التصنيف**: وفيها تصنف المادة المستخرجة، وهي الموضوعات ثم المصطلحات، حسب التصنيف العلمي المتعارف عليه في العلوم التي تنتمي إليها تلك الموضوعات والمصطلحات، وتتطلب عملية التصنيف معرفة سابقة بالمباحث والموضوعات العلمية التي تشكل مضامين العلوم الإسلامية

المختلفة، والتي نجدها في كتب التفسير، وتستعمل في التصنيف تقنية الجذاذات، ورقية كانت أو إلكترونية.

٣-٢-٣- **مرحلة الترتيب**: وفيها يتم ترتيب الموضوعات والمصطلحات المكشفة والمصنفة آنفا حسب العلوم، كل داخل كشاف خاص به، ويخضع ترتيب الموضوعات -تحت كل علم- للمتعارف عليه في ذلك علم، وهذا ما يتطلب من الباحث معرفة بمباحث العلوم وموضوعاتها، ثم ترتب رؤوس الموضوعات التي يتضمنها كل مبحث ترتيبا ألفبائيا، مثال ذلك:

موضوعات علوم القرآن

نزول القرآن،

- أجمع أهل العلم بالتفسير على أن هذه الآية نزلت في...
- اختلف المفسرون في نزول الآية...
- سبب نزول قوله تعالى: (... الآية) ...
- نزل قوله تعالى... في ...

وفي هذه المرحلة توضع مقابل كل مادة علمية مكشفة أرقام الصفحات والأجزاء التي توجد فيها.

٣-٢-٤- **مرحلة التدقيق**: وهي مرحلة متقدمة من التكشيف، وفيها يتم تحقيق النصوص المتضمنة للموضوعات والمصطلحات، إذا كانت منقولة عن غير المفسر، وضبط المصطلحات المستخرجة التي يرى الباحث أنها في حاجة إلى ضبط وتصحيح، وهذه المرحلة تلزم من يُكشِّف تفسيرا غير محقق تحقيقا علميا.

٣-٣- شروط التكشيف وأدواته

تستلزم عملية التكشيف الموضوعي لكتب التفسير شروطا يتعين تحققها في الباحث المكشِّف، وأدوات يحتاج إليها، أما الشروط فتتمثل في:

٣-٣-١- **الشرط العلمي**: والمقصود به هنا التخصص، فلا يمكن لغير المتخصص في مجال علوم القرآن أن يكشف كتب هذا المجال، لما يتطلبه التكشيف من:

معرفة بالموضوعات والمفاهيم المتداولة والدائرة في هذا المجال.

ومعرفة بأسلوب الكتابة العلمية وخصائص التأليف التي ميزت الكتب المكشَّفة.

لأن ذلك يشكل المدخل الأساس لفهم مقاصد المؤلفين ومراميهم، ومن ثم تحديد الموضوعات التي يعالجونها، وآراءهم فيها.

ويشترط ضمن هذا الشرط العلمي فضلا عن المعرفة بالتخصص الإلمام بقضايا التراث الإسلامي، نظرا لتنوع الموضوعات المضمنة في كتب التفسير.

٣-٣-٢- **الشرط المنهجي**: والمقصود به هنا القدرة على تصنيف الموضوعات والتمييز بينها، وهو ما يقتضي معرفة بمباحث العلوم ومسائلها التي تصنف الموضوعات والمصطلحات بحسبها، كما يقتضي معرفة بتقنيات التصنيف والترتيب، الورقي والإلكتروني.

ومن **الشروط الشكلية** اختيار التفاسير المحققة (التي ليست لها كشافات بهذه المواصفات) وفي حال خلوها من التحقيق يتوجب اختيار أجود الطبعات.

٣ - ٤ - صعوبات التكشيف وعوائقه

والصعوبات هنا مرتبطة بمدى تمرس الباحث بالكتب التراثية عموما وكتب التفسير منها على وجه الخصوص، إنها صعوبات وعوائق قراءة النص التفسيري، والاستفادة من مادته العلمية. ويمكن تقسيمها إلى: صعوبات في الفهم والاستيعاب، وصعوبات في التصنيف، وصعوبات في الترتيب والتأليف.

٣-٤-١- صعوبات في الفهم والاستيعاب، وهي أولى الصعوبات والعوائق التي قد تعترض الباحث، حيث يتعذر عليه فهم مقصود المفسر، وعن أي موضوع أو قضية يتحدث، ومدى اصطلاحية اللفظ الذي يستعمله، وترجع هذه الصعوبات إلى أسباب:

- منها ما يرجع إلى الباحث، وقلة معرفته بالمجال الذي يتحدث فيه المفسر، ولهذا السبب كان من شروط التكشيف أهلية الباحث للتعامل مع كتب التراث، ولا بد للتغلب على هذه العقبة واستدراك هذا النقص بكل الوسائل الممكنة.

- ومنها ما يرجع إلى الكاتب المكشَّف، أي إلى أسلوبه الذي قد لا يبين عن المقصود من الكلام، لخاصية في أسلوبه، وهنا يمكن الاستعانة بكل الوسائل للتغلب على هذا العائق، بمراجعة كتب مماثلة للمؤلف، وإطالة النظر فيها للتعرف على أسلوبه.

- ومنها ما يرجع إلى تصحيف أو سقط في النص بسبب غياب التحقيق، وهنا لا محيص من تصحيح التصحيف وتحقيق النص، ليستقيم أمره بالوسائل المعروفة في مجال التحقيق، وهو ما أشير إليه في المرحلة الأخيرة من مراحل التكشيف.

٣-٤-٢- صعوبات في التصنيف، وترجع هذه الصعوبات إلى طبيعة التداخل بين العلوم الإسلامية ومما يجعل بعض الموضوعات والمباحث والمصطلحات مشتركة بينها، فيصعب على الباحث تصنيفها ضمن هذا المجال العلمي

أو ذاك، وغالبا ما يقع هذا في موضوعات ومصطلحات علوم القرآن وأصول الفقه (النسخ والعموم والخصوص، والتأويل، والإطلاق والتقييد...إلخ)، وبين أصول الفقه وأصول التفسير وقواعده، أو بين قواعد التفسير والنحو، ومما يمكن الاستعانة به للتغلب على هذا الإشكال ملاحظة السياق الذي يرد فيه الموضوع.

٣-٤-٣- **صعوبات في الترتيب**، قد تنتج عن الاختلاف في ترتيب بعض موضوعات ومباحث العلوم بين العلماء، كالاختلاف في ترتيب مباحث علوم القرآن، ما الذي حقه التقديم، وما الذي حقه التأخير، خصوصا مع عدم انضباط هذا الترتيب عند من ألفوا في علوم القرآن، وأيضا بسبب تردد بعض الموضوعات واشتراكها بين أكثر من مبحث (كمباحث نزول القرآن واللغة التي نزل بها القرآن، وموضوع الأحرف السبعة). وكذلك الأمر في موضوعات علم الأصول (هل نخضع ترتيب الموضوعات لترتيبها داخل مبحث الكتاب أو لترتيب مبحث الدلالات) وكالاختلاف في ترتيب موضوعات التصوف وعلم السلوك مثلا، أي المعايير نتبع في ترتيبها؟ إلخ.

والحق أن صعوبات الترتيب، وإن كانت تبدو شكلية، إلا أنها تحتاج إلى جهد وتثبت ومعرفة بترتيب مباحث العلوم التي غالبا ما تكون مرتبطة بمرجعيات أصحابها وباعتبارات علمية ومنهجية خاصة بكل فن وعلم.

٤- مقاصد التكشيف وثمراته

قد يخطئ البعض الحكمَ على «التكشيف العلمي لكتب التراث» فيعتبره مجرد عمل تقني، لا يعدو إعادة ترتيب المادة العلمية وتصنيفها ثم تقريبها للباحثين. وأنه بحث لا يمتد إلى جذور هذا التراث، ومضامينه العلمية وأبعاده الحضارية، وليس الأمر كذلك، فإن «التكشيف» -بالإضافة إلى كل ذلك- باعتباره مكملا للتحقيق، حائز لنفس قيمة التحقيق وأهميته، ومحصل لنفس ثماره وغاياته.

إن التأمل في كل ما سبق من كلام عن مفهوم التكشيف ومنهجيته وصعوباته. يكشف لنا نوعية المقاصد التي يرمي إليها هذا الفن، وطبيعة الثمار التي يمكن أن تجبى من هذا الدرس.

فالتكشيف عموما هو العين الفاحصة لمحتويات كتب التفسير التي تمكننا من إزاحة الحجب المانعة من الاستفادة منها، وذلك بمساعدتنا على تحقيق مقصدين أساسين يتفرع عنهما عدة ثمار:

٤ - ١ - تأسيس معرفة علمية دقيقة بالتراث التفسيري

وهي معرفة قائمة على الاستقراء التام للمادة العلمية لكتب التفسير، تجعلنا في مأمن من السقوط في مزالق الانتقائية والتجزيء في التعامل مع هذه المصادر، وتتمثل هذه المعرفة في:

٤ - ١ - ١ - المعرفة بمكونات المادة التفسيرية

فكتب التفسير غنية بالمسائل العلمية والموضوعات والمباحث، والمفاهيم والمصطلحات والقواعد، لكن غياب تكشيف دقيق لكل هذه المكونات يجعل الباحث جاهلا بطبيعة المعرفة العلمية المتضمنة في هذه المصادر وقيمتها، وهو ما يفوت عليه فرصة الإفادة من هذه المعرفة.

٤ - ١ - ٢ - تمييز المتداخل بين مكونات المادة التفسيرية

فالتكشيف يميز بين المتداخل من هذه المادة فيضع كل نوع تحت جنسه كما هو الحال في التداخل بين موضوعات أصول الفقه وعلوم القرآن، والتداخل بين بعض موضوعات الفقه والعقيدة، وبين موضوعات التاريخ والسيرة... إلخ.

٤ – ١ – ٣ – جمع المتنافر بين مكونات المادة التفسيرية

فالتكشيف يجمع ما تنافر من هذه المادة بوضعه تحت موضوعه ومسماه، خصوصا مع ما يميز أسلوب التأليف في القديم من الاستطراد والتكرار، وفي ظل إثارة نفس الموضوع في أكثر من سياق، بحسب ورود ذلك الموضوع في آيات القرآن الكريم ومختلف سوره.

٤ – ١ – ٤ – **المعرفة بآراء المفسرين التي اختصوا بها**، وتلك التي نقلوها عن غيرهم، وهو ما يسمح بملاحظة الإضافات التي أضافها كل تفسير لهذا العلم، ومن ثم معرفة الكتب الأكثر أصالة وتجديدا في هذا الباب.

٤ – ٢ – استثمار هذه المعرفة في دراسة التراث التفسيري

والتراث التفسيري من أكثر المجالات حاجة إلى الدرس، خصوصا بعد الكشف عن مكنون مخزونه العلمي، وما أحوج هذا التراث اليوم إلى تجاوز الوقوف عند حدود دراسة مناهجه درسا سطحيا، هو الدرس الغالب على اهتمام المتخصصين، والغوص في تحليل مضامينه بأنواع من الدرس: الوصفي التحليلي، والتاريخي والنقدي والمقارن، ومن أهم ما يمكن دراسته بعد تكشيف موضوعات التفسير:

٤ – ٢ – ١ – دراسة مفاهيم القرآن الكريم وموضوعاته، ببيان تعريف المفسرين لها ودراستهم لها، وهو ما يعكس نتائج تفهم المفسرين لهذه المفاهيم والموضوعات وتفاعلهم معها في سياق التفسير.

٤ – ٢ – ٢ – دراسة مفاهيم علوم القرآن وموضوعاته، التي تناولها المفسرون على اختلاف مشاربهم وفي كل الفترات التاريخية، بقصد الكشف عن طبيعة هذه المفاهيم والموضوعات، وما أضافه المفسرون إلى علماء القرآن والأصول، في هذا المجال.

٤-٢-٣- تصحيح الفهوم والأحكام الخاطئة التي علقت بأذهان الباحثين بخصوص بعض كتب التفسير ومناهج أصحابها، إذ الغالب على الدراسات الوصفية لكتب التفسير ومناهجها، أنها لا تتأسس على استقراء تام وقراءة علمية فاحصة لكل التفسير، وهو ما يجعل الحكم عليها غير دقيق.

وأخيرا، فإن من أعلى مقاصد التكشيف: اكتشاف التراث، وكشف الغطاء عن الذات، وإبراز الهوية الحضارية للعلوم الإسلامية، وإزالة الحجب المانعة من معرفة مستوى ما وصل إليه الفكر الإسلامي من تفوق أو ضمور، ومن معرفة القضايا العلمية التي شغلت العلماء في شتى العصور.

الملاحق

ملحق ١

نموذج جذاذة تصنيف الموضوعات

موضوعات علوم القرآن

المبحث	الموضوع	التوثيق	ملاحظات
أسباب النزول	غير فاسد أن تكون الآية نزلت في أمر خاص، والمراد بها العموم	السورة ورقم الآية الجزء والصفحة السطر	(لم يتم التصرف في عبارة المؤلف)
	اختلاف المفسرين في سبب نزول الآية (...)	السورة ورقم الآية الجزء والصفحة السطر	(بتصرف)

ملحق ٢

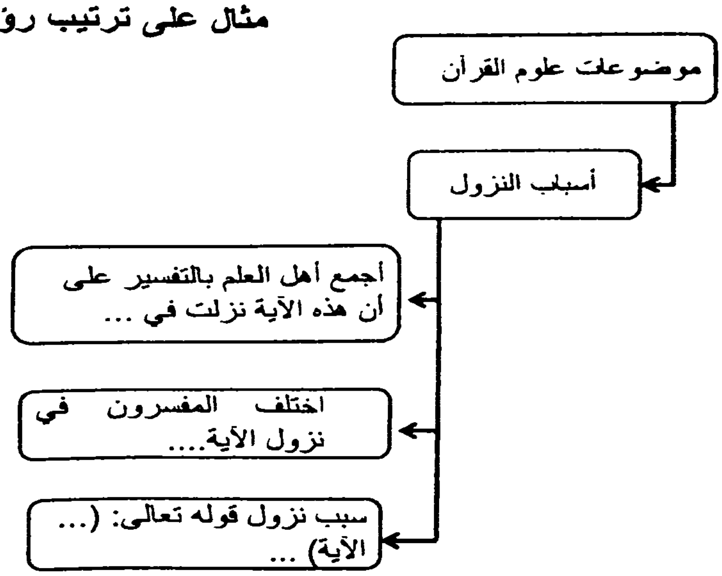
نموذج جذاذة تصنيف الموضوعات

موضوعات علوم القرآن

المبحث	الموضوع	التوثيق	ملاحظات
الناسخ والمنسوخ	غير جائز أن يحكم بحكم قد نزل به القرآن أنه منسوخ إلا بحجة يجب التسليم لها	السورة ورقم الآية الجزء والصفحة السطر	
	الخبر لا يجوز أن يكون فيه نسخ ، وإنما يكون النسخ للأمر والنهي .	السورة ورقم الآية الجزء والصفحة السطر	

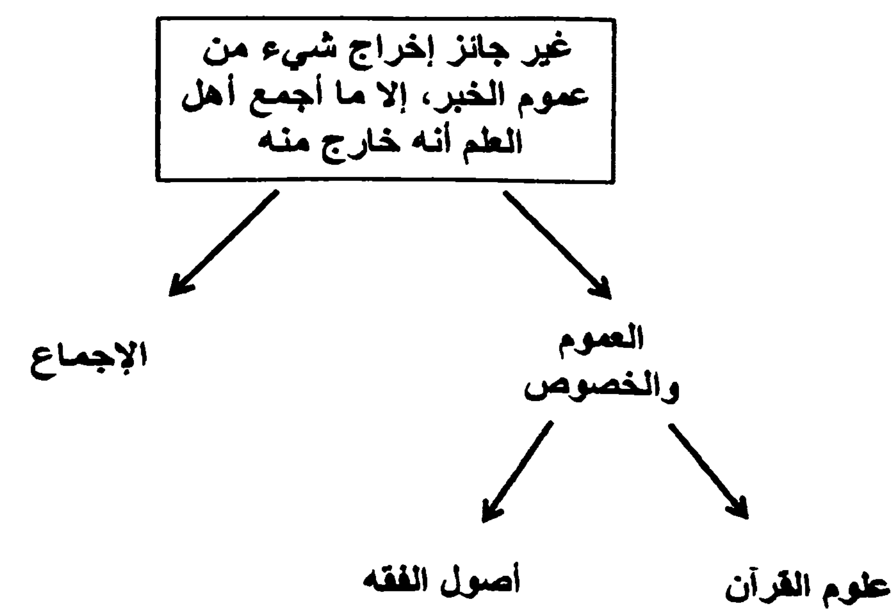
ملحق ٣

مثال على ترتيب رؤوس الموضوعات

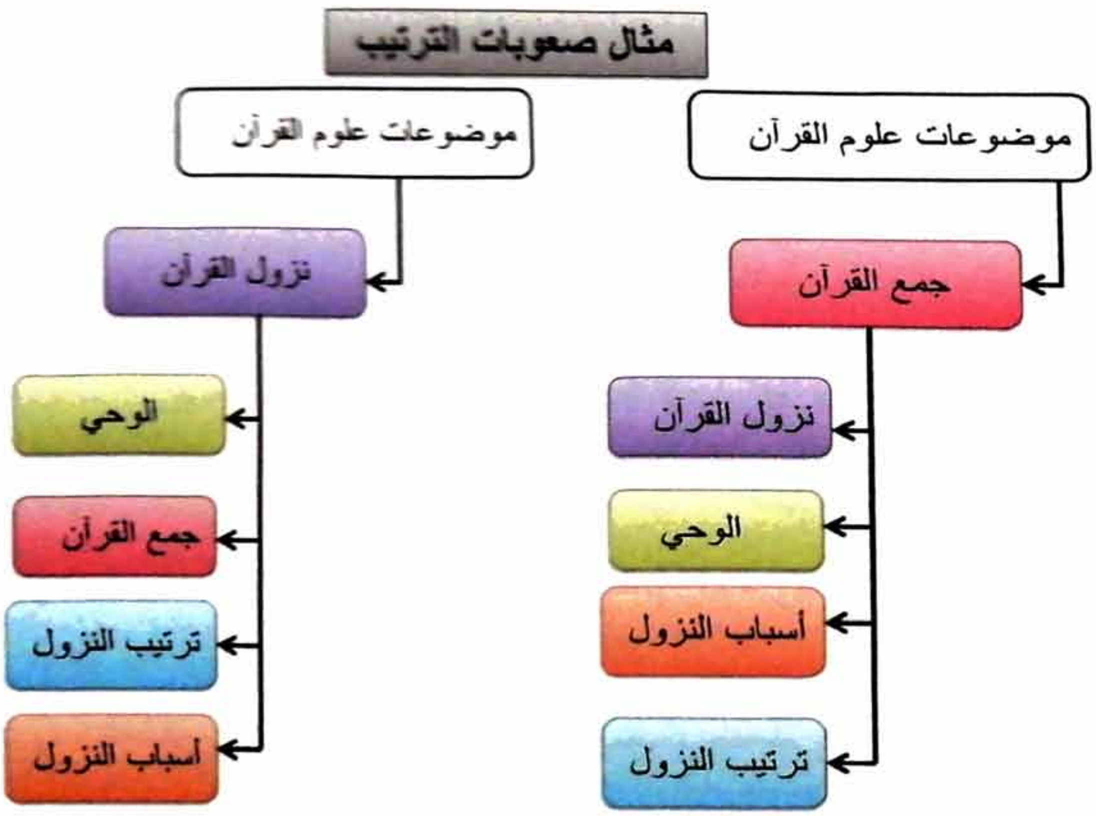


ملحق ٤

مثال عن بعض صعوبات التصنيف



ملحق ٥


مثال صعوبات الترتيب
موضوعات علوم القرآن
جمع القرآن
نزول القرآن
الوحي
أسباب النزول
ترتيب النزول
موضوعات علوم القرآن
نزول القرآن
الوحي
جمع القرآن
ترتيب النزول
أسباب النزول

تَحقيقُ المَتْنِ القُرآني
إلمامات في مرجعيّة التأصيل وسياقات التنزيل

توفيق عبقري[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد نبيّه الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين

فكرة الموضوع ورؤيته

هذه كلمات على سبيل إلمامات أريد بها الإشارة والإثارة لشذرات من تحقيق المتن القرآني ومستتبعاته في متعلقه التأصيلي ومجلاه التنزيلي. أما سؤال التأصيل فينكسر على ملحظين، يبصر الأول منهما انبلاج فجر العني بهذا المتن في بدء نشاءته الفطرية قبل أن يتصير إلى أنساق التقعيد وأشواب الصنعة، ويرتدف الآخر على هدي سابقه لينتظم في صورة بصائر هادية هي في مقام شرط النظر في هذا المتن وانتحاء سمته على مراد التحقيق، بعد أن استقر في أهب التصنيف، وتأثفته أعراف التأليف. وأما المظهر التنزيلي فعرض ناظر إلى بعض صور هذا المتن وقد ناله في مسلك التحقيق ما استوجب بعضه أن يحظى بفضل مراجعة ونوع متابعة تحت عين قديم التأصيل؛ فإنه متى اختل بعض مطالبه ومفرداته فقد اختل من التحقيق بحسب ذلك.

---

(١) أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة القاضي عياض بمراكش

والحفل بسؤل التأصيل في مثل هذا السياق لا يفتقر إلى المناسبة تفصح عن جدواه وعلته؛ فتأمل مسيرة التصرفات العلمية في مساقات التنشؤ وأوليات التولد له اعتبار قيم في تعرف طبيعتها وأصول بنائها، وإذ كانت مصطنعة على الفعل البليغ والسلوك المكتنز والمذاق الفطري، فإن الحاجة قائمة إلى استنطاق دلالتها وتأمل إشارتها، والتمكث في استنباط معانيها خاصة في مسار يحمل عنوان التحقيق الذي يرجع بدلالته إلى معنى المطابقة والموافقة. كما يؤز إلي هذا السؤال طبيعة هذا المتن؛ أن كان يحمل شجنة من الوحي الكريم، ويتضمن بعضا من أبعاضه في تشخص قرءاني أسعف به انفساح العبارة القرءانية في تعاور حرفها على الهيئة الأدائية المتنوعة، ويؤجج التهمم بهذا العنصر التأصيلي باعتبار آخر، أنه لم يقع التجاهر من خلاله بالأصول المنهجية في مضمار تحقيق النص على هدي أوليات التاريخ القرءاني وما حف به من التصرفات المنهجية في تلقيه وكتبه وجمعه وتبليغه، ولم يجر البيان سابغا في هذا المساق التحقيقي على نحو ما تفشى سره عند المحدثين، وشاع به الرجوع فيه إليهم، ولا شك أن لخصوصية الكتاب الكريم في قدسيته ونباوته عن عبث العابثين، واجتنان كثير من تفاصيل كتبه تحت مطاوي الإجمال مدخلا في هذا التخافت، كما أن قيام أصيل الاعتبار في تحمله على السماع والعرض- لطبعه الأدائي- دون كثير اعتداد بمراتب التحمل الأخر ربما ظاهر في ذلك وساعد عليه، ولقد ألمع إلى بعض من ذلك القاضي عياض في إلماعه[1].. ولكن ينبغي أن يعلم أن ما تقلص عنه ثوب البيان اللفظي، قد وسعه العيان العملي الذي سلكه كتبة المصحف وضباط رسومه بحسب ما تأدى إلينا من تاريخه، ومهما يكن لحظ هذه الإلمامات من ذلك الإلماع إلى بعض الأمات المنهجية التي اضطم عليها العهد الأول الإمام، واشتملت عليها وجوه كلاءة الرعيل الأول لهذا الكتاب الكريم، بعد أن نذكر على سبيل الاعتصار والاضطرار المنهجي المراد بـالمتن القرائي وتحقيقه في هذا العرض.

---

(١) الإلماع ص٦.

فالمتن القرائي هو: كل نص يحمل في صورته التأليفية العلم القرائي في مختلف منازعه المعرفية وطرائقه المنهجية بدءا من نشاءة التسطير فيه، وتوسطا بأسفاره العتق الأول، وانتهاء بمدوناته المتعاقبة إلى اليوم.

ومعنى تحقيقه هو: محاولة إعادة نصه الخطي لفظا ومضمونا ـ إلى أصل وضعه وأول سيرته؛ من خلال قفو قواعد منهجية، تقوم على توثيق نسبته ومضمونه، وتسعف في ضبطه وتحريره، وفهم دلالاته وسياقاته كما هي مرادة لمؤلفه. على أنه في غير مناكدة لهذا التعريف المتعارف، قد جرى في هذا العرض اليقين المشبع على أن مؤيدات الاقتراء للنص ومحصلات فهمه في التعليق عليه بشرطه والتقديم بين يديه على حده، هو مما قد لا يتم واجب تحقيقه إلا به؛ إذ هو مفض إلى عزائم مراداته مبين عن قصود عباراته، فضلا عن أنه عنوان أهلية المحقق وشعار دريته، وضمان بلوغ سلامة التحقيق إلى مامنه، وآية تصديق مرتامه وغايته.

بصائر منهجية لتحقيق المتن القرائي في عهد النبوة والخلافة الراشدة [(١)]

التأسيس لمنهج المقابلة والمعارضة[(٢)] تحملا وتحميلا في الأداء والنص

وهو منهج أصيل راسخ أرست دعائمه العرضات النبوية الرمضانية التي نيفت على العشرين[(٣)] سنة، كانت الكلمة التنزيلية خلالها ترتسم سبيل السماع والعرض سبيلا حيا؛ في تحمل حرفها وأداء لفظها في وسم منهجي فذ رائد، تبلس المناهج دون

---

(١) لا بد من تأكيد أن معاقد المشابهة محمولة على صورة التصرف لا مأخذه المرجعي الذي يقف فارق بينا بين الوحي في كماله وعصمته، وغيره مما هو مجعول على معدن القصور ومتأصل الضعف والفتور. كما لا يلزم من التشبيه الاشتراك والمطابقة من كل وجه كما هو معلوم.

(٢) ينظر: الإلماع ص١٥٨ - ١٥٩.

(٣) حديث العرضات النبوية أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرءان، باب كان جبريل يعرض القرءان على النبي ﷺ، فتح الباري ٤٣/٩.

مثالية تحقيقه ومتناهي توثيقه، وهو الوسم الذي احتذت حذوه الأمة على سبيل الاقتداء، لتتخذه في معيار التلقي وميزان الأخذ أعلى المراتب مقاما وأسدها محجة، وأذهبها تناهيا في الاستثبات والسلامة من شائبة الخطأ وأثارة الخلل، ولا شك أن هذه العرضات قد ضمت في وقائعها ومشاهدها تصرفات وأقوالا تنظر إلى ناحية ضبط المقروء، حين تجريه على تمكث الاقتراء، وتخول لفظه على وفق ما يتنزل من متعاور حرفه، وما يجري فيه من وجوه الإبقاء والإلقاء، فضلا عما يتخلل ذلك من مقتضيات التعليم، وأساليب التربية، ومستلزمات البيان...(١)

لم يقتصر هذا التحقيق على ضرب الملاسنة وأسلوب المشافهة، بل امتد لحظه ليبصر ظاهرة الكتب، ويستقر في أدبيات التدوين الأول منهجا أصيلا من أصوله(٢)، ومضاهاة الآثار توقفنا على صور أثيرة من ذلك ومشاهد وضاءة منه.(٣)

وقد جرى هذا التقعيد المنهجي في محيط الصحب والتابعين سنة لاحبة ناهجة، وبدا على توهج في الممارسة حين تنادى صوت جمع تفاريق التنزيل الكريم في عهد الخليفة الصديق، وتداعت له طرائقه المنهجية، فكان أهم منارات السير المنهجي في التوثيق منهج المقابلة بين المتلقى والمكتوب، وتمام الاستيثاق على ذلك بالإشهاد، ليتأكد هذا السمت التحقيقي في الجمع العثماني، بما بوأ المصحف المعتمد مبوأ

---

(١) يمكن مراجعة موضوع المعارضة والمدارسة في مصادر علوم القرءان عامة، وقد خصه الدكتور عبد السلام مقبل المجيدي بدراسة ماتعة في كتابه: تلقي النبي ﷺ **ألفاظ القرءان الكريم** ص١٧٧ وبعدها.

(٢) ينظر **علم التحقيق للمخطوطات العربية** ص٧٤ وبعدها.

(٣) ومن ذلك مثلا ما روي عن زيد بن ثابت أنه قال: «كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ، وكان يشتد نفسه ويعرق عرقا شديدا مثل الجمان، ثم يسرى عنه، فأكتب وهو يملي علي، فما أفرغ حتى يثقل، فإذا فرغت قال: اقرأ، فأقرؤه، فإن كان فيه سقط أقامه». **المعجم الكبير** للطبراني ١٤٢/٥، رقمه: ٤٨٨٨.

الصدارة والإمامة، وجعل بموجب ذلك المرجع الوثيق للأمة[(١)]. وهو ما يعني أن المتن القرائي في صورته التدوينية الأولى قد صنع على عين هذا المنهج التوثيقي الفريد، ليجري عند القراء الأول على سنن الأخذ ومنهاج التحصيل، كما تلقفه أهل الحديث وصار لديهم شعارا علميا في إذاعة الكلمة النبوية وضبط مخرجها، تباسقت فروعه ليستظل تحتها مختلف العلوم الإسلامية، وإن على تفاوت في الدقة والتحرير.

العرضة الأخيرة: عنوان الاستتباب وشعار الاستيثاق[(٢)]

إذا كان العرض النبوي قد جرى مسانهة[(٣)] على سبيل التمادي طيلة الحياة النبوية الشريفة، فقد توج قبل الوفاة النبوية بعرض خاتم، إليه صير في الاحتكام، وعليه كان الاعتماد في استتباب قرءانية المقروء، وصيرورته إلى مستقر صورته ومحكم كلمته؛ بعد أن انتابه نسخ وإلقاء.. ولذلك لم يضمن المصحف الإمام إلا آخر العرض، واطرح ما سواه مما أصبح ينعت بالشذوذ عن رسمه، والخروج عن نصه[(٤)]. وهو ما يعطي في دلالة الأمر لا مأخذه أنه إذا تعددت نسخ النص، وصحت عن مؤلفه صور منه؛ باعتبار ما كان يأتي عليه فيه بالتعديل ويجري عليه من قلم التنقيح، فإن أسعد هذه الإخراجات أو الإبرازات[(٥)] بالاعتماد، وأحقها بالأخذ هي الصورة الأخيرة، ومتى ظهر وجه ما في الإفادة من سالف الإخراج طلب بشرطه، تماما كما أن ما لم يثبت في المصحف على وفق آخر العرض، فإنما تم

---

(١) تراجع أخبار الجمع القرءاني في: المصاحف لأبي بكر السجستاني: ١٦٥/١ وبعدها، المرشد الوجيز ص٤٨، ومصادر علوم القرءان، كبرهان الزركشي ٢٣٣/١ (النوع الثالث عشر) وإتقان السيوطي ١٨١/١ (النوع الثامن عشر) وغيرهما. ويستظهر بكتب تاريخ القرءان المعاصرة.

(٢) ينظر فتح الباري ٤٤/٩.

(٣) أي سنويا، والعبارة لأبي الفضل الرازي في معاني الأحرف السبعة ص٤٥٨.

(٤) ينظر المرشد الوجيز ص٧١.

(٥) الإبرازة: المرة التي يظهر أو يبرز فيها الكتاب. مصطلحات الكتاب العربي المخطوط ص١٤.

اطراحه على جهة التعبد؛ ألا يقرأ في المحاريب، ولا يكتب في المصاحف، ولا يضاف إلى القرءان، ولكنه لم يعدم التداول على جهة المذاكرة والإفادة منه في بابات الاستنباط الفقهي ومنازع التأويل ومدارك اللغة.[١]

المصحف الكريم: ملحظ التأليف والترتيب، وتفصيل الآي، وتسوير السور

معلوم أن تنزلات آي الكتاب جرت على تنجيم وتوزيع[٢]، فكانت على التخميس والتعشير، أو أكثر أو أقل[٣]، ومعلوم أيضا أن ترتيب الترتيل -وقد جرى على غير تأليف التنزيل؛ تفصيلا لآيه وتسويرا لسوره- كان بوحي رباني وتوجيه نبوي، وقد حصل للقرءان الكريم بمقتضى ذلك نبل ونخامة وحسن؛ أن يمثل على هذا التصنيف الفاصل والتمييز الواضح لأنواع خطابه الشريف ربأ به عن أن يكون بَيَّاناً واحدا[٤]، وكلاما متصلا جميعا.. وصح المأثور بتقسيم رباعي للقرءان إلى طول ومئين ومثاني ومفصل[٥]، واعتبر بعض الأئمة من السلف أن في القرءان ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس ودبابيج ورياض[٦]. وتداول الصحابة التحزيب النبوي في أورادهم وتلاواتهم[٧]، وجزأ الأوائل القرءان أسباعا وأجزاء وعشورا وأخماسا[٨]. وجمع المصحف البكري ولم يؤثر في خلاله تلعثم في ترتيب آيه وسوره،

---

(١) ينظر: معاني الأحرف السبعة للرازي ص٤٦٤، ورسالة في حكم القراءة بالقراءات الشواذ ليوسف أفندي زاده ص٩٠-٩١.

(٢) يستحث النظر في كتاب التنزيل وترتيبه لأبي القاسم النيسابوري، ومبحث نزول القرآن في كتب علوم القرآن.

(٣) أي خمس آيات وعشر آيات بحسب الحاجة. ينظر الكامل للهذلي ٣٢٩/١، والإتقان ١٣٧/١.

(٤) بموحدتين ثانيتهما مشددة ونون أي شيئا واحدا بلا فصل ولا تمييز. ينظر حاشية السيد الجرجاني على الكشاف ٢٤٠/١. وفتوح الغيب ٣١٧/٢ والمقدمة الثامنة للتحرير والتنوير ٨٦/١.

(٥) ينظر المعجم الكبير للطبراني ٢٥٨/٨، رقم ٨٠٠٣.

(٦) جمال القراء ٣٥/١.

(٧) نفسه ص١٢٤.

(٨) ينظر البيان لأبي عمرو الداني ص٣٩، والكامل للهذلي ٣١٤/١.

ونظر نجباء الصحابة في عهد الخليفة الراشد سيدنا عثمان إلى حروف من القراءة وسعتها الرواية وضاقت بها النسخة الواحدة، فوزعوها على النسخ المتعددة، درءا للتخليط والإلباس ودفعا لتغيير المرسوم[١]، وفي هذا الذي ذكر وغيره إشارات لا تخفى إلى هذا الذي ينبغي أن يقتفى في متن هذا العلم القرائي من جعله على الأبوبة، وتفصيله على الفصول، وترتيب نصوصه، وتنضيد فقره، وتجزئته على مقتضى مضمونه ومودعه، فضلا عما يحمله من الدلالة على الحس الحي النابض، بصيانة النص عن أن يشوبه ما يجنح به إلى غير استقامة، ويسلمه إلى سوء فهم.

وإذا كان تفقير كل نص بحسبه، فإن المتن القرائي ذو بناء متماسك قائم على منطق منهجي راشد، وقد انتهى في مستتب التصنيف ومستقر التأليف إلى أن يمثل على هيئة فلقين كبيرين: أصول وفرش حروف، والأصول في عرفه: أبوبة معنونة مبينة، والحروف في اصطلاحه: مفردات عينية مسورة، ومن الجميل في هذا السياق التحقيقي جعل المفادات الفرشية المنتسبة إلى سورها في صورة فقر مسلسلة وترقيمها، فذلك مما يجعلها على وجه المناسبة مع مادتها، وعلى تمام أخذها على البينة في أمرها: تعيينا وتعدادا، ويسهل لحظ ما غاب منها على سبيل السهو والغلط..[٢] وأما الأصول فالهدي المنهجي في ترتيب مضامينها مرسوم في استقلال موضوعاتها بعناوينها المألوفة عند القراء، على أن جعلها على فقر تستقل بإبداء متعلقات موضوعاتها الثانوية مما ينبغي أن يجد له لدى السلاك فسحة في التقبل ومحلا في الاختيار[٣]..

---

(١) ينظر المقنع ص٦٠٥.

(٢) ينظر مثل هذا الصنيع في: غاية الاختصار بتحقيق د. أشرف طلعت.

(٣) ففي باب المد مثلا يستقل الحديث عن كل واحد من موجباته، وأنواعه وكل فرد من أقسامه، وتعلق بعض أنواعه ببعض القراء...

المصحف وتراجم سوره: أصول التسمية ودلالة العنوان

ليس يعدو الصدق من قال: «إن القرءان الكريم هو أول كتاب مخطوط في تاريخ الإسلام، وأول متن عربي اتخذ شكل كتاب.. وأنه بتسميته المصحف ظهر أول عنوان لكتاب في الثقافة الإسلامية العربية»(١).

واعتبرت سورة الفاتحة عنوان الكتاب الكريم، تفيئ إليه أوزاع موضوعاته وأغراضه، والقارئ لكتب علوم القرءان ومقدمات بعض التفاسير تستوقفه فصول في عناوين السور وألقابها، ووجه دلالتها على مضامينها، وهل هي على التوقيف أو التوفيق، وأن قد وجد منها ما جرى على تعدد أسماء يرجع لوصفها أو لشيء اختصت به أو لغير ذلك(٢). وذلك وأمثاله مما يصلح أن يتخذ مادة أولى في هذا الذي ابتغي بعد من سنة عنونة الكتب، وتوشيح صدورها بالتراجم ذات الحلية الدالة على مضمونها، أو بشيء لافت فيها مما قد يدعو صاحبها إلى تعديد عنوانها وتنويع ألقابها... وتلك إشارات لا تخلو من دلالة على تنشؤ العنوان في مفهومه القديم وتولد جرثومته الأولى، قبل أن يمتد أمره ويتطاول أمده إلى أن يكون من مفردات المنهج المألوف في تحقيق التراث القرائي وغيره.

---

(١) العنوان: حقيقته وتحقيقه ص٦٧، مع العلم أن مصطلح المصحف مر بمراحل تاريخية قبل أن تستقر دلالته على المصحف العثماني. ينظر المصاحف المنسوبة للصحابة ص١٩ وبعدها، والمتحف في أحكام المصحف ص١١٢ وبعدها.

(٢) ينظر مثلا: جمال القراء ٢٣/١، والإتقان: النوع السابع عشر: ١٥٩/١، والمقدمة الثامنة من التحرير والتنوير ٨٤/١، وأسماء سور القرءان الكريم للدكتور محمد الشايع ص٦ – ٢٤.

المصحف الإمام: دلالة المرجعية وأصالة الاعتماد

وتشمل هذه التسمية المصحف الخاص الذي كان في حيازة سيدنا عثمان[١]، والمصحف العام الذي بعث للأمصار[٢].

وقد اشترط الأئمة في قبول القراءة الصحيحة موافقتها لجنس المصحف، وهو مجموع مصاحف كل مصر، باعتبار أن فوارق نسخه معتبرة، ووجوه اختلافها مشروعة[٣]، ومن ثم تقرر الائتمام بهذا المصحف وأترابه، ووجدت روايات مباشرة عن المصحف الإمام وعن مصحف كل مصر، وانتسخت منه مصاحف فروع كانت معتمد من ألف في رسم المصاحف، كما تأيد توثيق هذا المصحف الإمام بالمشافهة الضابطة التي ضمنتها الأسانيد الموصولة المعتبرة إلى يوم الناس هذا... وهو أعلى ما يوجد من السماع وأدق ما يتصور في سلامته وسداده ووجاهته.. وإنما أخلص من ذلك إلى ما يرمز إليه هذا الاسم من معنى لائح في سياق ما يلهج به أهل التحقيق من أن النسخة المؤهلة للاعتماد في ميدان التحقيق على الوجه الأكمل هي التي تحظى بالنسب الأصيل والسبب الوثيق إلى صاحبها مع تمام نصها، فهذه هي التي تقدم أصدق صورة للنص في صوغه ومضمونه، ويسمونها النسخة الأم[٤].

---

(١) وهو ما صدر به الداني **مقنعه** ص١٣١، وسمى غيره نسخا انتسخت منه.

(٢) وذلك ما قرره المهدوي حين وصف المصاحف العثمانية بالأئمة في طالعة **هجاء مصاحف الأمصار** ص٣٤، واعتبر الملا علي قاري المصحف الإمام جنسا شاملا للخاص والعام. **المنح الفكرية** ص٢٨٤ - ٢٨٥.

(٣) ينظر **النشر** ٢/٤٠ وبعدها.

(٤) ينظر **الإلماع** ص١٨٩.

المصحف العثماني: دلالات الاحتمال والاشتمال بين الإعجام والإهمال (ضبط النص وترقيم فقره)

إذا كان التجريد المصحفي ينطوي على استثمار ذكي لطاقة اللغة المكتوبة، وفطانة في التوسل بإمكاناتها إلى تبسط اللفظ وشمول الدلالة، والرفق في القراءة باختلاف الضبط من أجل استيفاء متقلبات اللفظ الأدائية، فإن دلالة الإعجام المصحفي غانية عن التسطير، منهجا وغاية؛ حين أز على التفكير فيه، وتعمل التدبير في أوضاعه الرغبة العارمة في الذود عن حمى القراءة القرءانية، بعد أن بدا بعض ما يخل بسلامة نطقها، وبدأ ما يشعر بتسرب اللحن في نصها(١)، ويهمنا من ذلك هذا التهمم البالغ في صون النص عن أن يناله لحن الجاهلين، وجعله على مبتغى التيسير؛ في غير ما إخلال بقدسية النص المكتوب وجلالته.. وقد دخل في جملة اهتمام الرعيل الأول عد رؤوس الآي وتعيين مقاطع الفواصل، باعتبارها مثاوي التمام ومستروح فائدة الكلام(٢)... ومن دلالات ذلك في بابات التحقيق ما يؤخذ من قدم الترميز وأصالته في مساقات الكتب، وهو ما كان بعد على سبيل الشيوع في مواضعات أهل التحديث والرواية، ليأخذ حظه الوافي في مختلف أساليب التدوين وطرائق التصنيف(٣). كما لا تعرى دلالة هذا التصرف القديم في جعل النص على فواصل يستقيم بها معنى الكلام وينتظم بها أداؤه، على تخلق لعلم أثير نعت في قديم

---

(١) ينظر في تاريخ المصحف وشؤون كتابته الكتاب الماتع المفيد رسم المصحف دراسة لغوية وتاريخية لفضيلة الدكتور غانم قدوري الحمد، ويراجع مقال: النقط والحرف العربي، للدكتور ناصر الدين الأسد، ضمن تحقيقات في اللغة والأدب ص٣٠٤. ودلالة درء التصحيف عن حمى الكتاب حمالة لحساسية المتن القرآني المفرطة من هذا الداء الوبيل في مدوناته وتحقيقات أسفاره.

(٢) ينظر: البيان لأبي عمرو الداني ص٢١ وبعدها، وحسن المدد للجعبري ص٢٠٨.

(٣) ومن أقدم من استعمل الترميز في التأليف القرآني ابن خالويه في بديعه ص٣٣.

الأثر بأنه: أدب القرءان[١]، ووصف الوصف الحقيق فكان نظام الأداء[٢]، ومثلت مباحثه وأبوابه بعد في متواتر التأليف في كتب الوقف والابتداء، ليلابس سواد المصحف في صورة رموز مفهمة دالة على مراتب الوقف ومنازل المقاطع[٣]، وهو ما يؤسس للمتن القرائي أن يجري تأليفه على نظام، ويكون على الحلية بما يحقق لأدائه التمام والانسجام.. وهو ما يوازى -على استئثاره بدقة التقسيم وشفوف التمييز- بما استقر في لاحق الزمن بعلامات الترقيم المعروفة[٤].

ثم كانت تحلية المصحف بطائفة من البيانات لم يروا بها بأسا، ليس إلا أن تماز عن أصيل النص، فكانت الاستعانة بالتلوين المغاير لسواد المصحف؛ دفعا لموهم الانتماء وملبس الاعتزاء؛ فوضعت علامات رؤوس الآي، ووضعت علامات الأعشار والأخماس وفواتح السور، على ما يحقق هذا المقصد.. وهو ما يعطي مشروعية أن يحمل المتن القرائي المحقق ما ليس من أصيل مادته، طالما كان إثباته مرفقا بعلامات تدل على هذا الذي أقحم في المتن على سبيل الإيضاح والتبيين من مثل: كتب عناوين فرعية تختصر مضمن بعض فصوله، وإثبات اسم السورة - ما لم تكن أصالة - ورقم عدد آيها.. وما إلى ذلك، وإيقاعه بين معقوفين دلالة على ذلك.

خلائق المحقق وعنوان أهليته

لقد تركها الخليفة الصديق كلمة باقية صادقة، وأرسلها في الخالفين عنوانا جامعا لمن يتولى النظر في الشأن القرائي على سبيل التحقيق والتدقيق، حين قال لزيد بن ثابت: «إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي

---

(١) الكامل ٤٧٤/١.

(٢) هو عنوان كتاب ابن الطحان السماتي، في الوقف والابتداء، طبع بعناية د. علي حسين البواب.

(٣) ينظر وقوف القرآن وأثرها في التفسير ص٢٤٩.

(٤) يمكن الرجوع إلى الترقيم وعلاماته في اللغة العربية لأحمد زكي باشا.

لرسول الله ﷺ،[١] لجمع له أربع صفات مقتضية خصوصيته بذلك - لم تجتمع في غيره - كانت هي المؤهلة له في اجتماعها له واشتماله عليها على هذا المشروع التحقيقي الإمام[٢].

فالشباب مظنة الحيوية والنشاط، ومعقل القوة والمنة، ومحل العطاء والبذل، وكان زيد مفعما بذلك كله، لكن مع عقل ضابط متزن يضع الأمور في نصابها، وفطانة تكبح جماحها أن تجري إلى غير سبيل، وكياسة تقرأ في مقدمات الأشياء مآلات أدبارها ومنقلبات أعقابها... وهو بعض ما أفاده وصفه بأنه: «شاب عاقل».

وانتفاء التهمة الباعث على الاطمئنان: ملاكه الاشتمال السابغ على معاقد العدالة وخلائق الديانة ومجامع الفضل والخيرية؛ ولا شك أن الذي يأتي في طليعة هذه العناوين المباركة في مباشرة معارف التنزيل هو: «الإيمان بمودعه، فمحاسنه لا يثقفها إلا البصائر الجلية، وأطايب ثمره لا يقطفها إلا الأيدي الزكية..وذكرت أن الملائكة الحاملة للبركات لا تدخل بيتا فيه صورة أو كلب، كذلك لا تدخل السكينات الجالبة للبينات قلبا فيه كبر وحرص..»[٣] فكيف بمن يباشر صحائف هذا العلم الشريف بالتحقيق، وهو منها على صراح الكفر وبواح الإلحاد! عريا عن طهر العدالة، مستخفيا من عين الأمانة في حمل النص وتأديته، لا شك أن مثله لن يخلص من عمله -إن هو تعمل فيه الإتقان- إلا إلى إجراء ظاهري يقصر عن التفاعل مع روح القرءان ونداوة حياته.

---

(١) كتاب فضائل القرءان من صحيح البخاري باب جمع القرءان رقم الحديث ٤٩٨٦. (فتح الباري ١٠/٩)

(٢) فتح الباري ١٣/٩.

(٣) مفردات الراغب ص٥٤.

هذا ولا بد مع ما ذكر الرسوخ الكافي والخلاق الوافي من التحقق بالصنعة المباشَرة والعمل المأتي؛ تحققا يتصير بتكرر الإدمان وموفور الإثخان ملكة راسخة وجبلة غائرة، تسم العمل بسيماء الصدق، وتنزهه عن وعثاء الخلل ومكاره الزلل، وهو ما وقع بعض مدلوله تحت وجز الكلمة الصديقية الجامع: «وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ». فزيد إمام في الرسم، ولكثرة تعاطيه لكتابة الوحي أطلق عليه الكاتب بلام العهد[1] ومعنى ذلك أنه كان الأخبر في مجال أدبيات الكتب وشرائط التدوين خاصة، مع التمكن البالغ من معارف التنزيل المأثورة، وما يحتف بنصه من القرائن الداخلية والدوال الخارجية، مع الذكاء البالغ والألمعية الظاهرة.. ولن ينآى بنا الأمر لو أريد تنزيل هذا الوسم على مريد متن هذا العلم بالتحقيق والتحرير؛ أن لن يأوي من تعاطيه إلى ركن شديد، ولن يؤتى عمله الحظة في أن يكون على نحو سديد ما لم يتخلق على هذا الخلق، ويتسنم ذروة الأهلية والمكنة فيما هو بسبيله، وأن يشرع من مناهل الدرية وموارد الفقاهة ما يحقق له الخبرة الفسيحة بالنص القرائي المعتنى به من جوانبه التاريخية وظروفه التأليفية وأمهاته العلمية، مع الدقة البالغة في لقن الفن القرائي في أصوله وفروعه، ومسائله ومهماته، والاطلاع على مشكلاته ومعتاص قضاياه، فضلا عن التمرس بمصطلحاته ومفاهيمه، والأنسة بأحوال أعلامه وتراجم رجالاته، ومعرفة حدوده ومجالات امتداداته، وما إلى ذلك من فروع ومطالب يطلبها هذا العلم في مسالكه وحيثياته.

وليس يخلو سياق حديث الجمع البكري من فقر درر تؤسس لدستور قائم يهتدي ببنوده من كان من هذا العمل التحقيقي بسبيل، ومما يتأتى أن يكون منه بمحجة الاهتداء وقبلة الاقتداء عبارات من مثل قول زيد ﷺ: «فوالله لو كلفوني

---

(١) ينظر فتح الباري ٢٢/٩.

نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرءان»: وهو كلام يجأر باستشعار عظام المسؤولية في جمع القول الثقيل، ويقدرها قدرها، وهو ما يستحث التفكير لحسن التدبير في القيام بهذا العمل الجليل، وإعداد العدة له على وجه يضمن له السداد والإحسان، وهو حس ينبغي أن ينبض به كل من أراد هذا المتن القرائي على طريق التحقيق والنظر.

وقوله: «فتتبعت القرءان أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال» مفيد لاستفراغ نهاية الوسع واستنفاذ غاية البذل في تتبع «متفقه ومختلفه من مظانه المتنوعة».(١) وليس يخلو هذا القول من دلالة صريحة - بعد هذا الذي تحدثنا عنه من الاقتدار الذاتي - على هذا الذي يتحدث عنه في مضمار التحقيق من ضرورة التتبع الميداني الخبير المستقري لمظان المخطوط وموارده، هذا التتبع الذي لا يغادر موئلا عليما إلا ساءله، ولا داريا خبيرا بهذا الشأن إلا شافهه، ولا فهرسا جامعا إلا قرأه، ولا مكتبة خاصة أو عامة إلا ابتغى الوسيلة إليها، وجعلها تحت طائلة الطلب والابتحاث.

ثم هذا التدبير الانتقائي بين المكتوبات، الذي يتحصل من ورائه الإبقاء على ما قطع على مغيبه، وتيقنت موافقته للشرط، وإلقاء ما لم يشتمل عليه وازور عن سبيله، هو تدبير هاد لمحقق العلم القرائي أن يكون له في اختياره شرط يضمن لعمله السداد والإصابة في مجال اختيار النسخ، ودرسها على الوفاء، وترتيبها مراتبها: أصلا وتفرعا، على معيار سلامة التحصيل من عوارض المجازفة، واستبانة دلائل صحة الانتساب إلى الناقل الأول...(٢)

---

(١) جميلة أرباب المراصد ص٢٠٩.

(٢) ينظر علم التحقيق للمخطوطات العربية ص١٨٢، وبعدها.

وتلك نبذ أثيرة من التاريخ الأول، تحتجن عظيم الدلالات على أمهات مآخذ التحقيق، وتضطم أحداثها على ملاك ضرائب التوثيق، لم يتمحض القصد إلى استيفاء عناصرها واقتصاص جزئياتها، وإنما هي إلمامات تلمع إلى ما وراءها، وتستحث الباحث على تطلب فواتها. غير أنه لا مذهب لنا قبل الانفصال عن هذا السياق دون الإشارة المجملة الأخيرة إلى هذا المشهد البديع من مشاهد التحقيق الجماعي الباهر الذي التأم فيه شمل الصحب الكريم، وهم يزاولون الجمع القرءاني، ويتدبرون أمر إيداعه في المصحف في العهدين البكري والعثماني، في تناسق واتساق، وتعاون وتفاهم، وضبط وانتظام، حتى استتم لهم من ذلك غاية القصد وحسن المرام... وتلك نواة أُولى هي أولى ما اتخذ قبلة ونبراسا يستهدى به في عمل المؤسسات والمراكز والمجمعات اليوم، الذي لا شك أنه سيرتد بعد حسن الاستهداء بمراشده والاستبصار بمشارب منقبته، بصيرا بجادة أمره ومحققا للغاية المعرفية من ورائه..

كليات هادية في سبيل اقتراء مثيل للمتن القرائي

وهذا ذرو من القول في بعض تصاريف التدبير في المتن القرائي وقد أخذته أهب الصنعة، وتقلب في أطوار التأليف وتعاقب التصنيف، يحمل من طبيعة الدرس القرائي وكلياته ومواجه ومتعلقه ما يحسن أن يكون منه محققه على تعقل واستحضار، لينطاع له تحقيق متنه على بينة واستبصار، وهو ما يمكن أن يساق على متن جوامع هذه الفقر:

١ – المتن القرائي أمشاج من المعارف المتداخلة المتلاحمة، يصعب أن يتفصى بعضها عن بعض؛[1] فهو رواية ودراية وأداء ولغات ورسوم، ومعنى **الرواية**: أنها تستند إلى الإسناد، ووصفها **بالدراية** يحمل معنى فقه مقارئها وفهم

---

(١) ينظر: الضوابط والإشارات للبقاعي ص٢١.

معانيها وعللها، وكونها أداء يعني أن موضوعها الهيئة الأدائية التي يضفو ثوبها لقواعد الوفاق ومتقلبات الخلاف، ويعنو أمرها لنظام، هو مقاطع الأداء ومبادئه وفواصله، يؤويها إلى قرار الفسر القيم، وهي باعتبارها لغات يفيد أنها تحتجن أصول الخطاب اللغوي وتفاريعه ومنازعه، ثم هي لا تقتصر على هذا المستوى الشفهي حتى تجد لها الصورة المناسبة في مضمار الكتب والرسم... وتلك مآخذ كل واحد منها يغترق علوما بحالها. ولن تنفتح للمحقق خزائن هذا العلم ما لم يحكم هذه المداخل، ويمتطيها على مراد التذليل لمسالكها والتدميث لشؤونها.

٢- الخبرة الكافية بتاريخ التصنيف القرائي ومذاهبه ومناهجه، وسير أهله وأربابه، فذلك لا شك ظهير للمحقق، وضامن لعمله السداد في التصرف، والسلوك القويم في التعامل مع مصادر التراث القرائي.. ويستثيرني في هذا المقام أن أقول: إنه لا بد أن يحصل للمحقق التمييز الواعي بين المتن المؤسس الرائد وغيره من عاقب التأليف؛ ذلك أن الأوضاع التأليفية الأول بحكم قدمتها وتعلقها بأزمان ذاهبة في المضي لائذة بالمعلومة إلى اكتناز صوغ وجماع عبارة، ثم هي مثخنة بكليات التأصيل، مشبعة بالنظر الوافر والمعنى الجزيل، قد ضمت إليها جلائل المعرفة القرائية على انتحاء سمت الأوائل، وهي بعد غضة طرية، حديثة عهد بالطبع الفطري للعلوم، فإرادتها بعد ذلك لأن تفصل على قد تصورات لاحقة، وأن يجرى بها في مدّخلات فرعية وتصرفات بعدية آبت إليها شروح الخالفين، أو أن تحاكم تراجمها لاصطلاحات حادثة إثرها، وتقعيدات مصوغة في أعقابها إخراج لها عن سنتها، وتكلف في تأديتها، وتعسف في سوقها على غير أصيل سياقها، وقصود أصحابها.

٣- اعتبار النص القرائي -مع سميه التلقي المشافه- طريقا معتبرا من طرق التحمل، يحمل من خلاله المؤدى على سبيل الأخذ؛ إذ هو أحد اللسانين الذي بث من خلاله الخبر القرائي، غير أن هذا في بابة التحقيق ينبغي أن يحمل على فضل تمييز

وتفصيل.. فالتحمل القرائي نوعان: تحمل على سبيل التعبد والتلاوة، وآخر على حد التحديث والإخبار والمذاكرة والابتحاث، وفرق العرف القرائي المستقر بين ما هو على حد الرواية وما سيق على جهة الحكاية[١]، كما جعلت المدونات القرائية باعتبار الرواية على ضربين: ضرب هو على شرط الصحة وأشهرية المقروء، وآخر حشد فيه المروي دونما اشتراط صحة أو اشتهار[٢]... فعلى المحقق أن يلتفت إلى هذا المطلب بما ينبغي، وأن يضع النصوص على هذا المحك، فلا يسعى إلى تخطئة المؤلف والمسارعة إلى الاعتراض عليه لمجرد ذكره لوجه قرائي غير مألوف لديه، وأن لا يتهمم بالحكم على المقروء بقدر ما ينبغي أن يكون أمينا في العرض والوصف، ذاكرا لشرط المؤلف، معتبرا سياقه التأليفي وزمنه التاريخي؛ وإنما يؤتى أغلب من يباشر المتن القرائي من تأثرهم بالجانب التعليمي، وطغيان تصوره في الحكم على المضمون القرائي فيما يتولونه من أعمال تحقيقية[٣]، وهو ما ينبغي أن يتعالى عنه منطق التحقيق النضيج في اقتفاء المادة العلمية واستيفاء الفائدة المعرفية في مختلف متعلقها، والتزام الرشد المنهجي في النقد العلمي.

٤ – وحتى تؤتى بيوت المتن القرائي من أبوابها لا بد للمحقق من التنبه لمخرج الاصطلاح ودلالة التراجم في هذا الفن:

فالوقف والسكت والقطع ألفاظ جارية عند مستقدمي المؤلفين على الترادف، بيد أن بينها فروقا مرسومة وحدودا معلومة عند المستأخرين، يلزم المحقق

---

(١) ينظر النشر ١٣٠٤/٤، ومع إقرار بعض المحققين بأن هذا العرف مستعمل في كتب القراءات يورده في باب المآخذ على المؤلف. ينظر تبصرة أبي الحسن الخياط ص٧٩.

(٢) منجد المقرئين ص٨٧–٨٩.

(٣) ومن أمثلته حمل معنى مد ألف الإدخال عند ابن شريح على الطيبي، على خلاف مذهبه. ينظر رسالتان في قراءة الإمام نافع ص١٠٨، هامش ٣.

استبانة معانيها بحسب مواردها في الكتب[١]، ثم إن لقدامى المؤلفين عبارات وتراجم آلت إلى أفول عند من تلاهم من الخالفين، فلا مناص من تطلب معانيها في مظانها، قصد إصابة معانيها وتنزيلها على حقيق مراداتها[٢]. فضلا عن أن للمصطلح الواحد مدلولات مختلفة داخل هذا الفن، والمحقق من يملك التفرقة بين الاستعمالات بحسب الأسيقة والقرائن، وربما صدر الأمر منهم على تدابر دلالة في إطلاق المصطلح الواحد على حكمين متضاربين، كما هو الشأن في مصطلح الإرسال[٣] مثلا، ولقد فسر مصطلح «الإمالة إشماما» في نص من نصوص التذكرة لابن غلبون على أنه التقليل، وهو إنما يقع معناه على الإمالة المحضة[٤]. واعتبر بعض المحققين إطلاق بعض قدامى المؤلفين الكسر على الإمالة، والتفخيم على الفتح، والقراءة على الرواية، والعكس مزورا عن إصابة الدقة الاصطلاحية، وأدرج ذلك ضمن الملاحظات على المؤلف التي لو خلا منها كتابه لكان أبين إيضاحا[٥]. وذلك ركوب للشطط، وحيدة عن صواب التدبير، وهو من الإغارة على الكتب السوالف وإلزامها بالتدقيق في مصطلحات لم يناد بعد داعي الاقتضاء بالفصل بين مخارجها، وإنما وقع التواضع على حدود دلالات تلك المصطلحات في مآلات التأليف في فنها؛ فلا بد أن يحمل الأمر في مثل هذا على الاتساع في التعارف والمواضعة.

واعتبارا بما يزخر به المتن القرائي من وفرة مصطلحاته، وتداخل دلالاتها، واختلاف معانيها بحسب أزمانها، فإن من الفائدة النافعة والمطلب المستحمد أن

---

(١) ينظر النشر ٦١٢/٣.

(٢) ينظر المصطلح القرائي في تصانيف الإمام أبي عمرو الداني ص٣٦ وبعدها.

(٣) ينظر مقدمة في أصول القراءات لابن الطحان ص٤٢.

(٤) التذكرة ١٩٨/١ وينظر: المصطلح القرائي ص٣١٥.

(٥) تبصرة ابن فارس ص٨٢، ومثله في هذا الصنيع ما فعله محقق رواية أبي عمرو لابن الأبزازي ص٢٧.

لا يغفل المحقق في غمرة خدمته لهذا المتن ـ خاصة في مصادره العتق ومراجعه الأمهات ـ تقصد مصطلحاته بالتكشيف، بعد وقوفه منها على حقيقة التوصيف في بعض مباحث التقديم، وأن يخصص لها فهرسا فنيا، يقع به الإسعاف، حين تتكامل أجزاؤه وتتضام أطرافه في السعي القاصد نحو معجم تاريخي للمصطلح القرائي، يتيح للقارئين تبين مفاهيم هذا المصطلح ورصد تطوره الدلالي عبر تاريخه المتطاول.

٥ – ينصح المحقق لكتب الخلاف أن يكون على الخبرة الكافية والاطلاع العليم على كبريات القضايا وعظائم المسائل، التي هي منه محل إثارة ومطمع إغارة، وموضع مفاتشة ومناقشة، مثل: قضية تواتر النقل القرائي، ومواقف قدامى العلماء ـ كالطبري مثلا ـ من بعض القراءات المعتبرة اليوم، وحكم المفاضلة بين القراءات عند أهل الأداء، والقياس القرائي في مفهومه وضوابطه ومجالاته، وضرورة التمييز بين صلب هذا العلم وملحه، وأصيله ودعيه، ووسائله ومقاصده، وأن يحسن توظيف هذه المعرفة في اتزان ودونما تحكم في النص أو إلزام؛ ذلك أن الخلفية العلمية التي تكون للمحقق في مثل هذه الموضوعات هي لا شك ذات تأثير بالسلب أو الإيجاب على طريقة تعامله مع الكتاب المحقق الذي قد ينبث بعض هذه الموضوعات في خلاله عرَضا، أو يحفل به على سبيل المدارسة غرضا، فلا يلبث أن يظهر ذلك في غضون تعليقه، أو سياق تقدمته، ويكون النص برمته واقعا تحت تأثير أنفاس معتقداته وتوجهات أفكاره في الموضوع..فاحترام النص في مثل هذا واجب، وإبداء ما ينبغي من العلم السائغ الذي يفيد في سياق النص مستحمد بشرطه..

وبناء على ذلك لا يذهب بمسائل هذا العلم مذهب التهويل أو التبخيس، إنما يسعى المحقق جهده أن يضع الأمور في موضعها ويزنها بميزانها على حد العدل والإنصاف والموضوعية، فالتوقيف توقيف، والرأي رأي، والاستحسان استحسان،

ووضع هذا محل ذاك مجلبة للفوضى، ومورد لحقائق هذا العلم موارد القلق والاضطراب... ومن هذا الذي ينبغي أن يحى به منحى الدرس وينال ما يستحق من البحث والمعالجة في الدرس القرائي المعاصر موضوع التحريرات القرائية الذي أخذ اتكالا على عنوانه سبيلا من الإلزام وضربا من التحكم في مسيرة هذا العلم، مع اتخاذه عند أهله طرائق قددا، وركوبه مسالك متعددة إن حمد بعضها لصدوره عن مشرع الرواية وشفوف الدراية، فإن غيره، لاعتلال مخرجه ولطف حجته، يتجاوز محامل الاتفاق إلى مضايق التدابر والافتراق، مما يؤذن بأنه محل نظر ومفاتشة لا محل إذعان ومسالمة[1].

٦- حسن التأتي في التدخل في خلافيات العلماء الكبار، وانتضاء الأسلوب الأمثل في عرضها والاشتغال بتحصيل المأخذ العلمي منها.. فقد نص ابن مجاهد في سبعته على أن ابن عامر يقرأ: ﴿وإن إليَاسَ﴾ بوصل الألف، وأنكر عليه عبد المنعم بن غلبون في شدة صحة ذلك، وتابعه الداني على ذلك الإنكار، ليأتي ابن الجزري فيصحح رواية ابن مجاهد ويدافع عن مخرج القراءة ووجهها بما يعلم من مراجعته[2].. فعلى المحقق في مثل هذه المسائل الشائكة أن يتدثر بالحذر الوافر والكياسة البالغة والفقاهة العالية، التي تمده بالبيان العلمي المتزن، والموازنة الواعية، والتقويم الدقيق في مثل هذا الموضوع الخطير.

٧- رهافة حس المحقق ونباهة خاطره في لحظ طريف الرأي ومبتدع القول ومبتكر الحديث، ذلك أنه يفترض في محقق هذا الفن أن يكون داريا بمطرده ومنكسره، وعامه وخاصه، ومعروفه ومنكره، ومشتهره وفارده، وتليده وطارفه،

(١) وممن له الأثر الجميل في إثارة الموضوع على وجه البحث الشيخ الدكتور إيهاب فكري في بعض كتبه، مثل نقد منهج الإمامين الأزميري والمتولي.

(٢) ينظر في الموضوع: الإرشاد ٨٢٧/٢، وجامع البيان ١٥٢٧/٤، والنشر ١٨٧٩/٥.

ولابد أن يسجل في مسيرته التحقيقية ما يمر عليه من ذلك؛ حتى يوتي التحقيق فائدته في توصيف مسار العلم، وضبط وجوه تأليفه، والاستفادة من جديد موضوعه وقديم قضاياه، ويسهم كل ذلك في الدفع به نحو نفس جديد يأخذ به هذا العلم وجها مشرقا وضيئا في موضوعه ومنهجه، فضلا عن أنه يؤسس للفقه المقارني النوازلي الذي يجيب عن الأسئلة الراهنة التي ربما لابس واقعها ما لم يجر به ذكر في سالف العهد على صورته العينية.

ومن أمثلة تلك المقولات أو الاختيارات المنوه بها آراء أبي عبد الله القيجاطي (ت٨١١هـ) واختياراته، فإن لها مذاقا خاصا ومنزعا فريدا في تحليل بعض الظواهر الأدائية، والانتصار العلمي النابه لبعض القضايا القرائية ينم عن عقلية عالمة ومنهج متحرر، وشخصية مستقلة ومن ذلك مثلا: اشتراط القيجاطي شرطا في المعنى جعله رابعا في ضابط قبول القراءة الصحيحة، وهو أن يكون معناها جاريا على ما تقتضيه أصول الشريعة بإطلاق بحيث لا تضادها، مطابقا لأسلوب الآية المقروءة بتلك القراءة حتى لا تنافيها[1] وهو قيل قمن بالتعريف والإذاعة والمفاتشة.. وفي مسائله ما ينضح بآرائه المتميزة في بعض أصول القراءة وظواهرها الأدائية تستحق أن يزاحم بها في معترك النظر في هذا العلم[2] الذي أشار أهله أن الفطنة والدراية آكد فيه من السماع والرواية[3]؛ إبرازا لهذا الحس النقدي في جنباته الذي لا ينبغي أن يتخاذل عنه تحت أي مسمى يوهم بالرواية ولو كانت مجملة، أو النقل ولو كان حاملا للاحتمال.

---

(١) مسائل القيجاطي ص٢٥٥.

(٢) مثل حديثه في الفرق بين القرءان والقراءات ص٤٩٧، ورأيه في ترقيق اللام من اسم الجلالة إثر حركة ممالة.. ص٣٩١.

(٣) ينظر الكتاب الأوسط ص٧٥، والرعاية ص٦٩، والتحديد للداني ص٦٧.

مشاهد من واقع التحقيق القرائي: (نواشز الاعتلال وعوارض الاختلال)

للتأصيل شأو لا يتأتى لتشخصات التنزيل أن تبلغ ذراه، وتتقاصر قدرها حسرى دون أن ترتقي مرتقاه؛ إلا أن تحف بميثاق العصمة وتجلل بأنوار النبوة.. وقد افتر الواقع التحقيقي لهذا المتن عن كتب وإصدارات منها المجيد المفيد، ومنها دون ذلك؛ وإنما وقوفي هنا عند صور أصاب التراث القرائي خلالها من مظاهر الاعتلال والاختلال ما تجانف به عن جادته وحاد به عن سننه، تنبيها عليها وإلحاحا في تداركها، وذلك في معاقد تحقيق متنه، وتوثيق شاهده، والتعليق على مضمنه، والتقديم بين يديه[1]:

١ - الإخلال بصورة المتن

أ- فقد صدر كتاب البديع لابن خالويه، على وضع فيه خلط واضطراب؛ حيث طبع بعنوان «مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع»، وأغمض مقدمه آرثر جفري عن هذا الذي نطق به العنوان، وصدر أخرى بعنوان «البديع» وانحسر غلافه عن بيان موضوعه، فوقع التساؤل المريب عن حقيقة موضوع الكتاب أهو في الشواذ، أو في القراءات المعتبرة وكم عددها[2]، وهو اضطراب مرده إلى عدم صون صورة الكتاب كما أرادها له مؤلفه؛ فالرجل أفاد أنه ضمن كتابه قراءات السبعة مع إضافة يعقوب بن إسحاق إليهم، وأثبت شاذ القراءة في حواشي الكتاب، بمعنى أن مؤلفه مجعول على الاشتمال عليهما معا، الأول أودعه صلب الكتاب، والثاني جعله في

---

(١) لم ينصرف القصد هنا أصالة إلى تعقب ما عمت به البلوى من سوءات النشر التي تولى كبرها بعض دور الطباعة، فذلك أدون من اعتباره والالتفات إليه في السياق العلمي، وهو سلوك أجدر أن يتولى الأخذ على يده بالسبل المشروعة، صونا لهذا الموروث الكريم عن التلاعب والمتاجرة.

(٢) وممن عبر عن هذا الاضطراب د. عبد الرحمن العثيمين في مقدمة تحقيقه لإعراب القراءات السبع وعللها ص٩٠.

حاشيته، فلو أنه صين الكتاب على هذا المرسوم الأول لما حصل اضطراب ولا إيهام، ولو أن الذي اجتزأ ببعضه عن بعض حين أخرج الشواذ مفردة أحسن الإفادة بذلك في تقدمته، لدرأ مثل هذه الفوضى في نشر التراث القرائي، والخلل في إذاعته.

ب - **نشر الكتاب على وجه يوهم أنه على تمام ما وضعه عليه مؤلفه**، والمنشور إنما هو جزء منه، ومن أمثلة هذا الصنيع ما نشر تحت عنوان: **مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ**[١]، وقد صدر أول أمره تحقيقا بمجلة مجمع اللغة الأردني ١٤١٥هـ (١٩٩٥م)، بتحقيق د. حاتم الضامن رحمه الله، وعري عن فصل نفيس لم يصرح بسبب حذفه؛ حتى ألحق به في نشرة ثانية[٢]، والذي يحمله عنوان خطيته هو المقدمة الثانية من **المرشد**، ثم نشر الكتاب نشرة أخرى وقد ضمت إليه مقدمة أخرى للمؤلف في مخارج الحروف وصفاتها، من غير أن يمس العنوان تغيير.. والحق أن كلتا المقدمتين لا يلتئم بها شمل الكتاب، فإنهما على جليل ما أودعتاه لا تستكملان معالم المقارئ، ولا تاتيان عليها على حد الإجمال المطلوب في مثلها، إضافة إلى أن الكتاب يحيل على مواضع لا يرى لها موطن في هذا الذي اقتصر عليه منه، ولو أن قائلا ادعى أن تحصيل الهمزتين، ومقدمة الوقف والابتداء وغيرهما -مما خطته يراع المؤلف في موضوع المقارئ- هي من كتابه **المرشد** لما أبعد النجعة، ولكان لقوله وجه لا يستنكر ومحمل لا يستدبر.. أضف إلى ذلك أن مخطوطتي الكتاب المعتمدتين ثبت عليهما هذا العنوان - أعني المقدمة الأولى والمقدمة الثانية من مرشد **القارئ**، فلا أدري لم هذا الإصرار في عدم تأدية نص العنوان على طباق منصوص نسخه، والعدول إلى هذا الذي يذهب في ناحية التدليس والتهويل؟!

---

(١) لفضيلة الدكتور عباس أرحيلة مقال حول الموضوع نشر في الشبكة العنكبوتية في ملتقى أهل التفسير. وضمنه كتابه الذي لما يصدر بعد بعنوان: **مع الكتاب المخطوط تحقيقا وضبطا**.

(٢) ينظر ملحق المصورات.

ج - وقريب من هذا النحو ما شاع وذاع من استلال أجزاء من أصولها التدوينية، والتغاضي عن الإفصاح عن ذلك على صفحة غلاف الكتاب المهيأ للنشر وفي مقدمته: وهو إخلال ذريع بأمانة التحقيق، وركون مستنيم إلى التدليس والتعمية؛ فقد طبع جزء من الكامل لأبي القاسم يوسف بن علي الهذلي (ت٤٦٥هـ) بعنوان: كتاب الوقف والابتداء في كتاب الله تعالى، على هذا الإيقاع الموهم أنه من كتبه التي ألفها استبدادا، وتعاجمت المقدمة في الإفصاح عن أنه جزء من كتابه الكامل، ولم تجرؤ عبارة البيان أن تظهر على استحياء إلا في المبحث الثالث من آثار المؤلف[(١)]، وبدا صدر مبحث العنوان على تلعثم في الجري على ذلك، ليقع الاضطرار في توصيف موقعه من الأصل في: وصف النسخة الخطية[(٢)]، كما جر هذا الصنيع إلى إضافة ما ليس من أصيل العنوان بتعليل لو صرح بأن الكتاب مستل من أصله الأم لاندفع واندرأ على التلقائية السهلة والوجه المنقاد. والعجيب أن مؤلفه أراده أن يكون الكامل، ويأبى المحققون إلا أن يجعلوه ناقصا؛ بجعله أوزاعا مفردة عن النسق الأم، مع الإصرار على هذا التلبيس والإغماض.

د - على أن من التدليس المستنكر في هذا المتعلق أن ينشر كتاب بعنوان مفردات القراء السبعة لأبي عمرو الداني، ثم لا تلبث أن تجده لا يحمل منها سوى النزر اليسير من مادته والجزء الضئيل من موضوعه في استغفال صارخ للقراء.[(٣)]

هـ - ومما يلقى أيضا على غير قبول في هذه الناحية أن يعمد الناشر إلى حذف كلمة من العنوان على صفحة الغلاف وفي أول ورقة من الكتاب، مع ثبوتها في

---

(١) ص٤٨، ينظر ملحق المصورات.

(٢) ص٦١.

(٣) «تحقيق» فرغلي سيد عرباوي.

أصيل المخطوط، وهذا لا شك اعتداء على حق المؤلف وغمط له؛ فالشيخ محمد السمنودي (ت١١٩٩هـ) أسمى كتابه: **إتحاف حملة القرءان في رواية سيدي عثمان**، فكيف يستساغ بعد حذف كلمة سيدي من العنوان؟! ولمه؟

٢- من صور التصحيف والتحريف في قراءة النص

وهو من لحن القلم الذي يتعين أن يحاذر بشدة، ويبالغ في صون المتن القرائي عن مواقعته، كيف وهو أول ما ينصح بمعرفته بعد التحقق بإتقان حفظ سواده، ومع ذلك فقد أصيبت بعض جنباته بهذا العيب، والقصد هو التنبيه على بعض مثله سواء كان عن سوء فهم أو خطأ طباعة:

فقد حاق **بِرياض الهادي في القراءات السبع** لمحمد بن سفيان القيرواني(ت٤١٥هـ) بعض مما ضلل سياقه وعبث بمراشده، فانتثرت في خلاله من هذه التصحيفات ما يستحق أن يناله التصحيح، خاصة من محقق له غيرة على هذا العلم وممارسة ميدانية فيه، ومن ذلك مثلا ما ورد في:

ص١٨١ سطر ٤: «فأما (وَنَئَا بِجَانِبِهِ)، فأمال الكسائي وخلف عن سليم عن حمزة النون والهمزة في الموضعين، وفتح خلاد والنوى وأمال الهمزة أعني الألف التي بعد الهمزة»(١).

وصواب العبارة:

وفتح خلاد النون وأمال الهمزة أعني الألف التي بعد الهمزة...

ومما كنت وقفت عليه من التصحيف في بعض كتب القراءات:

---

(١) الهادي ص١٨١. وقد نشر صورا من هذا القبيل الباحث الفاضل سمير بلعشية في ملتقى أهل التفسير بتاريخ: ١٤٣٥/٢/٧.

«وهي كذلك لجماعة الأخرى، فإنه يسقط له منها واحد...»[١]، وصوابه لجماعة إلا حمزة

«تأمن الحزن في الهمزتين، وتليين الهمزة في كتاب ربك»، وصواب العبارة: «وتكسب من المهرة في كتاب ربك»[٢].

ومما هو من هذا الأمر بسبيل أن يكون انتباه المحقق ناهضا إلى سياق النص الذي به تحرف فيؤول معناه إلى قلق واضطراب، فإن جاء على الوجه في بعض نسخه ألحقه في مكانه من النص على هدي التعليل المناسب، وإلا نبه على العيب ووضعه تحت يد صاحب المقام. ومما يمكن إدراجه مثالا على ذلك مثالان وردا في سياق واحد من كتاب المفردات للداني، ولم يحظيا من المحقق بالانتباه والتعقب، وذلك في قول الإمام أبي عمرو الداني وهو يشرح مذهب قالون في الفتح والإمالة: «واختلف عنا في أصل مطرد في ذلك وهو ما جاء من لفظ القرءان به في جميع القرءان»، ولم يتنبه المحقق أن المراد هو: كلمة ﴿التوراة﴾. ثم استكمل الإمام حديثه قائلا: «فأما الألفات اللواتي بعدهن راء فنحو قوله تعالى: ﴿وعَلَى أَبْصَارِهِم﴾... و﴿الأَشْرَارِ﴾ وشبهه إذا كان جمعا في موضع خفض أو نصب»[٣]. والحق أنه بعد التمثيل بكلمة ﴿الأَشْرَارِ﴾ سقطت كلمة ﴿الكَافِرِينَ﴾، وهي المعنية بالاستشهاد، وبدونها لا يصح المعنى ولا يستقيم الكلام. ومثل هذه الغفلة عن الحضور في فهم معنى النص يفسد المتن ويسيء إليه بالغ الإساءة.

---

(١) المحصل للمرتضى ص١٣٥

(٢) المحصل للمرتضى ص١٣٦

(٣) مفردة نافع ص١٠٨ (المحقق د. حاتم الضامن) ينظر ملحق المصورات.

٣ ـ من أخطاء التعامل مع الآي: ضبطا وتوثيقا

للشاهد القرآني توثق صلة بهذا العلم، بل هو مدته وموضوعه، وهو ذو وسوم دقيقة في أنحاء تصرفه ووجوه الاستدلال به، ذلك أنه في سياق الاستشهاد أو مورد التمثيل لا ينطلق على مطلق الكلمة أو مجرد العبارة حتى يلابس هيئته الأدائية وطرائق نطق حرفها؛ فقد تكون الكلمة القرآنية وحدة بذاتها، ولكن باعتبار ما ينتابها من ضروب الضبط، نصبا وضما وكسرا، تؤول إلى تعدد متكاثر من الكلم، لن يخلص للمحقق وجه السداد في عمله حتى يعين المتعين منها للاستدلال، المعني بالاستشهاد، مثل: ﴿النَّارِ﴾ الممالة، فلا مكان للاستشهاد فيها بالراء المضمومة أو المفتوحة...ومثل تفخيم اللام المفتوحة مع الظاء ورش في رواية أبي يعقوب لا يصح التمثيل بـ ﴿يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة ٥٧][1] وضبط ﴿الدَّارِ﴾ بالنصب و﴿الفُجَّارِ﴾ بالنصب، في سياق الاستشهاد عما يدل الكسرة التي بعد الألف غير مقبول[2]. وليس من شك في أن رسم الشاهد وضبطه ينبغي أن يجري على المروي المناسب الذي يطلبه النص في العرض والاستشهاد، وذلك يقتضي حضورا واعيا للمحقق، واستصحابا نابها لمرادات النص من الاستشهاد، وهذا من أعظم ما ابتليت به كتب القراءات، أن تكتب مثلها القرآنية على غير وجوه مرويها المطلوبة في مرادات نصوصها، وعدم الوقوع من حركاتها على الحد الصحيح الذي يستجيب لسياقات التأصيل. ويصبح الأمر أكثر إلحاحا حين يستقر في شرعة التحقيق ومنهجه أن تعتمد قراءة حفص وألا يلتفت إلى تقييد المؤلف، مع أن الكتاب على وضع التشمين القرآني[3].

---

(١) مفردة نافع ص٥٥. (تحقيق د. حاتم الضامن).

(٢) الدرة الفريدة ص١٨٨/٢.

(٣) ينظر مقدمة دراسة الوجيز للأهوازي، ص٥٧.

والشاهد القرائي محصور معلوم، وهو مطلوب للتحفظ والاستظهار، وقد يوهم النص أحيانا في سياق الاستدلال به تجاوزه لموجوده أو معدوده، ويكون الأمر على خلاف ذلك، وهو ما يستدعي تدخل المحقق بما يذهب عن النص ظاهر هذا الإيهام، بحمله على دلالة الإشعار بإطلاق القياس فيما ذكر وما لم يذكر من النظائر لو وجدت، من غير أن يكون له نظير في الواقع ونفس الأمر.(١)

كما سجل المتن القرائي تعقبات كثيرة في مدى مطابقة المثل وعدمها لما سيقت له(٢)، ولن يحظى عمل المحقق بالدقة والوثاقة ما لم يرتسم هذا السبيل في التحقق من الأمثلة المسوقة في المتن القرائي: رسما وضبطا وسياقا...

ومما ينبغي أن لا يغفل عنه نظر المحقق أن يكون من التنبه بحيث لا يحمله مجرد ورود الشاهد في المصنف القرائي ومتابعة العلماء له عليه أن يمره كما جاء من غير مساءلة ولا تعقيب، فقد جاء في إبراز المعاني عند قول الإمام الشاطبي رحمه الله: «ورؤياك مع مثواي عنه لحفصهم... فالذي انفرد به الدوري هو المضاف إلى الياء، دون قوله تعالى: ﴿أكرمي مثويه﴾ ﴿مثويكم﴾ و﴿مثواهم﴾»(٣)، فأدرج هذه الأخيرة وهي ليست من أحرف التنزيل، ووجد على ذلك بعض الشروح والمؤلفات(٤)، ولم يلتفت من حقق هذا الشرح إلى ذلك، مع أنه مما ينبغي التنبيه عليه وعدم تجاوزه.

---

(١) الدر النثير ص١٣٧ - ١٣٨ (قسم التحقيق).

(٢) ينظر مثلا لذلك فرائد المعاني ٦٦٨/٢ - ٦٦٩، باب إدغام الحرفين المتقاربين في كلمة وفي كلمتين.

(٣) إبراز المعاني ص٢١٤ (تحقيق إبراهيم عطوة)، وإبراز المعاني ٩٩/٢ (تحقيق محمود بن عبد الخالق جادو).

(٤) الفتح الرباني لحمد البيومي ص٧٢، الوافي للقاضي ص١٤٥.

ومما له تعلق بهذا الأمر أن كتب المفردات(١) التي يكتفى فيها بالتنصيص على وجه المخالفة دون الموافقة، يستحسن أن يراعى في ضبط حرف الاستشهاد فيها القراءة المخالفة، لا الأصل المعروف؛ وذلك تحقيقا للإفادة المبتغاة من مثل هذا اللون من التصنيف. واستحضارا لخلفية القارئ في المعرفة بالأصل الذي يوازن به والله أعلم.(٢)

وقول بعض المحققين في منهج توثيق الآي: في «المواضع التي اختلفت فيها المصاحف العثمانية، واختلف فيها القراء، فإني كتبتها وفق مصحف بلد ذلك القارئ، مع عزوها في الهامش إلى كتب علم رسم المصحف»(٣) قول لا يخلو من دلالة نابهة على هذا الذي تعورف عند أهل الرسم من أن موافقة المقرئ لمصحف بلده أمر غالب لا لازم(٤)، على أنه في سياق أن يأتي التوثيق على وفق موازاة المقروء للمرسوم، فربما كان وجيها أن ترسم الآية على وفاق القراءة مطلقا مادام يرحب بها سواد المصاحف الأخرى، فالمخالف موالف، وللمحقق بعد ذلك التنبيه على موضوع المخالفة في الحاشية، والله أعلم. هذا إذا كان مراد المحقق الفاضل ما ذكر، فإن كان يستصحب الموافقة في غير الزيادة والنقصان مما تختلف فيه المصاحف، فلربما كان صنيعه أوجه وأسد، مع ضرورة التنبه إلى ما يصدق ذلك من واقع التحقيق، فقد رسم ﴿إِحْسَانًا﴾ بالأحقاف على قراءة الكوفيين بحذف

---

(١) ويقصد بها التأليف الذي يفرد بالدرس القراءة أو الرواية أو الطريق على سبيل العرض الكامل لأصولها وحروفها، أو بالاقتصار على ما خالفت فيه غيرها مما ينظر به المؤلف لها، وهذا المعنى الثاني هو المقصود بالحديث. ينظر: من جهود الأمة ١/٥٣٩.

(٢) ينظر مثلا: مفردة نافع لأبي عبد الله ابن شريح، دراسة وتحقيق: سمير بلعشية/ محمد نافع.

(٣) مقدمة تحقيق التذكرة ١/١٧١.

(٤) جميلة أرباب المراصد ص٢٤٠.

الألف بعد السين، وهو ما يخالف مصحف أهل الكوفة، ومن ثم ما قرره في منهاج التحقيق[١].

وإذا كان معلوما ما للرسم في مسالك الدرس القرائي من تداخل وارتباط، فإنه لن يستقيم أن تنتصب أصلاب الحرف في المتن القرائي إلا على ظهر التوقير لشرطه: إثباتا وزيادة وإبدالا و.. وهو أمر غان عن الاستدلال عليه لاتضاح العلم به وتضافر العمل عليه. غير أني أخلص من ورائه إلى صورة استثنائية قد تتعدد مفرداتها التمثيلية في المصدر القرائي؛ فقد يكون من المؤلف رغبة وتنصيص بخصوص رسم بعض المثل القرائية؛ أن يثبتها على غير وفق مرسومها في المصحف، على نحو يراه محققا لغرض تعليمي، كأن يرسم له لفظ المقروء كما ينبغي أن يستقر في لفظه لا كما هو مرسوم في المصحف، والظاهر من هذا أن يستجيب المحقق لمرسوم المؤلف، ويحقق رغبته في هذا الملحظ، مع الإشارة في حاشية التعليق على وضعها في مرسوم المصحف.[٢]

والخطأ في توثيق الآي له صور ومثالات منها:

أ ـ توثيق أعيان المثل على غير مرادات سياقاتها كما في:

- ﴿وَالسَّمَاءِ آيَةً﴾ والصحيح المراد ﴿السَّمَاءِ آيَةً﴾ [٣].
- ﴿بَلْ رَانَ﴾ والمراد: ﴿خَافَ﴾، وهي من العشرة الأفعال المعروفة.[٤]

---

(١) ينظر المقنع ص٥٩٠، التذكرة ٢/٥٥٤، وقد نص المحقق حفظه الله على إثبات الألف في أول الكلمة، وغفل عن ألفها الثانية التي بعد السين، وبها تتم الموافقة.

(٢) من أمثل الأمثلة على ذلك ما ورد في إرشاد ابن غلبون في باب هاء المضمر: ١/٢٦١ – ٢٦٢.

(٣) مفردة نافع، تحقيق أ د حاتم الضامن ص٤٣.

(٤) نفسه، ص٥١.

ب ـ اختلاق مثال على قراءة مصحفة والتفضل بعد ذلك بتوثيقه.

كما في: ﴿طَائِرَهُ﴾ [الإسراء١٣]، والصواب: «ونظائره»(١).

ج ـ وعكسه وهو: تحريف الشاهد وإخراجه عن القرآنية، ومثاله: (وبابه)، والصواب ﴿بأَنَّهُ﴾.(٢) [٨١]

د ـ إيراد مثال غير مراد رأسا ولا واقع موقع الخلف في موضوع المتن: ﴿امْرَأَتَكَ﴾، والصواب الذي يطلبه السياق ﴿فُؤَادَكَ﴾.(٣)

٤ ـ خروج التعليق القرائي عن شرعته ومنهاجه

ينعت التعليق بأنه معيار دراية المحقق، ومجلى معرفته بقضايا النص ومثاراته، ومحل اختبار مدى اقتداره على تدميث مسالكه وتقريب مادته، وحسن التعامل مع كافة أوضاع مبناه وتصاريف معناه وأنماط مقولاته، والتهدي إلى إثبات كل ذلك في حاشية المتن على سبيل: التوثيق والتخريج والإحالة، والشرح والاستنتاج، والتقويم والتنقيد... وربما كان غير مستنكر أن يقال: إن التعليق يحمل عنوان التأليف إلا أنه تأليف غير مستبد، وأنه يصح أن يكون له صدق المنمى إلى مقاصد التصنيف المعروفة في غير صورة الابتداع والابتداء. من شرح واختصار وإيضاح واستدراك..وهو بهذا الاعتبار جهد علمي لا تحقق للمتن صورته المثلى بدونه، ولا ينهض له تمام البناء إن هو عري عنه، ويلفى بسبيل مكين من مفهوم التحقيق ويصعب فصله عن لحمته إلا بضرب من المشاحة الاصطلاحية... غاية ما ينبغي توكيده هنا أن التعليق إذ كان بهذا التمتن من النص الأصلي فإنه لا بد لتصديق

(١) مفردة نافع ص٦١.

(٢) نفسه، ص٨١.

(٣) نفسه، ص٦٧.

فائدته وتحقيق مرجوه أن يقع على حده ويكون على الاستجابة لشرطه، وإلا صار وبالا على المتن، ومن أعظم ما يستحث في أن يكون عليه التعليق أن يجري على حسن التلمذة لمتنه، وجميل الإصغاء لندائه، وأن يتحقق بالملابسة الشاملة للفظه ونظمه. وجسده وروحه؛ فلا يرى نديدا له، مزاحما للفظه، بل ينبغي أن تلزم عبارته التعفف عما استغنت به أفضاله، ويطعمه بقدر الاستطعام، ويفتح عليه متى أرتج عليه، وأن يحاذر فيه التشاغل بما لا يجدي من مبتذل فروق النسخ التي لا تقدم ولا تؤخر، أو تسويد حيزه بما لا يجدي ولا يفيد. إنما سبيل التعليق الأمثل التوثيق المفيد لنقل مأثور، أو شخص مغمور، وإسداء البيان بما يلزم من تعريف قد تغيب عينه أو يعفى أثره، أو مصطلح لطف مأخذه وعمي محمله، أو تصحيح تصحيف وتحريف مما يستعظم خطره، أو الإسعاف بفضل إيضاح في فهم مجاريه، وإرواء غلة بعض متعلقات سياقاته، كل ذلك في صوغ مناسب محكم، وإيجاز مفهم، مع الاكتفاء في بعض ذلك بالإحالة درءا للإطالة. ومن أعظم ما يحمد للتعليق التحقق به هو حسن التدبير في ربط معارف النص المتباعدة بعضها ببعض، وهو ما يطلب المعرفة العميقة بفحوى الكتاب، والخبرة الفائقة بطرائقه في عرض مضامينه ومعالجة حقائقه.

ومن عزائمه أيضا ومهماته التي لا ينبغي أن يعرى منها مجرى التحقيق إبداء بعض التعقب على المتن بشرط البيان وصحة الاستدلال.[١] خاصة حين يحمل موهم التضارب وظاهر الغلط أو ما شابه.[٢]

---

(١) ينظر نماذج مفيدة في ذلك في النشر لمحققه الفاضل الدكتور السالم الجكني.

(٢) ينظر مثاله في منح الفريدة الحمصية ص٢٥٠، الحاشية ص٢١٢.

نعم، قد لا يخالف المحقق الصواب دائما، أو يكون قوله محل نظر، وإنما يكون عوز المحقق قبل التدخل برزانة التأني وعدم الاستعجال، واستجماع الحصافة في الاستدراك: فقد جاء في اختيار سبط الخياط قول المؤلف وهو يعدد مواطن ورود الهمزة المفتوحة إثر المضمومة في كلمتين: «...زاد أبو سليمان عن قالون: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ﴾ على أصله». فعلق المحقق قائلا: «هذا الحكم ليس لقالون وحده، ولكنه لنافع من روايتيه: قالون وورش، انظر النشر: ٣٨٧/١»[١].

ولو تلبث المحقق ورجع إلى كلام المؤلف في فرش سورة الأحزاب لوجده يقرر ما يلي: «روى أبو سليمان ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ﴾ بتحقيق الهمزتين فيهما مارا على أصله في تحقيق الهمزتين الواقعتين من كلمتين مختلفتين حيث كان الباقون من أصحاب نافع على أصولهم في تحقيق الأولى وتليين الثانية، على حسب ما يقتضيه التخفيف»[٢]. ولا شك أنه لو وقف على هذا الكلام وأعطاه الأذن الواعية، لصدر عنه تعليق لا يذهب في ناحية الاعتراض، وإنما في جهة البيان والشرح، اعتمادا على استجماع أطراف المتن وطلبا لانسجام مقرراته.

وعلى المحقق إذا وجد نقصا في المتن ألا يسارع بتخطئة المؤلف ونسبته للتقصير في عدم ذكره ذلك المعنى، وأن يكون له في ذلك حسن تأت وجميل اعتذار؛ فقد خلا كتاب السبعة في نسخته المعتمدة من ذكر خلف السبعة في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ﴾ [النحل:٧٩]، ولم يعلق عليه محققه الدكتور شوقي ضيف بشيء، وفي نشرة دار الصحابة، ورد في التعليق ما يفيد أنه فات المصنف[٣]، ومنهج التحقيق يقضي في مثل هذا أن ينظر المحقق في كتاب حجة الفارسي وبديع ابن خالويه[٤]

---

(١) الاختيار ٢١٥/١ وينظر الهامش١.

(٢) الاختيار ٦٣٢/٢.

(٣) ينظر السبعة بتحقيق الدكتور شوقي ضيف، ص٣٧٣، ونشرة دار الصحابة ص٢٧٦، هامش١.

(٤) ينظر الحجة ٦٧/٥، والبديع ص١٦٠.

باعتبار كتاب السبعة مصدرهما المعتمد، وحينئذ سيجد الحرف المعني مثبتا في كليهما، مع العلم أن الداني في جامعه، وابن الجزري في نشره[١] لم يكن منهما تعقب لابن مجاهد في هذا الموطن، مما يدفع إلى الظن الذي يقرب من اليقين أنه ثابت في نسختيهما، وربما سقط من بعض نسخ الكتاب، والله أعلم.

ومن شأن التعليق النابه، ألا يغتر بالمعنى أو الحكم يتوارد عليه الثلة من المؤلفين. يتابع فيه بعضهم بعضا؛ لاحتمال الخطإ في ذلك عن الناقل الأول، وأن يحتكم في ذلك إلى مأخذ الموضوع والصحيح في واقع الأمر؛ فقد عد ابن أبي السداد الباهلي (ت٧٠٥هـ) مواطن ورود الهمزة المكسورة بعد المضمومة سبعة وعشرين، وأسقط منها حرف التحريم، وسار على هذه العدة المنتوري (ت٨٣٠هـ) في شرح الدرر. وتابعه ابن القاضي (ت١٠٨٢هـ) في فجره، بينما العدة على الصواب وردت عند الجعبري (ت٧٣٢هـ) وابن الجزري (ت٨٣٣هـ)[٢].

ومن مذام التعليق ومثالبه:

- أن لا يخرج إلى ثرثرة وإسهاب، فيأخذ صورة فاحشة في حاشية المتن من غير اقتضاء مقام ولا إلحاح موجب.[٣]

- ترك النص غفلا عن التعليق متى كانت عبارته على إيغال في الإبهام أو تمكن من الاستفهام، وهو تجاف عن منطق الصواب، وخذلان للنص وما يستوجبه من النصرة والتأييد. وأما الفزع إلى كلمة ينظر والإحالة من خلالها على مصادر في مواطن لا تغني فيه فتيلا، ولا ترشد القارئ إليه سبيلا، فهو إشكال

---

(١) ينظر جامع البيان ١٢٧٧/٣، والنشر ١٧٧٤/٥.

(٢) ينظر الدر النثير: قسم التحقيق ص٢٦٩، شرح الدرر للمنتوري ٣١٠/١، الفجر الساطع ٤٠٣/٢، كنز المعاني ٤٤٤/٢-٤٤٥ (تحقيق د أحمد اليزيدي) النشر ٩٣٠/٣.

(٣) ينظر مثلا الدر النثير: التعليق من: ٣١٧ إلى ٣٢٢. (دار الكتب العلمية).

أحيل به على إبهام، وذلك في منطق التحقيق الرشيد غير سديد[١]. ومن أمثلته ما قد يحدث في سياقات المتن حين تزحزح فقرة من فقره عن موضعها من سياق الكلام، وتطلب غيره محدثة من الاضطراب في المعنى والقلق في الفحوى ما يستنكره نظمه ويأباه معناه، وربما أخذ هذا الوضع حظه من التداول والنقل على وجه موهم بالصحة والاعتبار، مع أنه من مصمت الخطأ وصريح الغلط. ومما يصلح أن يكون المثال على ذلك: ما وجد في مفردات الداني في باب اللامات من نسبة تفخيم ما وقع من اللام مع الصاد في رؤوس الآي لقالون على وجه الخلف، وذلك غير صحيح، ولعل سياق الكلام أخذ من حديثه عن مذهب ورش من طريق الأزرق، فهو به حقيق، وقد خلا حديثه عنه في سياقه، فمثل هذا النص لا ينبغي أن يمر كما جاء؛ لأنه بدع في مضمونه، نكرة في سياق إثباته. ومن صميم عمل المحقق التنبه لما كان على هذا المنوال[٢]، والأدهى أن هذا المنقول قد وجد له قبول صدق وموضع تأييد في بعض كتب القراءات ككتاب التقريب والحرش لابن المرابط، وقد أحسن محققه الكريم حين استشكل ذلك ونبه عليه.[٣]

– ومن صور ما ينبغي أن يتقى أيضا في بابة التعليق الذهاب إلى مناقضة قصد المؤلف من التأليف، فقد يكون وضع التأليف القرائي على تفريد قراءة أو رواية، ويصر المحقق على معاكسة قصده، فيعمد إلى حاشيته ويملؤها بقراءات

---

(١) ينظر هذا التصرف في التيسير، ومرشد القارئ وغيرها من تحقيقات د. حاتم الضامن رحمه الله لكتب القراءات. ينظر ملحق المصورات.

(٢) مفردة نافع لأبي عمرو الداني، ص١١١. ينظر ملحق المصورات.

(٣) التقريب والحرش ص٢٥٥.

السبعة، فيجعل التعليق نديدا مشاكسا للمتن، وضديدا له في قصد التأليف ومتولى التصنيف[١]....

– وعلى المحقق أن يصون المتن الأثير عن التعليق الفطير الذي ركب خفة الاستعجال، ولم ينضج على نار الروية والإمهال؛ فقد جاء في أحد المتون القرائية: «﴿إلى﴾ [الأحزاب:٤] بكسرة خفيفة، بغير همز ولا ياء، فانبرى محققه قائلا: ولا نتفق مع الشيخ في قوله: بغير همز ولا ياء. وأين تكون الكسرة إن لم تكن همزة؟!»[٢].

وفات المحقق الكريم أن هذا عندهم مصطلح جار، يدل على معنى التليين، وفاته أيضا أن المؤلف سبقت له هذه العبارة دون أن يكون منه تعليق.[٣] وفاته قبل ذلك وبعده أن الصبر جميل والتأني خلق رفيع. وأن الجسارة خسارة.

٥ – من عيوب تقديم المتن القرائي

ومما يطلق كلمة العتاب في هذا الباب ما تسود به طوال صفحات بعض الكتب المحققة وتثاقل بحمله في سياق التقديم لها زعما، فتغدو مسرحا لاستعراض مبتذل القول ومطنب الحديث في تاريخ القراءات وتراجم القراء، والحديث عن الأحرف السبعة، وتواتر القراءات... وهي بدعة ضالة عن سواء المنهج، متنكبة عن سواء التحقيق العلمي وما يتأيد به من قاصد البيان عن قيمة الكتاب المحقق ومقام

(١) ومما يصلح مثالا لانتشار هذه الظاهرة فيه إتحاف حملة القرءان في رواية سيدي عثمان تحقيق عبد العظيم محمود عمران، وكتاب فيض الودود بقراءة حفص عن عاصم بن أبي النجود، لأبي المواهب الحنبلي، للمحقق نفسه.

(٢) رواية أبي عمرو بن العلاء لابن الأبزازي ص١٩٣.

(٣) ص١٦٦.

صاحبه، والإفادة العالمة عن سياقه المعرفي، تسهم به في إضاءة ما تيسر لها من جوانبه العلمية والمنهجية.[١]

– قد جرى عمل كثير من الباحثين –خاصة في أعمالهم العلمية– على أن يفردوا بين يدي تحقيقاتهم العلمية مطلبا يعرضون فيه بعض ما يلاحظ على مؤلف الكتاب من مآخذ ونقائص، بيانا لمطلب علمي، وإثباتا لشخصية المحقق في التعامل مع الكتاب المحقق بالوعي النابه والنقد العلمي.. وهو سلوك منهجي رضي في شرعة البحث ومنهاج التحقيق، متى كان على جادة المنهج وإجادة المقال، وبقدر تبعده عما ينبغي من ذلك يناله العتب والملامة؛ وهذه أمثلة تراد لها ولما وراءها:

أ ـ فقد أدرج ضمن الملاحظات السلبية على كتاب لطائف الإشارات ما صيغ على هذه العبارة: «وقع المؤلف فيه في تأويل صفات الله تعالى بما يوافق مذهب الأشاعرة»[٢]. وهو تحيز من المحققين من مجرد التوصيف إلى حيز التصنيف، ومحاكمة في اعتساف وعدم انتصاف. وما ضره أن كان على مذهب الأشاعرة؟!

ب ـ من غريب المآخذ أن يؤخذ على مؤلف المفتاح ذكره بعض أبواب الأصول في فرش الحروف[٣]، وهو مأخذ ليس له من وجه إلا أنه لم ينهج ما ألفه الباحث ووجده عند الداني وابن الجزري! مع العلم أنه مهيع قديم في منهج العرض يعتمد عرض المادة على صعيد واحد، أو يتصرف فيها المؤلف على نحو يراه

---

(١) وأمثلته كثيرة وفيرة.

(٢) لطائف الإشارات ٨٥/١. ولابد هنا من التنويه بالتحقيق العلمي والإخراج الفني الذي حظي به الكتاب وهو به حقيق.

(٣) ينظر مقدمة المفتاح ١٥٢/١ بتحقيق فهد المغذوي، وقريب منه ما في الإرشاد ص١١٠.

محققا لغاية الكتاب ومقصده[(١)]. وهلا وسع الباحث أن يأتسي بالإمام الجعبري حين قال: «وما وقع في الفرش من الأصول كهاء البزي والفواتح فتنبيه على اصطلاح المتقدمين كابن مجاهد..»[(٢)] وقد جرى كثير الباحثين على اعتبار هذا مما يؤخذ على المؤلف، والغريب أن يسري هذا الأثر في توصيف تعاطي علماء التفسير مع القراءات، فيقال عن ابن عطية المفسر رحمه الله بأنه لم يفرق بين القسمين، فيجعل الأصول وحدها والفرشيات وحدها، بل قد داخل بينهما ولم يمايز..[(٣)]

وأظن أن بعض مناهج الكتب وطرائق ترتيب الفصول ينبغي أن تأخذ من اهتمام الباحثين سبيل التوريخ والتصنيف، والتأمل ودقة التوصيف أكثر مما تثير فيهم داعية الاعتراض والإيراد؛ فأن يطالب عالم متقدم في التصنيف مثل أبي الطيب عبد المنعم بن غلبون (ت٣٨٩هـ) أن يفصل باب الإمالة عن باب الراءات واللامات في مذهب ورش[(٤)] جنوح إلى شائبة تحكم وذهول عن نظر ربما يكون للرجل في هذا الاقتران، في جعلهما من واد واحد، واشتراكهما معها في الترقيق. ولغيره كالمهدوي جنوح إلى هذا الملحظ؛ فقد سمى أحد فصول أصوله: القول في الإمالة وما ضارعها،[(٥)] وأدرج معها ترقيق الراءات واللامات، فلا وجه للمواخذة ولا تثريب...

وينبغي في هذا السياق التفريق بين اختيارات المؤلف وآرائه مهما توغلت في التفرد ووسمت بالشذوذ، وبين أن يذهب بها في مساقات الغلط التي تجر إلى العتب

---

(١) المفتاح ١٥٢/١ وتبصرة ابن فارس الخياط ص٨٠، ومقدمة تلخيص أبي معشر ص٧٣.

(٢) كنز المعاني ١٠٩٩/٣ باب فرش الحروف.

(٣) منهج الإمام ابن عطية في عرض القراءات ص٤٢.

(٤) مقدمة الدراسة لكتاب الإرشاد ص١١١.

(٥) أصول القراءات للمهدوي ٥٩/٢.

عليه.. فتفريق ابن غلبون بين الإخفاء وإشمام الفتح ليس موهما في اختلاف القراءتين[١]، بل الأمر أنه يفرق بين الاختلاس والإخفاء على نحو دقيق، كما يدل على ذلك كلام تلميذه مكي.[٢]

د- ومما يدرج ضمن المآخذ على المؤلفين في القراءات في كثير التحقيق أنه يصدر عنهم أحيانا عرض أحرف الخلاف في السورة الواحدة على غير ترتيب النسق المصحفي، بل قد اعتبر أخي فضيلة الدكتور أشرف طلعت أن ورود بعض الأحرف على غير ترتيبها في المصحف قد يكون مضلة للكبار قبل الصغار؛ فقد وجدت بعض الأحرف على غير ترتيب في غاية ابن مهران، وكان الكرماني ممن ائتم به، فسقط من كتابه مفردة الكسائي بعض الأحرف من جراء ذلك[٣] ولا يرتاب في نباهة هذا الملحظ ووجاهته، طالما سيق على وجه التنبيه عليه في تقدمة الكتاب أو في بعض حواشيه، وخرج الأمر على التقريب لقرأته، غير أني لست أراه يرقى إلى الاعتراض به على مؤلفه؛ إذ هو جار على شرطه في قارئه أن يكون من التلاة الحفاظ، لا جرم وجدنا هذا التصرف جاريا في غير واحد من التصانيف المعتبرة،[٤] وإنما يذهب عنها معرته هذا التوجيه، ولا يستنكف في سياقة التحقيق من التنبيه، والله أعلم. على أنه في مقابل هذا الملحظ قد يؤخذ على المؤلف كونه

---

(١) الإرشاد ص١١٢ من قسم الدراسة.

(٢) ينظر التبصرة ص٣٦٥، وفي الكشف ٣١٦/١، وفي الفرق بين المصطلحين ينظر الدر النثير: ٦٤٤-٦٤٥، من قسم التحقيق، وشرح الحلفاوي ص٢٨٢.

(٣) مفردة الكسائي ص٣٦٧.

(٤) لا تكاد تخلو هذه الظاهرة في كتاب من مصادر القراءات. وأما التصرف في المتن على هدي هذا النقد فليس بمرضٍ. ينظر في ذلك صنيع محقق السبعة حين قال: «وكان ابن مجاهد لا يلتزم أحيانا ترتيب الحروف في السورة، فالتزمت به تيسيرا على القارئ» ص٤٠.

يكرر حكم بعض أحرف الخلاف.. سواء نبه أو لم ينبه[١]. مع أن الأمر قريب، ومثل هذا التصرف ينظر إلى ملحظ تربوي تعليمي جدير بالاعتبار، فالتكرير محمول على التذكير، والتنبيه للفهيه، وعدمه للنبيه.، والمخالفة اليسيرة لشرط المؤلف يتسامح فيها مع حسن التنبيه في معرض البيان لذلك، والله تعالى أعلى وأعلم.

استشراف ومقترح

ومما يناسب أن يجعل على خاتمة الاستكمال، هذه الكلمات التي تحمل من الاستشراف وجميل الاقتراح ما الظن به أن يحقق للتراث القرائي في سياق التحقيق مزيدا من الفضل والإحسان، والإجادة والإتقان، ويحظى بما هو به خليق من مثله من الأهب الحوامل لنصوص التنزيل المشرفة بشريف كلامه وعلياء مقامه:

١) تشجيع التحقيق المؤسسي الذي تضطلع به المجمعات والمراكز العلمية والجامعات، إحياء لسنة التحقيق الجماعي الذي اضطلع به الرعيل الأول في جمع المصحف وتوثيق نصه.

٢) درء الاجترار والتكرار في مجالات التحقيق، وفسح ما سوى ذلك حين يصدر عن القرائح العلمية المتنوعة، والرؤى المعرفية المتعددة.

٣) الاحتفاء إصدار المجلات والنشرات التي تعنى بالنقد العلمي الجاد لما يصدر من التراث القرائي في مختلف ضرائبه ومعارفه.

---

(١) ينظر الإرشاد ص١١٠.

٤) أجد الاقتراح الذي تفضل به أخي الفاضل الدكتور أشرف جديرا بالاحتذاء[١]، وهو إرفاق المتن القرائي المحقق بصورة كاملة لخطيته، خاصة في صغار المتون، أما الكبار من المدونات فلا مانع من أن يرفق كتابها المحقق بقرص مضغوط يحمل صورة مخطوطها؛ طلبا لإفادة القارئ وإشراكه في بعض المسؤولية، وهو رأي سديد جرى عليه فضيلته في تحقيقه لمفردة الكسائي، وكنت رأيته قبلا عند فضيلة الدكتور يعقوب تركستاني في تحقيقاته لبعض رسائل ابن الطحان...

٥) العني بتتبع ما يظن به الفقد والفوت من التراث القرائي، وذلك بمحاولة تتبع الفقيد من التراث القرائي، من خلال:

أ- الاعتناء ببعض ما وجد من قطعه ومتفرقاته، والسعي في نشرها على أعين التحقيق الجاد.

ب- جمع ما توزع منه في مختلف الكتب والمناسبات، خاصة في المظان التي هي محل ذلك، ويشمل: استقراء كتب المؤلف الموجودة لمصنف الكتاب المفقود؛ وكتب الفن عموما خاصة كتب التراجم كغاية ابن الجزري، والفهارس والبرامج...

ج- البحث في كتب الخالفين بدءا من تلاميذ المصنف فمن بعدهم؛ فمسائل أبي عبد الله القيجاطي (ت١١٨هـ) قد تناثرت أشلاؤها في أثناء الشرح الحافل على درر ابن بري لتلميذه المنتوري، واعتبرت بمثابة نسخة ثانية تشفع فريدته، وصح اعتمادها في تحقيقها. بل الشرح نفسه فضاء رحيب تضج أرجاؤه بكثير من النصوص التي تظمأ إلى أصولها الخطية، وتغري بإيقاع نقوله الكثيرة تحت طائلة

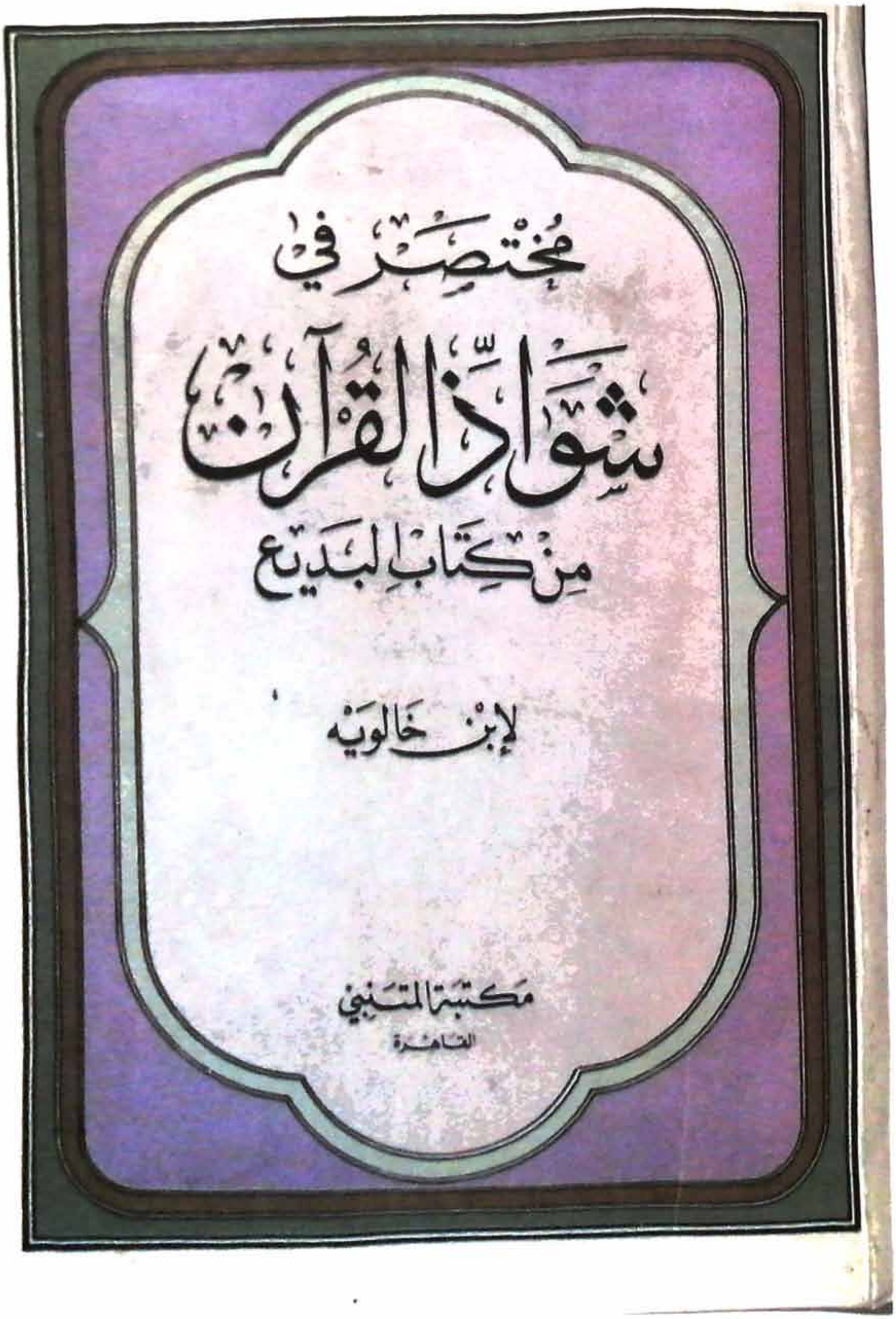
---

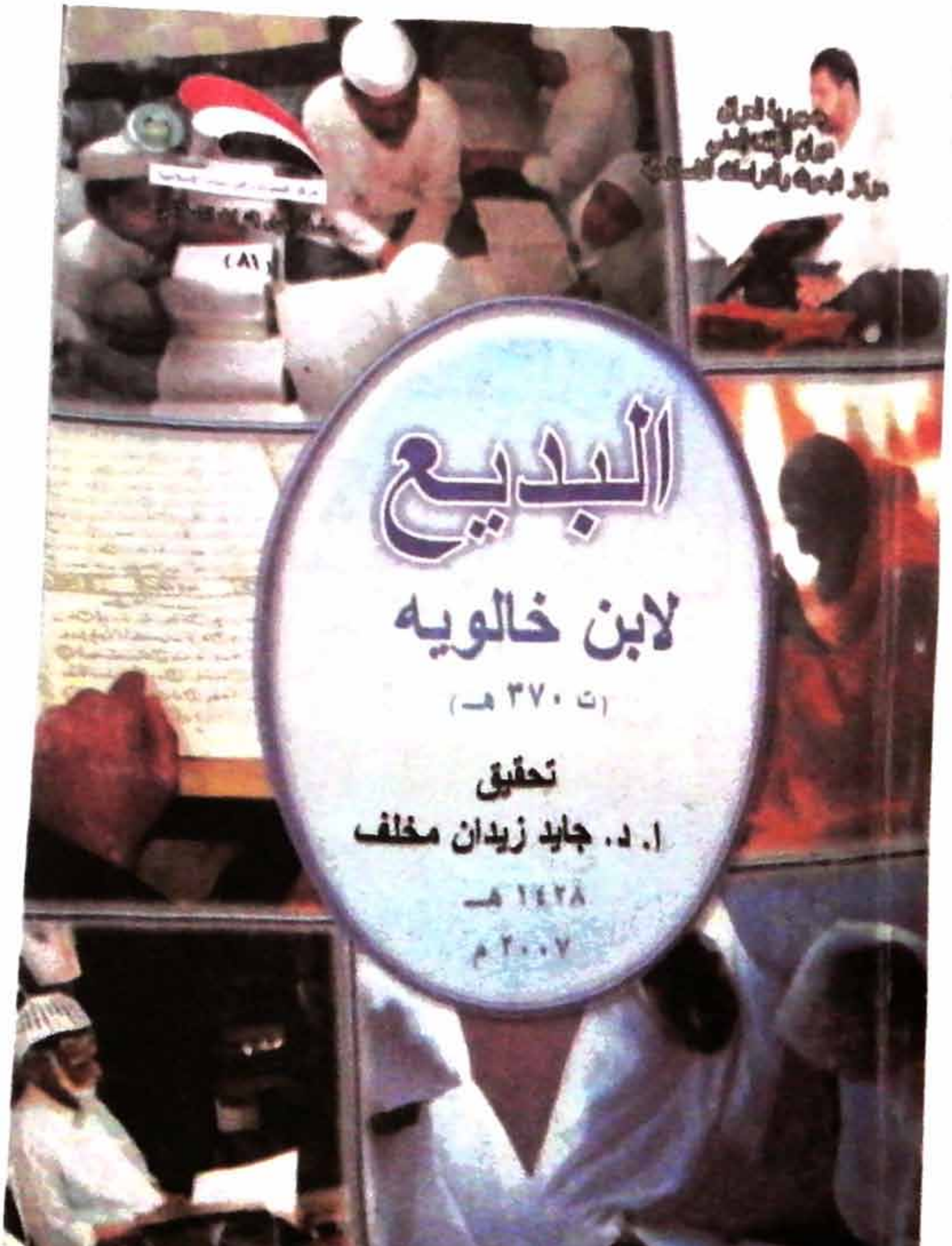
(١) مفردة الكسائي ص٣٧٠.

الترتيب والتصنيف والتوثيق والعزو، على مرجو تحصيل المادة العلمية النافعة في كل مؤلف برأسه.

ولعله بهذا التسارع في طباعة المنشور القرائي، وهذا التيسير اليوم في الحصول على المخطوط أصبح هذا المطلب متاحا أكثر من أي وقت مضى والله ولي التوفيق، ومنه التسديد والتأييد.

ملحق المصورات




البديع
لابن خالويه
(ت ٣٧٠ هـ)
تحقيق
ا. د. جايد زيدان مخلف
١٤٢٨ هـ
٢٠٠٧ م

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني
السنة التاسعة عشرة – العدد (٤٨) جمادى الأولى / شوال ١٤١٥هـ

مرشد القارىء
إلى تحقيق معالم المقارىء

لأبي الأصبغ السُّماتي

المتوفى سنة ٥٦١ هـ

تحقيق

الدكتور حاتم صالح الضامن

كلية الآداب - جامعة بغداد

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني
السنة الرابعة والعشرون – العدد (٥٩) ربيع الآخر – شوال ١٤٢١هـ

ما لم ينشر من كتاب مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ لأبي الأصبغ السُّماتيّ

الدكتور حاتم صالح الضامن
كلية الآداب – جامعة بغداد

المقدمة

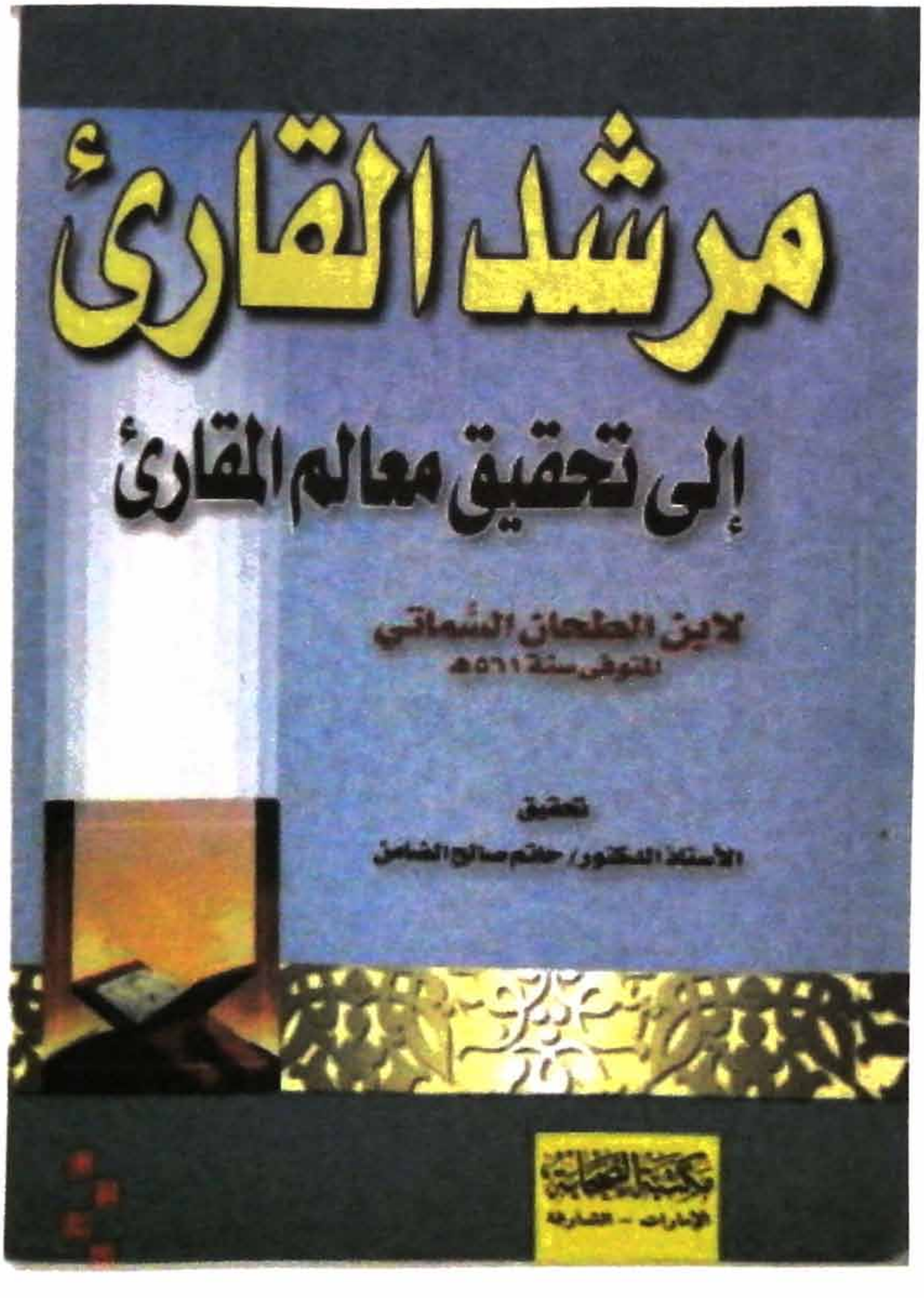
وبعد، فقد نشرت مجلة مجمع اللغة العربية الأردني في العدد ٤٨ كتاب (مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ) لأبي الأصبغ السُّماتيّ المتوفى سنة ٥٦١ هـ وفيه الفصل الخاص بالأصول الدائرة في القراءة.

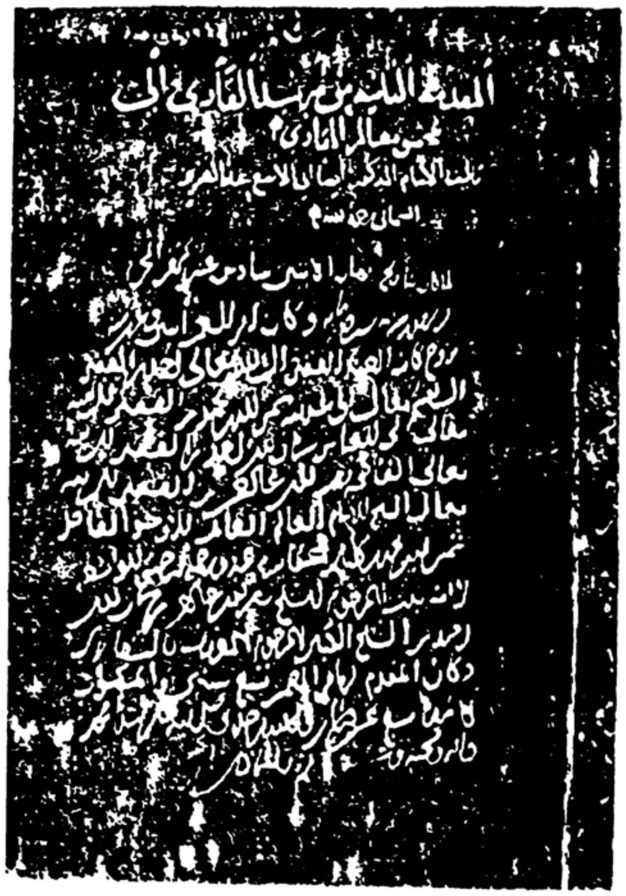
وثمة فصل في حدود الحركات والسكون، وهو الذي أقدمه اليوم، يتم به الكتاب.

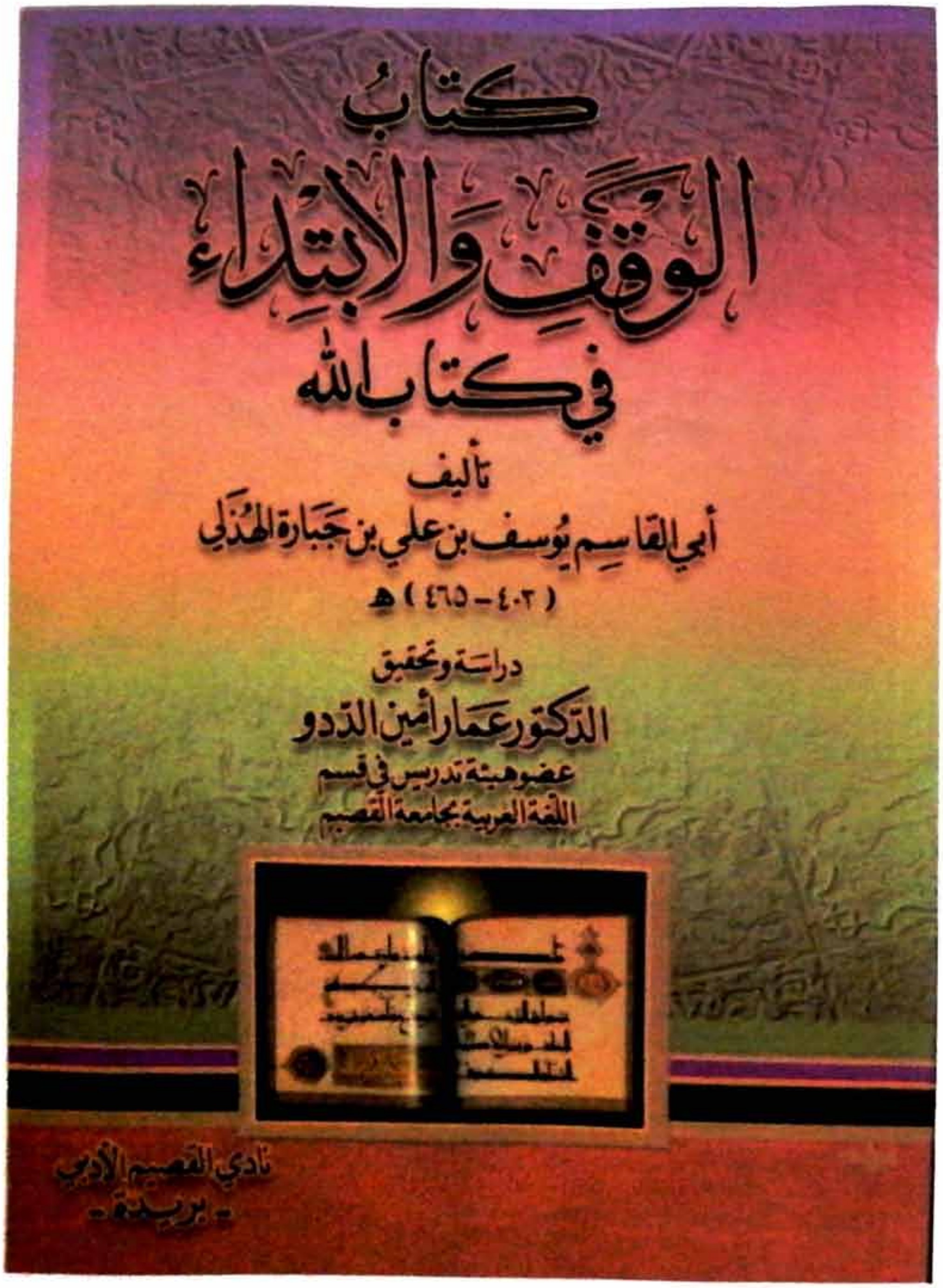
وكانت الصفحة الأخيرة من مصورة المخطوطة مطموسة، ومرت خمس سنوات عجاف لم أستطع خلالها تصوير هذه الصفحة من جستربيتي بدبلن. وقبل شهر منّ الله تعالى عليّ بصورة تامة واضحة لهذه المخطوطة، فوجب عليّ إكمال هذا النقص خدمة للقرآن الكريم.

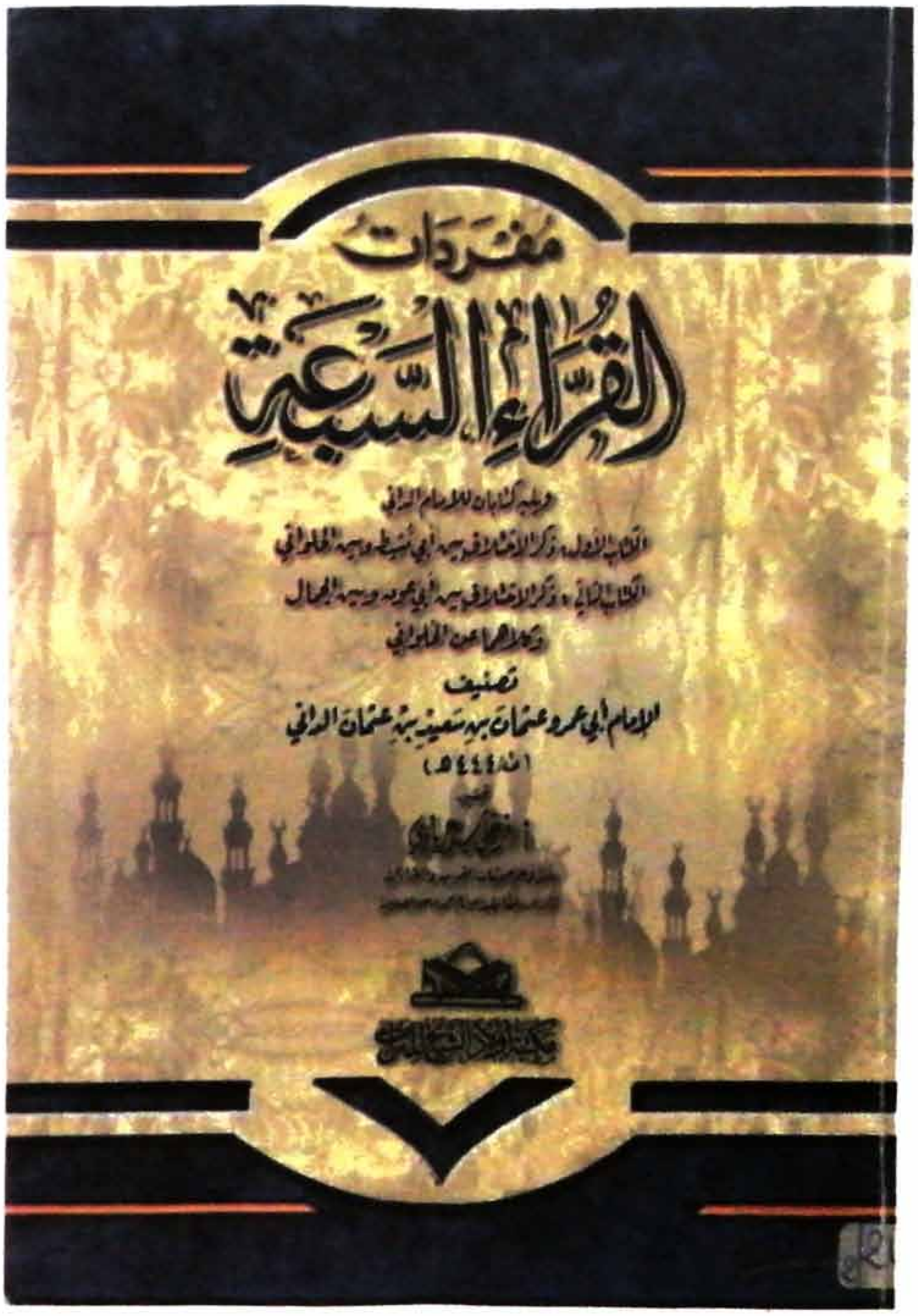
وقد أرفقت بنشرتي هذه صورة الصفحة الأخيرة.

فالحمد لله على ما أنعم إنه نعم المولى ونعم النصير.


مرشد القارئ
إلى تحقيق معالم المقارئ
لابن الطحان السماتي
المتوفى سنة ٥٦١هـ
تحقيق
الأستاذ الدكتور/ حاتم صالح الضامن
مكتبة الصحابة
الإمارات - الشارقة




كتاب
الوقف والابتداء
في كتاب الله
تأليف
أبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي
(٤٠٣-٤٦٥) هـ
دراسة وتحقيق
الدكتور عمار أمين الددو
عضو هيئة تدريس في قسم
اللغة العربية بجامعة القصيم
نادي القصيم الأدبي
- بريدة -


مفردات
القراء السبعة
ويليه كتابان للإمام الداني
الكتاب الأول: ذكر الاختلاف بين أبي نشيط وبين الحلواني
الكتاب الثاني: ذكر الاختلاف بين أبي عون وبين الجمال
وكلاهما عن الحلواني
تصنيف
الإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني
(ت ٤٤٤ هـ)

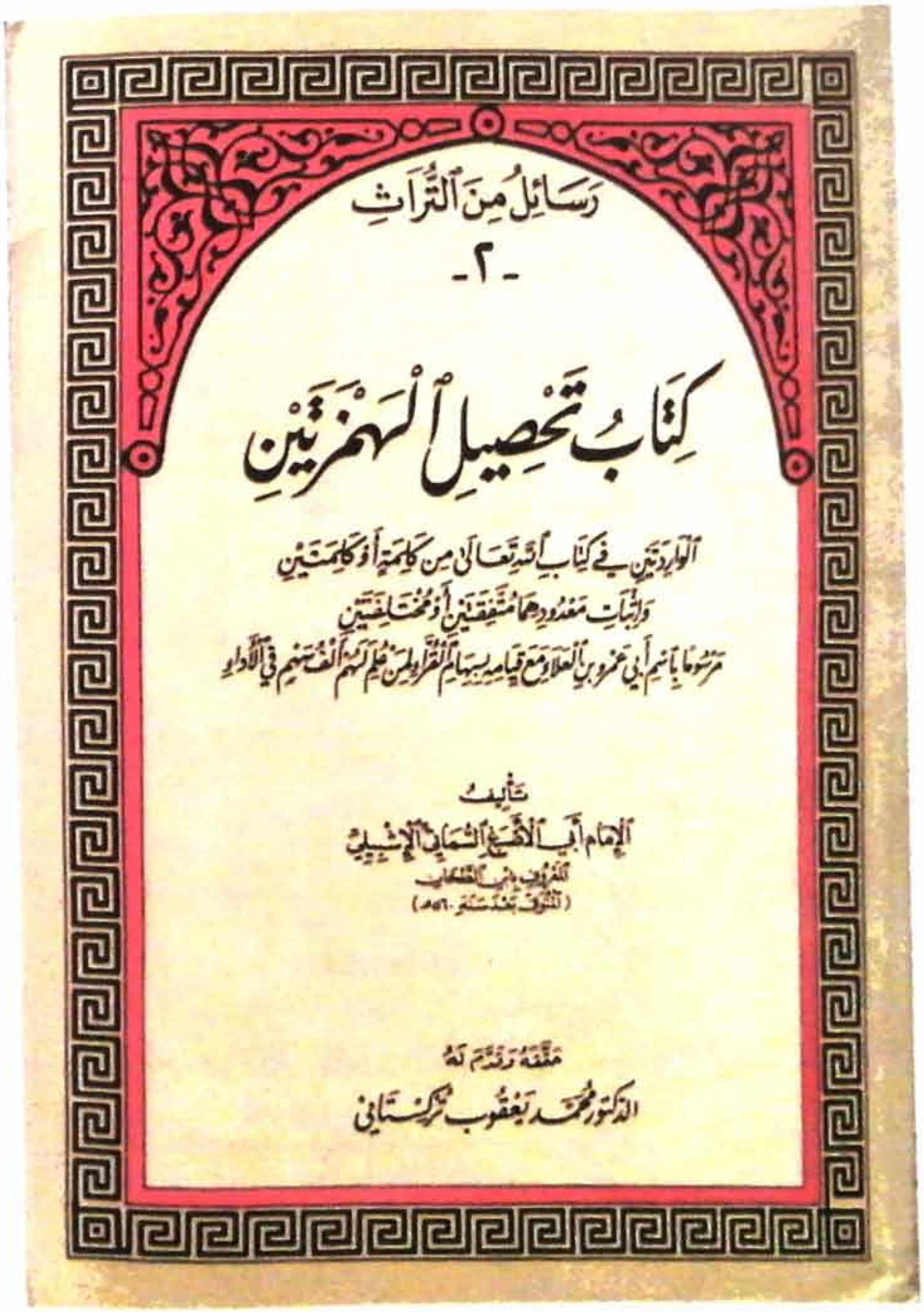
مُسْرِفٍ، ولا فَصْلٍ مُتَعَسِّفٍ، سوى ما يحكمُ به طبيعته من احتباسِ العُضْوِ لإظهارِ قَرْعِهِ، فإنْ / ١٣٦ب/ وَقَفَ عليه بَيَّنَهُ أيضًا بما يجبُ له من صفاتِهِ القائمةِ بذاتِهِ، المُعينةِ على حياتِهِ، الشاهدةِ للقارئِ بالإحسانِ والإجادةِ والإتقانِ في تفريقِهِ بينَ المهموسِ والمجهورِ، وبينَ المهموسِ الرِّخْوِ وبينَ المهموسِ الشَّديدِ، وبينَ المجهورِ الرِّخْوِ وبينَ المجهورِ الشَّديدِ، وبينَ الشَّديدِ الطَّبيعيِّ وبينَ الشَّديدِ الفَرْعيِّ، وبينَ صوتَيِ النُّونِ مُشَدَّدَةً ومُخَفَّفَةً مع النَّفَضِ وإظْهَارِ النُّطقِ.

وفي الياءِ والواوِ الحيَّتينِ توقيفٌ من الأداءِ، وكذلك السكونُ المَيِّتُ حَدُّهُ مُقَيَّدٌ بالأداءِ من شَرْعِ القُرَّاءِ(١).

تمت هذه المقدّمة بحمد الله ومنّه وحسن لطفه

والصلاة على محمد وآله وصحبه

(١) يُنظر: الإنباه في أصول الأداء (٢٥- ٣١).


رسائل من التراث
-٢-
كتاب تحصيل الهمزتين
الواردتين في كتاب الله تعالى من كلمة أو كلمتين
وإثبات معدودهما متفقتين أو مختلفتين
مرسوما باسم أبي عمرو بن العلاء مع قيامه بسهام القراء لمن علم لهم الغنم في الأداء
تأليف
الإمام أبي الأصبغ السماتي الإشبيلي
المعروف بابن الطحان
(المتوفى بعد سنة ٥٦٠ هـ)
حققه وقدم له
الدكتور محمد يعقوب تركستاني

فَصْلٌ

[فِي بَيَانِ طَرِيقَةِ ٱلْمُصَنِّفِ فِي تَحْصِيلِ ٱلْهَمْزَتَيْنِ]

إِعْلَمْ [٧/أ]، أَيُّهَا ٱلْقَارِئُ، أَنْ هَـٰذَا ٱلْكِتَابَ ٱلَّـذِي جَمَعْنَاهُ فِي ٱلْهَمْزَتَيْنِ، وَرَسَمْنَاهُ بِٱسْمِ «أَبِي عَمْرٍو» [هُوَ](١) أَصْلٌ لِغَيْرِهِ مِنَ ٱلْقُرَّاءِ، وَتَنَبَّهْ لِقَوْلِي - فِي تَحْصِيلٍ: «وَٱلْوَارِدِ لَهُ»، وَفِي تَحْصِيلٍ آخَرَ: «وَٱلْوَارِدِ مِنْهُ».

فَقَوْلِي «مِنْهُ» إِشْعَارٌ بِأَنَّ ٱلْمُحَصَّلَ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِي «لَهُ» إِشْعَارٌ بِأَنَّ ٱلعِدَّةَ فِي ذَلِكَ ٱلْمُحَصَّلِ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ بِحَسَبِ ٱخْتِلَافِ ٱلرِّوَايَاتِ.

وَبَيَانُ هَذَا أَنَّا قُلْنَا، فِي ٱلنَّوْعِ ٱلثَّامِنِ: إِنَّ ٱلْوَارِدَ مِنْهُ لَهُ سِتَّةَ عَشَرَ مَوْضِعاً، وَهِيَ كَذَلِكَ لِلْجَمَاعَةِ ٱلْأُخْرَى، فَإِنَّهُ

(١) في الأصل: فإنّه.

يَسْقُطُ لَهُ مِنْهَا وَاحِدٌ؛ وَهُوَ: ﴿مِنَ ٱلشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ﴾[1] لأَنَّهُ بِكَسْرِ ٱلْهَمْزَةِ مِن «أن»؛ فَيُلْحَقُ لِحَمْزَةَ[2] بِالنَّوْعِ ٱلخَامِسِ[3]؛ ٱلَّذِي صَدَّرْنَاهُ بِـ «الْوَارِدِ لَهُ»؛ ٱحْتِرازاً مِن رِوَايَةِ حَمْزَةَ[4].

فَٱغْتَنِمْ، أَيُّهَا ٱلقَارِئُ، مِمَّا سَطَّرْنَا، تَأْمَنِ ٱللَّحْنَ فِي ٱلهَمْزَتَيْنِ، وَتَلْيِينِ ٱلهَمْزَةِ؛ فِي كِتَابِ رَبِّكَ ٱلَّذِي قَدْ هَدَاكَ ٱلنَّجْدَيْنِ.

تَمَّ ٱلكِتَابُ.

وَٱلحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلعَالَمِينَ.

وَصَلَّى ٱللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَآلِهِ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ ٱلمُؤْمِنِينَ، وَسَلَّمَ تَسْليماً، إِلَى يَوْمِ ٱلدِّينِ.

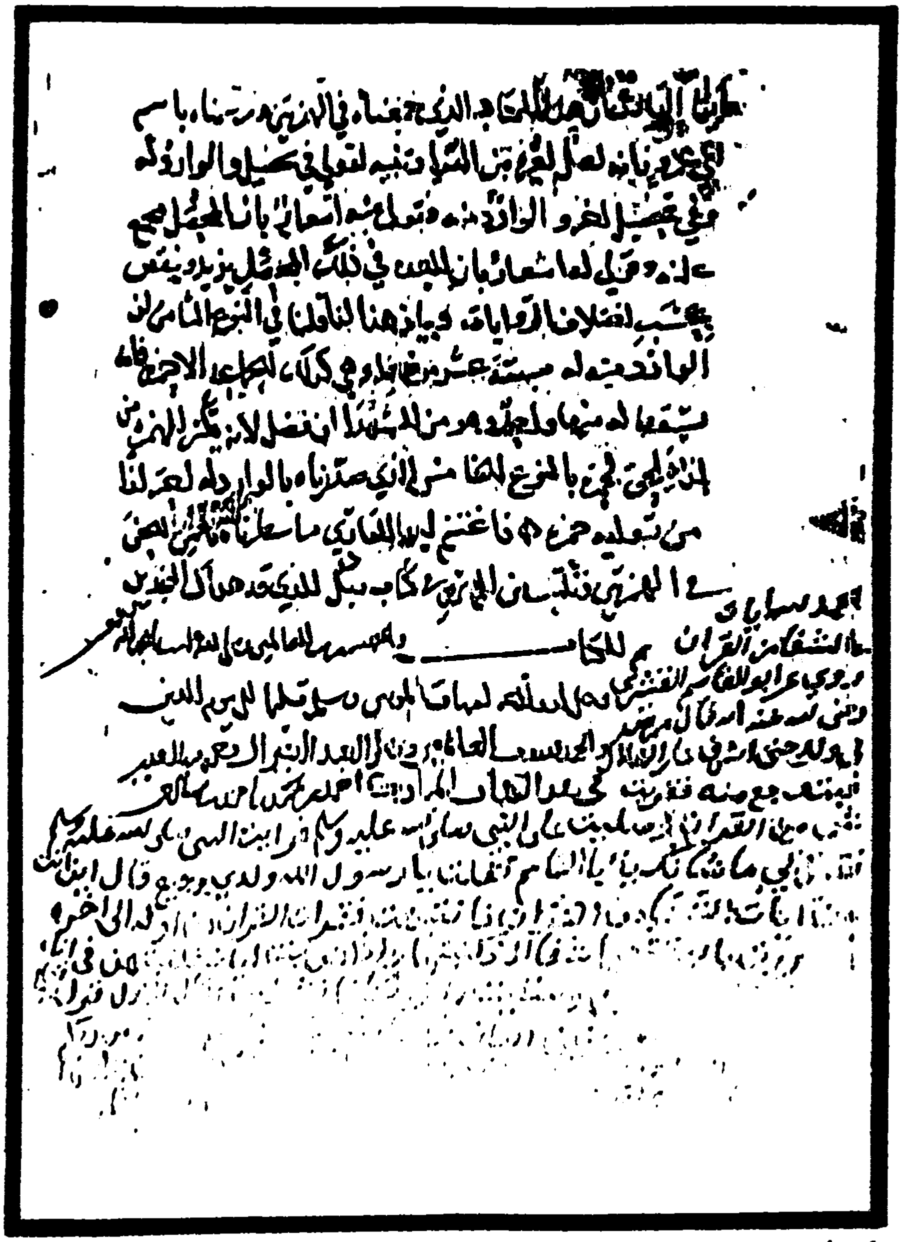
---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٨٢.

(٢) قرأ «حمزة» بكسر الهمزة الثّانية؛ على أنّها شرطيّة، و«تضلّ» فعل مضارع مجزوم، وأصله «تضلل» فأدغمت اللّام الأولى في الثّانية تخفيفاً، وفتحت اللّام؛ لأنّ الفتحة أخفّ الحركات، والفاء في «فتذكر» واقعة في جواب الشّرط؛ أي: إن تضلّ أحدٰهما فتذكرها الأخرى (ينظر: البدور الزّاهرة: ١/٣٠٧).

(٣) وهو: كون الهمزتين مكسورتين؛ من كلمتين.

(٤) لم ترد (من الشّهداء أن تضلّ) في النّوع الخامس؛ فصدّره بجملة «الوارد له» تنبيهاً إلى مثل هذا.



اللوحة ١/٧ أ (١٥٠)

ياء، أو للتأنيث في سورةٍ أواخر آياتها على هاء كانَ ذلكَ أو في غيره. وسواء كانَ ذلكَ الواقعُ قبلَ الألف ياءً أو همزةً أو غير ذلك من حروف المعجم.

واختلفَ علينا في أصلٍ مطّردٍ في ذلكَ [٣٥] وهو ما جاءَ من نَعْتِ القرآنِ بهِ في جميعِ القرآنِ. فأقرأني ذلكَ أبو الفتحِ: بإخلاصِ الفتحِ. وأقرأنيه أبو الحسن: بترقيقِ ذلكَ بينَ بينَ.

فأمّا الألفاتُ اللّواتي بعدهنّ راءٌ، فنحو قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]، و﴿ءَاثَارِهِم﴾ [المائدة: ٤٦]، ﴿أَدْبَارِهِمْ﴾ [الإسراء: ٤٦]، و﴿ٱلنَّهَارِ﴾ [آل عمران: ٧٢]، و﴿ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، و﴿بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥]، و﴿كَفَّارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، و﴿بِدِينَارٍ﴾، و﴿بِقِنطَارٍ﴾ [آل عمران: ٧٥]، و﴿ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩]، و﴿ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، و﴿ٱلْأَشْرَارِ﴾ [ص: ٦٢]، وشبهه، إذا كانَ جمعاً في موضع خفضٍ أو نصبٍ.

وكذلكَ كانَ يخلصُ الفتحَ للراءِ في قوله: ﴿الٓر﴾ [يونس: ١]، و﴿الٓمٓر﴾ [الرعد: ١]، وللحاءِ في قوله: «حم» في جميعِ الحواميم[1]. وللطاءِ والهاءِ في قوله: ﴿طه﴾ [طه: ١].

وقرأتُ على أبي الحسن الهاء، والياء في: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١]: بينَ بينَ، من غيرِ إخلاصٍ لفتحهما.

وقرأتهما على أبي الفتح: بإخلاصِ الفتحِ.

وأمالَ قالون الهاءَ والألفَ بعدها إمالةً محضةً في قوله: ﴿جُرُفٍ هَارٍ﴾ في التّوبة [١٠٩]، على أنَّ فارساً أقرأني ذلكَ: بإخلاصِ الفتحِ. وبالأوّلِ آخذُ. فاعلمْ ذلك، وباللهِ التّوفيقُ.

(١) وهي سبع سُوَر: غافر، وفُصِّلت، والشّورى، والزّخرف، والدّخان، والجاثية، والأحقاف.

﴿إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ﴾[1]، و ﴿لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾[2] وما كان مثله.

واعلم - نفعنا الله وإياك - أني كتبتُ في كتابي هذا في قراءة ابن كثير بواو بعد الهاء صلة لها كما يصلُ القارئ، وبوصل الهاء بالياء في الموضع الآخر كما يصل القارئ، وهو رسم ولا يلزم؛ لأن ابن كثير كانت الهاء في قراءته غير مختلسة، أشبع هو كسر الهاء فصارت الكسرة المشبعة كالياء في وصله، وكذلك كانت الهاء في قراءة غيره بضمة مختلسة، فلما أشبع هو في ضمة الهاء صارت الضمة المشبعة كالواو في وصله، فلما استقرَّ في لفظ القارئ بعد الهاء واو كتبتُها أنا بالواو، وكذلك لما استقرَّ في لفظ القارئ بعد الهاء ياء كتبتُها أنا بالياء ليعلمَ القارئ أنه كذلك يقرأ في وصله.

وأما الوقف فلا خلاف فيه أنه بالهاء لا غير، من غير واو ولا ياء، وأنا أبين لك كيف تكون الهاء في الوقف في آخر هذا الفصل - إن شاء الله -.

ولا يجوز لأحد لو كتب مصحفاً أن يكتب بعد الهاء واواً ولا ياءً البتة، لا فيما كان بين الهاء وبين الحركة ساكن، ولا فيما لم يحل بينهما ساكن، ولكن شكله على الهاء من فوقها في المضمومة، وكسرة على الهاء في المكسورة، فمن فعل غير ذلك فجعل واواً بعد الهاء أو ياء فقد خرق الإجماع وزاد في كتاب الله ما لم يتقدَّمه قبله أحدٌ من السَّلف - رحمة الله عليهم - ولا من علماء القرآن واللغة، وقد عرَّفتك أني إنما كتبتُ الواو والياء بعد الهاء لأدلَّ القارئ على نطق قراءة المكيين في وصلهم، وكذلك لا يجوز لأحد أن يكتب من الياءات المحذوفات في المصاحف بياءٍ لا في قراءة ابن كثير ولا نافع ولا أبي عمرو؛ لأنَّ هذه الياءات المحذوفات من المصاحف إنما اكتفوا بكسر ما قبلها منها، وإجماع السَّلف

(١) سورة الزخرف، آية (٢٦)، وكتبت في المخطوط (لأبيهي).

(٢) سورة الأنعام، آية (٧٤)، وكتبت في المخطوط (لأبيهي).

- رضي الله عنهم - أولى أن يُتّبع ولا يُخالف وإن كان غيره جائزاً، فاعلم ذلك وامتنع من عمل غير ما رسمت لك تكن مُتّبعاً غير مبتدع، والسلام على من اتبع الهدى وآثر الآخرة على الأولى(١).

وأما إذا وقع قبل الهاء ضمة أو فتحة أو كسرة ولم يحل بين الحركات وبين الهاء ساكن فلا خلاف بين القرّاء فيها، والمختلف [١٧/ ب] فيه خمسة أصول على ما رسمت لك والمجمع على ثلاثة أصول، وسأبيّنُ لك الثمانية كلّها - إن شاء الله - حتى لا يلتبس عليك شيء منها.

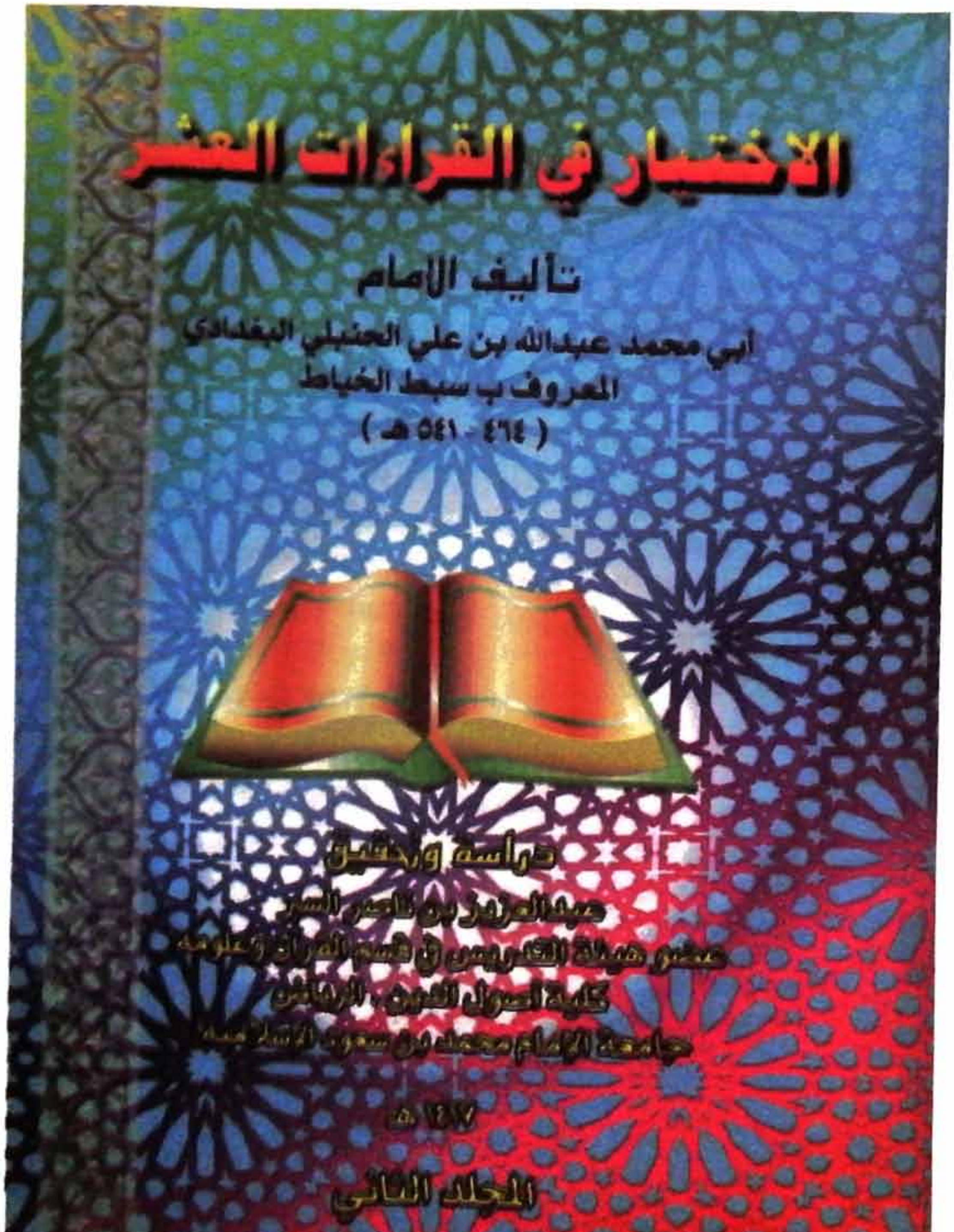
ويحتاج القارئ إلى أن يعلم كيفية هذه الكناية هل هي لام الفعل أو زائدة على لام الفعل؟

وكذلك الساكن الذي يقع قبل الهاء هل هو لام الفعل، أم زائد على لام الفعل؟

فأما هاء الكناية فلا خلاف بين القرّاء فيها أنها زائدة على لام الفعل، ولا تكون هاء الكناية في موضع اللام من الفعل أبداً ولا تقع إلا زائدة فإن قال قائل: فقوله: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾(٢) ما هذه الهاء التي في موضع اللام من الفعل، هل تدخل في جملة

(١) اختلف العلماء في جواز مخالفة الرسم العثماني الذي كتب به الصحابة المصاحف، والراجح الذي عليه جمهور العلماء سلفاً وخلفاً هو عدم جواز مخالفته - كما ذكر المؤلف هنا - بل نقل كثير من العلماء الإجماع على ذلك كالداني والمهدوي وغيرهما، وحكى أبو عمرو الداني اجتماع الصحابة على [illegible] الكتابة [illegible] الأصلية على ما يناسب حال التلاوة. انظر: المقنع ص (١٩)، ومختصر التبيين لهجاء التنزيل لأبي داود سليمان بن نجاح [illegible] مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م (٢/ ٦٢-٦٣) و (٥/ ٩١٨)، وسمير الطالبين للضباع (١/ ٣٩-٤٤) [illegible]، ولقد كشف الأئمة رحمهم الله [illegible] الرسم العثماني [illegible] المخطوط.

(٢) سورة هود آية (٩١).


الاختيار في القراءات العشر
تأليف الإمام
أبي محمد عبدالله بن علي الحنبلي البغدادي
المعروف ب سبط الخياط
(٤٦٤ - ٥٤١ هـ)
دراسة وتحقيق
١٤٢٧ هـ
المجلد الثاني

فصل: فيها إذا اختلفتا

وقد وقعا مختلفتين على خمسة أضرب:

فضرب تكون الأولى فيه مضمومة، والثانية مفتوحة.

وذلك واقع في أحد عشر موضعاً من القرآن:

أوّلها في سورة البقرة: ﴿السفهاءُ ألا﴾ [١٣]، وفي الأعراف: ﴿لو نشاءُ أصبناهم﴾ [١٠٠]، وفيها: ﴿تشاءُ/٥٨/أنت وليّنا﴾ [١٥٥]، وفي التوبة: ﴿سوءُ أعمالهم﴾ [٣٧]، وفي هود: ﴿ويا سماءُ أقلعي﴾ [٤٤]، وفي يوسف: ﴿الملأُ أفتوني﴾ [٤٣]، وفي إبراهيم: ﴿ما يشاءُ ألم تر إلى﴾ [٢٧، ٢٨]، وفي النمل: ﴿الملأُ أفتوني﴾ [٣٢]، وفيها: ﴿الملأُ أيّكم﴾ [٣٨] زاد أبو سليمان(١) عن قالون: ﴿النبيءُ أولى﴾ [٦ الأحزاب] على أصله، وفي السجدة: ﴿جزاءُ أعداء الله﴾ [٢٨]، وفي الممتحنة: ﴿البغضاءُ أبداً﴾ [٤].

والضرب الثاني: (يكون)(٢) الأولى (منه)(٣) مضمومة ـ أيضاً ـ، والثانية مكسورة:

وهذا واقع(٤) في القرآن في ثلاثة وعشرين موضعاً:

---

(١) هذا الحكم ليس لقالون وحده ولكنّه لنافع من روايتيه: قالون، وورش. انظر: النشر ٣٨٧/١.
(٢) ساقط في (أ).
(٣) ساقط في (أ).
(٤) في (ب): وقع.

سورة الأحزاب

روى أبو سليمان: ﴿النبيءُ أَوْلى﴾ [٦] بتحقيق الهمزتين فيهما مارّاً على أصله في تحقيق الهمزتين/٢٦١/ الواقعتين من كلمتين مختلفتين حيث كان، الباقون من أصحاب نافع على أصولهم في تحقيق الأولى وتليين الثانية على حسب ما يقتضيه التخفيف(١).

روى عبدالوارث إلاّ القزّاز: ﴿ليَسَل الصادقين﴾ [٨] بإلقاء حركة الهمزة على الساكن وحذفها(٢).

روى العبسي عن حمزة : ﴿وإذ زاغت﴾ [١٠]، ﴿القلوب الحناجر﴾(٣)، وفي ص: ﴿أم زاغت﴾ [٦٣] بإمالة الألف فيهما(٤).

قرأ أهل المدينة وابن عامر وأبو بكر: ﴿الظنونا﴾ [١٠]، و: ﴿أطعنا الرسولا﴾ [٦٦]، ﴿فأضلّونا السبيلا﴾ [٦٧] بألف في الوقف والوصل، وقرأ أهل البصرة إلاّ عبدالوارث في غير رواية القزّاز عنه وحمزة بغير ألف في الوصل والوقف، وروى الحلبي عن عبدالوارث بألف في الوصل دون الوقف، الباقون بألف في الوقف دون الوصل(٥).

---

١) انظر: الإتحاف ٣٥٣.
٢) وانظر: المبهج ٢/٦٩٠، والكفاية الكبرى ٣/٤٩٦، والنشر ١/٤٤١.
٣) ما بين المعقوفتين ساقط في: (ب).
٤) وانظر: الإتحاف ٣٥٣.
٥) وانظر: المبسوط ٣٠٠، والكفاية الكبرى ٣/٤٩٦، والمبهج ٢/٦٩٠، والتيسير ١٧٨، والسبعة ٥١٩، والنشر ٢/٣٤٧، والإتحاف ٣٥٣.

مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ

والتحقيق[١] : عبارةٌ عن / ١٣٤ب/ ضِدُّ التّسهيلِ ، وهو الإتيانُ بالهمزةِ ، أو بالهمزاتِ خارجاتٍ مِن مخارِجِهِنَّ ، مُندفعاتٍ عنهنَّ ، كاملاتٍ في صفَاتِهِنَّ .

وموضعُ هذهِ العبارةِ في أَحْسَنِ التّعلمِ إدلالُ المقرئِ بها في ملتقى الهمزتَينِ للتّجويدِ فيهما والتّقويمِ ، ويليه إدلالُه بها عندَ انفرادِ النّبْرِ ساكنًا في الوقفِ والمَدِّ ، ويليه إدلالُه بها عندَ انفرادِهِ مُحَرّكًا في حالِ الكَسْرِ ، والمعتادُ فيه لما سهل لورْش[٢] بالنّقلِ أنْ يكونَ الإدلالُ على الهمزِ بما مَرَّ مِن القطعِ الذي حَدَّه بالوَصْلِ .

والفتح[٣] : عبارةٌ عن النُّطقِ بالألفِ مركّبةً على فتحةٍ خالصةٍ غيرِ مُمالةٍ إلى مصافِ الكسرِ .

[(١) ا]نظر : الموضح (٢١٥)، والتمهيد (٧١).

[(٢) ع]ثمان بن سعيد المصري راوية نافع المدني ، لُقّب بورش لشدة بياضه ، [ت سنة] ١٩٧ هـ . معرفة القراء الكبار ١٥٢ ، وغاية النهاية ١/ ٥٠٢ .

[(٣) ا]نظر : إبراز المعاني (٤٢)، والتمهيد (٧١).

باب
ذكر اللامات(١)

اعلمْ أنَّ قالون كانَ يُرقِّقُ اللامَ المفتوحةَ مع الصادِ والطاءِ، [والظاء]، من غير إسرافٍ في الترقيق.

فمع الصادِ، نحو قوله: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٣]، و﴿فَيُصْلَبُ﴾ [يوسف: ٤١]، و﴿إِصْلَٰحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وشبهه.

ومع الطاءِ، نحو قوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾، ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾ [البقرة: ٢٢٧، ٢٢٨]، و﴿مُّعَطَّلَةٍ﴾ [الحج: ٤٥]، وشبهه.

ومع الظاءِ، نحو قوله: ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ﴾، و﴿يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٠، ٥٧]، و﴿بِظَلَّٰمٍ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، وشبهه.

وأمّا ما وقعَ من اللام مع الصادِ في رؤوس الآي، نحو قوله: ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١]، و﴿فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٥]، و﴿إِذَا صَلَّىٰ﴾ [العلق: ١٠]، ففي اللام وجهان: الترقيقُ على الأصلِ المتقدِّمِ، والتفخيم طرداً للقياس [٣٦] في ذوات الياءِ.

وتُحِيلُ ذلكَ على ما قبله وما بعده من رؤوس الآي.

وكذا حُكْمُ سائرِ اللاماتِ إذا وقعنَ في الفواصلِ اللاتي على ياءٍ

(١) ينظر: جامع البيان ١/٤٠٧ ـ ٤١٣، والإقناع ١/٥٠٤ ـ ٥١٢، والنشر الكبير ص٥٤٦ ـ ٥٥٤، والنشر ٢/١٢٠ ـ ١٢٨.

المصادر والمراجع

- إبراز المعاني من حرز المعاني، لأبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مكتبة البابي الحلبي، مصر، ومطبوعة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، تحقيق وتعليق: محمود بن عبد الخالق جادو، ١٤١٣هـ.
- الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطي، تقديم وتعليق د مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣- ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- الاختيار في القراءات العشر، لأبي محمد عبد الله بن علي سبط الخياط، دراسة وتحقيق: عبد العزيز بن ناصر السبر، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١-١٤١٧
- الإرشاد في القراءات عن الأئمة السبعة، لأبي الطيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون، دراسة وتحقيق: باسم بن حمدي بن حامد السيد، مطبوعات جائزة الأمير سلطان الدولية في حفظ القرآن للعسكريين، ط١ - ١٤٣٢هـ/٢٠١١
- أسماء سور القرآن الكريم، للدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع، دار كنوز إشبيليا، السعودية، ط١-١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- أصول القراءات، لأبي العباس أحمد بن عمار المهداوي، تحقيق ودراسة: مصطفى الزكاف، أطروحة دكتوراه، جامعة المولى إسماعيل، كلية الآداب، مكناس، إشراف: د محمد السيسي، السنة الجامعية: ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- إعراب القراءات السبع وعللها، لأبي عبد الله الحسين بن خالويه، حققه وقدم له: د عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١- ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، للقاضي عياض، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، ط٢- ١٣٩٨هـ/١٩٨٧م.

- **البرهان في علوم القرآن**، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط٣- ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- **البيان في عد آي القرآن**، لأبي عمرو الداني، تحقيق: د غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ط١- ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

- **التبصرة في القراءات السبع**: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق محمد غوث الندوي، الدار السلفية، بومباي، ط٢-١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- **التبصرة في قراءات الأئمة العشرة**، للإمام أبي الحسن علي بن فارس الخياط، دراسة وتحقيق: د رحاب محمد شقفي، مكتبة الرشد، ناشرون،ط١- ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

- **تجريد الاختلاف بين يعقوب الحضرمي في روايتي رويس وروح عنه، وبين نافع في رواية ورش عنه**، لمحمد بن شريح الرعيني، دراسة وتحقيق: د عمار أمين الددو، مطبوعات جائزة دبي الدولية، الإمارات، ط١- ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

- **التحديد في الإتقان والتجويد**، لأبي عمرو الداني، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار،الأردن، ط١.

- **تحصيل الهمزتين الواردتين في كتاب الله من كلمة أو كلمتين**، لأبي الأصبغ السماتي المعروف بابن الطحان، حققه وقدم له د محمد يعقوب تركستاني، ط١- ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

- **تحقيقات في اللغة والأدب**، للدكتور ناصر الدين الأسد، أروقة للدراسات والنشر، الأردن، ط١- ١٤٣٣هـ/٢٠١٣م.

- **التذكرة في القراءات الثمان**، لأبي الحسن طاهر ابن غلبون، دراسة وتحقيق: أيمن رشدي سويد، مطبوعات الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة.

- **الترقيم وعلاماته في اللغة العربية**، تأليف: أحمد زكي باشا، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ط٢ - ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- **تفسير التحرير والتنوير**، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر.

- **التقريب والحرش المتضمن لقراءة قالون وورش**، لأبي الأصبغ عيسى بن محمد البلنسي ابن المرابط، تقديم وتحقيق: د حسن حميتو، مطبوعات الرابطة المحمدية للعلماء، ط١ - ١٤٣١ - ٢٠١٠م.

- **التلخيص في القراءات الثمان**: لأبي معشر الطبري، دراسة وتحقيق محمد حسن عقيل موسى، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة، ط١ (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

- **تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرءان الكريم، دراسة تأصيلية**، تأليف: عبد السلام مقبل المجيدي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط١ - ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

- **التنزيل وترتيبه**، لأبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، دراسة وتحقيق: الدكتورة نورة بنت عبد الله الورثان، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط٢ - ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

- **التيسير في القراءات السبع**، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: الدكتور حاتم الضامن. مكتبة الصحابة، الشارقة، ط١ - ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

- **جامع البيان في القراءات السبع**، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ت ٤٤٤هـ، مجموعة رسائل جامعية لعبد المهيمن عبد السلام الطحان وطلحة محمد توفيق وسامي عمر إبراهيم وخالد علي الغامدي، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، إصدار كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة.

- **جمال القراء وكمال الإقراء**، لعلم الدين السخاوي، تحقيق حسين البواب، مكة المكرمة، (١٩٨٧م).

- **جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد**، لبرهان الدين الجعبري، دراسة وتحقيق: محمد خضير مضحي الزوبعي، دار الغوثاني، دمشق، ط١- ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

- **جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه**، بحوث المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم، مطبوعات الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، ط١- ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

- **الحجة للقراء السبعة**، لأبي علي الفارسي،تحقيق بدر الدين قهوجي، دار المأمون للتراث، ط١ - ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- **حرز الأماني ووجه التهاني**، لأبي القاسم بن فيره الشاطبي، ضبطه وصححه وراجعه: محمد تميم الزعبي، دار المطبوعات الحديثة، ط٢- ١٤١٠هـ/١٩٩٠ م.

- **الدر النثير والعذب النمير**، لأبي السداد عبد الواحد بن محمد المالقي، دراسة وتحقيق: د محمد حسان الطيان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط١- ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ونشرة دار الكتب العلمية، تحقيق عادل عبد الموجود، علي معوض، د أحمد المعصراوي، ط١- ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

- **الدرة الفريدة، في شرح القصيدة**، لابن النجيبين الهمذاني، حققه وقدم له وعلق عليه: د جمال محمد طلبة، مكتبة المعارف، الرياض، ط١- ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

- **رسالة في حكم القراءة بالشاذ**، ليوسف زاده، تحقيق عمر حمدان وصاحبه، دار الفضيلة للنشر، ط١،(١٤٢٧هـ-٢٠٠٤م).

- **رسالتان في قراءة الإمام نافع**، لأبي عبد الله محمد بن شريح الأندلسي، تحقيق ودراسة: الدكتور عطية بن أحمد بن محمد الوهيبي، مطبوعات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الإمارات، ط١- ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

- **رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية**، تأليف د غانم قدوري الحمد، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، العراق، ط١ – ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: الدكتور أحمد حسن فرحات، دار الكتب العربية بدون ط.
- رواية **أبي عمرو ابن العلاء البصري**، لأبي القاسم أحمد بن جعفر الغافقي ابن الأبزازي، دراسة وتحقيق: د سر الختم الحسن عمر، دار عمار، الأردن، ط١ – ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- **السبعة في القراءات**: ابن مجاهد،تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ونشرة دار الصحابة للتراث بطنطا، تحقيق جمال الدين شرف، ط١ – ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- **شرح الدرر اللوامع في أصل مقرإ الإمام نافع**، لأبي راشد يعقوب الحلفاوي، تحقيق ودراسة: محمد صالح المتنوسي، رسالة ماستر في كلية الآداب مراكش، تحت إشراف الدكتور توفيق العبقري، السنة الجامعية: ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- **شرح الدرر اللوامع في أصل مقرإ الإمام نافع**، لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك القيسي المنتوري، تحقيق وتقديم: الصديقي سيدي فوزي، ط المغرب– ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- **الضوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات**، لإبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: د محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، ط١ – ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- **علم التحقيق للمخطوطات العربية، بحث تأسيسي للتأصيل**، الدكتور فخر الدين قباوة، دار الملتقى، سوريا، ط١ – ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

- **العنوان، حقيقته وتحقيقه في الكتاب العربي المخطوط**. تأليف الدكتور عباس أرحيلة، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط١ - ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** لابن حجر العسقلاني، بعناية محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.

- **الفتح الرباني في القراءات السبعة من حرز الأماني في القراءات السبعة من طريق حرز الأماني**، لأبي عياشة مجمد البيومي الدمنهوري، حققه عبد العزيز بن ناصر السبر، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤١٧م.

- **الفجر الساطع والضياء اللامع في شرح الدرر اللوامع**، لأبي زيد عبد الرحمن ابن القاضي، دراسة وتحقيق: أحمد بن محمد البوشيخي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط١ - ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

- **فرائد المعاني في شرح حرز الأماني**، لأبي عبد الله محمد بن محمد ابن آجروم، دراسة وتحقيق: د عبد الرحيم نبولسي، طبعة تجريبية خاصة بمركز أبي عمرو الداني، والقسم الثاني، مرقون بعناية باحثي المركز العمري.

- **فيض الودود بقراءة حفص عن عاصم بن أبي النجود**، لأبي المواهب محمد بن عبد الباقي الحنبلي، تحقيق: عبد العظيم محمود عمران، مكتبة أولاد الشيخ، القاهرة، ط١ - ٢٠٠٧م.

- **القراءات الثماني**، لأبي محمد الحسن العماني، تحقيق: إبراهيم عوض، وأحمد حسين صقر، وزارة التراث بعمان، ط١ - ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- **الكامل في القراءات الخمسين**، لأبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي البسكري، تحقيق: عمر يوسف عبد الغني حمدان، تغريد محمد عبد الرحمن حمدان، مطبوعات كرسي الشيخ يوسف بن عبد اللطيف جميل للقراءات بجامعة طيبة، المدينة المنورة، ط١ - ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

- **الكتاب الأوسط في علم القراءات**، لأبي محمد الحسن بن علي العماني، تحقيق: د عزة حسن، دار الفكر، دمشق، ط١ - ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، لأبي محمد مكي، تحقيق: د محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
- **كنز المعاني في شرح حرز الأماني**، لإبراهيم بن محمد بن إبراهيم الجعبري، دراسة وتحقيق: فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، مصر، ط١ - ٢٠١١، ومطبوعة الأوقاف المغربية، بتحقيق: الأستاذ أحمد اليزيدي، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- **لطائف الإشارات لفنون القراءات**، لأبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مطبوعات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. المدينة المنورة، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- **المتحف في أحكام المصحف**، تأليف د صالح بن محمد الرشيد، مؤسسة الريان، لبنان. ط١ - ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- **مرشد القاري إلى تحقيق معالم المقاري**، لابن الطحان السماتي، تحقيق: أ د حاتم صالح الضامن، مكتبة الصحابة، الإمارات، ٢٠٠٧، والمقال المنشور بمجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة: ١٩، العدد: ٤٨/١٤١٥هـ، وما لم ينشر من الكتاب في المجلة نفسها، السنة: ٢٤، العدد: ٥٩/١٤٢١هـ.
- **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، لأبي شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، حققه طيار آلتي قولاج، دار صادر بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- **مسائل في القراءات**، لأبي عبد الله القيجاطي، دراسة وتحقيق: د بنيونس الزاكي، طبعة تجريبية لمركز الإمام أبي عمرو الداني.
- **المصاحف** لأبي بكر السجستاني، دراسة وتحقيق د محب الدين واعظ، إصدار وزارة الأوقاف قطر، ط١ - ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- **المصطلح القرائي عند الإمام الداني**، أطروحة دكتوراه من إعداد د. توفيق العبقري، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، ٢٠٠٢م. إشراف أ.د الشاهد البوشيخي.

- **مصطلحات الكتاب العربي المخطوط**، تأليف: الدكتور أحمد شوقي بنبين، ومصطفى الطوبي، دار أبي رقراق، الرباط، ط٤ – ٢٠١١م.

- **المعجم الكبير**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢.

- **المفتاح في اختلاف القراء السبع**، لأبي القاسم عبد الوهاب بن محمد القرطبي، تحقيق ودراسة: فهد المغذوي، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١ – ١٤٢٧هـ.

- **مفردات ألفاظ القرآن**، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، سوريا، ط٢ – ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- **مفردات القراء السبعة**، لأبي عمرو الداني، تحقيق: فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط١ – ٢٠٠٨م.

- **مفردة الكسائي**، كتاب فيه مجرد قراءة أبي الحسن علي بن حمزة النحوي الكوفي المعروف بالكسائي، رواية أبي عمر الدوري من طريق ابن مقسم، لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني، دراسة وتحقيق: أشرف محمد فؤاد طلعت، ط: ١ – ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧ بروناي.

- **مفردة نافع**، لأبي عبد الله محمد بن شريح، دراسة وتحقيق: سمير بلعشية ومحمد نافع، ط١ – ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

- **مفردة نافع**، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: الدكتور حاتم الضامن، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١ – ١٤٣٦هـ.

- مفردة يعقوب، لمحمد بن شريح الرعيني، دراسة وتحقيق: مهدي لوناس دهيم، منشورات مشروع رعاية القرآن الكريم في المساجد، الكويت، ط١ – ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، تأليف: عباس أرحيلة، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط١ ٢٠٠٣م.
- مقدمة في أصول القراءات، لأبي الأصبغ عبد العزيز بن علي السماتي، قراءة وتعليق: د توفيق العبقري، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، دراسة تحقيق: نورة بنت حسن بن فهد الحميد، دار التدمرية، الرياض، ط١ – ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لمحمد بن محمد بن الجزري، اعتنى به علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد ط١ ١٤١٩هـ.
- منح الفريدة الحمصية في شرح القصيدة الحصرية، لابن عظيمة الإشبيلي، دراسة وتحقيق: الأستاذ توفيق العبقري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط١ – ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- المنح الفكرية على متن الجزرية، للملا علي بن سلطان قاري، حققه وعلق عليه: عبد القوي عبد المجيد، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١ – ١٤١٩هـ.
- منهج ابن عطية في عرض القراءات وأثر ذلك في تفسيره: دراسة نظري تطبيقية دكتوراه مقدمة لجامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، إعداد فيصل بن جميل بن حسن غزاوي، إشراف أ. محمد ولد سيدي ولد حبيب، الموسم الجامعي: ١٤٢٣هـ.

- **النشر في القراءات العشر**، لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري، دراسة وتحقيق: الدكتور سالم محمد محمود الشنقيطي، مطبوعات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

- **نظام الأداء في الوقف والابتداء**، لأبي الأصبغ الأندلسي، تحقيق: د علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٦هـ.

- **نقد منهج الإمامين الأزميري والمتولي في تحريراتهما على الطيبة**، تأليف: إيهاب فكري، المكتبة السلفية، القاهرة، ط١ - ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

- **الهادي في القراءات السبع** لمحمد بن سفيان القيرواني، تحقيق: د. خالد حسن أبو الجود، دار عباد الرحمن، القاهرة، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

- **هجاء مصاحف الأمصار**، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي، تحقيق: د حاتم الضامن، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٣٠م.

- **الوافي في شرح الشاطبية**، لعبد الفتاح القاضي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

- **الوجيز في شرح قراءات القَرأة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة**، لأبي علي الأهوازي، تحقيق دريد حسن أحمد، دار الغرب الإسلامي، ط١ -٢٠٠٢م.

- **الوقف والابتداء في كتاب الله**، لأبي القاسم يوسف بن علي الهذلي، دراسة وتحقيق: د عمار أمين الددو، مطبوعات نادي القصيم الأدبي، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

- **وقوف القرآن وأثرها في التفسير**، للدكتور مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، مطبوعات مجمع الملك فهد، المدينة المنورة- ١٤٣١هـ.

التعامل مع النصوص الحديثية عند تحقيق مخطوطات التفسير وعلوم القرآن

بشار عواد معروف[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا وإمامنا المبعوث رحمة للعالمين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته أجمعين، وبعد:

فمن المعلوم في بدائه علم تحقيق النصوص أن الهدف من تحقيق أي نص هو إخراجه كما كتبه مؤلفه وارتضاه لآخر حياته ما استطاع المحقق إلى ذلك سبيلاً، والتعليق عليه بما يعزز الوصول إلى هذه الغاية ثم تجلية النص وإزالة إبهامه، ثم التعليق عليه بما ينفع مستفيده.

أما الأول فيشتمل على التعليقات المتصلة بضبط النص، من حيث تنظيم مادته، وتقييده بالحركات الضرورية التي تظهر المعاني وتدفع اللبس، وتثبيت القراءات المتباينة بين النسخ والترجيح بينها وضرورة التعليل عند الترجيح، والإشارة إلى موارد النص ومناجمه مما صَرّح به المؤلف أو لم يُصَرّح، والسعي إلى تدقيق هذه النقول والعناية بإثبات الاختلافات الجوهرية بين تلك الموارد وبين ما اقتبسه المؤلف، والعناية بتتبع اقتباسات المؤلفين الذين جاءوا بعده، فإنها تمثل نسخًا

---

(١) العالم الخبير في علم المخطوطات ومستشار سمو الأمير علي بن نايف، والمسؤول بمركز التوثيق الملكي الأردني الهاشمي.

أخرى غير النسخ التي وقف عليها المحقق في كثير من الأحيان. ومثل هذه الخطوات ضرورية لتحقيق أي نص تراثي في أي علم من العلوم.

وإنما تتباين التعليقات في النوع الثاني، وهو الخاص بالمستفيد من النص، حيث يتطلب كل علم من العلوم وضع منهج خاص للتعليق عليه بما يفيد المستفيد منه، فتختلف أولويات العناية اختلافًا بيِّنًا.

ففي التفاسير مثلًا، نعلم يقينًا تنوّع مناهج المفسرين، بين تفسير بالمأثور، وتفسير بالرأي. وتفسير بياني. وتفسير علمي يشتمل على سائر العلوم الدينية والدنيوية، وتفسير نوعي أو موضوعي، قد يشمل معانيه حسب، أو مجازه، أو ناسخه ومنسوخه، وأسباب نزوله وهلم جرًا، فكل واحد من هذه الأنواع محتاج إلى منهج خاص بالتعليق عليه بما يحقق فائدة استفادة المستفيد منه على أفضل وجه.

من هنا ندرك أن العناية بالحديث والآثار إنما تتصل بالمخطوطات المعنية بالتفسير بالمأثور عمومًا، سواء أكانت أحاديث مرفوعة أو موقوفة على صحابة أو تابعين أو مفسرين.

كان المفسرون بالمأثور يعمدون إلى الآيات التي تناولت موضوعًا واحدًا فيجمعونها ويقابلون بينها، ليستعينوا بما جاء مسهبًا على فهم ما جاء موجزًا، وبما جاء مُبَيِّنًا على ما جاء مجملًا، وليحملوا المطلق على المقيّد، والعام على الخاص وهلم جرًا فيفسرون القرآن بالقرآن(١).

أما ما نقل عن النبي ﷺ فأكثره مما سأله الصحابة رضوان الله عليهم، فكان الواحد منهم إذا أشكلت عليه آية سأل عنها رسول الله ﷺ فيبينها له؛ لأن من

---

(١) ينظر تفاصيل ذلك وأمثلة عنه في كتاب محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون ١/٣٨-٤١.

أوجب مهامه ﷺ هو البيان ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وهذه الأحاديث تطبق عليها معايير أصحاب الحديث من حيث الصحة والسقم، وآية ذلك أن القُصّاص والوضاعين قد زادوا في هذا النوع من التفسير كثيرًا، فنسبوا إلى رسول الله ﷺ ما لم يقله، فلا يُنسب إلى رسول الله ﷺ إلا ما صح عنه، وما ضعف سنده فيعتبر به اعتبارًا، وما روي بسند تالف أو فيه من الكذابين والمتروكين والهلكى فلا يعتد به.

أما تفسير الصحابي الموقوف عليه، الذي لم يعرف عنه اطلاعه أو أخذه عن أهل الكتاب فقد عده بعض العلماء في حكم الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ إذا كان مما ليس للرأي فيه مجال أو في أسباب النزول، إذ مثل ذلك مما لا يمكن أن يؤخذ إلا عن النبي ﷺ ولا مدخل للرأي فيه[1]، وبذلك توسعت دائرة التفسير بالمأثور بدخول موقوفات الصحابة فيه حينما عُدّت ضمن المرفوعات، فصار المجال واسعًا لمؤلفي كتب التفسير بالمأثور الذين تجاوزوا عصر الصحابة فضموا إليه تفاسير التابعين ورووها بالإسناد فدخلت في هذا المجال أيضًا مع اختلافهم في درجة الاحتجاج بها، قال الحافظ ابن كثير في مقدمة تفسيره: «والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجد فمن السنة.. وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه... إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد

(١) ينظر: تدريب الراوي للسيوطي، ص٦٤.

بن جبر، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيّب، وأبي العالية (رفيع بن مهران)، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مزاحم وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم، فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عباراتهم تباين في الألفاظ، يحسبها من لا علم عنده اختلافًا فيحكيها أقوالًا، وليس كذلك، فإن منهم من يُعبِّر عن الشيء بلازمه أو بنظيره، ومنهم من ينصّ على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن. فليتفطن اللبيب لذلك»[1].

وكتب التفسير بالمأثور كثيرة، وهي الأصل الذي بدأ فيه التفسير عمومًا، وقد أشرنا في محاضرة أخرى إلى جمع المحدثين لأحاديث التفسير مرفوعها، وموقوفها، وتضمينها مجموعاتهم أو إفراد كتاب أو باب لها ضمن كتبهم الحديثية. ثم بينا بعض التفاسير المفردة المشهورة مثل تفسير سعيد بن جبير، وتفسير مجاهد، وتفسير الحسن وأضرابهم.

ومن أوائل التفاسير بالمأثور التي وصت إلينا هو تفسير مقاتل بن سليمان البلخي المتوفى سنة ١٥٠هـ، ثم تفسير يحيى بن سلّام البصري المتوفى سنة ٢٠١هـ، برواية أبي داود أحمد بن موسى بن جرير الأزدي الإفريقي المتوفى سنة ٢٤٤هـ، وصلت منه قطع على الرق محفوظة في المكتبة الأحمدية بتونس برقم ٧٤٤٧/٤٠٤ يتضمن الأجزاء من الثالث عشر إلى التاسع عشر وتبدأ من أثناء سورة النحل إلى آخر فاطر.

ومنها تفسير عبد الرزاق بن همام الصَّنعاني المتوفى سنة ٢١١هـ، وتفسير عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٧هـ، والأخيران مطبوعان

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٧-١٠ (الرياض ٢٠٠٢م).

مشهوران. على أن أعظم التفاسير المتقدمة التي عنيت بالتفسير بالمأثور هو كتاب «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» لإمام المفسرين أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٥-٣١٠هـ) نزيل بغداد حررها الله تعالى ودفين بلدتي الأعظمية من بغداد.

وتتابعت بعد ذلك التفاسير بالمأثور فاشتهر منها «**بحر العلوم**» لأبي الليث السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٣هـ، و«**الكشف والبيان عن تفسير القرآن**» لأبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٧هـ، و«**معالم التنزيل**» لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة ٥١٠هـ، وكتاب «**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**» لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المتوفى سنة ٥٤١هـ على الصحيح، وقد وصفه الإمام الذهبي بأنه (قدوة المفسرين)، وقال: «لو لم يكن له إلا تفسيره الكبير لكفاه»[1]. ومنها تفسير الإمام عماد الدين بن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ، وهو من أجل التفاسير.

ومنها كتاب «**الجواهر الحسان في تفسير القرآن**» لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المالكي المتوفى سنة ٨٧٦هـ، وختمها الإمام السيوطي (ت٩١١هـ) بكتابه الضخم: «**الدر المنثور في التفسير بالمأثور**» جمع فيه مؤلفه كل تفسير أثر عن النبي ﷺ من الصحيح والسقيم، وما أثر عن الصحابة من موقوفات محذوفة الأسانيد ومن غير حكم عليها.

وإذا استثنينا تفسير ابن كثير، فإن مؤلفي كتب التفسير بالمأثور لم يتكلموا على الأحاديث والآثار التي يوردونها في تفاسيرهم من حيث الصحة والسقم، مما يتعين على المحقق بيان ذلك، لأن صحة التفسير قد تعتمد على هذه الروايات.

---

(١) تاريخ الإسلام ٧٨٧/١١ (بتحقيقنا).

إنَّ كتب التفسير بالمأثور جيدها وضعيفها تزخر بأنواع كثيرة من الروايات منها:

١ - أحاديث مرفوعة فيها الصحيح والسقيم والموضوع.

٢ - إسرائيليات على اختلاف في كميتها بين تفسير وآخر.

٣ - أحاديث موقوفة على الصحابة.

٤ - أحاديث وتفاسير موقوفة على التابعين فمن بعدهم.

٥ - روايات تتصل بمؤلفات في التفسير متقدمة لم تصل إلينا، استعمل في غالبها الإسناد.

ويلاحظ كثرة استشهاد مؤلفي كتب التفسير بالمأثور بالأحاديث الضعيفة والموضوعة ولا سيما حينما لا يجدون حديثًا صحيحًا ثابتًا في تفسير الآية. وقد اعتد الكثير منهم بمثل هذه الأحاديث ولا سيما الضعيفة منها باعتبارها لا تحل حرامًا ولا تحرم حلالًا، بل ذهب العلّامة محمود شاكر طيّب الله ثراه إلى القول بأن استدلال الطبري بالآثار الواهية التي يرويها بأسانيدها، لا يراد به إلا تحقيق معنى لفظ أو بيان سياق عبارة، كاستدلال المستدل بالشعر على معنى لفظ في كتاب الله تعالى، وأنه من أجل هذا الاستدلال لم يبال بما في الإسناد من وهن لا يرتضيه فهو لا يسقها لتكون مهيمنة على تفسير آي التنزيل العزيز[١].

هكذا قال في محاولة تبريرية لكثرة الأحاديث والآثار الواهية في كتب التفسير، وهو رأي مرجوح، فإن هذا من ضمن منهجية الطبري في إيراد الصحيح والسقيم في جميع كتبه ومنها تاريخه حيث يقول في مقدمته: «فما يكن في كتابي هذا

(١) تنظر مقدمته لطبعته من تفسير الطبري ١٧/١، وتعليقه على المجلد الأول ٤٥٤/١.

من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهًا في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا»(١). ومن ثم فإن الواجب على المحقق، إذا ما أراد إفادة المستفيد من تحقيقه، أن يبيّن صحة الحديث أو الأثر من سقيمه، فإن نسبة قول إلى النبي ﷺ لم يقله أمر خطير قد يقع فيه المرء ضمن دائرة مفهوم الحديث الصحيح المتواتر «من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار».

والعلّامة الأستاذ محمود شاكر، وقبله أخوه العلّامة أحمد شاكر يرحمهما الله تعالى نفسهما رخو جدًا في تصحيح كثير من الأحاديث الضعيفة فضلًا عن عدم العناية بكتب العلل، وجنوحهم إلى توثيق كثير من الرواة الضعفاء، أمثال عبد الله بن لهيعة(٢)، ودراج أبي السمح(٣)، وعلي بن زيد بن جدعان(٤)، وأبي صالح باذام(٥)، وبقية بن الوليد(٦)، وعباد بن حبيش(٧)، ومُري بن قطري(٨)، وغيرهم كثير.

وبسبب ذلك صححوا أحاديث ضعيفة، فمن ذلك مثلًا لا حصرًا حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان، عن أمية أنها سألت عائشة عن هذه

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٨/١ (ط. أبو الفضل إبراهيم).
(٢) تفسير الطبري ١٠/٢ و٥٣٠/٩.
(٣) نفسه ٢٦٩/٢ ولا سيما في روايته عن أبي الهيثم العتواري.
(٤) نفسه ٥٩٢/٤.
(٥) نفسه ٩١/١ هامش (١)، وص١٥٧.
(٦) نفسه ١٣٦/١.
(٧) نفسه ١٨٥/١، وهو مجهول، جَهّله ابن القطان والذهبي وتفرد بالرواية عنه سماك بن حرب (تقريب التهذيب ١٧٧/٢).
(٨) تفسير الطبري ١٨٦/١، وهو مجهول أيضًا (تحرير التقريب ٣٦٤/٣).

الآية ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] و﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] فقالت: ما سألني عنهما أحد منذ سألت رسول الله ﷺ عنهما فقال: «يا عائشة هذه متابعة الله عز وجل العبدَ بما يصيبهُ من الحمّة والنَّكبة[١] والشوكة، حتى البضاعةُ يضعها في كُمّه فيفقدها، فيفزع لها، فيجدها في ضِبْنه[٢]، حتى إنَّ المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرجُ التِبرُ الأحمر من الكير»[٣].

وقد صححه العلامة أحمد شاكر يرحمه الله لقوله بتوثيق علي بن زيد بن جدعان، وهو حديث أخرجه الطيالسي[٤]، وأحمد[٥]، وإسحاق بن راهوية[٦]، والترمذي[٧]، والبيهقي[٨]، وفيه علة أخرى فضلًا عن ضعف ابن جدعان، وهي جهالة أمية بنت عبد الله أم محمد وهي امرأة والد علي بن زيد بن جدعان[٩]، ولذلك قال الترمذي: «حديث حسن غريب من حديث عائشة، لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة».

وصحح العلامة الشيخ أحمد شاكر يرحمه الله حديث عمر بن حمزة، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم العن أبا

---

(١) النكبة: أن ينكبه الحجر إذا أصاب ظفره أو إصبعه.
(٢) الضبن: ما بين الإبط والكشح.
(٣) تفسير الطبري ١١٧/٦ (٦٤٩٥).
(٤) في مسنده (١٦٨٩)
(٥) في مسنده ٢٩٠٤٣ (٢٥٨٣٥) (ط. الرسالة)
(٦) في مسنده (١٤١٣)
(٧) في الجامع الكبير (٢٩٩١).
(٨) في شعب الإيمان (٩٣٥٢).
(٩) نص على ذلك الحافظ ابن حجر في التقريب (٨٥٣٩).

سفيان، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن صفوان بن أمية»، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾[١] [آل عمران: ١٢٨].

وهذا حديث ضعيف من هذا الوجه، أخرجه أحمد[٢]، والترمذي[٣]، وقال: «هذا حديث حسن غريب يُستغرب من حديث عمر بن حمزة عن سالم عن أبيه. وكذا رواه الزهري، عن سالم، عن أبيه. لم يعرفه محمد بن إسماعيل (البخاري) من حديث عمر بن حمزة، وعرفه من حديث الزهري». فآفة هذا الوجه هو عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب الذي وثقه العلّامة الشيخ أحمد شاكر، وهو ضعيف وإن روى له مسلم، فقد قال الإمام أحمد: أحاديثه مناكير[٤]، وقال ابن معين: عمر بن حمزة أضعف من عمر بن محمد بن زيد[٥]، وقال في موضع آخر: ضعيف[٦]، وقال النسائي: ضعيف[٧]، وقال في موضع آخر: ليس بالقوي[٨]، وقال أبو زرعة الرازي: ليس بذا خير[٩]، وقال ابن حجر في التقريب: ضعيف[١٠]، فمن أين يأتيه التوثيق؟!

---

(١) تفسير الطبري ٢٠٠/٧ (٧٨١٩).

(٢) في مسنده ٤٨٦/٩ (٥٦٧٤).

(٣) في الجامع الكبير (٣٠٠٤).

(٤) الجرح والتعديل ٦/الترجمة ٥٥٠.

(٥) تاريخ الدوري ٤٢٧/٢.

(٦) تاريخ الدارمي (٤٧٨).

(٧) تهذيب الكمال ٣١٢/٢١.

(٨) الضعفاء والمتروكون، له (٤٧٠).

(٩) الضعفاء، له (٣٦٤).

(١٠) تقريب التهذيب (٤٨٨٤).

ويلاحظ أنَّ رواية الزهري أخرجها البخاري في مواضع من صحيحه[١]، كما أخرجه آخرون[٢]. وقد خالف عمرُ بنُ حمزة الزهري في أمرين:

الأول: أنَّ رسول الله ﷺ قال ذلك يوم أحد كما نصت رواية الترمذي، بينما ذكر الزهري أنه كان يدعو بذلك إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الآخرة من الفجر.

الثاني: أنَّ الزهري لم يسم أحدًا في روايته حيث قال: «اللهم العن فلانًا وفلانًا وفلانًا»[٣]، وعن حنظلة بن أبي سفيان: سمعت سالم بن عبد الله يقول: كان رسول الله ﷺ يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام[٤]، لم يذكر فيهم أبا سفيان.

وصحح حديث إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: مَرَّ رجلٌ من بني سليم على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ وهو في غنم له، فسلم عليهم فقالوا: ما سلم عليكم إلا ليتعوذ منكم، فعمدوا إليه فقتلوه وأخذوا غنمه، فأتوا بها رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[٥] [النساء: ٩٤].

---

(١) البخاري (٤٠٦٩) و(٤٠٧٠) و(٤٥٥٩) و(٧٣٤٦).

(٢) منهم: عبد الرزاق في المصنف (٤٠٢٧) وفي التفسير ١/١٣٢، وأحمد في المسند ١٠/٤١٩ (٦٣٤٩)، والنسائي في المجتبى ٢/٢٠٣، وفي الكبرى (٦٦٩) و(١١٠٠٩) و(١١٠١٠)، وأبو يعلى في مسنده (٥٥٤٧)، وابن خزيمة في صحيحه (٦٢٢)، وابن حبان (١٩٨٧) و(٥٧٤٧)، والبزار (٦٠٠٧)، والطبراني في الدعاء (٥٧٠)، والبيهقي في الكبرى ٢/١٩٨، ٢٠٧، والواحدي في أسباب النزول ١١٦، ١١٧، والبغوي في التفسير ١/٤١٧.

(٣) رواية البخاري (٤٠٦٩) و(٤٥٥٩) و(٧٣٤٦).

(٤) رواية البخاري (٤٠٧٠).

(٥) تفسير الطبري ٩/٧٦ (١٠٢١٧) و(١٠٢١٨).

وهذا حديث أخرجه ابن أبي شيبة(١)، وأحمد(٢)، والترمذي(٣)، وابن حبان(٤)، والطبراني(٥)، والحاكم(٦) والبيهقي(٧)، ولم يلتفت العلّامة الشيخ إلى علته وهي اضطراب رواية سماك عن عكرمة(٨)، ولذلك اقتصر الترمذي على قوله: «هذا حديث حسن»(٩). فلا يصح من هذا الوجه، إنما يصح من رواية عطاء عن ابن عباس، وهي الرواية التي أخرجها البخاري(١٠)، ومسلم(١١)، وغيرهما.

وصحح حديث الحجاج بن محمد، عن عبد الكريم، عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس مرفوعًا في نزول قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾(١٢) [النساء: ٩٥]، مع أن الترمذي اقتصر على تحسينه واستغرابه(١٣) من هذا الوجه؛ لأن الإمام البخاري اقتصر في روايته له على الموقوف منه(١٤).

---

(١) في المصنف (٢٩٥٤٤) و(٢٩٥٤٥) و(٣٣٧٧٧) و(٣٣٧٧٨).

(٢) في مسنده ٤٦٧/٣ (٢٠٢٣).

(٣) في الجامع الكبير (٣٠٣٠).

(٤) في صحيحه (٤٧٥٢).

(٥) في المعجم الكبير (١١٧٣١).

(٦) في المستدرك ٢٣٥/٢.

(٧) في السنن الكبرى ١١٥/٩.

(٨) العلل لعبد الله بن أحمد (٧٩١)، وتهذيب الكمال ١٢٠/١٢.

(٩) الجامع الكبير (٣٠٣٠).

(١٠) البخاري (٤٥٩١).

(١١) مسلم (٣٠٢٥).

(١٢) تفسير الطبري ٩٢/٩ (١٠٢٤٢).

(١٣) الجامع الكبير (٣٠٣٢).

(١٤) البخاري (٣٩٥٤) و(٤٥٩٥)، وهي رواية هشام بن يوسف وعبد الرزاق بن همام الصنعاني، عن ابن جريج.

وصحح اتصال حديث محمد بن سلمة الحراني، عن ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان الحديث الطويل: كان أهل بيت منا يقال لهم: بنو أبيرق... في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [الآيات ١٠٥-١١٦ من سورة النساء][(١)]، مع أن الترمذي ساقه في «الجامع الكبير» من هذا الوجه وقال: «هذا حديث غريب لا نعلم أحدًا أسنده غير محمد بن سلمة الحراني. وروى يونس بن بُكير وغير واحد هذا الحديث عن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلًا، لم يذكروا فيه عن أبيه عن جده»[(٢)].

وإنما صحح الشيخ أحمد يرحمه الله الموصول لوروده عند الحاكم من طريق أحمد بن عبد الجبار العطاردي، عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق موصولًا[(٣)]، فكأنه بذلك يرد قول الترمذي: «لا نعلم أحدًا أسنده غير محمد بن سلمة الحراني وروى يونس بن بكير وغير واحدٍ هذا الحديث عن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر مرسلًا».

وفاته تفرد الحاكم بهذه الرواية الشاذة التي رواها أحمد بن عبد الجبار العطاردي عن يونس بن بكير، فلا يشك العارف بالرجال أن هذا من أوهام أحمد بن عبد الجبار إن صحت عنه، وأحمد بن عبد الجبار فيه كلام ليس بالقليل[(٤)] فلا يحتمل تفرده بمثل هذا تجاه قول الترمذي.

على أن خدمة العلامتين أحمد شاكر ومحمود شاكر لما حققاه من هذا التفسير كانت متميزة، وكان من المفترض أن تحتذى في طريقة التحقيق والتدقيق، لكن

---

(١) تفسير الطبري ١٧٧/٩-١٨١ (١٠٤١١).

(٢) الجامع الكبير (٣٠٣٦).

(٣) المستدرك ٣٨٥/٤.

(٤) تنظر مجمل ترجمته في تهذيب الكمال ٣٧٨/١-٣٨٣.

أكثر ما طبع من كتب التفسير لم يلق الخدمة اللائقة تحقيقًا وتعليقًا، كما صنع هذان العالمان الفاضلان، بل نجد بعض الرسائل الجامعية ممن نالت مرتبة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى كما في تفسير عبد الرزاق الذي حققه الدكتور محمود محمد عبدة يقول محققه: «أما ما وجدت له تخريجًا في أحد الكتب الستة، سكت عنه؛ لأن درجته من الصحة معلومة بحسب الكتب التي أخرجته من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الحكم على ثلاثة آلاف وخمس مئة حديث وأثر تقريبًا يحتاج إلى جهد مُحَدِّث، والذي يعنيني هو جانب التفسير»[1].

ولا شك أن مثل هذا الكلام ربما كان من اقتراح المشرف أو مما ارتضته لجنة المناقشة، وإذا كانت الأمة قد تلقت أحاديث الصحيحين في القبول، فكيف يقال عن الحديث الوارد في السنن الأربع: «درجته من الصحة معلومة»، وفيها الصحيح والحسن والضعيف والموضوع؟! ولعلي أظن أنّ من أشرف عليه خوّفه من الحكم على الأحاديث أو ظن أن هذا مما لا قيمة أو أهمية له، فيكتفي بالنقل عن بعض أهل العلم، من نحو تعليقه على الحديث الذي رواه عبد الرزاق عن معمر عن أبان بن أبي عياش، عن أبي العالية، قال: «نزلت الصحف في أول ليلة من شهر رمضان، ونزلت التوراة لستٍ، ونزل الزبور لاثنتي عشرة ليلة، ونزل الإنجيل لثماني عشرة، ونزل الفرقان لأربع وعشرين من شهر رمضان»، فقال المحقق معلقًا:

«أبان بن أبي عياش فيروز البصري أبو إسماعيل العبدي متروك من الخامسة، مات في حدود الأربعين، أخرج له أبو داود (تقريب ٣١/١) ولكن للحديث شواهد ومتابعات تجوز به القنطرة، كذا في تنزيه الشريعة (٩١/١)»[2].

---

(١) تفسير عبد الرزاق، الدراسة ١/ ٢٤٠.

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢٥٤/١ (٦).

فأي شواهد ومتابعات لهذا الأثر التالف الذي أمارات التلف عليه لائحة لا تحتاج إلى بيان.

وعَلَق على حديث عبد الرزاق، قال: حدثنا معمر، وأخبرنا عوف أيضًا، عن قسامة، عن أبي موسى أنّ الله حين أهبط آدم من الجنّة علمه صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة، فثماركم هذه من ثمار الجنة. غير أنَّ هذه تتغير وتلك لا تتغيّر». فقال معلقًا:

«أخرجه الحاكم وصححه، والبيهقي في البعث، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن أبي موسى موقوفًا كذا بالدر (٥٦/١). وأخرجه ابن أبي حاتم (ل٢٩ب) من طريق عبد الرزاق عن أبي موسى موقوفًا. وذكره ابن كثير (٨٠/١) وذكره في الدر وعزاه إلى البزار وابن أبي حاتم والطبراني عن أبي موسى مرفوعًا»[١].

فنسأل: ما فائدة مثل هذا التعليق نقلًا عن الدر المنثور وتفسير ابن كثير، ثم عودة إلى الدر المنثور من غير ترجيح أو تقويم، أو حتى رجوع إلى المصادر المذكورة مثل مستدرك الحاكم، والبعث للبيهقي، وتفسير الطبري، والطبراني، والبزار، وهي مطبوعة متوفرة لكل أحد.

ومثل هذا التخريج يوقع في المهالك، فقد عَلّق على أثر عبد الرزاق، قال: حدثنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ [البقرة: ٥٨] بقوله:

«وأخرجه مسلم في كتاب التفسير عن أبي هريرة من طريق عبد الرزاق (٣١٢/٤)»[٢]، ومثل هذا لا وجود له في صحيح مسلم لا في الزهد ولا في غيره، ولعل هذه العبارة قفزت من الأثر الذي بعده، وهو: «سلمة، عن إبراهيم بن الحكم،

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٦٧/١ (٤٢).

(٢) المصدر نفسه ٢٧١/١ (٥٦).

عن أبيه، عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿حِطَّةٌ﴾ قال: لا إله إلا الله»[١]، ومع ذلك فإن حديث أبي هريرة عن عبد الرزاق في هذا الموضوع لا علاقة له بهذا من قريب أو بعيد، فالأثر المذكور في تفسير عبد الرزاق هو من زيادات راوي التفسير عن عبد الرزاق سلمة بن شبيب النيسابوري[٢]، عن إبراهيم بن الحكم بن أبان العدني، عن أبيه الحكم بن أبان العدني، عن عكرمة مولى ابن عباس، وحديث أبي هريرة الذي أشار إليه المحقق هو الذي أخرجه مسلم عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن همّام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ: «قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة يغفر لكم خطاياكم، فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على أستاهم وقالوا: حبة في شعرة»[٣] أقول: فهل شاهد أحد مثل هذا التخريج العجيب الذي يقلب الأمور رأسًا على عقب؟!

وقال معلقًا على أثر عبد الرزاق، قال: حدثنا الثوري، عن ليث، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿والصَّابِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٢]، قال: الصابئون قوم من اليهود والمجوس ليس لهم دين:

«هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي أبو الحارث المصري ثقة ثبت فقيه إمام مشهور من السابعة مات سنة ١٧٥هـ. أخرجه عبد الرزاق في المصنف... إلخ»[٤]، فتأمل هذا الخلط الذي جعل سفيان بن سعيد الثوري المتوفى سنة ١٦١هـ

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٧١/١ (٥٧).

(٢) ترجمته في تهذيب الكمال ٢٨٤/١١.

(٣) صحيح مسلم (٣٠١٥).

(٤) تفسير عبد الرزاق ٢٧٢/١ (٥٩).

يروي عن الليث بن سعد المصري[١] المتوفى سنة ١٧٥هـ، وجعل الليث بن سعد المولود سنة ٩٤هـ يروي عن مجاهد بن جبر المكي[٢] المتوفى سنة ١٠١هـ والليث ولد وعاش بالبلاد المصرية فأين لقي مجاهدًا المكيَّ؟ إنما هو ليث بن أبي سليم بن زنيم القرشي الكوفي الضعيف، وهذا لا يخفى على من له أدنى معرفة بأسانيد التفسير.

ولما كان من أصول التحقيق العناية بتخريج الحديث أو الأثر من الطريق الذي ورد في النص، فإن المحقق يترك الطريق ويذهب ليذكر شيئًا آخر لا علاقة له بالنص، مثال ذلك تعليق محقق تفسير عبد الرزاق على الأثر الذي رواه «عن معمر عن قتادة في قوله تعالى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، قال: عدولًا لتكون هذه الأمة شهداء على الناس أن الرسل قد بلغتهم ويكون الرسول على هذه الأمة شهيدًا أن قد بلغ ما أرسل إليه، قال[٣]:

«أخرج بعضه ابن جرير (٦/٢)، وذكر نحوه القرطبي (١٥٣/٢)، وأخرجه البخاري عن أبي سعيد في كتاب التفسير وفي سياق روايته للحديث الذي بعده (١٧١/٨). وأخرجه عن أبي سعيد الترمذي برقم (٤٨٢) [كذا والصواب ٢٩٦١] وأحمد في المسند (٩/٣)، والثوري (ص١٠)، وذكره عن أبي سعيد في المجمع وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (٣١٦/٦) وابن كثير (١٩١/١) والحافظ في الفتح (١٧٢/٨) ثم قال: أخرجه الترمذي والنسائي من هذا الوجه. وذكره في الدر مختصرًا عن أبي هريرة مرفوعًا وابن عباس موقوفًا (١٤٤/١).

فانظر إلى هذا الخلط العجيب الغريب في التخريج، يشرّق فيه المحقق ويغرب من غير فائدة، يخلط الأمور خلطًا لا علاقة له بالسند من قريب أو بعيد،

(١) ترجمة الليث بن سعد في تهذيب الكمال ٢٥٥/٢٤-٢٧٨.

(٢) ترجمته في تهذيب الكمال ٢٧٩/٢٤-٢٨٨.

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢٩٥/١ (١٣٧).

إذ ما علاقة قول قتادة وتفسيره بالحديث الموقوف والمرفوع لأبي سعيد الخدري، ولم يبين لنا لماذا ذكره الهيثمي في **مجمع الزوائد** وهو عند البخاري والترمذي والنسائي؟ كل هذا يشير إلى انعدام الدراية في أصول التحقيق والتخريج، ليس من جهة الطالب حسب، ولكن ممن أشرف عليه وناقشه وأجاز رسالته وهي على مثل هذه الهيأة.

ومن ثم فإن محقق أمثال هذه الكتب التي تكثر فيها الأحاديث لا بد له من أن يكون متخصصًا في الحديث عارفًا بأصول هذا العلم، أو أ ن يشرك معه من يصلح لذلك، وأن لا يقتحم هذا الميدان وهو مزجى البضاعة فيه.

بين الحديث والتفسير

ومع أننا ندعو إلى الأخذ بمناهج المُحدِّثين في علوم الشريعة خاصة، من حيث صحة اتصال الأسانيد إلى صاحب الخبر، وضبط الراوي وخلو خبره من أن يكون شاذًا أو معلولًا، فإننا لا نأخذ بأحكامهم التي أصدروها في الرجال، فإن مناظيرهم كانت متوجهة إلى المحدثين وضبطهم وأحكامهم، وهي تمثل دراسة معمقة لما رووا من الأحاديث إسنادًا ومتنًا، فهم بذلك راعوا الاختصاص، ونحن في هذا الجانب علينا مراعاة الاختصاص، فغير المختص بالحديث ممن لا عناية معمقة له فيه لا بد وأن يكثر فيه خطؤه، ويصح هذا على كل مختص بعلم من العلوم أو فن من الفنون، إنما يحكم عليه استنادًا إلى مدى تعمقه في علمه وضبطه له، وإنه لمن الخطأ الكبير أخذ العلماء بمقياس واحد.

وقد راعى جهابذة العلماء من قديم الزمان وهلم جرًا هذه الناحية، فكانوا يفرّقون بين المُحَدِّث وغيره ممن ليس الحديث اختصاصه، فيشيدون بالعلم الذي يختص فيه، ومن ذلك علماء علوم القرآن عامة والتفسير خاصة، فمن المقرئين مثلًا

حُمران بن أعين الكوفي (ت١٣٠هـ) من شيوخ حمزة بن حبيب الزيات وصفه الذهبي بالمقرئ الكبير[١]، وضَعّفه المحدّثون[٢].

وتكلّمَ بعض المحدثين[٣] في الإمام الحجة في القراءة عاصم بن أبي النَّجود أحد السبعة الذي يتعبد المشارقة بقراءته القرآن، وإليه انتهت الإمامة في القراءة بالكوفة بعد شيخه أبي عبد الرحمن السلمي[٤].

وقال الإمام أحمد عن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم القارئ المدني المشهور (ت١٦٩هـ) والذي قال عنه الإمام مالك: «نافع إمام الناس في القراءة»[٥]: «كان يؤخذ عنه القرآن، وليس في الحديث بشيء»[٦]، وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: «صدوق ثبت في القراءة»[٧].

وأما الإمام المقرئ حفص بن سليمان الأسدي، مولاهم، الكوفي صاحب عاصم بن أبي النجود الثقة الثبت الضابط للقراءات، وأعلم الناس بقراءة عاصم[٨]، فقد قال فيه الإمام أحمد: «متروك الحديث»[٩]، وقال يحيى بن معين: ليس بثقة[١٠]، وقال في موضع آخر: ليس بشيء[١١]، وفي موضع آخر: ضعيف[١٢]،

(١) معرفة القراء الكبار ٧٠/١ (بتحقيقنا).

(٢) ينظر: تهذيب الكمال ٣٠٦/٧–٣٠٩.

(٣) ينظر: التقريب للحافظ ابن حجر (٣٠٥٤)، وتحرير التقريب لنا ١٦٥/٢.

(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٥٦/٥، ومعرفة القراء الكبار ٨٨/١.

(٥) معرفة القراء الكبار للذهبي ١٠٨/١.

(٦) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨/الترجمة ٢٠٨٩، وتهذيب الكمال ٢٨٢/٢٩.

(٧) تقريب التهذيب (٧٠٧٧).

(٨) معرفة القراء الكبار ١٤٠/١–١٤١.

(٩) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣/ الترجمة ٧٤٤، والضعفاء للعقيلي ٥٤٥/١ (٣٣٧) بتحقيقنا.

(١٠) تاريخ الدارمي (٢٦٩).

(١١) الضعفاء للعقيلي ٥٤٥/١ (٣٣٧).

(١٢) الكامل في الضعفاء لابن عدي ٢٦٨/٣، وهي رواية الدوري عنه.

وقال البخاري: تركوه[١]، وقال مسلم بن الحجاج: متروك[٢]، وكذلك قال النسائي[٣] وغيره، ولكن قال الخطيب: «ويصفونه بضبط الحرف الذي قرأ به على عاصم»[٤]، وقال الإمام الذهبي: «أما في القراءة، فثقة ثبت ضابط لها بخلاف حاله في الحديث»[٥].

وقال أبو حاتم الرازي في مقرئ دمشق في عصره عراك بن خالد بن يزيد بن صالح المري الدمشقي (ت قبل المئتين): «مضطرب الحديث، وليس بالقوي»[٦].

وقال الذهبي في ترجمة قالون المقرئ، عيسى بن ميناء، صاحب نافع (ت٢٢٠هـ): «أما في القراءة فثبت، وأما في الحديث فيكتب حديثه في الجملة، سُئِل أحمد بن صالح المصري عن حديثه فضحك، وقال: تكتبون عن كل أحد!»[٧].

أما يعقوب بن إسحاق الحضرمي قارئ أهل البصرة في عصره (ت٢٠٥هـ) الذي قال فيه أبو القاسم الهذلي: «لم يُر في زمن يعقوب مثله، كان عالمًا بالعربية ووجوهها، والقرآن واختلافه، فاضلًا تقيًّا نقيًّا ورعًا زاهدًا»[٨]، قال عنه محمد بن

---

(١) تاريخه الكبير ٣٦٣/٢.

(٢) الكنى، له الورقة ٧٠، وتاريخ الخطيب ٦٦/٩.

(٣) الضعفاء والمتروكون، له (١٣٦).

(٤) تاريخ الخطيب ٦٤/٩.

(٥) معرفة القراء الكبار ١٤١/١.

(٦) الجرح والتعديل ٧/الترجمة ٢٠٥، وتهذيب الكمال ٥٤٥/١٩.

(٧) ميزان الاعتدال ٣٢٧/٣.

(٨) معرفة القراء الكبار ١٥٨/١.

سعد: «وليس هو عندهم بذاك الثبت»[١]، يعني في الحديث، وقد أنزله الإمام أحمد[٢] وأبو حاتم الرازي[٣] وابن حجر[٤] إلى مرتبة «صدوق».

وأما أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بَزّة، أبو الحسن البزي قارئ مكة ومؤذن المسجد الحرام (ت٢٥٠هـ)[٥] فقد قال أبو حاتم الرازي فيه: «ضعيف الحديث، لا أحدث عنه»[٦]، وقال العقيلي: «منكر الحديث، ويوصل الأحاديث»[٧]، وقال الذهبي في الميزان: «إمام في القراءة ثبت فيها»[٨].

وضَعَّف الإمام الدارقطني[٩] أبا عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهيب الأزدي الدوري نزيل سامراء (ت٢٤٦هـ) «مقرئ الإسلام وشيخ العراق في وقته» على حد تعبير الذهبي[١٠].

والأمثلة على ذلك لا تحصى في كل فن من الفنون، وقد قال أبو حاتم السجستاني في المفضّل بن محمد الضبي صاحب المفضليات: «هو ثقة في الأشعار غير ثقة في الحروف»[١١].

---

(١) الطبقات الكبير ٣٠٤/٧.

(٢) العلل ٢٤٩/٢.

(٣) الجرح والتعديل ٩/الترجمة ٨٤٩.

(٤) تقريب التهذيب (٧٨١٣).

(٥) معرفة القراء الكبار ١٧٣/١.

(٦) الجرح والتعديل ١٢٩/٢.

(٧) الضعفاء ٣٢٥/١.

(٨) ميزان الاعتدال ١٤٤/١.

(٩) سؤالات الحاكم للدارقطني (٣٠٤)، وميزان الاعتدال للذهبي ٥٦٦/١.

(١٠) معرفة القراء الكبار ١٩١/١.

(١١) معرفة القراء الكبار ١٣١/١.

لقد أدرك مؤرخ الإسلام شمس الدين الذهبي أهمية مراعاة الاختصاص في تقويم الرواة والعلماء، فعقب على تضعيف الدارقطني لأبي عمر الدوري بقوله: «وقول الدارقطني: ضعيف، يريد في ضبط الآثار، أما في القراءات فثبت إمام، وكذلك جماعة من القراء أثبات في القراءة دون الحديث، كنافع والكسائي وحفص، فإنهم نهضوا بأعباء الحروف وحرروها، ولم يصنعوا ذلك في الحديث. كما أنَّ طائفة من الحفاظ أتقنوا الحديث ولم يحكموا القراءة، وكذا شأن كل من برز في فن، ولم يعتن بما عداه، والله أعلم»[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٥٤٣.

كُتُبُ الرِّوَايَةِ الْمَشْرِقِيَّةِ فِي عِلْمِ رَسْمِ الْمُصْحَفِ
تَعْرِيفٌ بِهَا، وَبَيَانُ أَهَمِّيَّتِهَا

غانم قدوري حمد[1]

مقدمة

الحمدُ للهِ، وسلامٌ على عبادهِ الذين ٱصْطَفَىٰ، أما بعد

فإن علم (رسم المصحف) من أهم علوم القرآن الكريم، لارتباط النص القرآني به، والأصل في حفظ القرآن الكريم وقراءته التلقي الشفهي، والحفظ في الصدور، لكن النبي ﷺ أَمَرَ بكتابة القرآن الكريم، واقتدى به خلفاؤه الراشدون رضي الله عنهم، وصارت موافقة القراءة لرسم المصحف أحد أركان القراءة الصحيحة، وعُدَّ ما خالف المصحف شاذاً، وكانت المؤلفات في الرسم من أوائل ما ظهر من كتب العلوم الإسلامية الوليدة في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني الهجريين.

ولا يوجد بين أيدينا اليوم شيء من مؤلفات رسم المصحف الأُولى، فقد اندثرت ولم يبق شيء من نسخها المخطوطة، لكنَّ مؤلفات العصور اللاحقة نَقَلَتْ نصوصاً من تلك المؤلفات، تُؤَكِّدُ وجودها وتُبَيِّنُ شيئاً من مادتها، والذي يلفت نظر الدارس أنَّ كتب رسم المصحف التي اشتهرت منذ قرون عدة هي كتب أهل الأندلس والمغرب، وأن المؤلفات المشرقية في الرسم قد أصابها الإهمال أو النسيان، فذهب كثير من مخطوطاتها، ولم يحظَ ما سَلِمَ منها بعناية الدارسين.

---

(١) أستاذ محاضر في مادة علوم القرآن الكريم بجامعة تكريت

ونجد في خاتمة المصاحف المطبوعة، مثل مصحف المدينة النبوية ما نصه: «أُخِذَ هجاؤه كما أسلفنا من المصاحف الستة وعن المصاحف المنتسخة منها ورُوعِيَ في ذلك ما نقله الشيخان أبو داود سليمان بن نجاح وأبو عمرو الداني مع ترجيح الأول عند الاختلاف».

والشيخان: أبو عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، وتلميذه أبو داود سليمان بن نجاح (ت٤٩٦هـ)، من أشهر علماء الأندلس، وهما من كبار علماء الرسم والضبط، ومؤلفاتهما في ذلك من أشهر المؤلفات، ولهما الفضل الكبير في حفظ هذين العلمين، من خلال كتبهما، ومن خلال المنظومات التي اعْتَمَدَتْ عليها، مثل **منظومة** الشاطبي (القاسم بن فِيرُّهْ ت٥٩٠هـ) المسماة: «**عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد**»، التي نظم فيها كتاب **المقنع** للداني، و**منظومة** الخراز (محمد بن محمد بن إبراهيم ت٧١٨هـ) المسماة: «**مورد الظمآن في رسم القرآن**» التي اعتمد فيها على ما ذكره الداني وأبو داود من الرسوم، وزاد عليهما حروفاً من مصادر أخرى.

ويهدف هذا البحث إلى الوقوف عند مصادر الرسم الأولى التي كان معظمها مشرقياً، والإشارة إلى ما بقي مخطوطاً من كتب المشارقة في علم الرسم، خاصة المؤلفة في القرون المتأخرة، واستكشاف ما يمكن أن تضيفه تلك المصادر من مادة علمية إلى كتب أهل الأندلس والمغرب، وذلك من خلال ثلاثة مباحث:

الأول: تعريف بمصادر الرسم الأولى.

الثاني: تعريف بمصادر رسم المصحف المشرقية.

الثالث: ما تضيفه كتب الرسم المشرقية من مادة علمية.

وكان الدافع إلى تناول هذا الموضوع بالدراسة في هذه الدورة التدريبية التي تعقد في بلاد المغرب علمياً محضاً، وليس تعصباً لأهل المشرق، بل هو هدية أهل المشرق لأهل المغرب، وتقدير لجهود علمائهم، واعتراف بفضلهم على علوم القرآن بعامة، وعلمي الرسم والضبط بخاصة.

ولعل هذا البحث يضيف معلومات جديدة للمهتمين بعلم الرسم المشاركين في هذه الدورة وغيرهم، ويُعرِّفُهم بمصادر جديدة لم تكن معروفة لديهم، أو لم يتنبهوا إلى أهميتها، ويقف بهم على روايات تحكيها كتب الرسم المشرقية تتعلق بظواهر الرسم، من حذف أو زيادة أو إبدال، أو وصل أو فصل.

ويلزم التذكير في هذه المقدمة إلى أنه ليس هناك عِلْمُ رَسْمٍ مشرقيٌّ، وآخَرُ مغربيٌّ، فَعِلْمُ الرسم واحد، ومصدره واحد، وهو المصاحف العثمانية التي أرسلها عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الأمصار الإسلامية، لكن رواية العلماء عن تلك المصاحف تعددت، وكلٌّ رَوَى ما رَأَى، وعلمُ أهل المغرب في الرسم يتكامل مع علم أهل المشرق، وما بينهما من اختلاف قليل يسير، كما سيتضح من خلال هذا البحث، لكن القليل في علوم القرآن كثير، ينبغي الوقوف عنده وتسليط الضوء عليه، والله تعالى ولي التوفيق، والهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الأول: تعريف بمصادر رسم المصحف الأولى

اشتهرت مصاحف الأمصار التي أمر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بانتساخها، وهي: مصحف المدينة، ومكة، والكوفة، والبصرة، والشام، واتخذها المسلمون أئمة ينتسخون منها مصاحفهم، وكان عثمان قد أرسل مع كل مصحف من تلك المصاحف عالماً بالقراءة[1]، واجتهد هؤلاء العلماء وتلامذتهم في دراسة

---

(١) ينظر: جميلة أرباب المراصد للجعبري ص٢٣٦، ودليل الحيران للمارغني ص٤٤-٤٥.

رسوم تلك المصاحف، وكتبوا رسائل في وصف رسومها وما وقع بينها من اختلاف.

المطلب الأول: سبب التأليف في رسم المصحف

قد يتساءل الدارس عن الأسباب التي جعلت العلماء بالقرآن الكريم يخصون رسم المصحف بالتأليف، ويمكن تلخيص تلك الأسباب في ما يأتي:

١) صارت موافقة القراءة لخط المصحف العثماني أحد أركان القراءة الصحيحة الثلاثة(١)، واجتمع القراء على ترك كل قراءة تخالف خط المصحف(٢)، واقتضى ذلك التأليف في وصف رسم المصحف، لتمييز القراءة الصحيحة من غيرها.

٢) وجود اختلاف في رسم عدد من الكلمات بين مصاحف الأمصار الخمسة، مما دعا إلى التأليف لبيان تلك الكلمات.

٣) تَعَدُّدُ صورة رسم عدد من الكلمات، ووجود حروف زائدة على اللفظ أو محذوفة أو مبدلة في رسم كلمات أُخرى، مما دعا إلى التأليف في رسم المصحف لمعرفة رسم تلك الكلمات.

٤) نحا علماء اللغة العربية إلى تحقيق المطابقة بين الكتابة العربية والنطق في كُتُبِ الهجاء التي ألَّفوهَا، مما حدا بعلماء القرآن إلى التأليف في وصف هجاء المصاحف، حتى لا يتأثر خطاطو المصاحف بتلك النَّزْعَة فيؤدي ذلك إلى تغيير رسم المصحف.

---

(١) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ٣١١/١، ومكي: الإبانة ص٣٠، وأبو شامة: المرشد الوجيز ص١٧٨.

(٢) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء ٢٨٢/١.

قال ابن درستويه: «ووَجَدْنَا كتاب الله عز وجل لا يُقَاس هجاؤه ولا يُخَالَف خَطُّهُ، ولكنه يُتَلَقَّى بالقَبول على ما أُودع المصحف، ورأيت العَرُوض إنما هو إحصاء ما لُفِظَ به من ساكن ومتحرك، وليس يلحقه غَلَطٌ ولا فيه اختلاف بين أحد، فلم نعرض لذكرهما في كتابنا»[1].

المطلب الثاني: بدء التأليف في علم رسم المصحف

لا يوجد بين أيدي الدارسين اليوم شيء من مؤلفات رسم المصحف الأُولى، فقد اندثرت ولم يَبْقَ شَيْءٌ من نسخها المخطوطة، لكن مؤلفات العصور اللاحقة نَقَلَتْ نصوصاً من تلك المؤلفات، تؤكد وجودها وتبين شيئاً من مادتها.

وفي مقدمة المصادر التي حفظت لنا أسماء المؤلفات القديمة في الرسم أو شيئاً من مادتها: كتاب «**الفهرست**» لابن النديم (ت٣٨٥هـ) الذي حفظ لنا أسماء الكتب المؤلفة في رسم المصحف[2]، وكتاب «**فضائل القرآن**» لأبي عبيد القاسم بن سلاَّم (ت٢٢٤هـ)، وكتاب «**المصاحف**» لأبي بكر عبد الله بن أبي داود (ت٣١٦هـ)، وكتاب «**المقنع**» لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، وكتاب «**مختصر التبيين لهجاء التنزيل**» لأبي داود سليمان بن نجاح (ت٤٩٦هـ)، تلميذ الداني، فقد حفظت هذه الكتب نصوصاً من كتب رسم المصحف القديمة، وأكثرها أهمية في هذا الجانب كتاب «**المقنع**» للداني، وكتاب تلميذه أبي داود.

ويصعب على الدارس تقديم صورة واضحة للمؤلفات الأولى في رسم المصحف، لذهاب مخطوطاتها، ويمكن أن نستخلص من الروايات التي نقلتها كتب

---

(١) كتاب **الكُتَّاب** ص١٦.

(٢) ينظر: **الفهرست** ص٩٣ – ٩٤.

الرسم الباقية عن تلك المؤلفات أن علماء القراءات القرآنية في القرن الثاني الهجري قد اهتموا بموضوع الرسم، ونظروا في المصاحف، ووصفوا رسومها، وفي مقدمتهم عدد من القراء السبعة، أو من أقرانهم، أو من تلامذتهم والرواة عنهم، وأشهرهم:

١) عبد الله بن عامر اليحصبي (ت١١٨هـ) قارئ أهل الشام[١]، ذَكَرَ له ابن النديم كتابين في موضوع الرسم، هما: كتاب «اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق»، وكتاب «مقطوع القرآن وموصوله»[٢].

٢) عاصم بن العجَّاج بن أبي الصبَّاح، أبو المُجَشِّر، الجحدري البصري (ت١٢٨هـ)[٣]، وكان عاصم الجحدري على معرفة بالمصحف ورسمه، وانتدبه الحجاج بن يوسف الثقفي ضمن عدد من قراء البصرة لِعَدِّ حروف القرآن وكلماته وأجزائه وأحزابه[٤].

ونقل الداني سبع عشرة رواية عن عاصم الجحدري في رسم المصحف[٥] ولم أقف على ذكر كتابٍ لعاصم الجحدري في رسم المصحف، ولعله كان يملي ملاحظاته عن الرسم على تلامذته فيدونونها عنه، وانتقلت من بعدهم إلى المؤلفات الجامعة في الرسم التي ظهرت في الحقبة اللاحقة، وذكر له ابن النديم كتاباً في عدد أهل البصرة[٦].

---

(١) تنظر: ترجمته: معرفة القراء الكبار، الذهبي ١/١٨٦، وغاية النهاية، ابن الجزري ١/٤٢٣.

(٢) الفهرست ص٩٣.

(٣) ينظر: معرفة القراء ١/٢١٠، وغاية النهاية ١/٣٤٩.

(٤) ينظر: ابن أبي داود: كتاب المصاحف ١/٤٦٧، والزركشي: البرهان ١/٢٤٩.

(٥) ينظر: المقنع ص٣٤٣ (فهرس الأعلام).

(٦) الفهرست ص٩٥.

٣) حمزة بن حبيب الزيات (ت١٥٦هـ) قارئ أهل الكوفة بعد عاصم بن أبي النجود، وكانت لحمزة عناية بالمصحف ورسمه وعدده. كما كانت له عناية بقراءته وضبط حروفه، وروى عنه تلميذه عبد الله بن صالح العجلي (ت٢٢٠هـ) أنه قال: «نظرتُ في المصحف حتى خَشِيتُ أن يذهبَ بَصَرِي»[١].

وعاش حمزة بن حبيب في عصر نشأة العلوم الإسلامية وظهور بواكير المؤلفات فيها، وذكر له ابن النديم في **الفهرست** عدداً من الكتب، هي[٢]:

١. **كتاب قراءة حمزة.**
٢. **كتاب الفرائض.**
٣. **كتاب الوقف والابتداء.**
٤. **كتاب متشابه القرآن.**
٥. **كتاب مقطوع القرآن وموصوله.**
٦. **كتاب العدد.**

ولم يبق من مؤلفات حمزة الزيات شيء، لكن وردت نصوص منقولة عن حمزة قد تكون من بعض كتبه، فقد نقل الداني عن حمزة عدداً من النصوص في موضوع العدد[٣]، ونقل عنه نصوصاً تتعلق برسم المصحف، لعل بعضها منقول من كتابه «**مقطوع القرآن وموصوله**»[٤].

---

(١) **معرفة القراء** ٢٥٣/١.
(٢) **الفهرست** ص٣٢ و٣٨ و٣٩ و٤٠. ص٧٦، ٩٢، ٩٤، ٩٥.
(٣) **كتاب البيان في عد آي القرآن** للداني ص٤٩ و٦٩ و٧٣.
(٤) ينظر: **المقنع** ص١٨٥، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٣٨.

٤) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني (ت١٦٩هـ) قارئ أهل المدينة[٥]، ولم أقف على نص ينسب إلى نافع تأليف كتاب في الرسم[١]، لكن الداني نقل عنه نصوصاً طويلة في رسم المصحف من المحتمل أنها كانت مدونة، ومن أهم تلك النصوص وأطولها ما ورد في باب (ما حُذِفَتْ منه الألف اختصاراً) الذي نقله عن قالون تلميذ نافع، وذكر فيه أكثر من مئة وخمسة وعشرين موضعاً[٢].

ونقل الداني عن نافع روايات أخرى كثيرة في رسم المصحف[٣].

وهناك ما يشير إلى أنه كان لنافع مصحف خاص به، وأن الغازي بن قيس الأندلسي (ت١٩٩هـ)، استخلص مادة كتابه المُسَمَّى «هجاء السُّنَّة» من مصحف نافع[٤]، وذكر ابن الجزري أن الغازي صَحَّحَ مصحفه على مصحف نافع ثلاث عشرة مرة[٥].

٥) علي بن حمزة الكسائي (١٨٩هـ) قارئ أهل الكوفة ومدينة السلام[٦]، وكان ابن النديم قد ذكر له كتابين في رسم المصحف، هما: كتاب «**اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة**»، وكتاب «**مقطوع القرآن وموصوله**»[٧]، ونقل ابن أبي داود في كتاب **المصاحف** عن الكسائي «**اختلاف**

---

(٥) تنظر ترجمته: معرفة القراء ١/٢٤١، وغاية النهاية ٢/٣٣٠.

(١) جاء في كتاب مختصر التبيين لسليمان بن نجاح (٥٦٨/٣): «..لرواية الغازي بن قيس عن نافع ابن أبي نعيم المدني، وأخذه الهجاء عنه، ومن مصنفه، وأنه عرض مصحفه بمصحف نافع ثلاث عشرة». وقد تكون كلمة (مصنفه) هنا مُصَحَّفَةً عن (مُصْحَفِهِ).

(٢) المقنع ص١٢٥ - ١٣٢.

(٣) ينظر مثلاً: المقنع ص١٤٢، ١٧٠، ١٧١.

(٤) ينظر: مختصر التبيين ٣/٦٦٤.

(٥) غاية النهاية ٢/٢.

(٦) تنظر ترجمته: معرفة القراء ١/٢٩٦، وغاية النهاية ١/٥٣٥.

(٧) الفهرست ص٩٣.

أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة في المصاحف»[1]، ونقل الداني نصوصاً كثيرة عن الكسائي في «المقنع»[2].

هؤلاء هم أشهر علماء الرسم من الرعيل الأول الذين عاشوا في القرن الثاني الهجري، ونظروا في مصاحف بلدانهم ووصفوا طريقة رسم الكلمات فيها، ولا يتسع المقام للحديث عن جهود آخرين من الحقبة ذاتها، وهم أقل شهرة من هؤلاء.

إن النتيجة التي ينتهي إليها الدارس من خلال تتبع المؤلفات الأولى في الرسم هي أن علماء التابعين وتابعيهم قد اجتهدوا في وضع تلك المؤلفات على غير مثال سابق، فلم يكن بين أيديهم مؤلفات يحاكونها، وإنما حملهم اجتهادهم وحرصهم على صيانة المصاحف العثمانية على وصف رسم الكلمات فيها، وتدوينها أو روايتها لتلامذتهم الذين دَوَّنُوها عنهم في مؤلفاتهم.

وتأسس من خلال جهود هؤلاء العلماء علم جديد، هو علم رسم المصحف، الذي كان يُعْنَى بهجاء المصاحف، أي طريقة رسم الكلمات فيها، وبالمقطوع والموصول فيها، وباختلاف مصاحف الأمصار في رسم عدد من الكلمات، وجَمَعَتْ مؤلفاتُ العصور اللاحقة هذه الموضوعات في كتاب واحد، كما نجد ذلك في كتاب «المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار» للداني.

ولم تكن نشأة هذا العلم، وظهور المؤلفات فيه بالأمر اليسير، فإن ذلك يحتاج إلى نظر في كل كلمة في المصحف، والوقوف على رسمها، ومدى موافقة رسمها لنطقها، وتحديد ما فيها من حذف أو زيادة أو بدل، أو وصل أو فصل، وموازنة

---

(١) ينظر: كتاب المصاحف ٢٥٣/١-٢٥٩.

(٢) ينظر مثلاً: المقنع ص١٤٣، ١٧٢، ٢٠١.

رسمها في مواضع ورودها الأخرى في المصحف، أو موازنة رسمها في مصاحف أخرى من مصاحف الأمصار، ومن ثم لم يكن الإمام حمزة بن حبيب الزيات مبالغاً حين قال: «نظرتُ في المصحف حتى خَشِيتُ أن يذهبَ بَصَرِي»[1].

(١) معرفة القراء ٢٥٣/١.

المطلب الثالث: المؤلفات الأولى الجامعة في علم رسم المصحف

ظهر في أواخر القرن الهجري الثاني، وفي القرن الهجري الثالث عدد من مؤلفات الرسم التي أَخَذَ مؤلفوها مادتها من كتب شيوخهم من علماء القرن الثاني، ومن نظرهم في المصاحف العُتَّقِ التي لا تزال بين أيديهم، ويبدو أن أصول هذه المؤلفات قد ذهبت ولم يبق شيء من مخطوطاتها في زماننا، لكن كتب الرسم اللاحقة قد حفظت لنا بعض أخبارها، ونقلت شيئاً من مادتها، وأهم تلك الكتب كتابان أحدهما مغربي أندلسي، والآخر مشرقي، وهما:

١ - كتاب هجاء السُّنَّة للغازي بن قيس الأندلسي (ت١٩٩هـ)

وهو من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق لحج، وأخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن نافع بن أبي نعيم، وضَبَطَ عنه اختياره، وأخذ الموطأ عن مالك بن أنس، وهو أول من أدخل قراءة نافع وموطأ مالك إلى الأندلس، وتوفي سنة تسع وتسعين ومئة[1].

ونقل الداني في المقنع من كتاب الغازي بن قيس في الرسم أحد عشر نَصّاً[2]، وسَمَّاهُ كتاب «هجاء السنة» وقال عنه: الذي رواه عن أهل المدينة[3]، ونقل عنه أيضاً أبو داود سليمان بن نجاح في كتابه «مختصر التبيين» تسعة وأربعين نصاً[4]، وسماه كتاب «هجاء السنة» أيضاً[5]، وقال ابن الجزري: «وصَحَّحَ مصحفه على مصحف نافع ثلاث عشرة مرة»[6].

---

(١) ينظر: الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين ص٢٥٤-٢٥٦، وغاية النهاية ٢/٢.

(١) ينظر: المقنع ص١٤٤، ١٦٧، ١٩٢.

(٢) ينظر: المقنع ص٣٤٥ (فهرس الأعلام).

(٣) ينظر: المقنع ص١٤٤، ١٦٧، ١٩٢.

(٤) ينظر: مختصر التبيين ١٣٦٧/٥ (فهرس الأعلام)

(٥) ينظر: مختصر التبيين ٥٦٨/٣ و٦٦٤ و٧٩٩.

(٦) غاية النهاية ٢/٢.

٢- كتاب هجاء المصاحف لمحمد بن عيسى الأصفهاني (ت٢٥٣هـ)

كان إماماً في القراءات والنحو، وصَنَّفَ كتاب الجامع في القراءات، وكتاباً في العدد، وكتاباً في الرسم[(١)]، سماه الداني «هجاء المصاحف»[(٢)]، وهو أحد المصادر التي اعتمد عليها الداني في المقنع، ونقل عنه في واحد وخمسين موضعاً[(٣)].

وجَمَعَ محمد بن عيسى الأصفهاني في كتابه «هجاء المصاحف» روايات عن مؤلفات شيوخه أو مَن تقدَّمهم، فروى فيه عن نُصَيْر[(٤)] بن يوسف النحوي[(٥)]، وعن علي بن حمزة الكسائي[(٦)]، وأبي حفص الخزَّاز[(٧)]، ولم تشر كتب فهارس المخطوطات إلى وجود نسخة خطية من هذا الكتاب.

المطلب الرابع: مؤلفات علم رسم المصحف القديمة الباقية

إن ما بقي من مؤلفات رسم المصحف القديمة يرجع إلى القرن الخامس الهجري وما بعده، وهي مؤلفات أندلسية في معظمها، أو ترجع أصولها إليها، وهي محققة مطبوعة، وفي مقدمتها[(٨)]:

---

(١) تنظر ترجمته: معرفة القراء ٤٤٠/١، وغاية النهاية ٢٢٣/٢.

(٢) ينظر: المقنع ص١٤٧.

(٣) ينظر: المقنع ص٣٤٦ (فهرس الأعلام).

(٤) وهو أحد علماء الرسم: وكان ممن أخذ القراءة والرسم عن الكسائي، وهو من أكابر أصحابه حتى وُصِفَ بأنه صاحب الكسائي، وقال الذهبي: «كان من الأئمة الحذَّاق لاسيما في رسم المصحف، وله فيه مصنف»، توفي سنة ٢٤٠هـ (تنظر ترجمته: معرفة القراء ٤٢٧/١، وغاية النهاية ٣٤٠/٢). ونقل عنه الداني في المقنع في مواضع كثيرة (ينظر: المقنع ص٣٤٦، فهرس الأعلام).

(٥) ينظر: المقنع ص١٩١، ٢٠١، ٢٢١، ومختصر التبيين ٤٦٩/٣ و٩١٧/٤.

(٦) ينظر: كتاب المصاحف ٤٢٤/١.

(٧) ذكره كل من الداني وأبو داود بكنيته ولقبه (أبو حفص الخزَّاز) (ينظر: المقنع ص١٨٥، ٢٠٠، ٢٠١، ومختصر التبيين ٦٤٨/٣ و٤٦٤ و٣٧٩).

(٨) ينسب لأبي بكر بن الأنباري كتاب «مرسوم الخط»، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، لكن هناك شك كبير في صحة هذه النسبة، وإن كانت فيه نصوص منقولة عن ابن الأنباري.

١) كتاب **هجاء مصاحف الأمصار**، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت نحو ٤٤٠هـ).

٢) كتاب **البديع في معرفة ما رسم في مصحف عثمان بن عفان** ﷺ لمحمد بن يوسف بن معاذ الأندلسي (ت سنة ٤٤٢هـ).

٣) كتاب **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار**، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ).

٤) كتاب **مختصر التبيين لهجاء التنزيل**، لأبي داود سليمان بن نجاح الأموي الأندلسي (ت٤٩٦هـ).

٥) **المختصر في مرسوم المصحف الكريم**، لأبي طاهر إسماعيل بن ظافر العقيلي (ت٦٢٣هـ).

٦) **الجامعُ لِمَا يُحْتاجُ إليه من رسم المصحف**، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن وثيق الأندلسي (ت٦٥٤هـ).

وأشهر منظومات الرسم اثنتان، أصولهما أندلسية أيضاً، وهما:

١) **عَقِيلَةُ أتراب القصائد في أسْنَى المقاصد**، نَظْمُ الإمام القاسم بن فِيرُّهْ الشاطبي (ت٥٩٠هـ)، نَظَمَ فيها كتاب **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار** للداني.

٢) **مورد الظمآن في رسم القرآن**، نظم أبي عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم الخرَّاز (ت٧١٨هـ)، اعتمد فيها على **قصيدة الشاطبي**، وعلى ما أورده أبو داود سليمان بن نجاح من رسوم، وعلى مصادر أندلسية أخرى في الرسم.

ولا يخفى على القارئ أن أصول كتب الرسم الأندلسية هذه ترجع إلى مصدرين رئيسين، الأول: ما رواه أهل الأندلس عن أهل المدينة، خاصة ما جمعه الغازي بن

قيس في كتاب «هجاء السنة»، عن شيخه نافع بن أبي نعيم المدني، والثاني: ما رواه علماء الأندلس عن بعض علماء أهل المشرق، خاصة ما رواه الداني عن محمد بن عيسى الأصفهاني صاحب كتاب «هجاء المصاحف»، وقد تقدمت الإشارة إلى هذه الكتب.

وللباحث في تاريخ رسم المصحف أن يتساءَل عن جهود علماء المشرق في رسم المصحف بعد محمد بن عيسى الأصفهاني: هل تلاشت وانتهت في المشرق، وبقيت آثارها القديمة في المؤلفات الأندلسية، أو أنها لم تتوقف عند هذا الحد، فظهرت مؤلفات جمعت روايات علماء الكوفة والبصرة وبغداد في الرسم، لكنها اندثرت، أو بقي قسم منها مخطوطاً بعيداً عن متناول يد الدارسين؟

إن البحث في مصادر الرسم القديمة، والنظر في فهارس المخطوطات يكشف عن وجود عدد من كتب الرسم أَلَّفَهَا علماء المشرق، بعضها لا نَعْرِفُ إلا اسمه، وبعضها نُقِلَتْ نصوص عنه، وبعضها لا يزال مخطوطاً، وهي جديرة بالدراسة والتحقيق، لتكون بأيدي الدارسين المهتمين برسم المصحف، لاسيما أنها تضمنت روايات في رسم المصحف تميزت عما ورد في كتب أهل المغرب والأندلس، جديرة بالدراسة والموازنة والتوثيق.

وسوف أتتبع في المبحث الآتي أخبار تلك الكتب، وأحاول في المبحث الذي يليه الوقوف على أهم ما تقدمه من ظواهر جديدة في رسم المصحف.

المبحث الثاني: تعريف بمصادر رسم المصحف المشرقية

لدينا أكثر من مصدر يؤكد وجود عدد من الكتب في رسم المصحف، أَلَّفَها علماء المشرق الإسلامي، لكن كثيراً منها ذهبت مخطوطاتها، واندرست أخبارها، وما بقي منها مخطوطاً يكشف عن ظواهر في الرسم لم ترد في مصادر رسم المصحف المتداولة، وسوف أعرض هنا ما ورد في ثلاثة من تلك المصادر، وأتتبع أخبار ما أشارت إليه من كتب الرسم، قبل أن أقف عند مخطوطاتها، وأصف ما تضمنه من مادة.

المطلب الأول: كتاب خط المصاحف لتاج القراء الكرماني

ذكر تاج القراء الكرماني في مقدمة الكتاب مَن سبقه في التأليف في رسم المصحف بقوله: «وقد جَمَعَ هذا أيضاً من المتقدمين جماعة، منهم: محمد بن عيسى، وأبو بكر بن مِهران، وابنُ مِقْسَم، وأبو الحسين الدهان، والشيخ الإمام أبو الفضل الرازي، وغيرهم من الأئمة»[1].

وقد ورد في هذا النص ذكر خمسة من العلماء الذين أَلَّفوا في الرسم. وهذا توضيح لِمَا نعرفه من كتبهم:

١) محمد بن عيسى، هو محمد بن عيسى بن إبراهيم بن رَزِين، أبو عبد الله التيمي الأصبهاني (ت٢٥٤هـ)، صَنَّفَ عدداً من الكتب في القراءات وعلوم القرآن، منها كتاب في الرسم[2]. وكتاب الأصبهاني هذا من مصادر أبي عمرو الداني في كتاب **المقنع**، وسماه كتاب «**هجاء المصاحف**»[3]، ونقل عنه في اثنين وثلاثين موضعاً[4]، كما تقدم، وذكره الكرماني ثلاث مرات في الكتاب.

٢) أبو بكر بن مِهران، وهو أبو بكر أحمد بن الحسين بن مِهران، النيسابوري (ت٣٨١هـ)، له كتاب في هجاء المصحف، لكن لم يرد له ذكر في المصادر التي ترجمت له[5]، وذكر الكرماني ابن مهران في الكتاب أربع مرات، ومما يؤكد صحة نسبة كتاب في الرسم لابن مهران ما قاله مؤلف كتاب **الهجاء** (المجهول): «قال

---

(١) **خط المصاحف** ص٦٤.

(٢) ينظر: الذهبي: **معرفة القراء** ٤٤٠/١، وابن الجزري: **غاية النهاية** ٢٢٣/٢.

(٣) ينظر: **المقنع** ص١٤٧.

(٤) ينظر: **المقنع** (فهرس الإعلام) ص٣٤٦.

(٥) ينظر: ياقوت الحموي: **معجم الأدباء** ٤٧٧/١-٤٧٩، والذهبي: **معرفة القراء** ٦٦٢/٢، ابن الجزري: **غاية النهاية** ٤٩/١.

الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران المقرئ النيسابوري، صاحب **الغاية** رحمه الله في كتاب **الهجاء** له...»[١]، ونقل منه في أربعين موضعاً، صرح باسم الكتاب في ثلاثة مواضع منها[٢].

٣) ابن مِقْسَم، وهو أبو بكر محمد بن الحسن بن يعقوب، البغدادي العطار (ت٣٥٤هـ)[٣]، له كتاب في الرسم سماه «**اللطائف في جمع هجاء المصاحف**»[٤]، وصَرَّحَ الكرماني بالنقل منه في موضع واحد، ولم أقف على مَن نَقَلَ عنه غيره.

٤) أبو الحسين الدهان، ذكره الكرماني ونقل عنه في ستة مواضع، ولم أقف له على ترجمة في المصادر التي رجعت إليها، لكني وجدت ياقوت الحموي يقول في ترجمة أبي نصر محمد بن أحمد بن علي بن حامد الكُرْكَانْجِي المروزي المتوفى سنة ٤٨٤هـ: «صاحب أبي الحسين الدهان»[٥]، وقال في موضع آخر: «قرأ القرآن على جماعة كثيرة، منهم بمرو على أستاذه أبي الحسين عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الدهان المقرئ»[٦]، وقال الذهبي: «قرأ على شيخه الدهان، مؤلف كتاب **علل القراءات**»[٧]، وقال ابن الجزري: «قرأ بمرو على أبي الحسين عبد الرحمن بن محمد الدهان»[٨].

---

(١) **كتاب الهجاء لمجهول** ص٨٧.

(٢) ينظر: **كتاب الهجاء لمجهول** (فهرس الأعلام) ص٢٦١.

(٣) ينظر في ترجمته: الذهبي: **معرفة القراء الكبار** ٥٩٧/٢، وابن الجزري: **غاية النهاية** ١٢٣/٢.

(٤) ينظر: ياقوت الحموي: **معجم الأدباء** ٥٩٧/٦، وينظر: الجعبري: **جميلة أرباب المراصد** ص٢٤٨.

(٥) **معجم الأدباء** ٤١٦/٦.

(٦) **معجم الأدباء** ٤١٧/٦.

(٧) **معرفة القراء** ٨٣٧/٢.

(٨) **غاية النهاية** ٧٢/٢.

وقد يكون أبو الحسين الدهان الذي ينقل عنه الكرماني هو شيخ الكركانجي، لاسيما أن مؤلف كتاب **الهجاء** (لمجهول) اعتمد على أبي الحسين الدهان كثيراً، ونَقَلَ من كتابين من كتبه، وهما: كتاب **معرفة ما يتفاضل به القراء**، وكتاب **علل ما يتفاضل به القراء**[(١)].

٥) أبو الفضل الرازي، وهو عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بندار، العجلي (ت٤٥٤هـ)[(٢)]، وهو أكثر مَن نقل عنه الكرماني في الكتاب، وذكره في كتابه أربع عشرة مرة، وهو يذكره مقروناً بكلمة (الشيخ) دائماً، وكان أبو الفضل الرازي قَصَدَ كرمان في آخر حياته، وتوفي فيها[(٣)]، لكن اختصار الكرماني للكتاب وعدم ذكره الأسانيد قد فَوَّتَ علينا معرفة الإسناد الذي يربطه بالرازي.

ولم يرد في المصادر التي وقفت عليها ذكر لكتاب في رسم المصحف من تأليف الرازي، الذي ذهب كثير من كتبه ولم يبق منها إلا القليل[(٤)]، لكن ما ذكره الكرماني يشير إلى أن لأبي الفضل الرازي كتاباً في الرسم، عسى أن تكشف عنه الدراسات في المستقبل.

---

(١) ينظر: **كتاب الهجاء** لمجهول ص٢٧-٢٩.

(٢) ينظر في ترجمته: الذهبي: **معرفة القراء** ٢/٧٩٥-٧٩٨، وابن الجزري: **غاية النهاية** ١/٣٦١-٣٦٣.

(٣) ينظر: الذهبي: **معرفة القراء** ٢/٧٩٧.

(٤) قال الذهبي: «كثير التصانيف» (ينظر: **معرفة القراء** ٢/٧٩٦)، وذكر له ابن الجزري في **غاية النهاية** (١/٣٦١) كتاب «**جامع الوقوف**»، وذكر له في النشر (١/٢١٢) كتاب «**التجويد**»، و(١/٤٨) كتاب «**اللوامح في القراءات**»، الذي نقل منه أبو حيان في البحر المحيط كثيراً من النصوص، وطُبعَ له كتاب «**فضائل القرآن وتلاوته**»، بتحقيق الدكتور عامر حسن صبري، وكتاب «**معاني الأحرف السبعة**» بتحقيق الدكتور حسن ضياء عتر، وفي مكتبة الفاتيكان مخطوطة لكتاب «**حروف عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي، والاختلاف بين أصحابه**»، لأبي الفضل الرازي، الأوراق ١١٥-١٥٦، ضمن مجموع رقمه في المكتبة (٥٨١).

المطلب الثاني: كتاب الهجاء في رسم المصحف لمؤلف مجهول

قال مؤلف الكتاب، وهو يبين مصادره التي اعتمد عليها ونقل منها: «اعلموا رحمكم الله أني اجتهدت في تصحيح هذه الهجاءات وإملائها وألفاظها امتثالاً لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**مَن عَمِلَ عملاً فَلْيُتْقِنْهُ**»، واستخرجتها من خمسة عشر كتاباً من:

١. **كتاب معرفة ما يتفاضل به القراء.**

٢. ومن **كتاب علل ما يتفاضل به القراء**، للإمام أبي الحسين الدهان.

٣. ومن كتاب **الكُتّاب**، للإمام عبد الله بن دُرُسْتُوَيْهِ النحوي.

٤. ومن كتاب أدب **الكُتّاب.**

٥. ومن كتاب **الإيضاح**، للأندرابي.

٦. ومن كتاب **علل الغاية**، لأبي الحسن الفارسي.

٧. ومن كتاب **المرشد في الوقوف**، لأبي محمد العماني.

٨. ومن كتاب **الوقوف**، لابن الأنباري.

٩. ومن كتاب **الهجاء**، لابن مهران النيسابوري مصنف كتاب **الغاية**.

١٠. ومن كتاب **الهداية لدراية الغاية**، للإمام سيد القراء أبي طاهر النُوبَاغِيِّ.

١١. ومن كتاب **المحَيَّا في رواية يحيى**، للإمام سيد القراء هذا.

١٢. ومن كتاب **الديباج في رواية الديباج**، له أيضاً.

١٣. ومن كتاب **الهجاء**، للإمام صدر القراء رشيد الأئمة المقرئ الورَّاقي.

وسمعت منه أيضاً حروفاً، ثم وجدت تلك الحروف المسموعة في كتاب **هجاء المصاحف**، للإمام الأديب علي بن محمد الجرجاني.

فإذا شككتم في شيء من هذه الهجاءات فاطلبوه في هذه الكتب المذكورة، فإن لم تجدوها فيها كما أوردته في كتابي هذا فأصلحوه كما هو فيها، وكما ينبغي إصلاحه، وإن وجدتموه فيها أو في بعضها كما ذكرته فارْضَوْا بما رَسَمَ الأئمة النحاريرُ المُقْتَدَى بهم في كتبهم ودوّنوه في تصانيفهم»[1].

وهذه الكتب التي ذكرها مؤلف كتاب **الهجاء**، ونَقَلَ منها مادة كتابه، يمكن تقسيمها على ثلاثة أقسام:

الأول: ما هو معروف المؤلف، وهو مخطوط أو مطبوع، مثل: كتاب **إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل**، لأبي بكر بن الأنباري، وكتاب **الكُتّاب** لابن درستويه، وكتاب **علل الغاية** لأبي الحسن علي بن محمد الفارسي، وكتاب **المرشد في الوقوف** لأبي محمد الحسن بن علي العماني، وكتاب **الإيضاح في القراءات** للأندرابي.

القسم الثاني: ما هو معروف المؤلف، وليس له نسخ خطية معروفة، مثل: كتاب **الهجاء**، لابن مهران الذي نقل منه الكرماني في كتاب **خط المصاحف**، وذكرناه من قبل، ونقل منه مؤلف كتاب **الهجاء** في كثير من المواضع.

القسم الثالث: كتب لمؤلفين غير مشهورين أو غير معروفين، وليس لها نسخ خطية معروفة، مثل كتاب **معرفة ما يتفاضل به القراء**، وكتاب **علل ما يتفاضل به القراء**، كلاهما لأبي الحسين عبد الرحمن بن محمد الدهان، الذي ذكره الكرماني في **خط المصاحف**. ومنها كتاب **المُحَيَّا في رواية يحيى**، و**الهداية لدراية الغاية**، وكتاب **الديباج**، لأبي طاهر رضي الأئمة النُوباغي، ومنها كتاب **الهجاء** لصدر القراء أبي القاسم محمود بن أحمد الوراقي.

---

(١) **كتاب الهجاء** ص٢٥١- ٢٥٣.

المطلب الثالث: كتاب نثر المرجان، لمحمد غوث النائطي الآركاتي الهندي

كتاب «**نثر المرجان في رسم نظم القرآن**» موسوعة علمية تتناول كلمات القرآن الكريم كلمة كلمة، بحسب ترتيب السور، من ناحية الرسم والضبط والقراءة، إلى جانب البنية والإعراب والمعنى، واعتمد مؤلفه على عدد كبير من كتب الرسم والقراءات وعلوم القرآن واللغة، صرَّح بعدد منها في مقدمته، وذكر عدداً آخر في أثناء الكتاب، فالكتب التي صَرَّحَ بها في المقدمة بنقله منها:

١. **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار** للداني.

٢. **عقيلة أتراب القصائد**، للإمام الشاطبي.

٣. **الوسيلة في شرح العقيلة**، لعلم الدين السخاوي.

٤. **النشر في القراءات العشر**، لابن الجزري.

٥. **الإتقان في علوم القرآن** للسيوطي.

٦. مصحف ابن الجزري[(١)].

ولم تكن هذه المصادر التي ذكرها المؤلف هي جميع ما نقل منه، فهناك عشرات الكتب الأخرى التي نقل منها المؤلف في رسم المصحف والقراءات والتفسير والعربية، وسوف أتوقف عند أهم كتب الرسم التي أكثر من النقل عنها، وهي: كتاب **خزانة الرسوم**، و**خلاصة الرسوم**، وسوف أتحدَّث عنهما، بعد بيان ما يتعلق بمصحف ابن الجزري.

١) **مصحف ابن الجزري**: لم يشتهر أن لابن الجزري مصحفاً خاصاً به، لكن لدينا من الوثائق ما يؤكد وجود مثل ذلك المصحف، بل نجد أن ابن الجزري يذكر

(١) نثر المرجان ١٨/١.

أنه تَحَرَّى فيه أن يكون بالرسم العثماني، وقام تلميذه في مدينة شيراز الشيخ طاهر بن عرب بن إبراهيم بخط نسخة مطابقة من ذلك المصحف، بناء على طلب من أبي الخير محمد ابن شيخ الإسلام الجزري، كما بَيَّنَ ذلك محمد غوث النائطي الآركاتي الذي ذكر أن أحد مصادره في الكتاب مصحف ابن الجزري الذي خَطَّهُ الشيخُ طاهرُ بنُ عرب، وكان موجوداً في بعض مكتبات الهند.

قال محمد غوث، وهو يُبيِّنُ مصادره التي اعتمد عليها في الكتاب: ومنها: المصحف الذي كتبه الفاضل الماهر طاهر بن عرب بن إبراهيم الحافظ الأصبهاني(١)، نَقَلَهُ من نسخة صَحَّحَهَا أستاذه شيخ الإسلام الجزري، واستكتبه أبو الخير محمد بن شيخ الإسلام الجزري(٢)، ووصل ذلك المصحف إلينا عَارِيَةً من خزانة أمير الوقت عظيم الدولة وَالاجَاهَ وَفَّقَهُ الله لِمَا يحبه ويرضاه، وحيثما أقول مصحف الجزري فالمراد به ذلك المصحف»(٣).

ولعل مُؤَلِّفَ كتاب نثر المرجان هو أول من أشار إلى مصحف شيخ الإسلام ابن الجزري الذي كان أحد مصادره، فلم أقف على خبر لهذا المصحف في مصدر آخر، سواء في ذلك كتب ابن الجزري المطبوعة أو غيرها من المصادر التي ترجمت له، لكن ابن الجزري كان قد ذكر مصحفه هذا في كتابه **«أجوبة ابن الجزري على المسائل التبريزية»**، حين قال: «والمصحف الذي صَحَّحْتُهُ على الرسم

---

(١) وردت له ترجمة في كتاب غاية النهاية (٣٩٣/١-٣٤١)، توفي سنة ٨٧٠هـ.

(٢) ولد أبو الخير محمد ابن الشيخ ابن الجزري سنة ٧٨٩هـ في دمشق، وأقام مع أبيه في شيراز، فلما توفي أبوه سنة ٨٣٣هـ غادر شيراز، ودخل بلاد الروم أيام محمد الفاتح الذي تولى الحكم سنة ٨٥٥هـ، فأكرمه ونَصَّبَهُ مُوَقِّعاً في الديوان العلي (ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ٢٥٢/٢، وطاش كبري زاده: **الشقائق النعمانية** ص٢٥-٢٩).

(٣) **نثر المرجان** ١٨/١.

بخطي هو (في) ذلك عمدة، تتبعت فيه نصوص الأئمة، وما وقفت عليه من المصاحف القديمة»[1].

وموازنة المواضع التي استشهد فيها مؤلف «نثر المرجان» في كتابه من مصحف ابن الجزري بما ورد في كتب الرسم تؤكد أن ابن الجزري تَحَرَّى أن يكون رسم هذا المصحف موافقاً لرسم المصاحف العثمانية.

ولا نعلم اليوم مصير مصحف شيخ الإسلام ابن الجزري، ولا مكان المصحف الذي كَتَبَهُ تلميذه طاهر بن عرب بن إبراهيم الحافظ الأصبهاني، بتكليف من ابن شيخ الإسلام الجزري، لكن هناك ما يدل على أن ذلك المصحف كان معروفاً واتخذه بعض الخطاطين قدوة له في كتابة مصحفه، فقد جاء في الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط في الجزء الخاص بالمصاحف المخطوطة ومخطوطات رسم المصحف إشارة إلى وجود مصحف مخطوط في مكتبة (عشيرة شَرَفِ المُلك) في مدينة مدراس في الهند، وهي المدينة التي أُلِّفَ فيها كتاب نثر المرجان، وجاء في وصف النسخة: «خط النسخ، بالقراءات السبع، منقولة من نسخة طاهر بن عرب بن إبراهيم»[2].

ويُعَدُّ كتاب «نثر المرجان» مصدراً مهماً من مصادر معرفة جهود ابن الجزري في رسم المصحف، فقد تضمن هذا الكتاب وصفاً لرسم الكلمات في مصحف ابن الجزري، ويمكن التعرف على اختيارات ابن الجزري في الرسم من خلال هذا الكتاب.

٢) خلاصة الرسوم، ولم يصرح الآركاتي باسم مؤلفه، وكان يكتفي بالقول: قال صاحب الخلاصة[3].

---

(١) أجوبة ابن الجزري ص١٢٠.

(٢) الفهرس الشامل (الجزء الخاص بالمصاحف المخطوطة ومخطوطات رسم المصحف) ص١٨٨.

(٣) ينظر: نثر المرجان ١١٢/١ و١١٧ و١٢٩ و١٤١ و١٦٢ و١٨٤... إلخ.

وذكر إسماعيل باشا البغدادي في إيضاح المكنون كتاب «**خلاصة الرسوم في القرآن**»، تأليف عثمان بن الحافظ عبد الرحمن الطالقاني[١]. ووردت في **الفهرس الشامل** إشارة إلى وجود نسخة منه، ونَصُّ ما ورد فيه: (**خلاصة الرسوم** - طالقاني (**عثمان حافظ**): الأكاديمية الأوزبكية، طشقند ١١٦/٤ (١٢٨و) ١١١٣هـ)[٢].

وقد وقفت على نسخة مصورة من مخطوطة الكتاب، وهي من مقتنيات مركز جمعة الماجد، وظهر أنه باللغة الفارسية، وقد ساعدني في قراءة مقدمته والوقوف على مصادره الدكتور وليد عادل عبد القادر، التدريسي بجامعة كلار، في إقليم كردستان، والذي حقق جزءاً من كتاب نثر المرجان، في أطروحته للدكتوراه، في جامعة تكريت. وهذه صورة الصفحة الأولى من الكتاب:

ويظهر فيها اسم المؤلف (عثمان بن حافظ رحمن قلي طالقاني)، وصرَّح باسم الكتاب وهو: «**خلاصة الرسوم**»[٣]، وتاريخ تأليف الكتاب، وهو سنة ١٠٨٤هـ[٤]، ويقع الكتاب في ٢٦٧ ورقة. وذكر المؤلف مصادره في الكتاب[٥]، وهذه صورة ذلك:

وهذا بيان بالمصادر المذكورة:

١. **المقنع** للداني.

٢. **القصيدة الرائية (العقيلة)** للشاطبي.

٣. **الوسيلة شرح العقيلة** لعلم الدين السخاوي.

---

(١) **إيضاح المكنون** ٤٣٦/١.

(٢) **الفهرس الشامل** (الجزء الخاص بالمصاحف المخطوطة ورسم المصحف) ص٤٤٦.

(٣) **خلاصة الرسوم** ورقة ٥ و، س٨.

(٤) **خلاصة الرسوم** ورقة ٤ظ، س ١٤-١٥.

(٥) **خلاصة الرسوم** ورقة ٤ و- ٤ ظ.

٤. **إيضاح مشكلات القرآن**، لأبي عبد الله الأندرابي (لعله كتاب **الإيضاح في القراءات للأندرابي**)، وفيه باب عن رسم المصحف.

٥. **مبرز المعاني** لملا عماد.

٦. **كشف المعاني** للسيد يوسف بن أسد الخلاطي العباسي.

٧. برهان الدين الجعبري (**جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد**).

٨. **تقريب النشر** لابن الجزري.

٩. **إرشاد المبتدئين** للشيخ منصور الماتريدي.

١٠. **منهل العطشان** للشيخ طاهر بن عرب بن إبراهيم الأصفهاني، تلميذ ابن الجزري[١].

١١. **مضبوط رسم القرآن** للسيد عثمان زيارتكاهي.

١٢. **مناهج التلاوة**؟.

١٣. **رسالة رسم الخط** لابن الجزري[٢].

١٤. **رسالة رسم الخط** للحافظ طاهر الأصفهاني[٣].

١٥. **كتاب الهجاء**[٤]؟

١٦. **مرشد التالين**؟

---

(١) **منهل العطشان في رسم أحرف القرآن** (بالفارسية): مطبوع في طهران، بتحقيق الأستاذ سيد حسين مرعشي، ضمن سلسلة (گنجينه بهارستان - علوم قرآن - ٣).

(٢) وهي كتاب: **البيان في خط مصحف عثمان**، لابن الجزري، تحقيق غانم قدوري الحمد، ط ٢، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، بيروت ١٤٣٥هـ/٢٠١٥م.

(٣) رسالة في قواعد رسم الخط، مخطوط ضمن مجموع في المكتبة البريطانية، برقم (OR12758/3) في بضع ورقات.

(٤) اتضح لي من خلال النصوص التي نقلها صاحب الخلاصة، ومحمد غوث في نثر المرجان من كتاب الهجاء أنه كتاب «**الهجاء في رسم المصحف**» لمجهول، وهو مطبوع بتحقيقي.

١٧. **مقدمة مقاصد البررة**؟
١٨. **درة الفريد**؟
١٩. **قواعد القرآن**؟
٢٠. **عجائب الغرائب**؟.

٣) **خزانة الرسوم**، يقول محمد غوث النائطي مؤلف الكتاب حين ينقل منه: (قال صاحب الخزانة)(١)، ولم يُسَمِّهِ، كما فعل في ذكر **خلاصة الرسوم**، وكشف **الفهرس الشامل** عن مؤلف الكتاب حين ذكر نسخة خطية منه، ونَصُّ ما ورد فيه: (**خزانة الرسوم** - خواجة محمد معصوم بن ملا محمد رحيم: تونك / الهند ١/٣٤-٣٥ (٩٢و) - ق ١٠هـ)(٢).

وقد وقفت على نسخة مصورة من مخطوطة الكتاب، ضمن مجموع يحتفظ به مركز جمعة الماجد، وهو باللغة العربية، وعدد أوراق الكتاب خمس وأربعون ورقة، وذكر اسم المؤلف في أولها، وهو خواجه محمد بن ملا محمد رحيم(٣).

وذكر المؤلف أهم مصادره التي نقل منها(٤)، وهي: **المقنع**، و**الرائية** (يعني **العقيلة**) و**المنهل** (يعني **منهل العطشان** للشيخ طاهر)، وصرح باسم رسالته بقوله(٥): «وسميتها: **خزانة الرسوم في المرسومات العثمانية**».

ويلفت نظر القارئ في كتاب **نثر المرجان** اعتماد المؤلف على هذه المصادر الثلاثة على نحو يدل على أهميتها لديه، وكثيراً ما قَرَنَ المؤلف بين **الخلاصة** و**الخزانة**،

---

(١) ينظر: نثر المرجان ١/٢٨ و٣٣ و٤٢ و٩٧ و١٠٥ و١٠٦ و١١١.. إلخ.
(٢) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (المصاحف المخطوطة ومخطوطات رسم المصحف) ص٤٤٦.
(٣) خزانة الرسوم ورقة ٢٩ ظ.
(٤) خزانة الرسوم ورقة ٣٠ و.
(٥) خزانة الرسوم ورقة ٣٠ و.

فكان يقول: (كما صَرَّحَ به صاحبا الخزانة والخلاصة)[١]، أو (قاله صاحب الخلاصة والخزانة) ونحو ذلك[٢].

ومن مظاهر تميز الكتابين (الخلاصة والخزانة) ما نقله المؤلف من المصادر التي اعتمد عليها مؤلفا الكتابين، خاصة كتاب الخلاصة، على نحو قوله: «نقله صاحب الخلاصة، وقال: هكذا في المضبوط، ومنهل العطشان، ومقاصد البررة»[٣]، وقوله: «نقله صاحب الخلاصة عن كتاب هجاء المصاحف»[٤]، وقوله: «ذكره صاحب الخلاصة نقلاً عن الهجاء»[٥].

ويتضح من قائمة المؤلفات التي نقل منها الآركاتي مادة كتابه أنها تضم من كتب الرسم الأندلسية كتاب المقنع للداني، والعقيلة للشاطبي، وشرحها للسخاوي، وهي كتب معروفة مشهورة لدى الدارسين، وتضم عدداً من كتب الرسم المشرقية، مثل كتاب الخلاصة وكتاب الخزانة، وما تضمنه هذان الكتابان من مصادر، وهي كتب تكاد تكون مجهولة لدى كثير من المشتغلين برسم المصحف، والأمر يحتاج إلى مزيد بحث وتنقيب عن مخطوطاتها، والنظر في موضوعاتها، ولا يتسع المقام لأكثر من ذلك الآن.

---

(١) نثر المرجان ٩٨/١.

(٢) نثر المرجان ١٠١/١. وينظر أيضاً: ١١٠/١ و١١٩ و١٢٣ و١٤٥ و١٩٠ و٣٢٨ و٣٤٧ و٤٢٦ و٤٤٨ و٤٩٣ و٥٥٦ و٥٨١ و٥٨٤ و٦٠٣ و٦٤٩ و٦٩٣.

(٣) نثر المرجان ١/ ١٦٥.

(٤) نثر المرجان ١٦٦/١.

(٥) نثر المرجان ٦٣٧/١.

المبحث الثالث: ما تضيفه كتب الرسم المشرقية من مادة علمية

إن كتب رسم المصحف التي تحدَّثنا عنها في المبحث السابق، ووصفناها بأنها كتب مشرقية، تتميز عن كتب رسم المصحف الأندلسية الأصل، من ناحية المنهج، ومن ناحية المادة العلمية، فمن ناحية المنهج جاء وصف الرسوم فيها مرتباً بحسب ترتيب السور في المصحف، بعكس كتب الرسم الأندلسية التي رُتِّبَتْ فيها الرسوم بحسب الموضوعات في الغالب، على نحو ما نجد في كتاب المقنع للداني. والبديع لابن معاذ الجهني، وهجاء مصاحف الأمصار للمهدوي، ومنظومة العقيلة للشاطبي وشروحها، ومنظومة مورد الظمآن وشروحها، ونستثني من ذلك كتاب مختصر التبيين لأبي داود الذي رُتِّبَتْ موضوعاته بحسب السور.

وقد تبدو قضية الترتيب مسألة شكلية، لكن كتب الرسم المشرقية تتميز عن كتب الرسم الأندلسية من ناحية المادة العلمية أيضاً، وذلك بذكر ظواهر كتابية في رسم المصحف لم يرد لها ذكر في كتب الرسم الأندلسية، أو ذُكِرَتْ على أنها جاءت في روايات شاذة، ولم يؤخذ بها في رسم المصاحف المطبوعة، وهذه الظواهر ذات أهمية كبيرة في دراسة المصاحف المخطوطة القديمة، التي جاءت فيها تلك الظواهر، فاستناداً إلى ما ورد في كتب الرسم الأندلسية سوف نحكم على تلك الظواهر في تلك المصاحف بمخالفتها لرسم المصاحف العثمانية، وبالنظر إلى ما ورد في كتب الرسم المشرقية فإنها تمثل رواية أخرى لرسم المصحف، وتؤكد ظاهرة التعدد في رسم الكلمات في المصاحف القديمة.

المطلب الأول: رسم كلمة (ذو) في مصادر رسم المصحف

ولا يتسع الوقت لتتبع جميع ما ورد في كتب الرسم المشرقية من رسوم مخالفة لما ورد في كتب الرسم الأندلسية، كما أن البحث لا يتسع لتتبع جميع ما وقفتُ عليه في كتب الرسم المشرقية من ظواهر مخالفة لِمَا ورد في كتب الرسم

الأندلسية[١]، ومن ثم سوف أختار مسألة واحدة من مسائل الرسم التي لم يرد لها ذكر في كتب الرسم الأندلسية، وهي زيادة الألف بعد واو (ذو)، وأتتبع النصوص الواردة عنها في كتب الرسم، ثم أتتبعها في عدد من المصاحف القديمة.

قال تاج القراء الكرماني في كتابه «**خط المصاحف**»:

«﴿والله ذُو فَضْلٍ﴾ [آل عمران ١٧٤]: قال أبو الفضل، قال الأصبهاني: (ذو) خمسة أحرف بغير ألف، منها:

﴿لَذُو عِلْمٍ﴾ [يوسف ٦٨].

﴿إِلَّا ذُو حَظٍّ﴾ في السجدة [٣٥]، وفيها: ﴿لَذُو مَغفِرَةٍ﴾ [٤٣].

وفي الجمعة: ﴿ذُو الفَضْلِ﴾ [٤].

وفي البروج: ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ [١٥].

وزاد أبو بكر في المؤمن: ﴿ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ﴾ [١٥]، ولم يذكر الذي في السجدة»[٢].

وجاء في كتاب **الهجاء** لمجهول: «﴿ذُوا﴾ [١٠٥]: اعلم أن كلمة (ذُوا) تكتب بألف في آخرها، وكذلك ﴿لَذُوا﴾ كلَّ القرآن، إلا في ستة مواضع، فإنها تكتب في هذه المواضع الستة بغير ألف:

---

(١) هناك عدد من الظواهر الكتابية في كتب الرسم المشرقية التي تستحق الدراسة، والتتبع في المصاحف المخطوطة القديمة، منها:

١. حَذْفُ الألف من كلمة الكتاب في كل القرآن إلا في موضوع واحد (البقرة: ١٠١) (كتاب الهجاء ص٩٤).

٢. زيادة ياء في رسم كلمة (بآية، وبآيات) في كل القرآن (ينظر: **كتاب الهجاء** ص١٢٤).

٣. زيادة ياء في رسم كلمة (فبأي) في كل القرآن (ينظر: **كتاب الهجاء** ص١٥١).

(٢) **خط المصاحف** ص٩٣.

في يوسف: ﴿لَذُو عِلْمٍ﴾ [٦٨].

وفي المؤمن: ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ [١٥].

وفي المصابيح[1]: ﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ﴾ [٤٣].

وفي الجمعة: ﴿واللَّهُ ذُو الْفَضْلِ﴾ [٤].

وفي البروج: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [١٥].

ذكرها الإمامان: أبو بكر بن مهران المقرئ النيسابوري وأبو عبد الله أحمد الأندرابي[2] رحمهما الله من خط رشيد الأئمة الوراقي رحمه الله.

﴿ذُوا الْفَضْلِ﴾ [١٠٥]: بالألف»[3].

واعتنى صاحب كتاب **الهجاء** في الرسم بالنص على زيادة الألف بعد الواو في كلمة (ذو) في مواضعها من السور[4]، وكذلك مواضع حذفها[5].

وفي مقابل ذلك قال أبو عمرو الداني في **المقنع**: «واتفقت المصاحف على حذف الألف بعد الواو التي هي علامة الرفع في الاسم المفرد المضاف نحو قوله: ﴿لَذُو فَضْلٍ﴾ [يونس ٦٠]، و﴿لَذُو عِلْمٍ﴾ [يوسف: ٦٨]، و﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ [فصلت: ٤٣]، و﴿وَذُو عِقَابٍ﴾ [فصلت: ٤٣]، و﴿ذُو العَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]، و﴿ذُو الجَلَالِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، و﴿ذُو الْفَضْلِ﴾ [البقرة: ١٠٥]، وما كان مثله حيث وقع».

---

(١) هي سورة فُصِّلَتْ.

(٢) لم أقف عليها في كتاب الإيضاح للأندرابي.

(٣) **كتاب الهجاء** ص١٠٦-١٠٧.

(٤) ينظر: **كتاب الهجاء** ص: ١١٦، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٨ (٣)، ١٤٥ (٢)، ١٦١، ١٧١، ١٨٢، ٢٠٢، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٣١ (٢)، ٢٣٧.

(٥) ينظر: **كتاب الهجاء** ص: ١٦٨، ٢١٨، ٢٢٠ (٢)، ٢٣٦، ٢٤٦.

وأكد ذلك أبو داود سليمان بن نجاح في كتابه «مختصر التبيين» حيث قال وهو يتحدث عن الرسوم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة ٦]: «وفيها من الهجاء إثبات الألف بعد الواو في ﴿كَفَرُوا﴾... وما كان مثله من واو الجمع وواو الأصل التي في الفعل حيث وقع... واستثنى الصحابة رضي الله عنهم من هذا الباب ثلاثة أصول مطردة وسبعة مواضع مفترقة، فحذفوا الواو بعد الألف فيهن، واجتمعت أيضاً على ذلك المصاحف فلم تختلف. فالأصول المطردة: ﴿جَاءُو﴾، ﴿وَبَاءُو﴾، حيث ما وقعا، والثالث: هو الاسم المفرد المضاف، نحو قوله: ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ نحو [الرحمن ٢٧]، ﴿ذُو الْفَضْلِ﴾ [البقرة ١٠٥]، و﴿لَذُو فَضْلٍ﴾ [يونس ٦٠]، و﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر١٥]، و﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ﴾ [الرعد ٦]، و﴿ذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت ٤٣]، و﴿لَذُو عِلْمٍ﴾ [يوسف ٦٨]، وما كان مثله حيث وقع، وهو يرد في نيف وعشرين[1] موضعاً»[2].

وحين تحدث محمد غوث النائطي عن هذه الظاهرة في كتابه «نثر المرجان» وجد النصوص في كتب الرسم متعارضة، وانتصر لِمَا رواه الداني وغيره، وذلك حيث قال: «(ذو) بدون الألف بعد الواو، وقال الداني: اتفقت المصاحف على حذف الألف بعد الواو التي هي علامة الرفع في الاسم المفرد المضاف، وعد في أمثلته (ذو الفضل)، ووافقه السيوطي، وهكذا رسمه الجزري في مصحفه، وقال صاحب الخلاصة: لم يقل بزيادة الألف في (ذو) واحد من أئمة الرسم إلا الشيخ أبو الفضل عن الأصبهاني فإنه تفرد بزيادة الألف، قال: وتبعه الأندرابي في

---

(١) وردت كلمة (ذو) في المصحف في خمسة وثلاثين موضعاً (ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٢٧٧).

(٢) مختصر التبيين ٢/٨١–٨٢.

الإيضاح، والروذباري صاحب زاد القراء وجامع القراءات، قال: ولا اعتداد بقوله في مقابلة الثقات الأئمة»[١].

المطلب الثاني: رسم كلمة (ذو) في المصاحف المخطوطة

واعتمدت المصاحف المطبوعة في زماننا على رواية الداني وأبي داود في حذف الألف بعد واو (ذو) حيث وقعت في المصحف، وتبقى رواية الكتب المشرقية تثير التساؤل، وتدعو إلى البحث عن الأصل الذي استندت عليه، وهل هي تمثل رواية مبنية على النظر في المصاحف القديمة؟ ويمكن الاستئناس في الإجابة على هذا التساؤل بالنظر في المصاحف القديمة التي انتشرت نسخها المصورة في السنين الأخيرة، خاصة المصاحف التي اعتنى بإخراجها الدكتور طيار آلتي قولاج في إستانبول، وهي تعود إلى حقبة متقدمة من القرن الهجري الثاني، في الأقل، حين كانت المصاحف العثمانية الأصلية لا تزال موجودة، يَنْظُرُ فيها العلماء، ويعتمد عليها الخطاطون، في تصنيف الكتب، وفي كتابة المصاحف الجديدة.

(١) نثر المرجان ١/١٩٨.

رسم كلمة (ذو) في عدد من المصاحف القديمة[١]

√ : رسم (ذوا) بزيادة الألف

× : رسم (ذو) بحذف الألف

– : تعني فقدان النص من المصحف

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿ذُو الْفَضْلِ﴾
١	البقرة	١٠٥	مصحف طشقند	
			مصحف متحف الآثار	
			مصحف القاهرة	
			مصحف طوب قبي	√
			مصحف صنعاء	–
			رواية كتب الرسم المشرقية	√

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿لَذُو فَضْلٍ﴾
٢	البقرة	٢٤٣	مصحف طشقند	–
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	√
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	√

(١) اعتمدت على مصحف صنعاء وهوامشه، تحقيق طيار آلتي قولاج، وراجعت ما ذكره على المصاحف الأخرى التي تيسر لي الاطلاع عليها.

﴿ذُو فَضْلٍ﴾	الكلمة في مصحف المدينة	الآية	السورة	ت
–	مصحف طشقند	٢٥١	البقرة	٣
×	مصحف متحف الآثار			
√	مصحف القاهرة			
√	مصحف طوب قبي			
√	مصحف صنعاء			
	رواية كتب الرسم المشرقية			

﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾	الكلمة في مصحف المدينة	الآية	السورة	ت
–	مصحف طشقند	٢٨٠	البقرة	٤
×	مصحف متحف الآثار			
√	مصحف القاهرة			
√	مصحف طوب قبي			
√	مصحف صنعاء			
	رواية كتب الرسم المشرقية			

﴿ذُو انتِقَامٍ﴾	الكلمة في مصحف المدينة	الآية	السورة	ت
–	مصحف طشقند	٤	آل عمران	٥
×	مصحف متحف الآثار			
√	مصحف القاهرة			
√	مصحف طوب قبي			
√	مصحف صنعاء			
√	رواية كتب الرسم المشرقية			

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿ذُو الْفَضْلِ﴾
٦	آل عمران	٧٤	مصحف طشقند	√
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	√
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	√

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿ذُو فَضْلٍ﴾
٧	آل عمران	١٥٢	مصحف طشقند	×
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	√

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿ذُو فَضْلٍ﴾
٨	آل عمران	١٧٤	مصحف طشقند	√
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	√

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿ذُو انتِقَامٍ﴾
٩	المائدة	٩٥	مصحف طشقند	√
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾
١٠	الأنعام	١٣٣	مصحف طشقند	×
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	√

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿ذُو رَحْمَةٍ﴾
١١	الأنعام	١٤٧	مصحف طشقند	×
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	–
			رواية كتب الرسم المشرقية	√

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿ذُو الْفَضْلِ﴾
١٢	الأنفال	٢٩	مصحف طشقند	–
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	√

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿لَذُو فَضْلٍ﴾
١٣	يونس	٦٠	مصحف طشقند	–
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	×
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	×
			رواية كتب الرسم المشرقية	√

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿لَذُو عِلْمٍ﴾
١٤	يوسف	٦٨	مصحف طشقند	–
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	×
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	×

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾
١٥	الرعد	٦	مصحف طشقند	–
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	√

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾
١٦	إبراهيم	٤٧	مصحف طشقند	–
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾
١٧	الكهف	٥٨	مصحف طشقند	√
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	√

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿لَذُو فَضْلٍ﴾
١٨	النمل	٧٣	مصحف طشقند	√
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	√

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿لَذُو حَظٍّ﴾
١٩	القصص	٧٩	مصحف طشقند	–
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	√

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿ذُو الْأَوْتَادِ﴾
٢٠	ص	١٢	مصحف طشقند	√
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿ذُو الْعَرْشِ﴾
٢١	غافر	١٥	مصحف طشقند	–
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	×
			رواية كتب الرسم المشرقية	×

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿لَذُو فَضْلٍ﴾
٢٢	غافر	٦١	مصحف طشقند	–
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	√

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿ذُو حَظٍّ﴾
٢٣	فصلت	٣٥	مصحف طشقند	×
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	×
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	×

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿لذُو مَغْفِرَةٍ﴾
٢٤	فصلت	٤٣	مصحف طشقند	–
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	×
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	×

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿وَذُو عِقَابٍ﴾
٢٥	فصلت	٤٣	مصحف طشقند	–
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	×
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	×

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿فَذُو دُعَاءٍ﴾
٢٦	فصلت	٥١	مصحف طشقند	–
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	√

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾
٢٧	الذاريات	٥٨	مصحف طشقند	–
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿ذُو مِرَّةٍ﴾
٢٨	النجم	٦	مصحف طشقند	–
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿ذُو الْعَصْفِ﴾
٢٩	الرحمن	١٢	مصحف طشقند	–
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	√

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿ذُو الجَلَالِ﴾
٣٠	الرحمن	٢٧	مصحف طشقند	–
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	√
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	√

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿ذُو الفَضْلِ﴾
٣١	الحديد	٢١	مصحف طشقند	–
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿ذُو الفَضْلِ﴾
٣٢	الحديد	٢٩	مصحف طشقند	–
			مصحف متحف الآثار	×
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	√
			رواية كتب الرسم المشرقية	

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿ذُو الْفَضْلِ﴾
٣٣	الجمعة	٤	مصحف طشقند	
			مصحف متحف الآثار	
			مصحف القاهرة	×
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	–
			رواية كتب الرسم المشرقية	×

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿ذُو سَعَةٍ﴾
٣٤	الطلاق	٧	مصحف طشقند	
			مصحف متحف الآثار	
			مصحف القاهرة	√
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	–
			رواية كتب الرسم المشرقية	√

ت	السورة	الآية	الكلمة في مصحف المدينة	﴿ذُو الْعَرْشِ﴾
٣٥	البروج	١٥	مصحف طشقند	
			مصحف متحف الآثار	
			مصحف القاهرة	×
			مصحف طوب قبي	×
			مصحف صنعاء	–
			رواية كتب الرسم المشرقية	×

إن هذه الخلاصة تُبيِّنُ التطابق النسبي في زيادة الألف بعد واو (ذو) بين رواية الكتب المشرقية لرسم المصحف، وما ورد في مصحف القاهرة (وهو مصحف جامع الحسين)، ومصحف صنعاء، اللذين نشرهما الأستاذ الدكتور طيار آلتي قولاج في إستانبول في السنوات الأخيرة، ويُظْهِرُ ما بَقِيَ من مصحف طشقند توافقاً كبيراً مع رواية الكتب المشرقية، كما هو واضح من الجدول، وقد تتبعت كلمة (ذو) في ما بقي من المصحف المحفوظ في مكتبة باريس فوجدت جميع المواضع التي وَقَفْتُ عليها مرسومة بإثبات الألف بعد الواو (ذوا)[1].

ويمكن للدارس أن يستنتج من خلال هذه الخلاصة ما يأتي:

١) أنَّ ما ورد في كتب الرسم المشرقية من ظواهر كتابية لا تتوافق مع ما ورد في كتب الرسم الأندلسية يستند إلى نظر العلماء السابقين في المصاحف القديمة، وهو ما يؤكده النظر في المصاحف المخطوطة القديمة الباقية إلى زماننا.

٢) أنَّ ما ورد في المصاحف القديمة من ظواهر كتابية لم يرد لها ذكر في كتب الرسم التي تستند إلى الرواية الأندلسية، له ما يؤيده في كتب الرواية المشرقية لرسم المصحف، وليس من باب الخطأ الذي قد يحاول البعض من خلاله الزعم بوجود خلاف بين مصاحفنا والمصاحف القديمة.

٣) أنَّ ما يوجد من تباين في رسم عدد من الكلمات بين مصاحفنا المطبوعة، مثل مصحف المدينة النبوية، والمصاحف المخطوطة القديمة يمثل روايات متعددة لرسم الكلمات في المصاحف العثمانية، وليس من باب الخطأ أو الزيادة على الرسوم الأولى، فتقاليد الكتابة العربية في ذلك العصر كانت تسمح بذلك التعدد في طريقة رسم الكلمات.

---

(١) وذلك في سورة آل عمران (الآية ٤ و١٥٢ و١٧٤)، وسورة الرعد (الآية ٦)، وسورة إبراهيم (الآية ٤٧)، وسورة فصلت (الآية ٥١)، وسورة الجمعة (الآية ٤)، وسورة الطلاق (الآية ٧).

خاتمة

اعْتَمَدَتِ المصاحف المطبوعة على كتب رسم المصحف التي ألفها علماء الأندلس، مثل كتب أبي عمرو الداني، وتلميذه أبي داود سليمان بن نجاح، لكنَّ تَتَبُّعَ أخبار كتب رسم المصحف والنظر في فهارس المخطوطات يكشف عن وجود مجموعة من كتب رسم المصحف، يمكن تسميتها بكتب رسم المصحف المشرقية. لأن مؤلفيها عاشوا في بلدان المشرق الإسلامي، وهي تتميز بعدد من ظواهر الرسم التي تختلف عما ورد في كتب رسم المصحف المتداولة بأيدي الدارسين.

ويلزم الدارسين لعلوم القرآن بعامة ورسم المصحف بخاصة الاعتناء بتلك الكتب من ناحيتين، **الأولى**: تتبع مخطوطات تلك الكتب، والعمل على تحقيقها ونشرها، **والثاني**: دراسة ما تضمنته تلك الكتب من ظواهر كتابية، وموازنتها بما ورد في كتب رسم المصحف المتداولة، ويتحقق من خلال ذلك عدد من النتائج، منها:

١) مراجعة بعض ظواهر الرسم في المصاحف المطبوعة.

٢) تأصيل ظواهر الرسم الواردة في المصاحف القديمة المخطوطة التي تبدو غير متوافقة مع ما ورد في كتب رسم المصحف المتداولة، واستبعاد احتمال الخطأ عنها.

٣) استبعاد فكرة وجود تباين في المصاحف من خلال ملاحظة وجود فوارق في إملاء الكلمات فيها، لأن قواعد الإملاء في الكتابة العربية القديمة كانت تتيح رسم الكلمات بأكثر من طريقة، وهو ما تبدو آثاره في المصاحف المخطوطة.

هذا ما تيسر لي في بحث هذا الموضوع، والله تعالى أعلم، وهو ولي التوفيق.

قائمة المصادر

- آرثر ج. آربري: **فهرس المخطوطات العربية في مكتبة تشستر بيتي** (دبلن/ايرلندا)، ترجمة د. محمود شاكر سعيد، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان ١٩٩٢م.
- إسماعيل باشا البغدادي: **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، عني بتصحيحه محمد شرف الدين يالتاقيا ورفعت بيلكه الكليسي، استانبول ١٩٤٥م.
- ابن الأنباري (محمد بن القاسم بن بشار): **إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل**، تحقيق د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.
- أيمن فؤاد سيد (دكتور): **الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- الباقلاني (محمد بن الطيب): **الانتصار للقرآن**، تحقيق د. محمد عصام القضاة، دار الفتح للنشر والتوزيع عمان، ودار ابن حزم بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- البيهقي (أحمد بن الحسين): **شعب الإيمان**، تحقيق د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- ابن الجزري (أبو الخير محمد): ( ) أجوبة ابن الجزري (١) **غاية النهاية في طبقات القراء**، تحقيق برجستراسر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٣٢م. (٢) **النشر في القراءات العشر**، راجعه علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
- الجعبري (إبراهيم بن عمر): **جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد**، تحقيق د. محمد خضير مضحي الزوبعي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

- حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله): **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، إستانبول ١٩٤١، ١٩٤٣م.

- حمزة بن الحسن الأصفهاني: **التنبيه على حدوث التصحيف**، تحقيق محمد أسعد طلس، دمشق ١٩٦٨م.

- أبو حيان (محمد بن يوسف): **البحر المحيط**، تحقيق صدقي محمد جميل. دار الفكر، بيروت ١٤٢٠هـ.

- خواجة محمد معصوم بن ملا محمد رحيم: **خزانة الرسوم**، **مخطوط**، مركز جمعة الماجد، دبي.

- الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد):

١) **البيان في عدِّ آي القرآن**، تحقيق غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢) **التحديد في الإتقان والتجويد**، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٣) **المحكم في نقد المصاحف**، تحقيق د. عزة حسن، دار الفكر، دمشق ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٤) **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار**، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، دار البشائر الإسلامية، دمشق ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٥) **المكتفى في الوقف والابتدا**، تحقيق د. جايد زيدان مخلف، مطبعة وزارة الأوقاف، بغداد ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- ابن أبي داود (عبد الله بن سليمان): **كتاب المصاحف**، تحقيق الدكتور محب الدين عبد السبحان واعظ، ط ٢، دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- ابن درستويه (عبد الله بن جعفر): **كتاب الكُتّاب**، تحقيق د.إبراهيم السامرائي، ود. عبد الحسين الفتلي، دار الكتب الثقافية، الكويت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

- الذهبي (محمد بن أحمد): **سير أعلام النبلاء**، مجموعة محققين، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- رمضان ششن (دكتور): **نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا**، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٥-١٩٨٢م.

- الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن): **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف بمصر ١٩٧٣م.

- الزركشي (محمد بن عبد الله): **البرهان في علوم القرآن**، ط٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٢م.

- سالم عبد الرزاق أحمد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل**، ج ٣، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- السجاوندي (محمد بن طيفور): **كتاب الوقف والابتداء**، تحقيق د. محسن هاشم درويش، دار المناهج، عمان ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- السخاوي (علي بن محمد، علم الدين): **جمال القراء وكمال الإقراء**، تحقيق مروان العطية ومحسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- ابن السراج (محمد بن السري): **كتاب الخط**، تحقيق خولة صالح حسين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

- السمرقندي (محمد بن محمود): **المبسوط في القراءات السبع**، مخطوط، مكتبة جامعة الملك سعود، الرياض، ضمن مجموع، الرقم ٢٨١٠.

- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر): **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ١٤٢٦هـ.

- أبو شامة المقدسي (عبد الرحمن بن إسماعيل): **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، تحقيق طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت ١٩٧٥م.

- صلاح الدين المنجد (دكتور): **قواعد فهرسة المخطوطات**، ط ٢، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

- ابن الضريس (محمد بن أيوب): **فضائل القرآن**، تحقيق غزوة بدير، دار الفكر، دمشق ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- طاش كبري زاده (أحمد بن مصطفى): **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية**، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

- الطالقاني (عثمان بن حافظ رحمن قلي): **خلاصة الرسوم**، مخطوط، مركز جمعة الماجد، دبي.

- أبو عبيد (القاسم بن سلام): **فضائل القرآن**، تحقيق مروان عطية وآخرين، دار ابن كثير، دمشق ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

- عدنان الدرويش: **المخطوطات العربية في دار الكتب الشعبية كِيرِلْ وميتُودي في صوفية**، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٦٩م.

- العسكري (أبو أحمد الحسين بن عبد الله): **شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف**، تحقيق عبد العزيز أحمد، البابي الحلبي بمصر ١٩٦٣م.

- غانم قدوري الحمد:

١) **تحزيب القرآن في المصادر والمصحف** (بحث) **مجلة الأحمدية**، العدد ١٥، دبي ١٤٢٤هـ (ص٢٥٣-٢٨٢).

٢) **التمهيد في علم التجويد** (بحث في المؤلف)، **مجلة الرسالة الإسلامية**، العددان (١٧٨-١٧٩)، بغداد ١٩٨٥م.

٣) **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، ط ٢، دار عمار، عمان ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٤) رسم فواتح السور ورؤوس الآي والأجزاء في المصحف الشريف (بحث)، **مجلة والبحوث والدراسات القرآنية**، العدد العاشر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة (ص ٥٧ - ١٠٤).

٥) المصاحف المخطوطة: تعريف بها، وبيان قيمتها التاريخية والعلمية والفنية، **مجلة معهد الإمام الشاطبي**، جدة، العدد الثاني عشر ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٦) **مصحف المخلصي المخطوط سنة ٣٥٣هـ**: دراسة تحليلية وصفية، **مجلة الإمام الشاطبي**، جدة، العدد ١٦، ١٤٢٤هـ/٢٠١٢م.

٧) **مؤلف** التفسير المسمى: المباني لنظم المعاني (بحث)، **مجلة الرسالة الإسلامية**، (العددان ١٦٤-١٦٥)، بغداد ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- **فيصل الحفيان (دكتور): فن فهرسة المخطوطات (مدخل وقضايا)، معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٩م.**

- الكرماني (تاج القراء محمود بن حمزة بن نصر): **خط المصاحف**، تحقيق غانم قدوري الحمد، ط ٢، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق - بيروت ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

- كوركيس عواد: **أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم**، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٢م.
- المارغني (إبراهيم بن أحمد): **دليل الحيران في شرح مورد الظمآن**، اعتنى به عبد العزيز بن فاضل العنزي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
- المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت: **الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط**، قسم علوم القرآن: (١) **مخطوطات التجويد**، الطبعة الأولى، عمان ١٩٨٦م، والطبعة الثانية، عمان ١٩٩٤م، (٢) **المصاحف المخطوطة ومخطوطات رسم المصحف**، عمان ١٩٩٢م.
- مجهول: مقدمة كتاب (المباني لنظم المعاني)، ضمن: مقدمتان في علوم القرآن، تحقيق آرثر جفري، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٥٤م.
- مجهول: **كتاب الهجاء في رسم المصحف**، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
- محمد أحمد الراشد: **آفاق الجمال**، ط ٣، فان كوفر - كندا ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- محمد بن أحمد علي واصل: **أحكام التصوير في الإسلام**، ط ٣، دار طيبة، الرياض ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- محمد غوث النائطي الآركاتي: نثر المرجان في **رسم نظم القرآن**، مطبعة عثمان بريس، حيدر آباد الدكن ١٣٣١هـ.
- محمد فؤاد عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٦٤هـ.
- مسلم بن الحجاج: **صحيح مسلم**، بيت الأفكار الدولية، الرياض ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

- مكي بن أبي طالب القيسي: **الإبانة عن معاني القراءات**، تحقيق د. محيي الدين رمضان، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، ودار المأمون للتراث، دمشق ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- ابن منظور (محمد بن مكرم): **لسان العرب**، دار، بيروت.

- ابن النديم (محمد بن إسحاق): **الفهرست**، تحقيق الدكتور أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

- النووي(يحيى بن شرف): **التبيان في آداب حملة القرآن**، تحقيق محمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

- هلال ناجي (الأستاذ):

١) **ابن البواب عبقري الخط العربي عبر العصور**، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٨م.

٢) **ابن مقلة خطاطاً وأديباً وإنساناً**، مع تحقيق رسالته في الخط والقلم، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩١م.

- ابن وثيق (إبراهيم بن محمد الإشبيلي): **الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف**، دار عمان، عمان، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م.

- وليم آلورد: **فهرست المخطوطات العربية بالمكتبة الملكية في برلين**، ج ١، برلين ١٨٨٧م.

- ياقوت بن عبد الله الحموي: **معجم الأدباء**، تحقيق د. عمر فاروق الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

- يوسف المرعشلي (دكتور): **تحقيق المخطوطات**، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

مناهج تحقيق الروايات الإسرائيلية في كتب التفسير

بشار عواد معروف[(١)]

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١]، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونصلي ونسلِّمُ على حبيبنا وأسوتنا وقدوتنا محمد، وعلى آله الطيبين الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا وعلى صحابته أجمعين، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، وبعد:

فإن القرآن العظيم هو كتاب الله ونوره المبين الذي أشرقت له الظلمات، ورحمته المهداة التي بها صلاح جميع المخلوقات، وهو الصراط المستقيم الذي لا تميل به الآراء، والذكر الحكيم الذي لا تزيغ به الأهواء، والنُّزُل الكريم الذي لا يشبع منه العلماء، لا تفنى عجائبه، ولا تُقلعُ سحائبُهُ ولا تنقضي آياته، فكلما ازدادت البصائر فيه تأملًا وتفكيرًا زادها هداية وتبصيرًا[(٢)].

وقد جعله الله المعجزة الكبرى الخالدة والباقية لرسوله ﷺ، وتحدى به جل ثناؤه الإنس والجن، فقال سبحانه: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، وتولى حفظه بنفسه ولم يكل ذلك إلى أحد من خلقه، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فظهر مصداق ذلك مع طول المدة وامتداد الأيام، وتوالي الشهور، وتعاقب السنين، وانتشار أهل الإسلام، واتّساع رقعته.

---

(١) العالم الخبير في علم المخطوطات ومستشار سمو الأمير علي بن نايف، والمسؤول بمركز التوثيق الملكي الأردني الهاشمي.

(٢) هذه العبارات مستفادة من مدارج السالكين لابن القيم ٧/١.

تدوين التفسير

وفي عصر التابعين بدأ تدوين التفسير، وأقدم ما وصل إلينا من ذكر التفسير المدون هو تفسير سعيد بن جبير، فقد قال أبو حاتم الرازي في ترجمة عطاء بن دينار الهذلي أبي ريان المصري: «صالح الحديث إلا أن التفسير أخذه من الديوان، فإن عبد الملك بن مروان كتب يسأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن، فكتب سعيد بن جبير بهذا التفسير إليه، فوجده عطاء بن دينار في الديوان، فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير». وهذا يعني أن سعيد بن جبير قد كتب هذا التفسير قبل سنة ٨٠هـ، وهي السنة التي ثار فيها عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي، وكان سعيد بن جبير من جملة الخارجين معه[١]، وبقي مختفيًا إلى أن قبض عليه الحجاج وقتله في سنة ٩٤هـ.

وروى أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي المتوفى سنة ٩٠هـ -وهو ثقة- نسخة كبيرة من التفسير عن أُبي بن كعب[٢]، وقد روى هذه النسخة عنه الربيع بن أنس، ورواها عن الربيع أبو جعفر الرازي، وقد أفاد منها كثيرًا الإمام أحمد في مسنده، وابن أبي حاتم في تفسيره، والحاكم في المستدرك.

وروى ابن أبي مليكة، قال: «رأيت مجاهدًا (مجاهد بن جبر المتوفى سنة ١٠٤هـ)، سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه فقال ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله»[٣].

(١) ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي ٧٧٧/٢، ٩٠٥ فما بعدها (بتحقيقنا).
(٢) التفسير والمفسرون للشيخ محمد حسين الذهبي ١١٥/١.
(٣) جامع البيان ٣٠/١ للطبري (ط. شاكر)، وابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير ص٢٨.

إن هذه النصوص، وغيرها مما يمكن جمعه، تشير بوضوح إلى عناية كبار التابعين بتدوين التفسير، وأن التفسير كان مدونًا في المئة الأولى عند ثلاثة من كبار العلماء في الأقل هم: سعيد بن جبير (ت٩٤هـ) وأبو العالية رفيع بن مهران الرياحي (ت٩٠هـ)، ومجاهد بن جبير المكي (ت١٠٤هـ). ثم وجدنا بعد ذلك انتشار هذه الظاهرة، فقد ذكر يعقوب بن شيبة أن لزيد بن أسلم كتابًا في تفسير القرآن، وزيد توفي سنة ١٣٦هـ[١]، وذكر ابن خلكان في ترجمة عمرو بن عبيد المعتزلي المشهور (٨٠-١٤٤هـ) أن له كتاب «التفسير عن الحسن البصري»[٢]، والحسن البصري توفي سنة ١١٠هـ، وذكر الذهبي أنه كان «رأسًا في القرآن وتفسيره»[٣].

وفي النصف الأول من المئة الثانية كتب مقاتل بن سليمان البلخي (ت١٥٠هـ) تفسيره المشهور، ومهما قيل في مقاتل من تجريح بسبب ما نُسب إليه من تجسيم، أو وضع لبعض الأحاديث فإن الكبار قد اعترفوا بجودة تفسيره، فقال عبد الله بن المبارك: «ما أحسن تفسيره لو كان ثقة»[٤]، وقال الشافعي: «الناس في التفسير عيال على مقاتل»[٥]، وفي أواخر المئة الثانية كتب عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ) تفسيره المشهور.

إن الدراسة المتأنية للمصادر التي اعتمدها أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره تؤكد أن النصف الأول من المئة الثانية كان يزخر بالعديد من التفاسير الكاملة للقرآن الكريم، وأما ما أشيع بين الدارسين بأن الأسانيد التي استعملها

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٦٥٦/٣.
(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان (ط. إحسان عباس).
(٣) تاريخ الإسلام ٢٦/٣.
(٤) تاريخ الإسلام ٢٣٣/٤.
(٥) نفسه ٢٣٥/٤، وينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ١٠٩/٦٠-١٣٤، وتهذيب الكمال ٣٤٣/٢٨-٤٥١.

الطبري هي أسانيد لروايات شفوية ففيه الكثير من سوء الفهم لحركة التأليف في التفسير عند المسلمين، وآية ذلك أن تحليل أسانيد الطبري يشير إلى أن الطبري استعمل مصادر مدونة من المئتين الأولى والثانية.

ثم كان تدوين التفسير زيادة على ذلك يسير في ضمن الإطار العام للحركة الفكرية العربية الإسلامية التي عنيت بالتدوين منذ وقت مبكر، ولا سيما تدوين السنة النبوية[1] فكان الكثير مما وصل إلينا من التفسير هو جزء من الحديث النبوي الشريف، ولا سيما ما أثر عن النبي ﷺ من تفسير، ثم الصحابة والتابعين.

ونحن اليوم على اطلاع تام بثروة التفسير التي رواها المحدثون الأوائل وأودعوها مجموعاتهم سواء أكانت هذه المجموعات منظمة أم غير منظمة، كما في أحاديث مسروق بن الأجدع الهمداني (ت٦٣هـ)، وعامر الشعبي (ت١٠٥هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسي (ت١١٧هـ)، ويزيد بن هارون (٢٠٦هـ)، وشعبة بن الحجاج (ت١٦٠هـ)، ووكيع بن الجراح (ت١٩٧هـ)، وسفيان بن عيينة (ت١٩٨هـ)، وروح بن عبادة البصري (ت٢٠٥هـ)، وآدم بن أبي إياس العسقلاني (ت٢٢٠هـ)، وعبد بن حميد (ت٢٤٩هـ)، وأبي بكر بن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ)، وأحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، والبخاري (ت٢٦١هـ)، والترمذي (ت٢٧٩هـ)، والنسائي في سننه الكبرى (ت٣٠٣هـ).

وحين استقل التفسير وصارت له كتبه الخاصة به، تنوعت مناهج المفسرين وتباينت في الطرائق التي تناولت بها التفسير، فمنهم من عُني بجمع أقوال الرسول ﷺ والصحابة والتابعين في التفسير ورواها بالإسناد، فعرف ذلك بالتفسير بالمأثور، ومنهم

---

(١) تنظر دراسة العلامة مولانا مناظر أحسن الكيلاني (تدوين الحديث) ترجمة الدكتور عبد الرزاق إسكندر، ومراجعتي ص٤٨-٧٦، ودراسة الدكتور محمد مصطفى الأعظمي (دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه).

من فَسَّر القرآن استنادًا إلى معرفته باللغة والنحو والتصريف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ فيُعمل عقله ويقدح فكره ويجتهد وسعه في الكشف عن مراد الله تعالى وهو ما يُعرف بالتفسير بالرأي. ومن العلماء من عُني بتفسير القرآن تفسيرًا لغويًّا صرفًا، كما أن منهم من فسره تفسيرًا بيانيًّا تتبع فيه صور الإعجاز، وعُني آخرون بمحاولة تفسير القرآن الكريم استنادًا إلى معطيات العلم الحديث... إلخ.

وأكثر ما يعنينا في هذا البحث كتب التفسير بالمأثور؛ لأنها من أكثر التفاسير نقلًا للإسرائيليات بجميع أشكالها.

إن الأحاديث والآثار التي تضمنتها كتب التفسير بالمأثور تتمثل بما يأتي:

١ ـ ما نُقِل عن النبي ﷺ، وما نُسب إليه من أحاديث صحيحة وضعيفة وموضوعة. وهذه الأحاديث تطبق عليها معايير أصحاب الحديث من حيث الصحة والسقم، كما بينا في محاضرة أخرى.

٢ ـ ما نُقِل عن الصحابة، وهو ما أوقف عليهم.

٣ ـ ما نُقِل عن التابعين، رواية واجتهادًا.

٤ ـ ما ذكره المؤلفون المتقدمون في التفسير.

وكتب التفسير بالمأثور كثيرة، وهي الأصل الذي بدأ فيه التفسير عمومًا، وقد أشرنا قبل قليل إلى جمع المحدثين لأحاديث التفسير مرفوعها وموقوفها منذ مدة مبكرة.

ومن كتب التفسير بالمأثور التي وصلت إلينا: تفسير مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ)، وتفسير يحيى بن سَلّام البصري (ت٢٠١هـ) برواية أبي داود أحمد بن موسى بن جرير الأزدي (ت٢٤٤هـ)، وتفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني

(ت٢١١هـ)، وتفسير عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)، وتفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، وتفسير أبي الليث السمرقندي (ت٣٧٣هـ)، وتفسير الثعلبي، أبي إسحاق أحمد بن إبراهيم النيسابوري (ت٤٢٧هـ)، و«معالم التنزيل» لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، و«المحرر الوجيز» لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤١هـ)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، وتفسير عماد الدين ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، و«الجواهر الحسان في تفسير القرآن» لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المالكي (ت٨٧٦هـ)، و«الدر المنثور في التفسير بالمأثور» لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) وغيرها.

ولا بد لي من الإشارة في هذا الموضع إلى مآخذ العلماء قديمًا وحديثًا على هذا النوع من الكتب فمن ذلك:

١ ـ احتواؤها على الصحيح والسقيم من الروايات من غير بيان لقوتها وضعفها من حيث العموم (ونستثني من ذلك تفسير ابن كثير).

٢ ـ كثرة إيراد الإسرائيليات فيها، على اختلاف في كميتها ما بين تفسير وآخر.

٣ ـ كثرة الوضع فيها.

ولا بد لي من توضيح وجيز لهذه المسائل الثلاث:

فأما الصحيح والسقيم من الروايات، فإن علماء الحديث تساهلوا في أحاديث التفسير أصلًا واعتدوا بالأحاديث الضعيفة إذا لم تكن مما تحل حرامًا أو تحرم حلالًا، بل ذهب شيخنا وصديقنا العلّامة محمود شاكر طيّب الله ثراه إلى القول بأن استدلال الطبري بالآثار الواهية التي يرويها بأسانيدها، لا يراد به إلا تحقيق

معنى لفظ أو بيان سياق عبارة، كاستدلال المستدل بالشعر على معنى لفظ في كتاب الله وأنه من أجل هذا الاستدلال لم يبال بما في الإسناد من وهن لا يرتضيه فهو لم يسقها لتكون مهيمنة على تفسير آي التنزيل العزيز(١).

كما يمكن لمن رزقه الله سبحانه معرفة بالحديث ورجاله الحكم على هذه الأحاديث عند طبع هذه الكتب بما ينفع القارئ.

وأما إيراد الإسرائيليات في هذه التفاسير وغيرها فيحتاج إلى وقفة منصفة لا بد منها لبيان مسألةٍ أكثرَ الناسُ القول فيها بغير علم ومعرفة فأقول وبالله التوفيق:

تشمل الإسرائيليات ما نقل عن كتب اليهود والنصارى، وهي التوراة. ومنها «الزبور» وهو كتاب داود عليه السلام، وأسفار الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى، وهو ما يعرف بالعهد القديم.

ومن المعلوم أن التوراة هي مجموعة ضخمة من أسفار عديدة عائدة إلى أزمنة مختلفة بدءًا من تاريخ خلق الكون وآدم وحواء ونوح وطوفانه وأولاده وذراريهم إلى إبراهيم وذريته ثم إلى موسى وبعده إلى عصر عيسى عليه السلام، ومنها سفر التكوين الذي يعالج خلق الكون، والدارس له يدرك أنه كتب بعد موسى، ولا يمكن أن يكون منزلًا، بل إنه كتب كما يظهر بأقلام متعددة تختلف زمنيًا، تمثل تراثًا متنوعًا. وكذلك الحال في الأسفار الأخرى التي يظهر فيها تأثرها بالوقائع والأحداث التي حدثت بعد موسى واختلطت الحقائق فيها بالخيال والمبالغات والمفارقات، ونسب فيها إلى الله ورسوله ما يتنزهون عنه، مما يؤكد أنها كتبت بأقلام متعددة وفي أزمنة مختلفة واستقاها كتابها من مصادر مختلفة(٢).

---

(١) مقدمته لطبعته من التفسير ١٧/١، وتعليقه على المجلد الأول ٤٥٤/١، ٤٥٨.

(٢) التفسير الحديث، لمحمد عزة دروزة ٤٧٩/٢ - ٤٨٠ (ط. ١٣٨٣هـ).

وكان لليهود بجانب التوراة المكتوبة: «التلمود»، وهو ما يُعرف بالتوراة الشفهية. وتشتمل على مجموعة من القواعد والوصايا والشرائع الدينية والأدبية والمدنية، فضلًا عن شروح وتفاسير، وهي مما دونه الحاخامون بالكتابة سياجًا للتوراة.

أما الإنجيل فهو يشتمل على العهدين القديم والجديد. يضاف إلى ذلك ما كان يتداوله اليهود والنصارى من روايات وأساطير شعبية غير مدونة، كانت منتشرة في الجزيرة العربية عامة واليمن خاصة.

كل هذا الكم المتراكم كان يسمى الإسرائيليات؛ لأنه يرجع في محصلته النهائية إلى ثقافة بني إسرائيل، المدونة والشفوية.

وأما ما نقل عن النصارى فهو الأقل، وغالبًا ما يشتمل على بعض المواعظ والحكم المنسوبة إلى سيدنا عيسى عليه السلام.

لقد تناول القرآن الكريم قصص الأنبياء عليهم السلام بشيء من الإيجاز والإجمال مقتصرًا على مواضع العظة من غير تعرض لجزئيات المسائل، فكان المفسرون بحاجة إلى تفصيل هذه القصص، فوجدوا ضالتهم في تراث أهل الكتاب. وقد بدأت هذه الحركة منذ عهد الصحابة، فسُئل عن هذا الأمر من كان على اطلاع على هذا التراث ومعرفة به أو بلغته، ومن أشهرهم: الصحابي الجليل عبد الله ابن سلام الإسرائيلي، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، وكلهم علماء أجلاء ثقات لا يختلف فيهم اثنان.

والإسرائيليات عمومًا على ثلاثة أضرب:

١ ـ ما هو موافق لشريعتنا، أو موافق لما نُقِلَ عن نبينا ﷺ بالأسانيد الصحيحة، فهذا مقبول لا مشاحة فيه.

٢ ـ ما عُلِم كذبه لمخالفته شرعنا أو منافاته للمنطق والعقل.

٣ ـ ما هو مسكوت عنه، أعني الذي ليس هو من قبيل الأول، ولا هو من قبيل الثاني، وليس فيه ما يحلل حرامًا ولا يحرم حلالًا، فهذا لا ضرر فيه وقد بيّن لنا رسول الله ﷺ أننا لا ينبغي أن نؤمن به ولا نكذبه، وجَوّز لنا روايته[(١)]، وهو الصفة الغالبة لما جاء في كتب التفسير، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **«بلِّغوا عنّي ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومَن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأْ مقعده من النار»**، أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص[(٢)]، ولهذا كان عبد الله بن عمرو بن العاص الذي أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب يوم اليرموك يحدث منهما، بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك. وقوله ﷺ: «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**» أخرجه الحميدي[(٣)]، وابن أبي شيبة[(٤)]، وأحمد[(٥)]، وأبو داود[(٦)]، والطحاوي في شرح **المشكل**[(٧)] من حديث أبي هريرة بإسناد حسن. وقال مالك في تفسير ذلك: المراد جواز التحديث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما عُلم كذبه فلا. وقال الشافعي: من المعلوم أن النبي ﷺ لا يجيز التحديث بالكذب، فالمعنى حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحديث به عنهم، وهو نظير قوله ﷺ: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم»[(٨)]. روى البخاري[(٩)] من

---

(١) **تفسير القرآن العظيم** لابن كثير ٩/١.

(٢) **البخاري** (٣٤٦١)، وأخرجه أحمد ١٥٩/٢، ٢٠٢، والدارمي (٥٤٨)، والترمذي (٢٦٦٩).

(٣) **المسند** (١١٦٥).

(٤) **المصنف** ٦٢/٩.

(٥) **مسند أحمد** ٤٧٤/٢، ٥٠٢.

(٦) السنن (٣٦٦٢).

(٧) شرح المشكل (١٣٥)

(٨) فتح الباري ٤٩٨/٦ ـ ٤٩٩.

(٩) البخاري (٤٤٨٥).

حديث أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم**» وقولوا: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية [البقرة: ١٣٦]، قال الحافظ ابن حجر: «لم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه، نبه على ذلك الشافعي رحمه الله»[١].

قال الحافظ ابن كثير: وغالب ذلك (التفسير) مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل أسماء أهل الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي شجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلّم الله موسى عندها إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم، لكن نَقْلُ الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، إلى آخر الآية[٢].

وقد شَدَّد العلّامة أحمد شاكر رحمه الله النكير على الحافظ ابن كثير بسبب هذه المقالة فقال: «إن إباحة التحديث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه شيء، وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولًا أو رواية في معنى الآيات أو في تعيين ما لم يعين فيها أو في تفصيل ما أجمل فيها شيء آخر، لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله، ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مُبَيِّن لمعنى قول الله سبحانه، ومفصِّلٌ لما أجمل فيه، وحاشا لله ولكتابه من ذلك، وإن رسول

---

(١) فتح الباري ١٧٠/٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٩/١.

الله ﷺ إذ أذن بالتحديث عنهم أمرنا ألا نصدقهم ولا نكذبهم، فأي تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله ونضعها منه موضع التفسير أو البيان؟ اللهم غفرًا»[١].

وهذا الذي قاله العلّامة أحمد شاكر رحمه الله فيه مبالغة ظاهرة، فالتفسير منفصل عن كتاب الله، وهو كلام قد يصيب ويخطئ، وهذا منه، ولا سيما إذا كان مما لا يخالف شرعنا. والحق أن جُل المفسرين استعانوا بما عند أهل الكتاب على تفاوت فيما بينهم في الانتقاء، وعندي أن هذا لا يضير التفاسير إذا لم يحلل حرامًا أو يحرم حلالًا أو يفسد عقيدة، وعلى أن يُبيِّن أن هذا مأخوذ من أهل الكتاب ليكون القارئ على بينة من أمره، أما هَدْرُه جملةً فهو إقصاء لثروة تراثية ليست بالقليلة.

والعلة لا تكمن هنا، إنما في السكوت عن مثل هذه الروايات وعدم نقدها نقدًا خارجيًا وداخليًا وبيان مصدرها.

وإذا كان مؤلفو التفاسير قد سكتوا عن نقدها ـ باستثناء الحافظ ابن كثير ـ فإن من واجب المحقق التعليق عليها بما يبين صحتها من سقمها استنادًا إلى قواعد الجرح والتعديل ومناهج المحدثين في النقد والتمحيص إسنادًا ومتنًا.

ومن أشد الأمور خطرًا في هذا الأمر نسبة هذه الإسرائيليات إلى رسول الله ﷺ كما فعل بعض الكذابين الوضاعين والهلكى، فهذا مما يتعين على المحقق بيانه بيانًا شافيًا استنادًا إلى قواعد المحدثين.

على أنَّ أكثر ما روي من هذه الإسرائيليات جاء موقوفًا على الصحابة أو بعض التابعين، فيظن من لا علم له، أن كل ما جاء عن الصحابة في هذا يُعد

---

(١) تنظر مقدمته لكتابه «عمدة التفسير» الذي اختصره من تفسير ابن كثير.

بحكم المرفوع إذ لا مجال للرأي فيه، وهو أمر تنبه إليه النقاد من المحدثين فقيدوا ذلك بشرطين مهمين:

الأول: أن يكون مما لا مجال للرأي فيه.

الثاني: ألا يكون راويه معروفًا بالأخذ عن أهل الكتاب، أمثال عبد الله بن سَلَام، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وتميم الداري، وابن عباس، ونحوهم.

ومن هنا يتعين الانتباه إلى أن صحة السند إلى الصحابي أو التابعي لا يعني بحال صحتها، كما أنه في الوقت نفسه لا ينبغي تحميل الصحابي أو التابعي راويها وزرها، أو القول بضعفهم، لأنها ليست من وضعهم واختلاقهم، فهم ناقلون لها عن أهل الكتاب أو مما يشاع عنهم، فالصحابة عُدول أتقياء بعيدون عن الكذب والاختلاق، وبعض المعنيين برواية الإسرائيليات من التابعين أُثني عليهم بالعلم والمعرفة من مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه ونحوهما.

أما ما ذُكر عن قول معاوية ﷺ في كعب: «إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب»[١]، فقد اعتذر عنه على أوجه:

الأول: أن يقع بعض ما يخبرنا عنه بخلاف ما يخبرنا به، وهو قول ابن التين[٢].

الثاني: أنه يخطئ أحيانًا فيما يخبر به، ولم يرد أنه كان كذابًا، قاله ابن حبان في كتاب «الثقات»[٣]. قلت: لعل ابن حبان استند في ذلك إلى أنّ معنى «الكذب» عند أهل الحجاز: الخطأ[٤].

---

(١) صحيح البخاري (٧٣٦١)، وتهذيب الكمال ١٩٣/٢٤.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٣٣٤/١٣.

(٣) الثقات ٣٣٣/٥.

(٤) ينظر: مشارق الأنوار للقاضي عياض ٣٣٨/١ (ط. المكتبة العتيقة)، ولسان العرب، مادة «كذب»، وتاج العروس مادة «كذب».

الثالث: أن الضمير في قوله «لنبلو عليه» يعود على الكتاب لا على كعب، وإنما يقع في كتابهم الكذب لكونهم بدلوه وحرّفوه. وقال القاضي عياض: يصح عوده على الكتاب ويصح عوده على كعب وعلى حديثه وإن لم يقصد الكذب ويتعمده إذ لا يشترط في مسمى الكذب التعمد، بل هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، وليس فيه تجريح لكعب بالكذب.

الرابع: المعنى أن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبًا لا أنه يتعمد الكذب، وإلا فقد كان كعب من أخيار الأحبار(١).

على أن إكثار كعب من النقل عن أهل الكتاب ومن الحكايات بالأساطير المنتشرة باليمن خاصة جعلت عمر بن الخطاب يحذّره من ذلك، فقد صح عنه فيما رواه أبو زرعة الدمشقي في **تاريخه** أنه قال لكعب: «لتتركن الأحاديث أو لألحقنك بأرض القردة»(٢). على أنه ليس كل ما نسب إليه في الكتب بثابت عنه، فإن الكذابين من بعده قد نسبوا إليه أشياء كثيرة لم يقلها.

وأما وهب بن مُنَبّه فقد وثّقه الأئمة: أبو زرعة الرازي والنسائي والعجلي وغيرهم(٣)، وقال الذهبي: «وكان ثقة صادقًا، كثير النقل من كتب الإسرائيليات»(٤)، وذُكِرَ عنه أنه قرأ بضعة وسبعين كتابًا من كتب الأنبياء(٥).

ولم تقتصر رواية الإسرائيليات على كتب التفسير بالمأثور، بل نفذت إلى أكثر التفاسير الأخرى مع تفاوت في كميتها بين تفسير وآخر، لكن كتب التفسير بالمأثور أكثر إيرادًا لها.

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٣٣٥/٣.

(٢) تاريخ أبي زرعة الدمشقي ٥٤٤/١.

(٣) الجرح والتعديل ٩/الترجمة ١١٠، وتهذيب الكمال ١٤٢/٣١.

(٤) ميزان الاعتدال ٤/ الترجمة ٩٤٣٣.

(٥) تهذيب الكمال ١٤٧/٣١.

طرائق التوثيق

لا شك أن طرائق توثيق الروايات إنما تقوم على دراسة الإسناد استنادًا إلى مناهج المحدثين إلى رواية الخبر من حيث الاتصال ووثاقة الرواة واختصاصهم بالتفسير إذا كان الخبر مسندًا. أما إذا اقتصر فيه على المتن، فلا بد من البحث عن إسناده لمعرفة صحة الطريق إليه، وهو كثير في بعض التفاسير التي لا تعتني بالإسناد مثل تفسير الثعلبي وغيره، إذ غالبًا ما يقتصر على ذكر راوي الخبر من غير إسناد.

إن تحقيق المتن والتأكد من نسبته ومضمونه يحتاج من المحقق الوقوف على مصدره الأصلي من التوراة أو التلمود أو الإنجيل أو بعض المؤلفات الخاصة بمثل هذه الروايات ومقابلة ما في النسخة الخطية بها ما استطاع المحقق إلى ذلك سبيلًا.

فمن ذلك مثلًا قول ابن كثير: «وقد ذكر المفسرون من السلف كالسدي بأسانيده، وأبي العالية، ووهب بن منبه وغيرهم هاهنا أخبارًا إسرائيلية عن قصة الحية وإبليس وكيف جرى من دخول إبليس إلى الجنة ووسوسته»(١) ولم يعلق محققه عليه مع وجود المصدر، وهو ما ورد في الإصحاح العشرين من سفر رؤيا القديس يوحنا أحد حواري المسيح عليه السلام هذه العبارة: «فقبض الملاك على التنين الحية القديمة الذي هو إبليس والشيطان وقيّده». وذكر في كثير من التفاسير، ومنها تفسير البغوي، أن حواء قالت: إن الحية أغوتها وأن إبليس أمرها(٢).

ومنه مثلًا ما ورد في كتب التفسير من أن إدريس النبي عليه السلام اسمه خنوخ، وهو جد لنوح عليه السلام(٣)، وهذا الاسم ورد في الإصحاح الخامس من سفر التكوين

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٣٦/١.

(٢) تفسير البغوي ٢٢١/٣.

(٣) ينظر مثلًا: تفسير ابن كثير ٤٣١/٣.

المتداول باعتباره من أجداد نوح عليه السلام. وأمثلة ذلك كثيرة جدًا لمن يريد أن يتتبع هذه الروايات ويوثقها.

ومما يلاحظ أن قلة قليلة جدًا من المحققين من يعنى بالإحالة إلى كتب اليهود والنصارى للتوثيق مع أهمية هذا الأمر في تحقيق النص وصحة نسبته إلى مصدره، فلا يصح فقط أن يقال: إن هذا من الإسرائيليات، ولا نجده في شيء من كتبهم وتراثهم، من ذلك مثلًا ما قاله ابن كثير في تفسيره:

«وقد اختلف الناس في أول من بنى الكعبة؛ فقيل: الملائكة قبل آدم، وروي هذا عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين، ذكره القرطبي وحكى لفظه، وفيه غرابة، وقيل: آدم عليه السلام، رواه عبد الرزاق عن ابن جريج، عن عطاء وسعيد بن المسيب وغيرهم: أن آدم بناه من خمسة أجبل: من حراء وطور سيناء وطور زيتا وجبل لبنان والجودي، وهذا غريب أيضًا. وروي نحوه عن ابن عباس وكعب الأحبار وقتادة، وعن وَهْب بن منبه: أن أول من بناه شيث عليه السلام، وغالب من يَذْكر هذا إنما يأخذه من كتب أهل الكتاب، وهي مما لا يصدق ولا يكذب، ولا يعتمد عليها بمجردها، وأما إذا صح حديث في ذلك فعلى الرأس والعين»(١).

والسؤال: أين مثل هذا في كتب أهل الكتاب؟ وهل هناك ذكر للكعبة في كتب أهل الكتاب؟

ولا بد للمحقق أن يُفَرِّق بين الأحاديث والروايات الموضوعة وبين الإسرائيليات، فلا يجوز علميًّا لصق كل خبر موضوع بالإسرائيليات، فمن ذلك نسبة

---

(١) تفسير ابن كثير ٤٢٥/١.

ما قاله آدم من الشعر عندما قتل أحد ابنيه الآخر، كما فعل الشيخ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة يرحمه الله، قال[1]:

«ما نُسب إلى آدم عليه السلام من قول الشعر ومن الإسرائيليات: ما رواه ابن جرير في «تفسيره»[2]، وما ذكره السيوطي في «الدر»[3]: من أن آدم لما قتل أحد ابنيه الآخر، مكث مئة عام لا يضحك حزنًا عليه، فأتى على رأس المئة، فقيل له: حياك الله، وبياك، وبشر بغلام، فعند ذلك ضحك.

وكذلك ما ذكره من أن آدم عليه السلام رثى ابنه بشعر، روى ابن جرير عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما قتل ابن آدم أخاه بكى آدم، فقال:

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح

قال السيوطي: وأخرج الخطيب[4] وابن عساكر[5] عن ابن عباس قال: لما قتل ابن آدم أخاه قال آدم عليه السلام: وذكر البيتين السابقين باختلاف قليل.

فأجابه إبليس عليه اللعنة:

تنح عن البلاد وساكنيها فبي في الخلد ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في رخاء وقلبك من أذى الدنيا مريح
فما انفكت مكايدتي ومكري إلى أن فاتك الثمن الرَّبيح»

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات، ص١٧٨ (ط. مكتبة السنة ٢٠٠٦م).

(٢) جامع البيان ٢٠٩/١٠.

(٣) الدر المنثور ٢٧٦/١-٢٧٧.

(٤) تاريخ مدينة السلام ٣٢٦/٦ (بتحقيقنا).

(٥) تاريخ دمشق ٤٥٤/٦٠ و٩/٦٤.

ولا علاقة لهذا بالإسرائيليات، فالخبر الأول، رواه ابن جرير الطبري عن شيخه مجاهد بن موسى، عن يزيد بن هارون، قال: حدثنا حسام بن مصك، عن عمار الدهني، عن سالم بن أبي الجعد، ولعل آفته حسام بن مصك، وهو أبو سهل الأزدي البصري، قال غندر: أسقطنا حديثه، وقال أحمد: مطروح الحديث، وقال الدوري عن ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو زرعة: واهي الحديث منكر الحديث، وضَعّفه غير واحد[١].

وأما خبر عليّ فرواه الطبري عن شيخه محمد بن حميد الرازي، عن سلمة، عن غياث بن إبراهيم، عن أبي إسحاق السبيعي، عن علي، وآفته غياث بن إبراهيم، وهو النخعي الكوفي، قال عباس الدوري عن ابن معين: كذاب ليس بثقة ولا مأمون[٢]، وقال البخاري: تركوه[٣]، وقال: الجوزجاني: يضع الحديث[٤].

وأما حديث ابن عباس فرواه الخطيب من طريق أحمد بن المُخَرِّمي، عن عبد العزيز بن الرمّاح، عن سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، وآفته المُخَرّمي أو شيخه كما قال الإمام الذهبي في «الميزان»[٥].

وقال الزمخشري: «روي أنَّ آدم مكث بعد ابنه مئة سنة لا يضحك، وأنّه رثاه بشعر، وهو كذب بحت، وما الشعر إلا منحول ملحون، وقد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر»[٦].

---

(١) تنظر ترجمته في تهذيب الكمال ٥/٦–٨.

(٢) تاريخ الدوري (٢٢٩٨)، وضعفاء العقيلي ٤٧٨/٣ (بتحقيقنا).

(٣) التاريخ الكبير ١٠٩/٧.

(٤) أحوال الرجال (٣٧٠). وينظر: ميزان الاعتدال ٣٣٧/٣.

(٥) ميزان الاعتدال ١٥٤/١.

(٦) الكشاف ٤٣١/١.

والسؤال: هل في كتب أهل الكتاب شعر بالعربية حتى يقال: إن هذا من الإسرائيليات؟

ومن هنا صار من المتعين التثبت من مثل هذه الأمور جهد المستطاع. على أننا قلّما وجدنا محققًا توثق من مثل هذه المقولات أو أعارها التفاتًا، إلا من صنيع العلّامة الشيخ محمود شاكر، يرحمه الله، في بعض المواضع[١]. أما الذين أكملوا نشر تفسيره، فلم يشيروا إلى ذلك إلا في موضع واحد فقط[٢].

وهذا حال أكثر التفاسير، فعلى كثرة إشارات الحافظ ابن كثير إلى الإسرائيليات لم نجد أحدًا ممن حقق الكتاب حاول توثيق هذه الروايات ومقابلتها بكتب أهل الكتاب.

على أن بعض المؤلفين المُحْدَثين استعانوا بالتوراة والإنجيل في تفاسيرهم، مثل القاسمي (ت١٣٣٢هـ) في تفسيره[٣]، ورشيد رضا (ت١٣٥٤هـ) في تفسيره[٤]. ومن المكثرين محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ) في كتابه «التحرير والتنوير»[٥]، ومثله محمد عزة دروزة[٦] (ت١٤٠٤هـ).

---

(١) تفسير الطبري ٢٩١/٥–٢٩٥، ٣١٩، ٣٥٥، ٣٦٠، ٤٥٢ و٣٧٢/٩ و١٨٢/١٠–١٨٣، ١٩٤، ١٩٧، ٢٢٨ و٥٠٨/١١.

(٢) تفسير الطبري ٣٧٧/١٧.

(٣) محاسن التأويل ٣٦٦/١، ٤٢٦ و١٨/٢–١٩، ١٨١–١٨٤، ٢٤٥–٢٤٨، ٣٢١–٣٢٣، ٣٥٤، و٣٩٣/٣–٣٩٤، ٤٢٠–٤٢١، و٢٠٠/٥ و٣٩٧/٨.

(٤) تفسير المنار ١٣٠/٣، ٢٣٩ و٣٤٨/٩ و٣٤٧/١٠.

(٥) حيث ذكر التوراة والإنجيل في أكثر من (١٣٠) مئة وثلاثين موضعًا من تفسيره.

(٦) التفسير الحديث، حيث أحال على التوراة والإنجيل في أكثر من مئة موضع، وهو من أفضل من أفاد من التوراة خاصة في تفسيره.

مناهج تحقيق المخطوطات بين المستشرقين والعرب

أحمد بن محمد بن عبد الله الدُّبيان[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ الزاكيانِ على أشرفِ خلقِ اللهِ محمدٍ الأمينِ، وعلى آلِه الطيبين وصحابتِه الغرّ الميامينِ أجمعينَ، وبعد،

فأودُّ قبلَ كل شيءٍ أن أتقدمَ بالشكرِ الجميلِ والثناءِ البالغ إلى المؤسستينِ الرائدتينِ الجليلتينِ وهما: مؤسسةُ الفرقانِ للتراثِ الإسلاميّ في لندن، ومؤسسةُ دارِ الحديثِ الحسنيةِ في الرباطِ العريق على عقدِ هذهِ الدورةِ الطيبةِ المباركة، كما أشكرُ المسؤولينَ عن الدورةِ من الجهتينِ أن منحوني فرصةَ إلقاءِ هذهِ المحاضرةِ الموجزةِ عن مناهجِ المستشرقين ومقارنتِها بمناهجنا نحن العربَ اليوم؛ ففي هذا فائدةٌ كبيرةٌ للدارسين والمشاركين معنا لا تخفى، خاصةً أنها قد جاءت بطلبٍ من المشاركينَ والمشاركاتِ -وفقهم اللهُ- وتلتْ محاضراتٍ قيمةً لعلمائنا الأجلاءِ. وعلى رأسهم شيخنا المحقق العلم الدكتورِ بشارِ عواد معروف، والمحقق الدكتورِ غانم قدوري الحمد... فكانت هذه المحاضرةُ مني كما قال شاعرُ العربيةِ أبو العلاءِ المعريّ رحمه الله:

قد أجبنا قولَ الشريفِ بقولٍ وأثبنا الحصى عن

فاقتنع بالرويّ والوزنِ منّي فهمومي ثقيلةُ الأوزانِ

---

(١) المدير العام للمركز الثقافي الإسلامي في لندن

يجب أن أذكرَ لكم -أيها الأعزةُ- أولاً وقبل كل شيء أنّ تحقيقَ الكتبِ المخطوطةِ منهجٌ لم يولد بين يومٍ وليلةٍ، أو يبرزَ إلى الوجودِ بعد عمرٍ قصيرٍ من الزمن، ولكنه منهجٌ تطورَ ونما عبر قرونٍ عديدةٍ حتى وصلَ إلى ما نراه اليوم. ومن المؤكّد أنه سيتطورُ تبعاً لما يجدّ في عالمِ المخطوطاتِ والمناهجِ العلميةِ من كشوفٍ ورؤىً جديدةٍ.

إن علماء المسلمين والعربِ قد وقفوا باجتهادِهم على كثيرٍ من تقنياتِ علم التحقيقِ منذُ القرونِ الأولى للإسلام. وأفضل مثالٍ نراه، ويمكن إبرازه في هذا الجانب هم علماءُ الرسمِ والضبطِ للقرآنِ الكريمِ، وعلماءُ الحديثِ الشريفِ؛ فإنهم قد تقدّموا بعلمِ التحقيقِ ونقدِ النصوصِ أشواطاً قياساً على غيرهم. وقد أثّر منهجُهم تأثيراً كبيراً في غيرِهم مثلِ علماءِ التاريخِ وعلماءِ الأدبِ الذين شغلوا بنقلِ أخبارِ الأدبِ والتاريخِ بالأسانيدِ تأثراً بمنهجِ علماءِ الحديثِ، رحم الله الجميع.

ولو رجعنا إلى كتبِ الروايةِ ومجاميع الآثار لديهم لرأينا منهجاً عجيباً يتّصف بالدقةِ الفيلولوجيةِ إلى حدٍ كبيرٍ. ولعلّي هنا أحيلُكم على سبيل المثالِ إلى كتابِ **«الكفاية في علمِ الرّواية»** الذي وضعَه الحافظُ الإمامُ الخطيبُ البغداديّ (ت٤٦٣هـ) رحمه الله[(١)]، وتحدّث فيه عن فنونِ النقلِ والروايةِ.....وكتابِ **«الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السّماع»** للحافظ أبي الفضْلِ عياضِ بن موسى اليحصُبي (ت٥٤٤هـ) رحمه الله[(٢)].

ومباحثُ علمِ الحديثِ الشريفِ المتصلةُ بالإسنادِ كالبحثِ في الحديثِ المسندِ والمتصلِ والمرفوعِ والموقوفِ والمرسلِ والمنقطع ونحوِها... أو المتعلقةُ بالمتنِ كالإدراجِ

(١) نشر بتحقيق محمد الحافظ التيجاني، دار الكتب الحديثة، ط١، القاهرة، ١٩٧٢م.

(٢) نشر بتحقيق السيد أحمد صقر، ط١، دار التراث، القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.

واضطرابِ المتن... ونحوِها، أو المتعلقةُ بالتدوينِ كالعرضِ والمقابلةِ ومقابلةِ النسخ وكلامِهم في الحكِّ والمحو... ونحو هذا... هذا كلُّه من اجتهاداتِ العلماء المسلمينَ والعربِ ومناهجِهم في توثيقِ النصِّ وضبطِه والسعيِ للترقي بالمنهجِ العلمي لديهم سعياً إلى الوقوف على حقيقة النصوص وتحقيقها،ورغبةً في معرفتها[1].

ومن الشواهدِ التطبيقيةِ الواضحةِ على عملِهم ما نراه في طبعة بولاق سنة ١٣١١هـ/١٨٩٢م لصحيح الإمامِ البخاريِّ (ت٢٥٦هـ) ﷺ التي حرصت على إيراد ما تضمنه المخطوط من مقارناتِ النسخ واختلافاتِ الروايةِ... وهو أمرٌ يظهرُ التقدمَ المنهجيَّ الكبيرَ لدى المحدثين.

وأتذكّر هنا كلمةً حدثنا بها مشايخُنا عن المستشرقِ الإنجليزي مرجليوث D. Margoliouth (ت١٣٥٩هـ/١٩٤٠م) أنه قال: «يحقُّ لكل مسلمٍ أن يفخر بعلمِ الحديثِ؛ لأنه لا يوجد مثلُه عند أمةٍ من الأممِ».

هذا مدخلٌ موجزٌ لا بدّ منه لنصلَ بين الماضي والحاضر. ولنتقدمَ إلى الحديثِ عن التحقيقِ عند المستشرقين والأوروبيين.

بدأ تحقيقُ النصوصِ في أوروبا مع حركةِ النهضةِ الأوروبيةِ (Renaissance)؛ إذ بدأ معها الاهتمامُ البالغُ بالتراثِ الكلاسيكيِّ اليونانيِّ والرومانيِّ. وابتدأت مع هذا الاهتمامِ العنايةُ بالفنونِ اليونانيةِ والنصوصِ الكلاسيكيةِ القديمةِ... التي جلبتْ الاهتمامَ بالفنِّ والنحتِ وخاصةً في إيطاليا وفرنسا. ومع هذا الاهتمام واستعادة حضورِ الكلاسيكيات جاءت العنايةُ بالنصوصِ وجمعِها ومحاولةِ الوقوفِ على أصولِها الأولى. ولوجودِ عدة نسخٍ منها في

---

(١) انظر باختصار حول منهج المحدثين: بقاعي، علي نايف: **مناهج المحدثين العامة والخاصة**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

العالم الأوروبي والتراث البيزنطي والعربي نشطوا لجمع النسخ وتتبعها ومقارنتها... ومن هنا وُلد علمُ تحقيقِ النصوصِ عند الأوروبيين في العصرِ الحديث في صورتِه الأولى المختلفة عن التقاليدِ القديمةِ(١).

ثم نجمتْ من بعد ذلك الحركةُ البروتستانتيةُ المسيحيةُ على يد القسِّ مارتن لوثر الألماني Martin Luther (ت١٥٤٦م) الذي أحدثَ من ضمنِ ما أحدثه الاهتمامَ بالتوراة والإنجيلِ (الكتاب المقدس/The Bible)، واعتباره الكنيسةَ الحقيقيةَ للمؤمنِ المسيحيِّ، ودعا لوثر إلى تقديمِ النص الدينيِّ إلى عامة الناس؛ ولهذا السبب قام لوثر بترجمته إلى الألمانية؛ ليكون في متناول الجميع. وقد أثارت الحركةُ البروتستانتيةُ ضمنَ نقدِها للكنيسةِ الكاثوليكيةِ ومعارضتِها لبعضِ التقاليدِ الكاثوليكيةِ حركةً فكريةً تعلقت بنصوص الكتابِ المقدسِ وفحصِها ومدى قبولها ومحاولة فهمِها. ومن هنا قامت حركةٌ فكريةٌ عامةٌ في أوروبا تنحو هذا المنحى، فنشطت دراساتُ الكتابِ المقدسِ ونصوصِه ومقارناتِها. وكانت هذه الحركةُ بعد الاهتمامِ بالنشاطِ الكلاسيكيِّ دفعةً جديدةً للدراساتِ النصيةِ الفيلولوجيةِ وعلومِ نقدِ النصِ التي تركزت أولَ الأمرِ على الكتابِ المقدسِ بعهدَيْه.

أعطى الاهتمامُ بهذا النص دفعةً قويةً كذلك لعلمِ مقارنةِ اللغاتِ وتأليفِ المعاجمِ المتعددةِ اللغاتِ وللعنايةِ كذلك باللغاتِ الساميةِ. ومن المعاجمِ التي تستحق

---

(١) من أقدم تقاليد العناية بالنصوص القديمة ونقلها واختلافها ما قامت به مدرسة رجال الماسورا اليهود في القرن السادس الميلادي في جمع النصوص العبرية ومخطوطات العهد القديم. أما تقاليد الاهتمام الأولى بالتراث اليوناني وضبط نصوصه فهي أقدم من هذا، وتعود إلى المدارس العلمية اليونانية القديمة كأثينا والإسكندرية. ومن أبرز علمائها في هذا المجال أرسطوفانيس البيزنطي (Aristophanes von Byzanz) وعاش حوالي ٢٢٠ ق.م. وله جهد كبير في ضبط النصوص اليونانية الكلاسيكية القديمة. ومنهم كذلك إراتوستئيس القوريني، وعاش في ق ٣ ق.م. انظر:

Wolfgang Buchwald, Armin Hohlweg, Otto Prinz: *Tusculum Lexicon*, S. 80, 857.

الذكرَ هنا معجمُ إدمون كاستلُ Edmun Castell (ت١٦٨٥م). وهو معجمٌ مقارنٌ يبحثُ في مقارناتِ المفرداتِ المعجميةِ بين اللغاتِ العبرية والحبشيةِ والآرامية والسريانيةِ والعربيةِ. وفي هذه الحركةِ الفكريةِ اهتمُّوا بطباعةِ الكتابِ المقدسِ بعهديه القديمِ والجديدِ بعدةِ لغاتٍ (Polyglot). وكان الهدفُ، كما ذكرنا، هو مقارنة النصِّ وتوثيقه ومحاولة الوصولِ إلى فهمٍ أفضل للمفرداتِ والسياقِ. وصدرَ أوّلُ كتابٍ مقدسٍ متعددِ اللغاتِ في سنة ١٥١٤م على يد الكاردينال فرانسسكو إكسيمنز (Cardinal Francisco Jimenez de Cisneros) رئيسِ أساقفةِ طليطلةَ في أسبانيا. وكانت هذه النشرةُ باللغاتِ العبريةِ واليونانيةِ السبعينيةِ واللاتينيةِ والآراميةِ. وهناك عدةُ طبعاتٍ من هذهِ الكتبِ المتعددةِ اللغات. ومن أهمِّ هذهِ الطبعاتِ طبعةُ القسِّ براين والتن Brian Walton (ت١٦٦٠م) التي صدرت في لندن سنة ١٦٥٧ م وفيها تسعُ لغاتٍ إحداها اللغةُ العربيّة.

وهكذا نفهمُ من هذا الاختصارِ الشديدِ لتلك المراحلِ التاريخيةِ الطويلةِ والمتشعبةِ أن علم الفيلولوجيا وتحقيقَ النصوص كان مرتبطاً بالدين (Philologia Sacra) وبحوث الكتابِ المقدسِ بعدَ عصرِ النهضةِ وفي القرنِ السادسِ عشرَ الميلاديّ. وهذا يستدعي إلى الذهنِ أيضاً أنَّ نموّ هذا الاهتمامِ لدى المسلمين أيضاً كان بسببِ العاملِ الدينيّ، كما ذكرنا من قبلُ.

وقد بدأ الاهتمامُ الأوروبيّ باللغةِ العربيةِ في أولِ الأمرِ داخلَ هذا الإطارِ العامّ. ولم تنلْ اللغةُ العربيةُ اهتماماً خارج هذا بصورةٍ مستقلةٍ لذاتها إلّا على يدِ أفرادٍ من العلماءِ الأفذاذِ الذين كانَ من أهمِّهم المستشرقُ الألمانيُّ يوهان رايسكه Johann J. Reiske (ت١٧٧٤م). اهتم هذا الرجلُ باللغةِ العربيةِ ومخطوطاتها، وتعبَ كثيراً في إثباتِ أهميتها العلميةِ أمامَ الدوائرِ العلميةِ في أوروبا خارجَ نطاقِ الاهتمامِ بالكتابِ المقدّسِ والدراساتِ الدينيةِ. وخلال ذلك نشر رايسكه نصوصاً

عربيةً تاريخيةً، وقصائدَ من الشعرِ الجاهليّ[(١)]. وقد عانى كثيراً في حياتِه حتى سمى نفسَه شهيدَ الأدبِ العربيّ.

وكان عهدُ الكشوفِ الجغرافيةِ في الغربِ قد بدأ لدوافعَ علميةٍ واقتصاديةٍ. وتلاه عهدُ الاستعمار الغربيّ لعددٍ من دولِ المشرقِ وغيرِها... ونجمت الدراساتُ الاستشراقيةُ التي اهتمّتْ بالشرقِ أولاً اهتماماً دينياً، ثم تعددت الأسبابُ لتشملَ الاهتمامَ العلميَّ الجادَّ الذي ركّز على الدراساتِ المرتبطةِ باللغاتِ والتراثِ الفكريِّ والدينيِّ، وتبع ذلك الاهتمامِ السياسي المباشرُ حتى حدوثِ التحولاتِ الأخيرةِ التي حدثت في مساراتِ الاستشراق في آخر القرن العشرين وحتى اليوم[(٢)]. وهو استشراق مختلفٌ عما سبقَ نحتاجُ إلى أن نتحدثَ عنه في محاضرةٍ أخرى.

---

(١) أفضل ترجمة لهذا المستشرق الألماني العظيم كتبها المستشرق الألماني يوهان فُك في كتابه:
Die arabischen Studien in Europa, Otto Harrazowitz, Leipzig *1955.*
وأوردها مترجمةً إلى اللغة العربية المحقق صلاح الدين المنجد في كتابه: **المستشرقون الألمان، تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية**، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٢م، ص١٥-٢٥. ومن بعد ذلك ترجم عمر لطفي العالم كتاب يوهان فك كاملاً بعنوان: **تاريخ حركة الاستشراق**، دار قتيبة، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م وأرجو الانتباه إلى أن المترجم في هذه الترجمة يحذف بعض الهوامش الواردة في النص الألماني، كما أن نقله للأعلام اللاتينية غير دقيق أحياناً.

(٢) حول الكتب العربية عن حركة الاستشراق راجع القائمة البيليوغرافية: النملة، علي: **الاستشراق في الأدبيات العربية**، مركز الملك فيصل البحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م. وحول مدارس الاستشراق بصورةٍ منفصلةٍ راجع كتاب يوهان فُك وصلاح الدين المنجد المذكورين في الهامش السابق بالإضافة إلى الكتب المترجمة التالية: **الاستشراق الألماني، تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبلية**، مجموعة بحوث ترجمها أحمد هويدي، وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٣٢٠هـ/٢٠٠٠م. العطاوي، عبد الرحيم: **الاستشراق الروسي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٢م. المقداد، محمود: **تاريخ الدراسات العربية في فرنسا**، سلسلة عالم المعرفة ١٦٧، الكويت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م. وأهم كتاب في العربية يضم تراجم المستشرقين حتى الآن هو كتاب نجيب العقيقي: **المستشرقون**، في عدة مجلدات وطبع عدة طبعات.

واتجهت الدراساتُ اللغويةُ في مجالِ التحقيقِ والنشرِ في القرنِ السابع عشر أيضاً إلى مجالٍ أكثرَ جرأةً وعمقاً، وهو مصداقيةُ طرقِ نقلِ النصوصِ الدينيةِ والكتابِ المقدسِ اعتماداً على المنهجِ الجديدِ. ويذكرُ هنا القسيسُ الفرنسيُّ **ريتشارد سيمون** Richard Simon (ت١٧١٢م)، الذي شرعَ في بحوثٍ عديدةٍ جريئةٍ حول موثوقيةِ نقلِ النصوصِ الدينيةِ المسيحيةِ اعتماداً على المنهجِ الفيلولوجيِّ الذي بدأ ينمو شيئاً فشيئاً وبقوّةٍ. أصدر **سيمون** بجرأةٍ في ذلك الوقتِ المبكرِ سنة ١٦٧٨م كتابه: **التاريخ النقدي للعهد القديم** (*Histoire critique du Vieux Testament*)، وأصدر من بعدِ ذلك سنة ١٦٨٩م كتابَه الثانيَ في التاريخ النقديِّ لنصِ العهدِ الجديدِ (*Histoie critique du texte du Nouveau Testament*). ونصل إلى القرنِ التاسع عشرَ حيثُ الدراساتُ العميقةُ في هذا المجالِ التي قام بها الألمانيُّ ي. **فلهاوزن** Julius Wellhausen (ت١٩١٨م). وتوجهت دراساتُه إلى طرقِ النقلِ وتغييرات النصِّ وتحولاتِه التي أصابته في انتقالِه التاريخيِّ.

وفي القرنِ التاسع عشر أيضاً كان البروفيسور ك. **كونراد لاخمان** Konrad Karl Lachman (ت١٨٥١م) من أبرز من ركّز جهودَه في بيانِ قيمةِ اختلافِ النسخِ والمخطوطاتِ بعد اهتمامِه بالنصِّ اليونانيِّ للكتابِ المقدسِ موجهاً النظر إلى علاقاتِ المخطوطاتِ بعضِها ببعضٍ، ومبيّناً منهجَ كشفِ مناقلاتِ بعضِها من بعضٍ وانتسابِ بعضِها إلى بعضٍ. ولذلك يعدّ لاخمان في نظرِ كثيرٍ من العلماء الأوروبيين مؤسسَ (علم تاريخ النص).

ولم تصل هذه التطوراتُ الأوروبيةُ الجديدةُ في مجالِ التحقيقِ ونشرِ التراثِ المخطوطِ إلى العلماءِ العربِ إلا في الثلُثِ الأولِ من القرنِ العشرينِ، حين تمَّ استقدامُ بعض المستشرقين إلى مصر للتدريسِ في الجامعاتِ. ومن أهم هؤلاء المستشرقينَ المستقدَمين إلى مصرَ العالمُ الألماني ج. **برجشتراسر** (G. Bergsrässer)، الذي ألقى

عدة محاضراتٍ بالعربيةِ في مجالِ التحقيقِ لطلابِ جامعةِ القاهرةِ سنة ١٩٣٢م. وقد تم جمعُها ونشرت في كتابٍ بعنوان «**أصول نقد النصوص ونشر الكتب**». ومن بعد ذلك توالت وازدهرت تجاربُ المحققينَ المنهجيينَ الأوائل من العربِ، وتبعتها مؤلفاتُهم ومقالاتُهم حول الموضوع. ومنهم: الشيخ أحمد شاكر، ومحمد عبد السلام هارون، وصلاح الدين المنجد، ومصطفى جواد، وغيرهم...

ومن المهمّ بعد هذه اللمحة التاريخيةِ المختصرةِ اليوم أن نبيّن بعض مناحي التشابهِ والاختلافِ في علمِ تحقيقِ النصوصِ بين منهجِ العربِ والمسلمينِ المعاصرين ومنهجِ الأوروبيينَ، خاصةً المستشرقين المحققين للتراث العربي. وذلك باختصارٍ شديدٍ يتسع له وقتُ هذهِ المحاضرة. ولي كتابٌ موسّع ومطوّلٌ حول نقدِ النصوصِ العربية وتحقيقِها واختلافِ مناهجِها لا يزالُ مسودةً. أسأل الله أن يعين على إخراجِه ليُنتفع به. وقد رجعتُ إليه هنا[١].

إن مِن الفروقِ الهامةِ العامّةِ بين مسار المنهجينِ، إن سلّمنا باختلافهما، أنّ ازدهارَ علمِ تحقيقِ النص والفيلولوجيا عند الأوروبيين واهتمامَهم بهما قديماً بُنِيَ على حقائق تاريخيةٍ أهمُّها أنه لا يوجدُ في العالمِ اليوم نسخةٌ واحدةٌ أصليةٌ بخطّ المؤلفِ (Autograph) من التراثِ الكلاسيكيِ القديمِ، بل ولم تبقَ ولا نسخةٌ واحدةٌ من الطبقةِ الثانيةِ، أي نسخةٌ منقولةٌ مباشرةً من نسخةِ المؤلف[٢]. وفي المقابل فإن التراثَ الإسلاميَّ العربيَّ فيه أصولٌ كثيرةٌ كتبت بخطوطِ مؤلفيها نظراً لقرب عهدِه وحداثتِه مقارنةً بالنصوصِ الكلاسيكيةِ، وللوعي الدينيِّ الذي رافقهُ منذُ لحظاتِ التأسيسِ. ولهذا فإن بعض العلماءِ العربِ يخالفُ منهجَ

(١) الديان، أحمد: مقدمة في علم الفيلولوجيا العربية، (مخطوط)، ص١٠٠ – ١٠٣.

(2) Maas, Paul: Textkritik, B. G. Teubner Verlagsgesellschaft. Leipzig, S. 5

المستشرقين في التحقيقِ بسببِ هذا؛ فهو يرى مثلاً عدمَ الالتزامِ بمنهجِهم لأنه مخصصٌ لتراثهم المختلف عن تراثِنا العربي.

ومن الفروقِ التي تستحقُّ الذكر أن التراثَ العربيَّ تراثٌ ضخمٌ جداً، بل إن التراثَ المخطوطَ باللغة العربية لا يضاهيه في كثرتِه وتفرقِه في العالم تراثُ أيِّ لغةٍ أخرى. وتأسيساً على ما سبق، لم يكن هدفُ المحققِ في التراثِ الأوروبيِّ هو الخروجُ بنسخةِ المؤلفِ كما يقولُ المحققون العرب أو أكثرُهم، خاصةً في الأربعينيات وحتى الثمانينيات الميلادية من القرن الماضي، بل إنّ هدفَهم هو تقديمُ النصِّ كما وصل إلينا في نقولِه المختلفةِ، أو كما يسمى في اللغة الألمانية (Überlieferung)؛ لأن القول عندنا بأن هدفَ التحقيقَ هو إخراجُ النصِّ، كما أراده مؤلفُه هو تحكُّمٌ بلا دليلٍ حاسمٍ في المنهج الفيلولوجي النقدي. ومن هذا يجب أن أذكر أن مبدأ (النُّسخة الأمّ)، الذي يبني عليه المحققون العربُ كثيراً من التأسيسِ المنهجيّ هو موضعُ نظرٍ في الدراساتِ المختصةِ بنقد النصّ؛ لأنّه يقومُ على افتراض وجودِ نصٍ أكثر صحةً نسعى نحنُ إلى الوصولِ إليه. وينبني على هذا نتائجُ علميةٌ أخرى لا يتسع المقام لبسطِها.

ومن نتائجِ اختلافِ المنهجين في التحقيق أن المستشرقين وعلماءَ التحقيق في الغرب يعمِدون إلى بيانِ جميع فروقِ المخطوطاتِ واختلافِ بعضها عن بعض، حتى ما دقَّ وصغُر من الاختلافات، في حين أن المحققين العربَ، أو أكثرَهم لا يهتمّ في مجالِ الفروقِ إلا بما يؤثر في النصِّ ومعناه، ويهملُ هؤلاء فروقاً صغيرةً يراها أولئك مهمةً كإبدال حروفِ العطفِ بعضِها من بعضٍ، أو أسماءِ الإشارة... لأن المحققين العرب يرون أنّها من أخطاءِ النّساخ، ولا يتحملُها الكاتبُ نفسُه. وبابُ التعاملِ مع اختلاف النسخ المخطوطة لدى الغربيين بابٌ واسع لعله يمكنُ الحديثُ عنه في مناسبةٍ أخرى. ومن الاهتماماتِ لدى المستشرقين في التحقيقِ الاهتمامُ بالرسمِ

الإملائيّ للمخطوطات (Orthography)، وقد يطيلون فيه فيخصص المحققُ فصلاً كاملاً لذلك في مقدمةِ التحقيق، في حين يكتفي المحققون العربُ ببيانِ أهمّ ما فيه على اختصارٍ غالباً، ويغيّرون الرسمَ القديم في الكتابِ إلى الرسم الإملائيّ المعاصر.

ولا يهتمُّ المحققون من المستشرقين في مناهجِهم بالتعليقِ الكبيرِ على المعلوماتِ الواردةِ في المخطوطِ من حيث إكمالِها، أو الردّ عليها، أو نحوِ ذلك؛ إذ إنّ تحقيقَ المخطوطِ هو إخراجُه، وليس التعليقَ عليه أو شرحَه... وهذا منهجٌ صحيحٌ يسيرُ عليه كثيرٌ من المحققين العرب الكبارِ، ولكنّنا نجدُ بعض المحققين العربِ والدارسين في الجامعاتِ، خاصةً في الرسائلِ العلميةِ يأخذون أنفسَهم بهذا التوسُّع. وعندهم أن ذلك لازمٌ؛ فيشغلون أنفسَهم بجهدٍ علمي لإكمالِ ما في الكتابِ والتذييلِ عليه.

ومع أن هذا في ذاته مفيدٌ من الناحيةِ العلميةِ، إلا أنه ليس من أعمالِ المنهجِ العلميِّ الدقيقِ في تحقيقِ النصوصِ وإخراجِ المخطوطاتِ.

والعلماءُ والباحثون الغربيون في الدراساتِ الكلاسيكيةِ، ومن بعدهم المستشرقون، هم الذين اهتموا بعلاقاتِ المخطوطاتِ، وتقدموا في رصدِ ذلك في التراثِ الأوروبيِّ الكلاسيكي، ثم طُبِّق ذلك على التراثِ العربيِّ، وابتكروا ما يسمى (تشجير المخطوطات = Stemma). وهو بيانُ مناقلاتِ بعضِها من بعضٍ، وانتساب بعضها إلى بعضٍ. وهذا فنٌّ قلّ من يهتم به من المحققين العرب. وله ضوابط علمية يسيرُ عليها المحققُ المدقِّق.

وينتقد المنهجُ الفيلولوجي المعتمدُ على آخر ما توصل إليه الغربيون ما يصحُّ أن نسمِّيَه بنظريةِ (النص المختار) عند بعضِ المحققينِ العربِ. وهي أن يعمِد المحققُ إلى تأليفِ نصٍّ ملتقطٍ من مجموع المخطوطاتِ للظفر بنصٍ يعتقد المحققُ مجتهداً أنه الأقربُ إلى الكمال. ومن أمثلته في أعمالنا العربية العلميةِ المنهجُ الذي أخرجت به

دار الكتبِ المصريةِ كتابَ الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (ت٣٥٦هـ) مثلاً. وهناك أمثلةٌ أخرى كثيرةٌ يطولُ ذكرها.

ويضع المحققونَ الغربيونَ والمحققون العربُ اختلافاتِ النسخ المخطوطةِ في الهامش. ويسمى في الدراسات الكلاسيكية (Apparatus Criticus). ومع الاهتمامِ بالتعليقِ على بعضِ النصوصِ وربطِ معلوماتِها بمصادرَ أخرى مثلاً صارَ كثيرٌ من المحققين الغربيين يضعُ هامشين اثنين: أحدهما يتعلق باختلافاتِ النسخ، والآخر يتعلق بالتعليقات على النصّ. وبعضُهم يضع هامشاً واحداً.

ومن الاختلافاتِ بين المنهجين أن المحققينَ العربَ يركّزون على صحةِ النصّ من حيثُ المصداقيةُ والموثوقيةُ التاريخية والشرعيةُ، ولذلك يهتمّون مثلاً بتخريجِ الحديثِ الشريفِ، والتدقيق في الآثار المروية وبيانِ مواردِها، في حين أنّ هذا الاهتمامَ ليس له موضعٌ كبيرٌ لدى المحققين الغربيين؛ لأنه مما يرتبط بالدراسات المتعلقةِ بالشريعةِ الإسلاميةِ وضوابطِ علومِ الدينِ الإسلامي.

ومن ابتكاراتِ الأوروبيين في هذا المجالِ علاماتُ الترقيم (Punctuation). وهي هامةٌ جداً في مجال التحقيقِ. وقد نقلَها العربُ من الأوروبيين في أوائلِ القرنِ الماضي. وأوّلُ من اهتمّ بها، وسعى لنشرِها، فيما أعلم، هو شيخُ العروبةِ أحمد زكي باشا (ت١٣٥٣هـ/١٩٣٤م). وهي مهمةٌ جداً لضبطِ النصوصِ وتصحيح قراءتها. ومما يؤسف له هنا أن الكُتّابَ والمؤلفينَ العربَ لم يتوافقوا على مواضع استعمال بعضِها بصورةٍ نهائيةٍ.

ومن منهج المستشرقين الذي تطوّر لديهم اهتمامُهم البالغُ بتكشيفِ النصوصِ المحققةِ (Indexing)، ورصدِ كلّ ما فيها من معلوماتٍ وأعلامٍ وموارِدَ ونقولٍ

واقتباساتٍ...إلخ. وهذا من أهمِّ مسائلِ التحقيقِ؛ لأنه ييسّر الانتفاعَ بالمخطوطاتِ، ويسهّلُ الوصولِ إلى المعلوماتِ المطلوبةِ بأيسرِ طريقٍ وأسهل سبيلٍ(١).

ومن المسائلِ والضوابطِ العلميةِ التي ينبغي أن أؤكّدَ عليها أخيراً في هذا المقام- أنّ تحقيقَ أي كتابٍ، مهما بذل محققه فيه من جهدٍ، يظلّ جهداً غير نهائيّ. وسببُ ذلك أن اكتشافَ أيّ مخطوطٍ جديدٍ مهمٍّ من أي كتابٍ تم تحقيقُه من هذا التراثِ العربيّ الإسلاميّ الكبيرِ المتناثر شرقاً وغرباً، والموجود في المتاحف ودور الكتب، ولدى العلماء والأثرياء والأسر العلمية... من شأنِ أي اكتشافٍ أن يفتحَ المجالَ من جديدٍ لإعادةِ التحقيقِ، أو التعليق أو المقارنات بناءً على معطياتٍ جديدةٍ؛ ولذلك فبابُ تحقيقِ التراثِ العربيّ ومخطوطاته يظل مفتوحاً باستمرار.

لقد ظهر أخيراً من تكاتفِ وتنامي كلِّ هذهِ الجهودِ العلميةِ مجموعةُ علومٍ حديثةٍ ترتكز في العصر الحاضر على التراث وتقاليده: ومن أهمها: علمُ الخِطَاطة (Codicology). وهو العلمُ الذي يهتمُّ بالجانبِ الماديّ من المخطوطِ كالورقِ والتجليدِ والأحبارِ وانتقالاتِ المخطوطِ... إلخ، وعلمُ النِّسَاخَة(٢) (Palaeography). وهو العلم الذي يهتم بالخطوطِ التي كتبت بها المخطوطاتُ ومدارسِها وتطورِها وتقاليدِها في الضّبطِ ونحوه... ولا يزال هذان العلمان جديدين في الساحةِ العلميةِ العربيةِ والجامعاتِ العربيةِ مع أن التراثَ العربي أفضلُ من يقدم مادةً لهذين العِلمين.

---

(١) عزا العلامة المحدث أحمد شاكر (ت١٣٧٧هـ) ﷺ الاهتمام بالفهرسة والتكشيف إلى علماء التراث في كتابه: **تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة** محتجاً بكتب المعاجم اللغوية وكتب أطراف الحديث. وقد تطوّر التكشيف العلمي ليكون أشمل من هذا وأكبر بكثير.

(٢) في رأيي إن مصطلحي (**الخِطاطة**) لعلم (Codicology) ومصطلح (**النِّساخة**) لعلم (Palaeograpgy) هما أفضل ما يعبر به عن هذين المصطلحين. ومن المعروف في علم الصرف العربي أن وزن (**فِعَالة**) يأتي في اللغة العربية كثيراً للمهن والحرف والصناعات.

وتسهم التقنيةُ الحديثةُ في المساعدةِ على تحقيقِ التراثِ العربي في مجالِ البحثِ عن المعلومةِ، وفي مجالِ جمع المتفرقِ كطرقِ الحديثِ الواحدِ... ونحو هذا. ولكن مشكلةَ التقنية الحديثة تكمُنُ في مجالِ المصداقيةِ والموثوقية. وهذه قضيةٌ ذات حساسيةٍ عاليةٍ في مجالِ ضبطِ النصوصِ وتحقيقها، ولا أعتقدُ أن العالمَ العربي بجهودِه الحاليةِ سيصل إلى حلّها في مدى زمنيٍ قريبٍ من الآن.

وبقيتْ هنا مسألةٌ أختمُ بها. وهي أن حديثَنا عن مناهج المحققين المستشرقين والغربيين هو حديثٌ علميٌ في دورةٍ علميةٍ ينبغي أن يستفادَ من المفيدِ فيه. وأعلمُ أن لدى بعض الباحثين العربِ حساسيةً عندَ الحديث عن الاستشراقِ تجرُّ إلى الحديثِ في دوافعِه ونحو ذلك... وقد تدفعُ الحماسةُ بعض المهتمين إلى تجهيلِ المستشرقين في كلِّ شيءٍ، ونسبةِ كل الصوابِ إلى أسلافنا رحمهم الله[١]، أو نكرانِ جهودِ السلفِ ونسبةِ كلِّ الإنجازاتِ المنهجيةِ إلى المستشرقين!! ولكني أعتقدُ أن الإنصافَ يوجبُ علينا ذكرَ ما أحسنوا فيه؛ كي نقتبسَه من جهودهم، وذكرِ ما أخطؤوا فيه، فنردّ عليه ونناقشه ونقوّمه، مع عنايتنا البالغةِ بالاطلاع على تراثِنا وجهودِ علماءِ الحضارةِ العربية الإسلاميةِ في هذا المجال. وبذلك نؤدي حقَّ العلم الذي قال فيه **الإمامُ أبو عبيد القاسمُ بن سلّام** (ت٢٢٤هـ): «إن من شكر العلم أن تعزو القول إلى صاحبه». ونحنُ بهذا المنهجِ الموضوعيّ المعتدلِ نجمعُ في آخر الأمرِ بين الحُسنيين: الدرايةِ بما في تراثنا العربي الإسلامي العريضِ من صوابٍ وحسنٍ، والعلم بما في جهودِهم العلمية من صوابٍ؛ لنرتقيَ آخرَ الأمرِ بالمنهجِ العلمي إلى أفقٍ جديدٍ تستفيد منه أمتُنا وتراثُنا العظيم.

تم بحمد الله وتوفيقه وعونه.

---

(١) انظر من نماذج ذلك الفصل الذي كتبه العالم المحقق د. فخر الدين قباوة في كتابه القيم: **علم التحقيق للمخطوطات العربية**، دار الملتقى، دمشق ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص١٢٨-١٤٢ بعنوان: **الاحتلال الاستشراقي وإزالته**.

AL-FURQĀN
ISLAMIC HERITAGE FOUNDATION
Centre for the Study of Islamic Manuscripts

22A Old Court Place
London W8 4PL, UK
Tel: + 44 (0) 203 130 1530
Fax: + 44 (0) 207 937 2540
Email: info@al-furqan.com
Url: www.al-furqan.com

First Edition: 2016 CE / 1437 A.H.
ISBN:1-905122-72-1

Training Course Series

EDITING MANUSCRIPTS OF QUR'ĀNIC SCIENCES

FUNDAMENTALS, RULES AND PROBLEMS

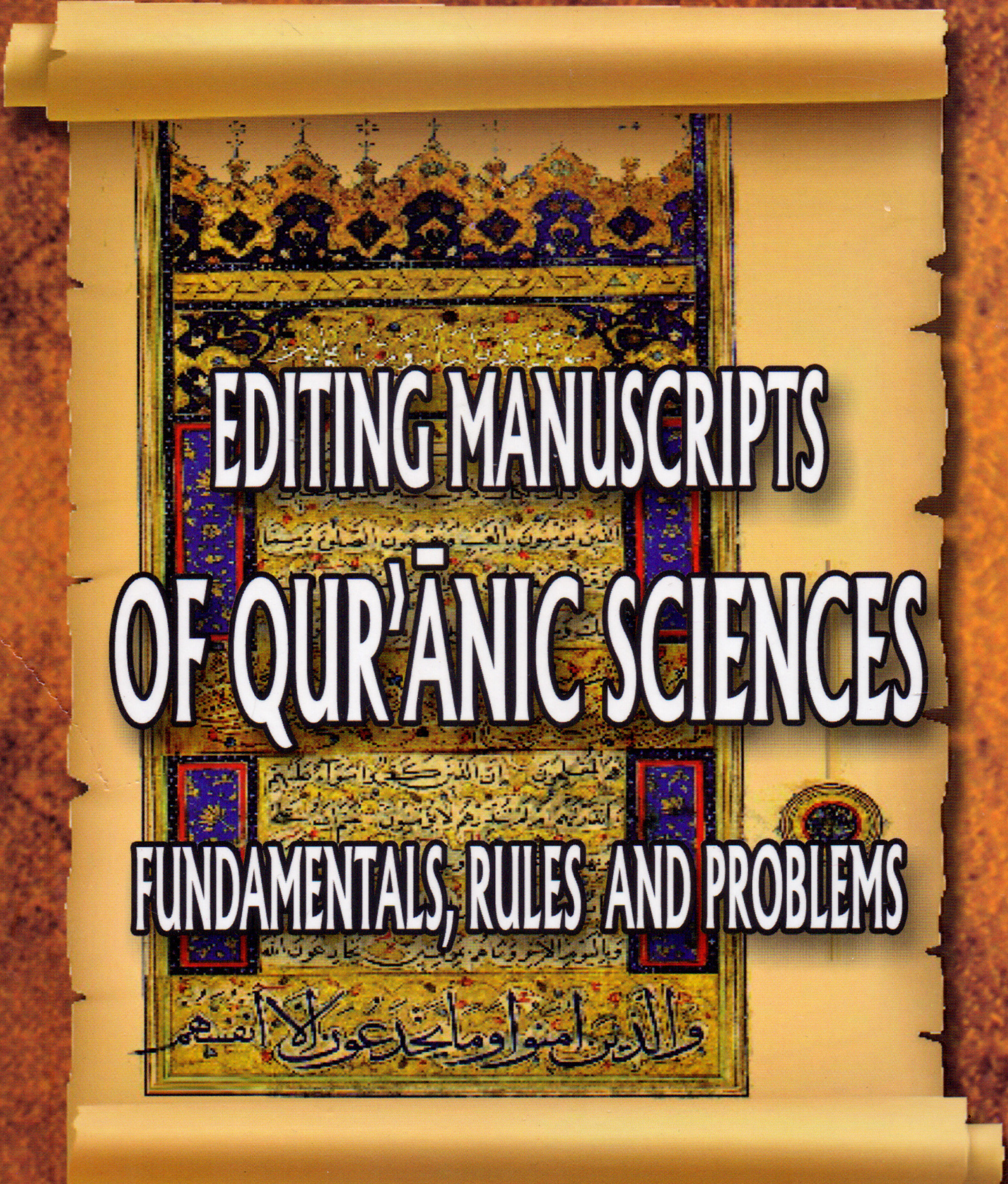
Al-Furqān Islamic Heritage Foundation
Centre for the Study of Islamic Manuscripts

EDITING MANUSCRIPTS
OF QUR'ĀNIC SCIENCES

FUNDAMENTALS, RULES AND PROBLEMS

Training Course Series

AL-FURQĀN
ISLAMIC HERITAGE FOUNDATION
Centre for the Study of Islamic Manuscripts



EDITING MANUSCRIPTS OF QUR'ĀNIC SCIENCES

FUNDAMENTALS, RULES AND PROBLEMS